



جامعة الكوفة – كلية الآداب
قسم اللغة العربية

التوابع في نهج البلاغة دراسة نحوية دلالية

رسالة قدمتها إلى
مجلس كلية الآداب في جامعة الكوفة
وداد حامد عطشان السلامي
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها - اللغة

بإشراف
الأستاذ الدكتور
عبد الكاظم محسن الياسري

٢٠٠٧م

١٤٢٨هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(٢١)

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع
الى الفلك الجارية في اللجج
الغامرة أهل البيت - عليهم
السلام. واسأل الله تعالى بهم أن
نكون
من الناجين .

الباحثة

المحتويات الموضوع

الصفحة	
٧-١	المقدمة
٢٣-٨	التمهيد : مفهوم « التوابع » في اللغة والاصطلاح
٨	مفهوم « التوابع » في اللغة
١١	مفهوم « التوابع » في الاصطلاح
١١	١- مفهوم « التوابع » عند النحويين
١٤	٢- مفهوم « التوابع » عند البلاغيين
١٨	٣- مفهوم « التوابع » عند الاصوليين
٢١	صلة التابع الدلالية بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي
١٤٠-٢٤	الفصل الأول : « النعت »
٢٤	النعت في اللغة والاصطلاح
٢٤	النعت في اللغة
٢٥	النعت في الاصطلاح
٢٧	صلة النعت الدلالية بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي
٢٩	المبحث الأول : دلالات النعت
٣١	المطلب الأول : دلالة التخصيص
٣٤	المطلب الثاني : دلالة التوضيح
٣٨	المطلب الثالث : دلالة المدح والثناء
٤١	المطلب الرابع : دلالة الذم
٤٣	المطلب الخامس : دلالة التوكيد
٤٥	انواع النعت.....
٤٦	الاول: النعت الحقيقي.....
٤٦	الثاني: النعت السببي.....
٥١	المبحث الثاني : سمات النعت عند النحويين
٥١	المطلب الأول : المطابقة.....
٥١	الفرع الأول : المطابقة في الإعراب
٥٨	الفرع الثاني : المطابقة في التعريف والتتكير

٦٤	الفرع الثالث : المطابقة في التذكير والتأنيث.
٨١	الفرع الرابع : المطابقة العددية
٩٠	المطلب الثاني : النعت بين الاشتقاق والجمود
٩١	الفرع الأول : الاسم الموصول
٩٣	الفرع الثاني : اسم الإشارة
٩٤	الفرع الثالث : النعت بـ « نو » و « ذات »
٩٤	الفرع الرابع : النعت بالمصدر
٩٧	الفرع الخامس : ما جاء على نسق النسب
٩٧	المبحث الثالث : أساليب النعت في النهج
٩٨	الفرع الأول : النعت المفرد
١٠٩	الفرع الثاني : النعت الجملة أو «الجملة النعتية» وخصائصها
١١٠	أولاً : خصائص الجملة النعتية
١١٢	ثانياً : أقسام الجملة النعتية في النهج
١١٣	أ- الجملة الاسمية
١١٣	١- جملة اسمية تبدأ بضمير يعرب مبتدأ
١١٤	٢- جملة اسمية تبدأ بإسم
١١٦	٣- جملة اسمية تقدم فيها الخبر على المبتدأ
١١٧	٤- جملة اسمية مصدرية بأحد النواسخ
١١٩	ب- الجملة الفعلية
١٢٠	١- الجملة الفعلية الماضية
١٢٢	٢- الجملة الفعلية المضارعية
١٢٢	أولاً: جملة نعتية فعلها مضارع مثبت
١٢٤	ثانياً: جملة نعتية فعلها مضارع منفي
١٢٥	ج- شبه الجملة
١٢٧	١- النعت بالجار والمجرور
١٢٩	٢- النعت بالظرف
١٣١	د- جملة الشرط
١٣٤	المطلب الثاني : حذف النعت أو المنعوت

١٣٥	الفرع الأول: حذف المنعوت «الموصوف»
١٣٨	الفرع الثاني: حذف النعت
١٧٣- ١٤١	الفصل الثاني : التوكيد
١٤١	التوكيد في اللغة والاصطلاح
١٤١	التوكيد في اللغة
١٤٢	التوكيد في الاصطلاح
١٤٣	صلة التوكيد الدلالية بين المعنى اللغوي و المفهوم الاصطلاحي.....
١٤٤	أنواع التوكيد
١٤٥	المبحث الأول : توكيد اللفظي
١٤٨	المطلب الأول : توكيد الاسم
١٤٨	أولاً : توكيد المفعول به
١٤٨	أ- توكيد التحذير
١٥١	ب- توكيد الإغراء
١٥٤	ج - توكيد الإغراء بلفظ التحذير
١٥٥	د- توكيد الإغراء بتحريك الهمة
١٥٥	ثانياً : توكيد المفعول المطلق
١٥٦	أ- توكيد الإغراء
١٥٦	ب- توكيد التحسر و الترغيب
١٥٧	ثالثاً : توكيد الضميرين
١٥٨	أ- توكيد الضمير المتصل بالمنفصل
١٦٠	ب- توكيد الضمير المستتر بالمنفصل
١٦١	المطلب الثاني : توكيد اسم فعل
١٦٢	أ- توكيد اسم فعل ماضٍ «هيهات»
١٦٣	ب توكيد اسم فعل مضارع «آه»
١٦٤	المطلب الثالث : توكيد الحرف
١٦٤	توكيد حرف «النداء» و «المنادى»
١٦٤	المطلب الرابع : توكيد الجملة
١٦٥	المبحث الثاني : التوكيد المعنوي

المطلب الأول : التوكيد المعنوي بلفظة «عين»	١٦٨
المطلب الثاني : التوكيد المعنوي بلفظة «كل»	١٧٠
الفصل الثالث : «البدل» و«عطف البيان»	١٧٥ - ١٩٨
المبحث الأول : «البدل»	١٧٥
البدل في اللغة والاصطلاح.....	١٧٥
البدل في اللغة	١٧٥
البدل في الاصطلاح	١٧٥
صلة البدل الدلالية بين المعنى اللغوي و المفهوم الاصطلاحي	١٧٧
العامل في البدل	١٧٩
معاني البدل	١٧٩
أنواع البدل من حيث المعنى	١٨٠
المطلب الاول: بدل كل من كل	١٨٠
دلالات بدل كل من كل	١٨١
١- دلالة التوضيح	١٨٢
٢- دلالة المدح والذم	١٨٣
٣- دلالة التفصيل	١٨٤
٤- دلالة التخييم	١٨٧
٥- دلالة التوكيد	١٨٨
المطلب الثاني : بدل بعض من كل	١٩٠
المطلب الثالث : بدل الاشتمال	١٩٥
المطلب الرابع : البدل المباين	١٩٨
المبحث الثاني : عطف البيان	١٩٩ - ٢١٤
عطف البيان في اللغة والاصطلاح	١٩٩
عطف البيان في اللغة	١٩٩
عطف البيان في الاصطلاح	١٩٩
صلة عطف البيان الدلالية بين المعنى اللغوي و المفهوم الاصطلاحي	٢٠١
المطلب الأول : سبب تسمية البيان عطفاً عند النحاة	٢٠١
المطلب الثاني : علاقة عطف البيان بالتوابع الأخر	٢٠٢

المطلب الثالث : العلاقة بين عطف البيان والبديل المطابق	٢٠٤
المطلب الرابع : شروط عطف البيان	٢٠٨
المطلب الخامس : دلالات عطف البيان في النهج	٢١٠
دلالة التوضيح	٢١٠
الفصل الرابع : عطف النسق	٣٣٠-٢١٥
مفهوم عطف النسق في اللغة والاصطلاح	٢١٥
مفهوم « العطف » في اللغة	٢١٥
مفهوم « النسق » في اللغة	٢١٥
مفهوم عطف النسق في الاصطلاح	٢١٦
صلة عطف النسق الدلالية بين مفهومي «العطف» و « النسق» في اللغة والاصطلاح ..	٢١٨
عدد الحروف	٢١٩
العامل في العطف	٢٢٠
المبحث الأول: دلالة الحروف التي تشترك المعطوف مع المعطوف عليه مطلقا أي لفظا و حكماً ودلالاتها الجمع, وهي : « الواو , والفاء , وثم , وحتى »	٢٢٠
المطلب الأول : دلالة « الواو »	٢٢١
الفرع الأول : دلالة الجمع	٢٢٣
اولاً : « الواو » تدل على الجمع بين المتعاطفين والسياق يدل على الزمن الواحد	٢٢٣
ثانياً : « الواو » تدل على الجمع بين المتعاطفين , والسياق يدل على الزمن المتعدد ...	٢٢٥
الفرع الثاني : عطف المترادفين	٢٣٥
عطف الجمل المترادفة	٢٤٦
الفرع الثالث : اقتران « واو » العطف بـ «إما»	٢٥٠
الفرع الرابع : اقتران « واو » العطف بـ «لكن»	٢٥١
الفرع الخامس : اقتران «واو» العطف بـ«لا» إن سبقت بنفي	٢٥١
عطف الجمل بـ«الواو»	٢٥٣
اولاً : عطف جملة اسمية على جملة اسمية بـ« الواو »	٢٥٣
ثانياً : عطف جملة فعلية على جملة فعلية بـ« الواو »	٢٥٦

- أ- عطف جملة فعلية فعلها ماضٍ على أخرى فعلها ماضٍ بـ « الواو » ٢٥٨
- ب- عطف جملة فعلية مضارع على جملة فعلية مضارعية بـ « الواو » ٢٦٠
- المطلب الثاني : دلالة العطف بـ « الفاء » ٢٦٢
- الفرع الأول : دلالة الترتيب ٢٦٢
- أولاً : الترتيب المعنوي ٢٦٣
- ثانياً : الترتيب اللفظي والذكري ٢٦٥
- الفرع الثاني : دلالة التعقيب ٢٦٧
- الفرع الثالث : دلالة السببية ٢٧٠
- المطلب الثالث : « ثم » ٢٧٤
- الفرع الأول : دلالة التشريك مع الترتيب والتراخي ٢٧٥
- الفرع الثاني : دلالة الترتيب بلا مهلة ٢٧٨
- الفرع الثالث : دلالة « ثم » على البعد المعنوي ٢٧٩
- أولاً : دلالة الاستبعاد ٢٨٢
- ثانياً: دلالة التدرج في درج الارتقاء ٢٨٤
- المبحث الثاني : الحروف التي تشترك المعطوف مع المعطوف عليه لفظاً وحكماً ودلالاتها
- أحد المتعاطفين ، وهي « أو ، وأم ، وإما » ٢٩٠
- المطلب الأول : « أو » ٢٩٠
- الفرع الأول : دلالة « أو » في عطفها مفرد على مفرد ، وجملة على جملة ٢٩٤
- أولاً : دلالة « أو » في عطفها مفرد على مفرد ٢٩٤
- ثانياً : دلالة « أو » في عطفها جملة على جملة ٢٩٥
- أ- دلالة « أو » في عطفها جملة فعلية فعلها ماضٍ على جملة فعلية فعلها ماضٍ ٢٩٥
- ب- دلالة « أو » في عطفها جملة فعلية مضارعية معطوفة بـ « أو » على جملة فعلية مضارعية ٢٩٧
- ج - دلالة « أو » في عطفها جملة اسمية على جملة اسمية ٢٩٨
- ثالثاً : دلالة « أو » في عطف جملة الشرط ٢٩٨
- أ- مجيء « أو » في جملة الشرط بعد « إن » ٢٩٨

- ب- مجيء « أو » في جملة الشرط بعد « لو » ٣٠٠
- ج - مجيء « أو » في جملة الشرط بعد « إذا » ٣٠٠
- رابعاً: دلالة « أو » في عطفها للجمل المستفهم عنها..... ٣٠١
- الفرع الثاني : الدلالات التي تفيدھا التسوية بـ« أو » في النهج ٣٠٢
- اولاً : دلالة التقسيم وتفصيل الاجمال ٣٠٢
- ثانياً : دلالة التخيير ٣٠٥
- ثالثاً : دلالة « أو » في رفع توهم رجحان أحد المتعاطفين على الآخر ٣٠٦
- رابعاً: دلالة « أو » على بيان شمول الحكم ٣٠٧
- خامساً : دلالة « أو » على التسوية بين فرضين لتعليقهما بحكم ٣٠٨
- المطلب الثاني : « أم » ٣٠٩
- الفرع الأول : « أم » المتصلة ٣١٠
- اولاً : دلالة التسوية ٣١٠
- أ- دلالة « أم » في عطف فعل على فعل..... ٣١١
- ب- دلالة « أم » في عطف جار ومجرور على جار ومجرور..... ٣١٢
- ثانياً : دلالة « أم » على طلب التعيين ٣١٣
- أ- دلالة « أم » في عطف جملة ماضية على ماضية ٣١٤
- ب- دلالة « أم » في عطف مفرد على مفرد..... ٣١٤
- ج- دلالة « أم » في عطف جار ومجرور على جار ومجرور ٣١٤
- د- دلالة « أم » في عطفها جملة اسمية على ما قبلها ٣١٥
- الفرع الثاني : دلالة « أم » على الاضراب ٣١٧
- اولاً : دلالة « أم » المنقطعة من حيث ما قبلها ٣١٨
- أ- دلالة « أم » المنقطعة بعد استفهام بالهمزة ٣١٨
- ب- دلالة « أم » المنقطعة بعد استفهام بغير الهمزة ٣١٩
- ثانياً : دلالة « أم » المنقطعة من حيث ما بعدها ٣٢١
- أ- دلالة « أم » المنقطعة وبعدها جملة فعلية ماضية ٣٢١

ب- دلالة « أم » المنقطعة وبعدها جملة فعلية مضارعية.....	٣٢١
ج- دلالة « أم » وبعدها « جار ومجرور ».....	٣٢٢
المبحث الثالث : دلالة الحروف التي تشرك المتعاطفين في اللفظ لا الحكم , وهي : « لا , وبل , ولكن ».....	٣٢٤
مطلب: دلالة « لا » العاطفة	٣٢٤
الخاتمة واهم النتائج	٣٣١-٣٣٨
مصادر ومراجع البحث	٣٣٩-٣٧٣

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا

المقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا دائما أبدا كما هو اهله وكما يستحقه، حمدا يصعد اليه
اوله ولا ينفد اخره، رباً يفيض على من دونه علما وقدرة، فتعطفنا عليه الفطرة
والفكرة، وصلى الله على اعظم تابع لخالق وخير متبوع لمخلوق، محمد خاتم الانبياء
والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد:

فقد شغفني نهج البلاغة حبا فقيدتي روائعه، وأسرتني محاسنه منذ أمد بعيد؛
فغدوت شديدة التعلق به، أحسُّ بصلة وثيقة بيني وبينه، لوثاقه صلته بالنص القرآني
ذلك الكلام المعجز الذي (لا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ وَلا تُكْشِفُ الظُّلْمَاتُ إِلَّا
بِهِ)^(١) إذ يشغل هذا التعبير المقدس المكانة الأسمى والأهمية المتلى في حياة
المسلمين، فإذا كان هذا التعبير المعجز نصا هاديا للبشرية متفردا بالإعجاز؛ فإن
النهج نص هادٍ للبشرية تفرد بقربه من حدِّ الإعجاز؛ لانه (فوق كلام المخلوق ودون
كلام الخالق)^(٢)، وهذه الوسطية منحته سمة خصوصية لا تداني؛ إذ لا يقترب منه
نص إبداعي أنتجته عقول البشر ولا يكاد، فالنهج (وليد القرآن الكريم ومن كلمات
وليد البيت العظيم -الكعبة المعظمة-) ^(٣)، وكتاب الله الناطق ^(٤).

ومن هنا كان الإبداع مشغلة كلامه -ﷺ- لانه مَشْرَعُ الفصاحة وموردها،
ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى نهجه
تمنطق كل قائل وخطيب، و بكلامه توصل كل واعظ وبليغ، ومع ذلك فقد سبق
وقصروا، وتقدم وتأخروا؛ لان كلامه -ﷺ- فيه مسحة من العلم الإلهي، وعليه
عبقة من كلام النبوة^(٥)، فاستلهم النهج من القرآن مضامينه وبيانه، وأشرفت ألفاظه
بشموس جنانه لتزيح ظلمات النفوس وتطلق العقول من حلق القيود، فكان النهج بهذا

(1) نهج البلاغة: ٢٨٨/١.

(2) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد: ٢٤/١. مصادر نهج البلاغة: عبد الله نعمة الجزائري: ٢٥/١ - ٢٦.

(3) في رحاب نهج البلاغة: مرتضى مطهري: ٣٤.

(4) قال امير المؤمنين -ﷺ-: (هذا كتاب الله الصامت، وأنا كتاب الله الناطق). وسائل الشيعة: الحر
العالمي: ٣٤/٢٧.

(5) ينظر: شرح النهج: ٤/١.

مزجاً من خصوصيات التعبير المقدس وسمات الكلام النبوي البليغ معاً⁽¹⁾؛ فهو يدوم ويتجدد ما دام القرآن دائماً متجدداً، وللامام -عليه السلام- بعدُ شخصية مميزة اضفت على تلكم الكلمات روحاً وروعة وخلوداً.

لهذا كان داعي الاختيار لجوجاً ودعوى الدراسة ملحة؛ فقد وجدتُ طباق سماوات تتعالى بروائع تأخذ بالألباب سحراً، وعبونا من العلم تتفجر بالمعاني الكريمة قدرة وإبداعاً، ولغة تهيمن على الأرواح عزيزة، وعالماً يزخر بجمال النص فريداً، تتملكُ المتلقيَ جملةً وتراكيبةً، وتأسرُ السامعَ مفرداتهُ وألفاظه وتداعيات تلك الجمل والألفاظ بنائياً ودلالياً في داخله؛ فجدبتي إليه تلك القدرات التي لم تستحوذ على قلوب الناس وعقولهم من جهة الإيمان به فحسب؛ لانه الكلام الحق للإمام أمير المؤمنين -عليه السلام-؛ بل كان الانبهار به أيضاً من جهة «الرفعة الصياغية والسمو الدلالي»، لهذا كنت كلما تغوّرت فيه ازداد إيماني بهذا المنطلق وازددت يقيناً بانني قد نشرت جناحي في أفق لا حدود له ولا نهاية لامتداده، بيد ان إصرار النفس وإلحاح الرغبة عليها كان دافعي الأساس في هذه الدراسة المطولة، فذهبتُ أجول في كلام الإمام -عليه السلام-، متقلّة بين نصوصه ناظرة في ظواهره الخطابية وبنائها، فشددتني إليه ظاهرة نحوية قد تباها الإمام كثيراً في نصوص نهجه، وقد وردت مرارا على لسانه بطريقة عزّ نظيرها يطويها وينشرها باتقان عجيب وبراعة فائقة، ألا وهي ظاهرة «التوابع»، ومن الواضح للمتتبع أو الدارس اللغوي ما لهذه الظاهرة من اثر بالغ في كشف نواحي الكلام وبيان دلالاته بدقة، اذ تعد من وسائل بيانات الكلام وقيوده التي تضيء من إبهام المطلق، فهي تسهم في الكشف عن غموضه ببيان تام تارة وبياضح لجانب من جوانبه الدلالية تارة أخرى، وفي الوقت نفسه تعمل بعض هذه التوابع على تفسير المجمل من الألفاظ والتراكيب وتحديد المراد منه، وإزاحة الغموض والتردد عنه، وأن فيها القدرة على تخصيص العام في الخطاب وتشخيص مدلولاته بدقة للمتلقي.

(1) قال -عليه السلام-: (أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب). مناقب الامام علي بن ابي طالب: ابن المغازلي: ٨٠، شواهد التنزيل: الحاكم النيسابوري: ١/٨١-٨٢، بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ٣٨/١٨٩، ٤٠/٨٧، ٢٠٣، ٢٠٤، وسائل الشيعة: ٢٧/٣٤، مناقب آل ابي طالب: ابن شهر آشوب المازندراني: ١١١/٢.

وعلى الرغم من أهمية نص نهج البلاغة وعلو مكانته فإنه لم يأخذ مكانه الحقيقي من حيث دراسة هذه الظاهرة -على أثرها وأهميتها في الكشف عن المعنى- إلا ما قامت به الباحثة «أصيل الموسوي» من دراستها للتأكيد -تابعاً - ضمناً في رسالتها الموسومة بـ «أساليب التأكيد في نهج البلاغة-دراسة دلالية»؛ فاجتمعت الدواعي والدوافع لهذا كله لاختيار موضوع «التوابع في نهج البلاغة-دراسة نحوية دلالية» عنواناً لرسالتني لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب جامعة الكوفة.

وإذا كان من منهجيات الدراسة ان تكون هناك فرضيات تقوم عليها فإن فرضيات هذه الدراسة قد قامت على الآتي :

اولاً: أرادت الباحثة ابتداءً تحديد مفهوم جامع مانع للتوابع، وبيان التباينات التي وقع بها النحاة وغيرهم في تحديدهم لهذا المفهوم وإيضاح مدى توفيقهم في بلوغهم المراد في تكامل مفهوم التوابع.

ثانياً : سعت الباحثة لبيان التوافقات والافتراقات بين أنماط هذه التوابع وذلك من خلال دراستها في النهج وتشخيص نقاط التشابه والاختلاف فيها ميداناً وتطبيقاً، وقد كانت لدى الباحثة رغبة ملحة للوقوف على مظاهر التوافق والتباين بين البدل من جهة وعطف البيان من جهة أخرى وكان منشأ هذه الرغبة هو ما لهذين التابعين من حيز نقاش وتباين آراء في مدونات النحو العربي قديماً وحديثاً فأرادت الباحثة ان تكون لها نظرتها وإسهامتها في هذا الجانب علماً تصل إلى قناعة في هذا الصدد.

ثالثاً : ان الغاية الأساس والفرضية المثلى التي بنت عليها الباحثة دراستها هذه هي بيان الوجهة النظرية للتوابع في ميدانها التنظيري «كتب النحاة» وبيان آراء النحاة في هذه التوابع وحدودهم لها وإيضاح إسهاماتهم الدلالية في الكشف عما لهذه التوابع من اثر بالغ في تشخيص المعنى وتحديد مراد المتكلم بدقة عالية ، هذا على الجانب التنظيري من الدراسة اما على الجانب التطبيقي الميداني فقد سعت الباحثة بكل ما أوتيت من قدرة منه تعالى إلى بيان الوجه الدلالي لكل تابع من التوابع في كلام الإمام -عليه السلام- في النهج، وتحديد الطرائق التي استعمل بها الإمام تلك التوابع، وهل استثمرت نصوص النهج جميع أنواع التوابع، وما المقياس الذي يحدد استعمال الإمام لتابع ما في موضع واستعماله لتابع آخر في موضع آخر، أو استعماله لتابعين مختلفين في موضع واحد.

رابعا : أرادت الباحثة من دراستها هذه التحقق من مدى مطابقة ما تطابق عليه الناس -في حق نهج البلاغة- للواقع اللغوي والنحوي للنهج وهو مقولتهم : ان كلام الإمام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

وقد اعتمدت في دراستي على كتاب «شرح نهج البلاغة» لابن ابي الحديد بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، لما امتاز به هذا الكتاب من ضبط النصوص ودقة في إخراجها وحسن ترتيبها، ابتداءً بالخطب فالكتب، ثم الرسائل، وانتهاء بالحكم والمواعظ؛ لذا وقع الاختيار على هذا الكتاب دون غيره.

اما في الجانب التنظيري فقد اعتمدت القواعد النحوية وآراء النحاة وخالطت بين الجانب التنظيري والجانب التطبيقي في هذا العمل العلمي، فجاءت الدراسة نحوية دلالية، وعملت على الربط بين القاعدة النحوية والجانب الدلالي مبينة مدى توافقها مع نص النهج حيناً وعدم توافقها معه حيناً آخر، معتمدة في كل هذا جملة من المظان القديمة و الحديثة ذات الصلة المباشرة بموضوع الدراسة.

وقد بُنيت الرسالة على أربعة فصول تأسيساً على طبيعة الدراسة، يسبق هذه الفصول الأربعة تمهيدٌ ويتلوها خاتمة بأهم نتائج البحث.

وتناولت في التمهيد مفهوم «التوابع» في اللغة والاصطلاح، فأما المفهوم في اللغة فقد استلهمته من بطون المعجمات العربية، اما في الاصطلاح فقد تتبعته هذا المفهوم في كتب النحويين وبينت تباين آرائهم فيه وفي عدد مصاديقه في الخطاب اللغوي، ثم تناولت مفهوم التوابع عند البلاغيين، ثم عند علماء الاصول لاستكمال المفهوم من جوانبه كافة وصولاً إلى مفهوم متكامل للتوابع.

اما الفصل الأول فقد خصصت مباحثه الثلاثة بدراسة النعت، فأخذت مفهومه لغة تارة واصطلاحاً تارة أخرى، بعدها دخلت على بيان دلالاته في النهج والطرائق التي ورد فيها، ثم بينت نوعي النعت، وقد خصصت النعت السببي بدراسة مفصلة لبيان روعة هذا النوع من النعت وطريقة استعمال الإمام -عليه السلام- له، ثم درست المطابقة بين النعت والمنعوت تحت عنوان «المطابقة في الإعراب، والتعريف والتكثير، والتذكير والتأنيث، والإفراد والتنثية والجمع»، ثم نظرت إلى النعت من حيث الاشتقاق والجمود، ومن حيث الأفراد والتركيب، فدرست في النعت المفرد: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، واسم التفضيل.

وأعقبت هذه الدراسة بدراسة موضوع النعت الجملة وتناولت فيه بداية مفهوم الجملة وتقسيمها وخصائص جملة النعت، وقسمتها على جملة اسمية، وجملة فعلية، وجملة ظرفية، وجملة الشرط، وقد قدمت الاسمية على نظيراتها، لكون الاسم أول أقسام الكلام، بعدها أنهيت الفصل بدراسة ظاهرة حذف النعت والمنعوت من الكلام.

أما الفصل الثاني فجاء للحديث عن التوكيد فيه، ولم أخالف نهجي الأول في طريقة الدراسة، فتطرقنا إلى المفهوم أولاً في اللغة والاصطلاح، ثم ذكر قسميه وبينت دلالاتهما، وقد ورد الفصل الثاني اصغر حجماً من غيره؛ نظراً إلى قلة استعمال الإمام -عليه السلام- له، إذا ما نظرنا إلى ذلك قياساً إلى النعت والعطف.

أما الفصل الثالث فقد خصصته لدراسة البديل وعطف البيان، وضممت عطف البيان إلى البديل نظراً لتشابه مباحث عطف البيان والبديل، إذ أجاز النحاة أن يكون عطف البيان بدلاً في أكثر من موضع، فابتدأت بذكر مفهوم البديل في اللغة والاصطلاح، ثم بينت أقسامه، وفصلت القول في بيان دلالة كل قسم من أقسامه مطبقةً ذلك على ميدان دراستي «النهج» موضحة الإشارات الدلالية لكل قسم فيه مع وضوح ما لهذا النوع من التوابع من قيمة عالية في بيان المراد وتحديد عموم اللفظ بدقة.

أعقبت ذلك بمفهوم عطف البيان لغة واصطلاحاً مع بيان الفارق بين هذا التابع وسائر التوابع الأخر، ثم ذكرت أدلة المحدثين في جعلهم عطف البيان من البديل أو أنها موضوع واحد، وقد جاء حجم الفصل موازناً للفصل الثاني نظراً لقلة استعمال الإمام -عليه السلام- للبديل وعطف البيان قياساً إلى استعماله للنعت والعطف؛ إذ وردا بكثرة واضحة في النهج .

أما الفصل الرابع فقد عني بدراسة العطف حصراً، فقمت بإيضاح مفهومه في اللغة والاصطلاح كعادتي، ثم عرضت إلى اختلاف النحاة في تحديد عدد حروف العطف والعامل في العطف، ثم درست الحروف ودلالاتها في مباحث ثلاثة، فابتدأت بحروف العطف التي تشترك في اللفظ والمعنى ودلالاتها الجمع، وهي «الواو، الفاء، ثم، حتى»، وأعقبت ذلك في الحروف التي تشترك في اللفظ والمعنى ودلالاتها أحد الشئيين أو الأشياء، وهي «أو، أم، أما» تلاها الحديث عن حروف العطف التي تشترك في اللفظ دون المعنى، وهي «لا، بل، لكن»، وقد شغل حرف «الواو» في هذه الدراسة مساحة أكبر من غيره، وهذا وضع طبيعي بناءً على كثرة وروده في النهج قياساً لنظائره من الحروف الأخر، فضلاً عما تتضمنه سياقات

النهج من دلالات متنوعة مع هذا الحرف، وقد جاء فصل العطف موازنا في الحجم للفصل الأول تأسيساً على كثرة الورد كما سبق.

ثم انتهيت إلى حصيلة الدراسة وهي جملة من الثمرات والنتائج التي لخصتها واثبتتها في نهاية هذا البحث تحت عنوان الخاتمة .

اما المنهج الذي اتبعته في هذه الرسالة فقد كان متمثلاً بذكر الجانب التطويري للتابع من حيث مفهومه وأقسامه ووجوهه ودلالاته التي حددها النحاة له، ثم انتقل إلى انتقاء النص الذي ينطوي على التابع المعني بالحديث والتحليل في الفصل المخصص لدراسته، ثم اشرع في بيان دلالات ذلك التابع رابطة النظرية بالتطبيق، وبهذا يكون جوهر العمل العلمي في هذه الدراسة هو ربط «التصور النحوي» للتابع بمعنى ذلك التابع في النص «الجانب الدلالي» له، وتداعيات دلالة التابع على مستوى النص الوارد فيه عموماً، ثم اذكر الشواهد النظرية لهذا النص، فإذا استوفيت ذكر تلك النظائر أقوم بإدراج سائر الشواهد الأخر المشابهة في الهامش تحاشياً من إقتال المتن بكثرة النصوص المستشهد بها.

وقد أقدّم ذكر الشاهد في ضمن هامش العبارة الاولى إذا ورد بقلة، وأشير في الهامش الخاص بالنص المختار إلى مصدره من متن «شرح نهج البلاغة» لابن ابي الحديد بعنوان «نهج البلاغة» يليه الجزء والصفحة.

ولما كان هذا الشرح اقرب الشروح إلى روح النص-فيما احسب- وأكثرها استعمالاً في البحث ميزته من الشروح بعبارة «شرح النهج».

وقد تبين لي أن تكرار عدد من النصوص حينما يتوافر فيها عدد من التوابع يعد إظهاراً لعملها في السياق العام للنص، وبياناً لارتباط هذه الدلالات بعضها ببعض لبناء صورة دلالية متكاملة للنص، وقد يحدث ان اكرر النص عندما تتكرر فيه دلالات معينة ضئيلة الورد، فكررت نصوصاً معدودة وقليلة جداً في هذا الصدد.

وقد اعتمدت في ذكر الحادثة التي قيل فيها النص المستشهد به -على الوجود الدلالي للتابع- غرض إيضاح المسلك الدلالي لعموم النص من مظان كثيرة كان من أهمها:

«شرح نهج البلاغة» لابن ابي الحديد، و«مصباح السالكين» لكامل الدين البحراني، و«شرح نهج البلاغة» للشيخ محمد عبدة، و«منهاج البراعة» للراوندي، و«منهاج البراعة» للخوائي، وقد احتاج إلى معرفة المعطى المعجمي لبعض ألفاظ النص المستشهد به فأركن إلى جملة من المعجمات العربية كان منها: «المجمل في اللغة» لابن فارس، و«مفردات ألفاظ القرآن الكريم» للراغب الاصفهاني، و«مختار الصحاح» للرازي، و«لسان العرب» لابن

منظور، و«المعجم الوسيط» الذي صدر عن مجمع اللغة العربية في القاهرة وغيرها؛ حسبنا مني بان هذه المظان سواء التي تذكر الحادثة المتعلقة بالنص المستشهد به أم تلك التي توضح معاني بعض مفرداته؛ لها الأثر البالغ في تحديد دلالة التابع مضمونياً داخل النص.

وفي نهاية المطاف نقول: انه لا يخفى على كل ذي بصر ما يواجهه اليوم الباحث العراقي من صعوبات وعقبات كؤود تحول في كثير من الأحيان إلى إرجاء إتمام البحث العلمي ومع هذه الكثرة الحائلة فقد عملت الباحثة بجهد وجد أمله بفضل الله تعالى تذليل تلك العقبات، وقد فعل بفضلته وكرمه، فله الحمد والشكر تارتين: تارة على تسهيل الأمور وتيسير الصعاب، وتارة أخرى على هدايتي لاختيار هذا الميدان موضوعاً لدراستي، وله كل الفضل والمنة فيما وفقت به وسددت إليه وما توصلت إليه من نتاج ونتائج من دراسة نص ضرب جذوره في الدنيا وأثمرت أغصانه في الآخرة ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١).

الباحثة

وداد حامد عطشان السلامي

النجف الاشراف/ كلية الآداب

أيلول / ٢٠٠٧ م

التمهيد

التوابع

مفهوم «التوابع» في اللغة و الاصطلاح

مفهوم التوابع في اللغة

التوابع جمعٌ مفردُه «تابع» أو «تابعَة»^(١)، وهو اسم فاعل، يقول الخليل «ت ١٧٥هـ»: (التابعُ: التالي، ومنه التَّبِع والتَّابِعَة، والاتِّبَاع، يتَّبَعُه: يتلوه تبعه يتَّبَعُه تبعاً)^(٢). وتابع الخليل في هذا المعجميون مع لحاظ الاتساع في ذكر معاني اللفظة^(٣)، فالاتباع هو (التلوُّ والقفو)^(٤) لمتقدم، (وتبعتُ الشيءَ تبعاً: سرتُ في أثره)^(٥)، وتقول تبعتُ القومَ (إذا مشيت خلفهم، أو مروا بك فمضيت معهم)^(٦).

وتعدُّ التوابع قيدا من قيود المطلق^(٧)، فـ (تقييد الألفاظ يمنع الاختلاط ويزيل الالتباس)^(٨)، فالقيد يلحق المطلق فيوضح المعنى ويبينه للسامع بيانا لابس فيه. ويقال: (تبعه إذا لحقه)^(٩)، وقولك تابعتُ فلانا (يفيد أنه تقدّم منه شيء اقتديت به فيه)^(١٠)، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾^(١١)، فتبعاً أي (تابعين: جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغائب أو ذوي تبع. والتبعُ: الأتباع، يقال: تبعه تبعاً)^(١٢). كذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾^(١٣) يقال ذلك : (إذا اقتدى به واستن بسنّيته أي

- (1) ينظر : أساس البلاغة : جار الله الزمخشري : ٦٥ ، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد : سعيد الشرتوني : ٧٣/١ ، الصرف : حاتم صالح الضامن : ٢٧٤ .
- (2) العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي : ٧٨/٢ .
- (3) ينظر : كتاب الجيم : أبو عمرو الشيباني : ٤٦ ، «الصحاح» تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري : ٩٢٣-٩٢٤ ، متن اللغة : الشيخ أحمد رضا : ٣٨٥/١ .
- (4) مقاييس اللغة : أحمد بن فارس : ٣٦٣/١ .
- (5) لسان العرب : ابن منظور : ٢٧/٨ «تبع» .
- (6) المصدر نفسه : ٢٧/٨ «تبع»، ينظر: القاموس المحيط: مجد الدين الفيروزآبادي: ٦٥٠.
- (7) وقد ذكر اللغويون التوابع ضمناً في كتبهم كما في باب المطلق والمقيد في كتاب «الصحاح» إذ قال: (أمّا الإطلاق فإن يذكر الشيء باسمه لا يقرن به صفة... والتقييد ان يُذكر بقرين من بعض ما ذكرناه، فيكون ذلك القرين زائداً في المعنى). الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ابن فارس: ١٩٤.
- (8) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : الفيومي : ٨٦/٢ .
- (9) مفردات الفاظ القرآن الكريم: الراغب الأصفهاني : ١٦٣ .
- (10) الفروق في اللغة : أبو هلال العسكري : ٢٩٤ .
- (11) سورة إبراهيم : ٢١ ، سورة غافر : ٤٧ .
- (12) الكشاف : الزمخشري : ٥٤٨ / ٢ ، ينظر : البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي : ٤٦٩/٧ .
- (13) سورة الأنعام : ١٤٢ .

لا تقتدوا بآثاره^(١)، و(لا تكونوا على سيرته وصفته وهي الإباء والاستكبار)^(٢)، وذكر أبو حيان التابع معنىً للتبعية^(٣)، والتبعية ولد البقرة إذا كان يتبعها وهي متبع^(٤)، والتابع هو جنسيُّ والتابعة جنسية يتبعان الإنسان^(٥) (حيث ذهب)^(٦) فيؤثران فيه.

يقول الحريري «ت ٥١٦ هـ»: (تقول جاءت الخيل متتابعة، إذا جاءت بعضها في أثر بعض بلا فصل...)»^(٧)، وقال ابن مالك «ت ٦٧٢ هـ» في باب تتابع الشيء به: (ترادفت، وتواصلت، وتتابعت، وتواترت، وتعاقت...)^(٨).

وقد وردت لفظة التابع في المثل العربي كثيراً يقول المرزوقي «ت ٤٢١ هـ»: (حكى الأصمعي أنهم يقولون: أتبع الفرس لجامهاً واتبع الدلو رشاءها أي تممَّ ما بقي عليك من أمرك، ويضرب باستكمال المعروف)^(٩)، فالتابع هو المتمم للمتبوع وبه يكمل معناه، وبتلك المعاني استعملها الناطقون باللغة العربية، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- في خطبة له: (وَ لَقَدْ كُنْتُ أَتْبَعُهُ إِتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا، وَ يَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ)^(١٠)، فنرى عملية التأثر في اتباع الإمام -عليه السلام- للرسول -عليه السلام-^(١١)، فالمتبوع «محمد» -عليه السلام- يؤثر في التابع «علي» -عليه السلام- إذ يُقرب^(١٢) له في كل يوم من أخلاقه دليلاً واضحاً يهديه، ويأمره بالاقْتِدَاءِ بِهِ، ففهم من ذلك أنَّ التابع ينصيحُ بصيغة المتبوع الذي يأخذ غيره من خصائصه باتباعه له، فالإمام -عليه السلام- أورد لفظة «اتبعه» بمعناها الأصل الذي وضعت له وهو ما تواترت عليه معجمات اللسان العربي. ونجده في هذا النص بينه على أثر المتبوع في التابع، فالمتبوع هو الشيء الأساس والتابع يلحقه، مكملًا ومبيِّنًا لمعنى المتبوع أو

-
- (1) روح البيان : إسماعيل حقي البروسوي : ٢٧٢/١ .
 - (2) المصدر نفسه : ٣٢٧/١ .
 - (3) ينظر : تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب : أبو حيان الأندلسي : ٧٧ ، غريب القرآن المسمى بـ «نزهة القلوب في تفسير القرآن العزيز»: العزيز السجستاني : ٥٤ .
 - (4) ينظر : جمهرة اللغة : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد : ٢٤٣/١ .
 - (5) ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير : ١٣٣/١ .
 - (6) القاموس المحيط : ٦٥٠ .
 - (7) درة الغواص في أوهام الخواص : أبو محمد القاسم بن علي الحريري : ٦ ، الألفاظ الكتابية : عبد الرحمن بن عيسى الهمداني : ٢٦ .
 - (8) الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة : ابن مالك : ١٤٢ .
 - (9) الأمثال: الأصمعي: ٢٦، ينظر: المستقصى في أمثال العرب: الزمخشري: ٣٢-٣٣، دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم: مصطفى جواد: ١٢٣ .
 - (10) نهج البلاغة : ١٣/١٩٧ .
 - (11) ينظر: تولى الإمام -وحدة التعيين وتعددية الاجتهاد: شهاب الدين الحسيني : ٣٠ .
 - (12) (الرفع تقريبك الشيء من الشيء). لسان العرب : ٨/ ١٢٩ «رفع» .

مشاركاً أو مؤكداً له^(*). وفي موطن آخر قال -عليه السلام- مخاطباً أهل الوحشة^(**): «أَنْتُمْ لَنَا قَرِطٌ^(١) سابقٌ، وَ نَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لِأَحَقِّ^(٢)» أي متقدمين سابقين لنا وأكد هذا التقدم بـ«سابق»، ثم قال: نحن تابعون لكم لاحقون بكم وأكد هذا الإتيان بـ«لاحق»، وأكد بالجملة الثانية مضمون الأولى، وهو حتمية ورود الأحياء مورد الموتى ولحاقهم بهم. فنلاحظ هنا قوّة الترابط بين التابع والمتبوع واجتماعهما في مضمون دلالي واحدٍ لأداء معنى واحدٍ إذ لا بدّ من ورود التابع مورد المتبوع في الأمر الذي يعرض له.

وجاء في كتاب أرسله -عليه السلام- إلى عمرو بن العاص^(٣) «ت ٤٣هـ»: «فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعًا لِدُنْيَا إِمْرِي ظَاهِرٌ غَيْهٌ، مَهْثُوكِ سِثْرُهُ، يَشِينُ الْكِرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَ يُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخَطْبَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثْرَهُ، وَ طَلَبْتَ فَضْلَهُ؛ إِتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضَّرْعَامِ^(٤)» إذ يوبّخ الإمام -عليه السلام- «عمراً» لاتباعه رجلاً بهذه الصفات، فالتابع يأخذ الفضل من المتبوع لأنّ للمتبوع الصدارة عليه، فموقع المتبوع هو الأقوى في نسيج التركيب الاجتماعي في العلاقة بين الرجلين المذكورين^(***).

وقال عامر بن الظرب العدواني مخاطباً قومه: «وَإِنِّي لَمْ أَكُنْ حَلِيمًا حَتَّى اتَّبَعْتُ الْحُكَمَاءَ^(٥)»، فلو لا اتباع «الحكماء» لما صار حليماً، فالحلم من صفات الحكماء، وقد انتقل أثر الحلم إليه بهذا الإتيان، وهو أمرٌ صيرّه جزءاً منهم بل مشاركاً لهم في الحلم. نصل ممّا مرّ إلى أنّ التابع في اللغة هو التالي اللاحق لمتقدم سابقٍ عليه، فيكمله، ويُتمّمه، في حين يهييء له المتبوع ذلك الأمر ويُعده له، فيردان مورداً واحداً، ويؤدّيان الغرض نفسه.

مفهوم «التوابع» في الاصطلاح :

١- مفهوم «التوابع» عند النحويين

(*) ولا يخفى عن أحد أنّ أمير المؤمنين -عليه السلام- كان تابعاً مُطابقاً للمتبوع «الرجل الرسالي» محمد ﷺ. وقد جمع الإمام كلّ ما ذكرت من وظائف التوابع، فقد كان مُكملاً ومميّناً ومشاركاً ومؤكداً لما جاء به ﷺ، وبذلك كان أعظم تابع لأعظم متبوع عرفته البشرية . (***) أي الموتى .

(1) الفارط: هو المتقدم السابق. ويقال: رجل فرط وقوم فرط ورجل فرط، والفارط والفارط، المتقدم إلى الماء يتقدم الواردة فيهبئ الأرسان والدلاء ويملا الحياض ويستقي لهم. ينظر: لسان العرب: ٧/٣٦٦ «فرط».

(2) نهج البلاغة : ٣٢٢/١٨ .

(3) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني: ٢/٣، تأريخ عمرو بن العاص: حسن إبراهيم حسن: ١٨/١٧ .

(4) نهج البلاغة : ١٦٠ / ١٦ .

(***) ونسيج تركيب الجملة في العلاقة بين التابع والمتبوع قياساً على ذلك .

(5) البيان والتبيين : الجاحظ : ٤٠١/١ .

حينما وضع سيبويه «ت ١٨٠ هـ» كتابه في القرن الثاني الهجري لم تكن التوابع وقتذاك قد جُمعت في باب نحوي واحد، وليس في كتابٍ مدوّن خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين ما يُشير إلى هذا التبويب، وقد عبّر سيبويه عنها بقوله: (هذا باب مجرى النعت على المنعوت، والشريك على الشريك، والبدل على المبدل منه، وما أشبه ذلك)^(١).

ويبدو للمتتبع أنّ ابن السّراج «ت ٣١٦ هـ» كان أوّل من استعمل لفظة «تابع» بمعناها الاصطلاحي النحوي، وأتته أوّل من ابتدع هذا التقسيم في قوله: (هذه توابع الأسماء في إعرابها)^(٢)، وقد سار النحاة على النهج الذي اختطه من بعده.

ولعلّ الرماني «ت ٣٨٤ هـ» أوّل من حدّه بمعناها النحوي في قوله: (التوابع هي الجارية على إعراب الأوّل)^(٣). فابن السّراج أشار إلى تصنيف التوابع، ولم يكن في نيته التعريف بها مفصلاً، على حين نجد أنّ الرماني قد حدّها تحديداً خاصاً بها دون الإشارة إلى تقسيماتها كما رأينا في قوله المتقدم. وتبعه ابن بابشاذ «ت ٤٦٩ هـ» بقوله: التابع (هو الجاري على ما قبله في إعرابه)^(٤).

وذكر الزمخشري «ت ٥٣٨ هـ» التوابع بقوله: (هي الأسماء التي لا يمسّها الإعراب إلا على سبيل التبع لغيرها)^(٥)، فنلاحظ أنّ النحاة بدأوا يحترزون بزيادة قيود للتعريف إذ لم يكن حدّ التابع جامعاً مانعاً.

وقد حدّه ابن يعيش «ت ٦٤٣ هـ» بقوله: (التوابع هي الثواني المساوية للأوّل في الإعراب بمشاركة له في العوامل)^(٦)، وقال موضعاً ذلك: ومعنى قولنا «ثوان» أي الفروع في استحقاق الإعراب، لأنّها لم تكن المقصودة، وإمّا هي من لوازم الأوّل كالتتمة له^(٧).

وقال ابن الناظم «ت ٦٨٦ هـ» في شرحه الألفية في حدّ التابع: (هو المشارك لما قبله في إعرابه الحاصل والمتجدد)^(٨)، وهذا الحدّ جامعٌ لأفراد التوابع الخمسة إلا أنّه ليس مانعاً، ومن هنا قام الخلاف اللفظي بين طائفة من العلماء في تعريف التابع حين امتنع جمهور النحاة من

(1) الكتاب: سيبويه: ١ / ٤٢١ .

(2) الأصول في النحو : أبو بكر بن السّراج : ١٧/٢ ، ينظر : الموجز في النحو: ابن السّراج : ٦١ ، مصطلحات نحوية : السيد علي حسن مطر ، مجلة تراثنا ، ع «١»، لسنة ١٤٢١ هـ : ١٧٠ .

(3) الحدود «ضمن رسائل في النحو واللغة»: الرّماني : ٣٩ .

(4) شرح المقدمة المحسبة : ابن بابشاذ : ٤٠٧/٢ .

(5) المفصل في علم العربية: الزمخشري : ١١٠ .

(6) شرح المفصل : ابن يعيش : ٢١٨/٢ .

(7) ينظر : المصدر نفسه : ٢١٨/٢ .

(8) شرح الفية ابن مالك: ابن الناظم : ١٨٨ .

تعريفه، وقال أبو حيان «ت ٧٥٤هـ»: (ولم يحده جمهور النحاة لأته محصور بالعد^(١))، فلهذا لا يحتاج إلى حد.

ثم عدل ابن هشام «ت ٧٦١هـ» حدّ التوابع بقوله: (التوابع عبارة عن الكلمات التي لا يمسّها الإعراب إلا على سبيل التبع لغيرها)^(٢).

ويظهر أنّ حدّ الأشموني «ت ٩٠٠هـ» أفضل الحدود السابقة عليه إذ عرفّ التابع بقوله: (هو: المشارك لما قبله في إعرابه الحاصل والمتجدد غير خبر. فخرج بالحاصل والمتجدد خبرُ المبتدأ، والمفعول الثاني، وحالُ المنصوب، وبغير خبر «حامض» من قولك: «هذا حلوٌ حامضٌ»)^(٣).

وشرح الفاكهي «ت ٩٧٢هـ» عبارة اللفظ المشارك لما قبله في إعرابه، وقال: («في إعرابه» ولو محلاً من رفع ونصب وجر وجزم...)^(٤). ولربّما أراد بهذه الإشارة إلى الجمل التي تساق نعتاً فلا يكون إعرابها ظاهراً بل مقدراً محلاً.

وقد اختلف العلماء في العامل في التوابع، ويمكن تلخيص ما ذهبوا إليه على النحو الآتي:
أ- العامل في التابع، العامل في متبوعه^(٥)، مثال ذلك في النعت: «قام زيدٌ الظريفُ»، فـ«زيدٌ» مرفوع بـ«قام» معمولاً له، و«الظريف» مرفوع بـ«قام» أيضاً معمولاً له على سبيل التبعية، لأنه نعتٌ لزيد. وهذا قول البصريين، وهو رأي ابن الحاجب «ت ٤٤٦هـ»^(٦)، وابن مالك^(٧)، ونسب إلى سيبويه^(٨)، وخصّ الجمهور ذلك بغير البدل، وقالوا: إنّ العامل فيه محذوف من جنس الأوّل، وجزم به شرح شذور الذهب^(٩).

ب- العامل في التابع التبعية نفسها^(١٠)، فقولك: «الظريف^(*)» مرفوعاً، في حال كونه نعتاً، يكون تابعاً لمنعوتة، والعامل فيه كونه تابعاً.

-
- (1) ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي: ١٩٠٧/٤ .
 - (2) شرح قطر الندى وبل الصدى «النبراس»: ابن هشام: ٣١٥ .
 - (3) شرح الأشموني: الأشموني: ٢٩٥/٤ .
 - (4) شرح الحدود النحوية: جمال الدين الفاكهي: ١٧٥ .
 - (5) ينظر: شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الاستربادي: ٢٢٥/٢ ، الفرائد الجديدة: جلال الدين السيوطي: ٧١١/٢ ، شرح الأشموني: ٢٩٦/٤ .
 - (6) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٢٥/٢ .
 - (7) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ابن مالك: ١٦٣ .
 - (8) ينظر: ارتشاف الضرب: ١٩٢٦/٤ .
 - (9) ينظر: شرح شذور الذهب: ابن هشام الأنصاري: ٤٢٨ ، شرح الحدود النحوية: ١٧٦ .
 - (*) في المثال المتقدم .
 - (10) ذكر السيوطي انه قول الخليل وسيبويه والأفش والجرمي. ينظر: همع الهوامع شرح جمع الجوامع: السيوطي: ١١٤/٣ ، المحرر في النحو: عمر بن عيسى الهرمي: ٩٦٠/٢ ، حاشية الخضري على ابن عقيل: الخضري: ٥١/٢ .

ويرى الدكتور تمام حسان أنّ التبعية قرينة معنوية، يقول: (وأما التبعية فهي ... قرينة معنوية عامة، يندرج تحتها أربع قرائن هي النعت والعطف والتوكيد والإبدال، وهذه القرائن المعنوية تتضافر معها قرائن أخرى لفظية)^(١)، فهي علاقة سياقية معنوية تربط بين التابع والمتبوع ولا يمكن التسليم بوجود معنى نحوي يطلق عليه «التبعية المعنوية»؛ والدليل على هذا وجود حالات بين التوابع الخمسة لا تتحقق فيها هذه التبعية المعنوية، منها بعض حالات عطف النسق، فجمهور النحاة متفقون على أن أحرف النسق: «لا» و«بل» و«لكن» تشترك في اللفظ لا في المعنى^(٢). فلا وجود هنا لتابع معنوي، من هنا تُدرس الظاهرة إعرابياً من خلال دراسة المعاني النحوية القائمة بين التوابع ومتبوعاتها وتأثير العامل فيهما.

أما عدد التوابع فهو (خمسة أقسام بالاستقراء: «نعت» ويرادفه الوصف والصفة «وعطف البيان» لما قبله «وتوكيد» لفظي أو معنوي «وبدل وعطف نسق»)^(٣). وأطلق بعضهم^(٤) العطف وجعله شاملاً للبيان فتكون الأقسام أربعة، وقيل: إنّ ذلك غير صحيح، لأنّ عطف البيان حكمه ان يكون بالمعارف دون النكرات وله مواضع ينفرد بها^(٥)، وبعضهم فصلّ في التوكيد، فيكون عددها ستة^(٦).

ونميل إلى جعلها أربعة أقسام، فـ(عطف البيان يشبه البديل في الصورة، وأكثر مسأله محتملة له، فلا ينبغي ان يحال بينهما في الذكر)^(٧). لذا لم يظهر للرضي «ت ٦٨٦هـ» فرقاً جلياً بين بدل كل من كل وبين عطف البيان إذ يقول: (بل لا أرى عطف البيان الا البديل)^(٨)، ولأنه ليس عطفاً^(٩) يمكن ضمّه إلى البديل، ويظهر لنا من قول الرضي أنّه لم يُنكر وجود الفرق بينهما إلا أنّه أنكر ظهور هذا الفرق وإيضاحه ليصدّق فيهما الفصل على هذا النحو وجعلهما

-
- (1) اللغة العربية معناها ومبناها : تمام حسان : ٢٠٤ .
 - (2) ينظر: حاشية الصبّان على الأشموني : الصبّان : ٩٠/٣ .
 - (3) شرح الحدود النحوية : ١٧٧ ، ينظر : شرح قطر الندى وبل الصدى «النبراس» : ٣١٥ .
 - (4) وهو الزجاجي. ينظر : شرح قطر الندى وبل الصدى «دار الاعتصام»: ٣٨٦، شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور الإشبيلي : ١٩٢/١ .
 - (5) ينظر : الحل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل : أبو محمد عبد الله البطليوسي : ١٠٤ .
 - (6) ينظر : ألفية الأثاري «كفاية الغلام في إعراب الكلام» : زين الدين شعبان الأثاري : ١٠٠ .
 - (7) شرح للمحة البدرية في علم اللغة العربية: ابن هشام الأنصاري: ٢١٧/٢ .
 - (8) شرح الرضي على الكافية : الرضي : ٣٠٢/٢ .
 - (*) وقد تقدم الرضي في ذلك الكوفيون فقد ادمجوا البابين في بحث واحد ، أطلقوا عليه مصطلحي «الترجمة» و «التفسير»، ويظهر ذلك في عدم تفرقتهم بين عطف البيان والبديل. ينظر : معاني القرآن : الفراء: ١/١٦٨ ، ٢/٥٨ ، ٦٩ ، ١٠٤ ، ١٧٨ ، ٢٧٣ ، ٣/١٠٣ ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : أبو بكر ابن الأنباري : ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٥٦٦ .
 - ويؤكد ذلك قول الأعمى الشنتمري في «شرح الجمل» عن عطف البيان : (هذا الباب يُترجم له البصريون ولا يُترجم له الكوفيون). الأشباه والنظائر : السيوطي : ١٢٢/٢ .
 - (9) ينظر : في النحو العربي - قواعد وتطبيق : مهدي المخزومي : ١٩٣ .

تابعين اثنين لا واحداً وإلا لعبّر عن ذلك بقوله «فرقاً» فحسب، وقد وافق الدكتور فاضل السامرائي الرضي فيما ذهب إليه إذ يقول: (والحق فيما أرى ان هذا ضرب من التعسف، ولا أرى عطف البيان إلا البديل، ولا داعي لادعاء الفروق بينهما، ويمكن الاكتفاء بباب واحد هو البديل أو البيان)^(١)، ثم يقترح ان يندرج عطف البيان بباب البديل تأسيساً على الأولى، إذ يقول: (واصطلاح البديل أولى، وذلك لتعدد أنواعه: بدل بعض واشتمال، وبدل إضراب وغلط ونسيان، فإنّ كلمة «بديل» أدل على المعنى من كلمة «بيان» ولا سيما في البديل المغاير وإن كان يمكن ان يطلق عليه «بيان» بتأول)^(٢).

ونرى أنّ في رأي الرضيّ ومن تابعه يُسراً كبيراً على المُتعلِّمين والدارسين للغة العربية.

٢- مفهوم التوابع عند البلاغيين

عني البلاغيون ببيان المعاني التي يؤديها التابع ولا شك في أنّ العناية بالتوابع ضرورة في الدرس البلاغي لما لها من أثر كبير في بيان المعنى، فقد بلغ من أهميتها أن عرّفت البلاغة ببعضها، فقيّل: إنّ البلاغة هي (معرفة الفَصْل من الوصل)^(٣)، إذ لهما محلّ عظيم في علم المعاني ويقعان منه في الرتبة العليا^(٤).

انّ التوابع موضوع نحوي فإذا كان كذلك فلسائل ان يسأل، لم تعنى البلاغة به وبغيره من القيود؟ يقول عبد القاهر الجرجاني «ت٤٧١هـ»: (واعلم أنّا لم نوجب المزية من أجل العلم بأنفس الفروق والوجوه فنستند إلى اللغة ولكنا أوجبناها للعلم بمواضعها، وما ينبغي أن يصنع فيها، فليس الفضل للعلم بأنّ الواو للجمع والفاء للتعقيب بغير تراخ «وتم» له بشرط التراخي... ولكن لأن يتأتى لك إذا نظمت شعراً وألفت رسالة أن تحسن التخيّر وان تعرف لكلّ من ذلك موضعه)^(٥).

(1) معاني النحو : فاضل السامرائي : ٢٠٨/٣ .

(2) المصدر نفسه : ٢٠٨/٣ .

(3) ينظر : البيان والتبيين : ٨٨/١ ، اساليب البيان في القرآن : السيد جعفر الحسيني : ١١٤ .

(4) ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : فخر الدين الرازي : ١٦٣ - ١٧٠ ، التبيين في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن : الزملكاني : ١٢٨ ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : العلوي : ٣ / ٣٠٤ .

(5) دلائل الإعجاز : الجرجاني : ٢٤٦ .

وتؤكد الدراسات النحوية أنّ التابع أحد أنظمة التراكيب اللغوية، التي تدخل في مباحث علم المعاني «البلاغة» في تأليف الكلام وكيفيات الجمل وطريقة نظمها، فمباحثه موزعة بين المدلولات العقلية المسماة: بخواص التركيب^(١).

وقد نثر البلاغيون التوابع في بطون كتبهم موزعة في موضوعات مُتفرقة^(٢). ولم أجد - في حدود اطلاعي - حدًا مستقلًا للتابع عندهم، وإنّما ذكروه في ضمن القيود التي تحدّ من إطلاق الكلام والمفصلات التي توضح إبهامه وتبين إجماله، يقول الجرجاني: المقيد هو ما حصر معناه بشيءٍ يحدده ويجعله في حكم نوع برأسه^(٣)، وعنى بـ«الشيء» القيد الذي يلحق العبارة ويحدّد معناها.

وذكر السكاكي «ت٢٢٦هـ» في الأحوال المقتضية لأنواع التفاوت في المسند كونه مقيداً العبارة (بنوع قيد، نحو: ضربت يوم الجمعة، وزيدٌ رجلٌ عالمٌ، وعمرو أخوك الطويل، أو غير مقيد)^(٤).

وقد فصلّ السكاكي هذا الأمر، فهو يرى أنّ الحالة المقتضية لتقييد المسند هي: (إذا كان المراد تربية الفائدة كما إذا قيدته بشيءٍ ممّا يتصل به نحو: المصدر كنحو: ضربت ضرباً شديداً...)^(٥)، فالقيد يُعيّن المعنى وزيادة القيود على المسند تزيد الفائدة في المعنى أكثر^(٦) (لأنّ زيادة التقييد يوجب زيادة التخصيص وهي موجبة لازدياد الغرابة المستلزمة لزيادة الفائدة)^(٧) ويزداد إيضاحاً وتخصيصاً، فتكون فائدته أتم وأكمل^(٨) بتقييده، مما لو كان من دون قيد، وهو حالة يختص علم المعاني ببحثها ورصدها وكشف أسرارها الفنية في الأساليب^(٩).

وقد تكلم السكاكي على التوابع في مفتاحه فذكرها تبعاً مقدّمًا الحال التي تقتضي وصف المعرف، وقال في تمثيله أنّك بيّنت الموصوف بالوصف، وكشفته كشافاً كأنك حدّدته^(١٠)،

(1) ينظر: في اللغة ودراساتها: د. محمد عيد: ٣٤٧.

(2) ينظر: مفتاح العلوم: السكاكي: ٢٨٢-٢٨٦، وباب الفصل والوصل: ٣٥٧-٣٨٢، المطول: التفتازاني ٢١٩-٢٣٨، ٣٨٣، ٤٣٣-٤٨٢، الإيضاح لمختصر تلخيص المفتاح: جلال الدين القزويني: ٣٧-٤٠، مختصر المعاني: التفتازاني: ٥٨-٦٣، ١٤٥-١٦٧، ١٧٦-١٧٧، جوهر الكنز: ابن الأثير: ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩.

(3) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٨٧.

(4) مفتاح العلوم: ٣٠٥.

(5) مفتاح العلوم: ٣٠٩.

(6) ينظر: التبيان في علم المعاني والبدیع والبيان: شرف الدين حسن بن محمد الطيبي: ٩٩.

(7) حسن الصنيع في المعاني والبيان والبدیع: محمد البسيوني البباني: ١٩.

(8) ينظر: جواهر البلاغة: أحمد الهاشمي «ط ١٠»: ١٦٣.

(9) ينظر: التقييد بالمفعولات في القرآن الكريم: ياسين عبد الله نصيف، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، «رسالة دكتوراه»، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: ٤١، علم المعاني تأصيل وتقييم: حسن طبل: ١٢٠.

(10) مفتاح العلوم: ٢٨٢.

فـ(الوصف للكشف والإيضاح)^(١)، فهو (التابع المخصوص لآئه المبين الكاشف)^(٢)، وقد يأتي(مخصصاً)^(٣) أو مدحاً له^(*) أو ذماً^(٤)، وقد يرد للتأكيد^(٥).

ويرى العلويّ أنّ التوابع تشترك كلها في الإيضاح عن متبوعها وتبينه فضلاً عن الصفة، فبيان ما يقتضي تخصيصه يكون (بالتأكيد، وعطف البيان، والبدل، والعطف عليه^(**))، فهذه الأمور كلها متفقة في كونها موضحة له ومبينة^(٦).

وأما التوكيد فقد يأتي (لدفْع توهم التجوز، أو سهو أو عدم الشمول)^(٧).

وأما بيان المسند إليه فـ (لإيضاحه باسم مختص به)^(٨)، وقد كثر الجدل في هذا التابع إذ إنّ التوابع معلومة الهوية بوضوح إلا عطف البيان فآئه لم يحدّد بتعريف سالم من النقد^(٩).

وأما الغرض من الإبدال من المسند إليه فهو (إذا كان المراد نية تكرير الحكم، وذكر المسند إليه فهو توطئة للمسند إليه لزيادة التقرير والإيضاح)^(١٠).

وذكر البلاغيون الأبدال الثلاثة: «بدل كل من كل»، و«بدل بعض من كل»، و«بدل الاشتمال»^(١١).

فأما بدل الغلط فقد سكت عنه السكاكي (لأنّه لا يقع في فصيح الكلام)^(١٢)، وقيل: (إنّما يكون في بداية الكلام وفيما يصدر على جهة الذهول)^(١٣).

وأما العطف فلتفصيل المسند إليه مع اختصار، فيرد على جهة الاقتصاد للعامل^(١٤).
وعرض الجرجاني لوظيفة التابع النحوية عندما عرض لفكرة النظم، فقال: (إنّ لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض. وتجعل هذه بسبب

-
- (1) مختصر المعاني : ٥٩ .
 - (2) حاشية الشريف الجرجاني على المطول بذيل المطول : الشريف الجرجاني : ٢١٩ .
 - (3) المطول : التفتازاني : ٢٧ .
 - (*) أي المسند
 - (4) ينظر : مفتاح العلوم : ٢٨٣ .
 - (5) ينظر : الإيضاح : القزويني : ٣٧ ، الطراز : ٢٦٧/٣ ، المعجم المفصل في علوم اللغة و«اللسانيات» : محمد التونجي وراجي الأسمر : ٦٥٤/٢ .
 - (**) أي المسند إليه
 - (6) الطراز : ٢٦٧ / ٣ .
 - (7) تلخيص المفتاح : ٢٧ .
 - (8) تلخيص المفتاح : ٢٧ ، المطول : ٢٢٧ - ٢٣٠ .
 - (9) ينظر : الوشاح على الشرح المختصر لتلخيص المفتاح : الكرمي : ١ / ١٤٤ .
 - (10) مفتاح العلوم : ٢٨٥ .
 - (11) ينظر : المطول : ٢٣١ - ٢٣٣ ، مختصر المعاني : ٦٠ - ٦١ .
 - (12) المطول : ٢٣١ ، ينظر : حاشية الشريف الجرجاني : ٢٣١ .
 - (13) الطراز : ٢٦٨/٣ - ٢٦٩ .
 - (14) ينظر : المصدر نفسه : ٢٦٩/٣ .

من تلك... وإذا كان كذلك فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب إلى صاحبها ما معناها وما محصوله. وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولاً. أو تعمد إلى إسمين فتجعل أحدهما خيراً عن الآخر أو تُتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيداً له، أو بدلاً منه أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثاني صفة، أو حالاً، أو تمييزاً^(١).

ينظر لدراسة البلاغيين للتوابع على أنها دراسة دقيقة تعمقت في فهم أسرار المعاني التي تُسبغها هذه القيود وأدوات التفصيل على المعاني المطلقة أو المجملة المتسمة بالسعة لتأتي على وفق ما أراد المتكلم بها من أغراض، وجاءت هذه الدراسات مجلية ومفهمة للراغب في فهم اللغة العربية وسبر أغوارها، فهي المكملّة للدراسات النحوية بل هي الامتداد الطبيعي لها، وهل البلاغة الامعاني النحو^(٢).

٣- مفهوم التوابع عند الأصوليين

إنّ الهدف من علم الأصول هو التّعرف على تلك الأسس التي بنيت عليها أحكام الشرع^(٣)، فدراسته تُعين على فهم العلوم الأخر^(*)، ذلك أنّ أيّ باحث في أي علم من العلوم يحتاج إلى بيان دلالات الألفاظ، ما يؤخذ منها بالمنطوق، وما يؤخذ من المفهوم، وكذلك فهم الألفاظ التي ترد مرة مطلقاً ومرة مقيدة، وتارة مجملة وأخرى مُفصلة فضلاً عن العموم والخصوص وما يتصل بهما من أبحاث ذات تأثير كبير في تععيد بعض القواعد الأصولية وفي استخراج الفروع الفقهية من تلك الأصول، فهم يعتمدون ذلك في أحكامهم، ولذا شغل هذا الجانب اللغوي أذهان الأصوليين واحتل مكانة بارزة في كتبهم وتآليفهم^(٤)، فينبغي للذي يتصدى لاستنباط الفقه العلم التام باللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وجاءت بها السنة النبوية.

ولم نقف على تعريف للتابع في مصنفات الأصوليين بيد أنّهم درسوها قديماً من القيود التي ترفع الإبهام وتحصر المعنى وتحّد من إطلاقه، وقد حد السمرقندي «ت٥٣٩هـ» المقيّد

(1) دلائل الإعجاز : ٩٨ .

(2) ينظر : الطراز : ٢٦٩/٣-٢٧٠ .

(3) ينظر : منتهى السؤل في علم الأصول : سيف الدين أبو الحسن الأمدي : ٤/١ .

(*) كالتفسير والحديث والفقه وغير ذلك.

(4) ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: الشوكاني: ١٣٩، تهذيب الأصول تقريراً لبحث آية الله روح الله الخميني: جعفر السبجاني: ٣٥/٢، أصول الفقه الإسلامي: محمد مصطفى شلبي: ٤٠٨/١، اثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الاحكام من آيات القرآن التشريعية: عبد القادر السعدي: ٦٣-٦٤.

بانه (ما يتعرض للذات الموصوفة بصفة)^(١)، في حين أن الأمدي «ت ٦٣١هـ» نظر اليه على انه ما دلّ على شائع في جنسه مع تقييده بوصف من الأوصاف^(٢)، مفصلاً القول فيه^(٣). وقال الأصوليون: إنّ المخصص للعام إمّا ان يستقل بنفسه وإمّا ان لا يستقل بل يتعلق معناه باللفظ الذي قبله فهو المتصل، وجعلوا المتصل أقساماً منها: الصفة، ثم زيد على هذه الأقسام بدل بعض من كل^(٤).

ونقل الشوكاني «ت ١٢٥٠هـ» عن بعضهم: (ولا خلاف في اتصال التوابع وهي النعت والتوكيد والعطف والبدل)^(٥)، فـ(الألفاظ المقيدة للعموم تابعة لمدخلاتها)^(٦). وقال التاج السبكي «ت ٧٧١هـ»: (والتابع لا يفيد وحده شيئاً، بل شرط كونه مفيداً تقدّم الأوّل عليه، كذا قاله الإمام فخر الدين الرازي)^(٧).

ومن التوابع التي حظيت بعنايةٍ بالغة عند الأصوليين الصفة، ولكنها لم تكن بمعزلٍ عن غيرها، فالمراد بالصفة عندهم الصفة المعنوية على ما حققه علماء البيان لا مجرد النعت المذكور في علم النحو^(٨)، فـ(ينبغي ان يراد بها الأعم من النعت النحوي)^(٩)، فقد توسعوا في دلالة العبارة إذ إنهم أطلقوها على «القيد» وليس على ما يُعرف بـ«النعت النحوي» أو «الوصف التابع»، وإنمّا أطلقت على كل حالةٍ من الحالات المعتبرة قيداً للحكم سواءً أكانت نعتاً نحويّاً أم حالاً أو تمييزاً، أو ظرفاً، أو غير ذلك^(١٠).

(1) ميزان الاصول: السمر قندي: ٥٦٣/١.

(2) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام : علي محمد الأمدي : ٤-٣/٣ .

(3) المصدر نفسه: ٤-٣/٣.

(4) ينظر: المحصول في علم الاصول: فخر الدين الرازي: القسم الثالث: ٧٢، مبادئ الوصول الى علم الاصول: العلامة الحلي: ١٢٩، إرشاد الفحول: ١٤٥، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي: محمد أديب صالح: ٢٠٧، القاعدة الكلية- إعمال الكلام أولى من إهماله وأثرها في الأصول: الشيخ محمود مصطفى: ٣٦٢.

(5) إرشاد الفحول : ١٥٣ .

(6) تهذيب الأصول : ٤/٢ .

(7) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : السيوطي : ٤١٥/١ .

(8) ينظر : إرشاد الفحول: ١٥٣ ، ١٨٠ .

(9) شرح الشيخ احمد بن قاسم الشافعي على شرح جلال الدين الشافعي على « الورقات في الأصول » لإمام الحرمين عبد الملك الجويني على هامش « إرشاد الفحول » : ١١١ .

(10) ينظر: أصول الفقه الإسلامي في نسجه الجديد : مصطفى الزلملي: ٢٣٨/٢، البحث النحوي عند الأصوليين: مصطفى جمال الدين : ٢٨٩ ، وما بعدها ، مباحث التخصيص عند الأصوليين والنحاة : محمود سعد : ١٨٧ .

ويرى بعض الأصوليين أنّ الصفة في قوله تعالى: ﴿تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾^(١) هي من باب

تقييد المطلق^(٢) وتحديد الحكم تحرير الرقبة وإيضاحه تشخيصاً.

إنّ تعمق الأصوليين في البحث وراء الفروق الدقيقة أغنى مباحثهم بدراسات عميقة في القضايا اللغوية والنحوية فالعناية باللغة من الوسائل التي تعين على فهم النص فهما دقيقاً تتحدد به الفكرة تحديداً واضحاً، فلم يقف الأصولي عند المعنى الظاهر من اللفظ، وإنما تعمق في البحث عن تحديد الدلالة التي يخلص إليها من خلال القرائن التي توضح المقصد، فالصفة والبدل والعطف لها شديد الصلة بعلم النحو، وكذلك صلتها بعلم المعاني، فقد يكون تابعاً كالصفة مثلاً سبباً في الإجمال لتردده بين الأنفاظ الواردة في النظم^(٣)، وقد يكون غياب التابع في العبارة سبباً في الإطلاق أو الإجمال أو العموم^(٤).

وقد تناول الأصوليون «البدل» في مسألة التخصيص بالبدل، وقد عنوا بذلك «بديل بعض من كل» نحو «أكلت الرغيف ثلثه»، و«أكرم القوم علماءهم»، ومنه قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ عَمُوا

وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾^(٥) وقد جعل البديل من أدوات التخصيص جماعة من أهل الأصول منهم ابن

الحاجب وشرح كتابه^(٦).

ويلحق ببديل بعض من كل بدل الاشتمال لأنّ كلّ واحد منهما فيه بيان وتخصيص^(٧)، فمسألة البديل من القضايا التي أثارت جدلاً عند الأصوليين^(٨) فضلاً عن النحاة، ويتناول الأصوليون لفظة «كل» في العموم لما لها من أهمية فيه، فليس بعدها في كلام العرب كلمة اعمُّ منها بل هي أقوى صيغ العموم، وهي دالة على العموم سواء أكانت مبتدأ بها أم تابعة^(٩).

(1) سورة النساء : ٩٢ .

(2) ينظر: نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول : جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي: ٤٤٢/٢ .

(3) ينظر: التصور اللغوي عند الأصوليين : أحمد عبد الغفار : ١٦١ .

(4) قضايا لغوية قرآنية - دراسات نظرية وتطبيقية في المنهج الأصولي لتحليل النص القرآني: عبد الأمير زاهد: ٩٩، ١٢٧-١٢٨.

(5) سورة المائدة : ٧١ .

(6) ينظر : إرشاد الفحول : ١٥٤-١٥٥ ، ينظر : أصول الفقه: محمد الخضري : ١٧٤-١٧٥ .

(7) ينظر : إرشاد الفحول : ١٥٤-١٥٥ .

(8) فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت في الفقه بذيّل «المستصفي من علم الاصول للغزالي»: عبد العلي الانصاري: ٣٤٤/١ .

(9) ينظر: إرشاد الفحول: ١١٨.

ولم تقتصر عنايتهم على الصفة فقد درسوا الحروف دراسة دقيقة، وظهرت هذه العناية واضحة جلية عند بعضهم⁽¹⁾.

من هنا يكون مفهوم التابع عند الأصوليين قيّداً - وهو احد القيود المهمة في التركيب - يُسلط ضوءاً كاشفاً في العبارة فيوضّحها لدى السامع ويرى احد الباحثين أنّ عملية إنتاج العبارة المُقيّدة أصعب منها في المطلقة إذ تُعدُّ عملية الإنتاج اللغوي في التقييد أصعب منها في الإطلاق؛ وذلك لكونها في حاجة إلى دقة تفكير، وتشخيص ذهني في اختيار الألفاظ المناسبة، وتركيبها في الخطاب الكلامي في كيفة تؤدي إلى المعنى المراد ترسّمه عند المتلقي، وهذه العملية تتطلب تشابكاً فكرياً وتضافراً لمجموعة تصورات لدى المتكلم حتى ينقل الصورة مشخّصة للمتلقي بتعبير يتسم بالضبط خالٍ من الإبهام الذي يكتنف المطلق، فالتقييد يعدّ مرحلة متقدمة ومتطورة في مسار اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية⁽²⁾.

وبهذا يتحقق التسالم بين علماء النحو وأرباب البلاغة والأصول على أنّ التوابع هي قيود ترد في التركيب بعد متبوعها لتضييق نطاق دلالاته وتحديد مقاربه للإيضاح والبيان فجميع التوابع تمثل أدوات بيان وكشف لمعنى المتبوع في التركيب اللغوي.

وعلى الرغم من وجود التوافق بين العلماء على أنّ التوابع هي بيانات للمتبوع فإنّ ثمة بياناً بين اولئك العلماء في حيثية تناول موضوع المتبوعات في مدوناتهم التخصصية ويظهر هذا التبيان جلياً بين النحاة والأصوليين إذ اعتنى الأصوليون بشكل كبير ببيان وظيفة التابع من الناحية الدلالية فأكدوا أنّ التابع يأتي في الخطاب لبيان ماهية المتبوع المطلق وبنوا الحكم الشرعي على أساس التابع بعد إيضاحه للمتبوع على حين نجد أنّ النحاة قد عُنوا بالصناعة النحوية في أثناء تناولهم لموضوع التوابع، إذ ركّزوا على أنّها تردّ بعد متبوعها وأنها موافقة له في الإعراب والتنثية والجمع والإفراد وغير ذلك مع إشارتهم لوظيفة التابع الدلالية في ضمن كلامهم، فكانوا منظرين أكثر مما هم مطبّقين.

ويبدو أنّ مرجع عناية علماء الأصول بمسألة التابع بصورة أكبر من عناية النحاة يعود إلى ارتباط الحكم الشرعي وما يترتب عليه بدلالة التابع ومدى إيضاحه للمتبوع، فالعمل يكون على أساس القيد والمطلق بعد تقييده، فمناط بناء الحكم يتركز على البيان الدلالي للمتبوع تأسيساً على معرفة التابع، على حين كان النحاة أقل اهتماماً بهذا الشأن، لأنّه خارج عن نطاق تخصصهم المعرفي.

(1) ينظر: فواتح الرحموت: ٢٢٩/١ - ٢٤٢، الإقتان في علوم القرآن: السيوطي: ٣١٩/٢ - ٣٢٣.
(2) ينظر: الإطلاق والتقييد في النص القرآني - دراسة دلالية: سيروان عبد الزهرة الجنابي، كلية الآداب، جامعة الكوفة بأشراف: أ.د. عبد الأمير زاهد، «رسالة ماجستير»، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م: ١١٢ - ١١٣.

صلة التابع الدلالية بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي

ذهب علماء اللغة إلى أنّ معنى التابع في اللغة هو التالي لسابق متقدّم عليه المُقتدي بسيرته وصفته، فهو الثاني اللاحق بالأول، السائر في أثره، الذي يعقبه ويكمّله ويتمّمه، وقد جعله النحاة والبلاغيون والأصوليون قيّداً^(*) للمطلق الذي تقدمه، والقيد هو «القرين» الذي يعطي زيادةً في المعنى، ويبدو أنّ هذا المعنى شديد الصلة بالمفهوم الاصطلاحي له، ذلك بأنّ دلالته في الاصطلاح تعني (التالي)⁽¹⁾، الذي يجري على إعراب الأول «المتبوع»، أي على أثره وصفته. فالعلاقة بين الدلالة اللغوية للفظة والدلالة النحوية «الاصطلاحية» واضحة تماماً إذ يبدو أنّ النحاة تصوّروا دلالة المصطلح في أصله الأول -الدلالة اللغوية-، فالتقافة العربية في ذلك الوقت المبكر من تاريخها الممتد (كانت شديدة التماس المصطلح من أساس لغويّ قريب الدلالة على المقصود، فطبيعة الإطلاق الرمزي والإشاري والافتراضي عند اختيار المصطلحات هي من سمات المراحل المتأخرة في تاريخ العلوم)⁽²⁾، بما فيها علوم اللغة والنحو.

وإذا كان التابعُ يبيّن المتبوع ويوضّحه، فقد يُشاركه في دلالته فيكون قسيماً له، ويؤكدّه، على حين يهييء له المتبوع تلك الدلالة الأساس، فيكون التابع كالفرع له، فيظهر في نسيج الكلام جزءاً مُتمماً للفائدة، مؤثراً ومتأثراً في آن واحد، وبناءً على ذلك يتّضح لنا أنّ التابع في دلالته العامة من أدوات البيان أو التوكيد أو كلاهما معاً^(*).

ومن هنا نفهم موقع التابع في تركيب الكلام، وطريقة فهم النحاة لهذه المفردة النحوية فإنّ دراسة مضمون التركيب اللغوي في ضوء الإطار الشكلي الذي اعتمده النحاة في إقامتهم مفهوم الجملة على أساس العلاقة الثنائية بين طرفي الإسناد من جهة، وبينهما وبين عناصر التكميل من جهة أخرى تُظهر نمطين متميزين من الدلالة هما:

١- دلالة أساسية.

٢- دلالة تكميلية⁽³⁾.

ففي مثل قول الإمام علي -عليه السلام-: (ألا وإنّ الخطايا خيلٌ شمسٌ...) ⁽¹⁾ تظهر هاتان الدالتان، إذ يعمل النظام النحوي على إنشاء علاقة الإسناد بين المسند إليه «الخطايا»،

(*) كما جعلوه مُخصّصاً للعام، ومفصلاً ومبيّناً للمجمل المتقدّمين عليه أيضاً .

(1) ينظر: البهجة المرضية: السيوطي: ٥١ .

(2) بلاغة العطف في القرآن الكريم: عفت الشرقاوي: ٤٩ .

(*) كما سنبين ذلك في فصول البحث القادمة .

(3) ينظر: دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني: عامر عبد محسن السعد، كلية الآداب، جامعة البصرة، بإشراف: أ.د. عبد الحسين المبارك، «رسالة دكتوراه»، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م: ١٣١ .

والمسند «خيل» وعلاقة التبعية بين احد طرفي الإسناد خبر «ان»، والصفة «شمس»، وقد
اتخذت الدلالة مسارين يتعاونان في إنتاج المعنى، فالتركيب اللغوي في هذه العبارة يتكون من
دلالتين :

١- دلالة أساسية : «الخطايا خيل» .

وفي هذا المسار من الدلالة لا يمكن الاستغناء عن احد الطرفين إذ انّ المستويين: التركيبي والدلالي يتطلبان حضورهما وذلك لاستلزام كل واحد منهما الآخر، وبغيرهما لا يستقل التركيب بنفسه، ولا تجنى ثمرة معناه^(١).

٢- دلالة تكميلية : «شُمس».

يمكن الاستغناء عنه على المستوى التركيبي من دون ان تفقد الجملة وجودها النحوي، فهو مسار «ثانوي»، وبذلك لا يكون حضوره جبرياً كما الأوّل بيد أنّ المعنى يقتضي وجوده بما له من وظيفة بيانية مميزة للمتبوع .

فقد جاءت الصفتان في كلامه -عليه السلام- للوقوف على الموصوف «الخطايا»، فالتخصيص هنا يقرب إلى الأذهان حقيقته، وبذلك يكشف التابع عن قيمته الدلالية مفيداً مما تقرر له نحوياً، وهو يقوم بوظيفته بما يُحقّق زيادة بالفائدة. فقد حدّد النحو طبيعة العلاقات التي يرتبط بها التابع والمتبوع، كما أنّه قام بتعيين الدور الوظيفي لكل منهما، فصار من الواضح تعيين الكلمة التي تتعلق بأخرى في السلسلة الكلامية^(٢).

وإذا كان التابع مكملاً لمتبوعه في المعنى -بحسب النظرية التي درس النحاة بها التابع- فقد بيّن باحثٌ حديثاً أنّ بعض التابع قد يأتي في طائفة من العبارات (عمدة وإساساً تقوم عليه الفائدة المتوخاة من الخبر)^(٣).

(1) ينظر : الخصائص : ابن جني : ١ / ١٧ .

(2) ينظر : بنية اللغة الشعرية : كوهن : ١٧٧ .

(3) النعت في القرآن الكريم : فاخر هاشم الياصري ، كلية الآداب ، جامعة البصرة، بإشراف: أ.د. عبد الحسين المبارك، «رسالة دكتوراه»، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م : ٢٧ .

الفصل الأول

النعته

النعته في اللغة والاصطلاح

النعته في اللغة

إذا ما شئنا البحث عن المعنى المعجمي للفظه النعته فإننا سنجدها في مادة «نعته» في المعجمات العربية؛ يقول ابن فارس «ت ٣٩٥ هـ» في معنى النعته: هو (...وصفك الشيء بما فيه من حسن)^(١)، ثم يستطرد بقوله: (وكُلُّ شيءٍ جَيِّدٍ بِالْعِزِّ فَهُوَ نَعْتٌ)^(٢)، فنجد انه يرى بأن النعته هو الوصف، ويربط معنى النعته بالشيء الحسن، فكل وصف حسن فهو نعته.

ومن معاني النعته التي ذكرها الزمخشري: (شيءٌ نعتهٌ: جيدٌ بالعزِّ. وفرسٌ نعتهٌ: بليغٌ في العتق)^(٣)، وقال ايضاً: (وانتعنت المرأة بالجمال...: اتصفت)^(٤).

وجاء في «لسان العرب»: (والنعتهُ: وصفك الشيء، تتعته بما فيه وتباليغ فيه وصفه؛ والنعتهُ: ما نُعِتَ به، نعته ينعته نعته: وصفه. ورجل ناعته من قوم نعاتٍ... ونعته الشيء وتنعته إذا وصفته)^(٥)، وجاء فيه ايضاً (النعته من كل شيءٍ جيد)^(٦). فنلاحظ أن ابن منظور لم يبتعد كثيراً عن ابن فارس في نظريته لمعنى النعته؛ ذلك إذا لم يكن يطابقه تماماً.

في ضوء ما تقدم يظهر بجلاء أن المادة اللغوية للنعته تشير إلى معنى الوصف والاتصاف بحسن وجودة.

أمّا معنى «الصفة» اللغوي فقد جاء في العين أن (الوصف: وصفك الشيء بحليته ونعته)^(٧). وقال الراغب الاصفهاني «ت ٥٠٢ هـ»: (الوصف: ذكر الشيء بحليته ونعته)^(٨)، ف (وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفاً: حلاه...، وقيل الوصف: المصدر، والصفة: الحلية... وتواصفوا الشيء من الوصف... واتصف من الوصف، واتصف الشيء أي صار متواصفاً)^(٩).

(1) مقاييس اللغة: ٤٤٨ / ٥ «نعته».

(2) مجمل اللغة: ابن فارس : ٦٥٤ «نعته»، مقاييس اللغة: ٤٤٨ / ٥ «نعته».

(3) أساس البلاغة: ٦٧٢ «نعته».

(4) المصدر نفسه: ٦٧٢ «نعته».

(5) لسان العرب: ٩٩ / ٢ «نعته».

(6) المصدر نفسه: ٩٩ / ٢ «نعته».

(7) العين: ١٦٢ / ٧ «وصف».

(8) مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٨٧٣ «وصف».

(9) لسان العرب: ٣٥٦ / ٩ «وصف» .

ومن هنا يتحقق لنا أنّ الصفة مرادفة للنعته، وقد ذكر صاحب «القاموس»: (وصفَه يصفُه وصفاً ووصفةً: نَعْتُهُ)^(١)، لذا (النعتهُ والوصفُ مصدران بمعنَى واحد، والصفة تطلق مصدرأ بمعنى الوصف، واسماً لما قام بالذات من المعاني كالعلم والسواد)^(٢)، فهما يتعاقبان في المعنى^(٣) غير ان من العلماء من جعل معنى النعت هو الوصف الحسن فقط، على حين نحسب ان الوصف والنعته مترادفان بناءً على رأي صاحب القاموس المحيط.

النعته في الاصطلاح

لم يُعرف سببويه النعته تحت هذه اللفظة تحديداً بل ذكر ألفاظ النعته، والوصف، والصفة، وهذه عنوانات لهذا المصطلح النحوي^(٤) ^(٥)، وقد حدّه من جاء بعده، فنجد الرمانى يقول: ائّه (قولٌ له بيان زائد على بيان الاسم الجارى عليه مختص به)^(٦)، وحدّه ابن جئى «ت ٣٩٢هـ» بقوله: (الوصف لفظ يتبع الاسم الموصوف تحلية له، وتخصيصاً ممّن له مثل اسمه، بذكر معنىً في الموصوف أو في شيءٍ من سببه)^(٧). وعنى بقوله «أو في شيءٍ من سببه» النعته السببى.

وقد حدّه الزمخشري بأئّه: (الاسم الدال على بعض أحوال الذات)^(٨).

أمّا ابن يعيش فقد حدّه بقوله: (والصفة لفظ يتبع الموصوف في إعرابه تحلية وتخصيصاً له بذكر معنىً في الموصوف أو في شيءٍ من سببه)^(٩)، وبهذا نجده قد تقارب كثيراً في هذا المفهوم من قول ابن جنى في تعريفه للنعته، وقول ابن يعيش ان النعته «لفظ» جنس عام يشمل الاسم والجملة والظرف، وهذا أفضل من قول الزمخشري بأئّه «اسم»، فالاسم ليس بجنس لها، فقد تكون الصفة بالجملة أو الظرف^(١٠).

وحّدّه ابن عصفور «ت ٦٦٩ هـ» فقال: انه (اسم أو ما هو في تقديره من ظرف، أو مجرور، أو جملة يتبع ما قبله، لتخصيص نكرةٍ أو إزالة اشتراكٍ عارضٍ في معرفة، أو مدح، أو ذم، أو ترحم، أو تأكيد بما يدلّ على حليته كـ «طويل»، أو نسبه، كـ «قرشي» أو

(١) القاموس المحيط : ٧٩٣ «وصف».

(٢) المصدر نفسه : ٧٩٣ «وصف».

(٣) ينظر : شرح ألفية ابن معطٍ : عبد العزيز القوّاس : ١ / ٧٤٥ .

(٤) ينظر : الكتاب : ٤٢١/١ ، ١٩٤/٢ ، ٤٢٥/١ ، ١٩٣/٢ .

(٥) * إذ لم تكن المصطلحات قد استقرت في عصره. ينظر: سببويه حياته وكتابه: خديجة الحديثي: ١٢٩، سببويه إمام النحاة: علي النجدي: ١٧١ .

(٦) الحدود: الرمانى: ٣٩ .

(٧) اللع في العربية: ابن جنى: ١٦١ .

(٨) المفصل: ١١٤ .

(٩) شرح المفصل: ابن يعيش: ٢ / ٢٣٢ .

(١٠) ينظر : شرح المفصل: ابن يعيش: ٢ / ٢٣٢ .

فِعْلِهِ، كـ«قائم»، أو خاصّة من خواصّه، وذلك أن تصفه بصفةٍ سببيّة^(١)، وعدّه بعضهم أحسن تعريفات النعت^(٢)، لأنه كان ادق من غيره في تحديد معنى النعت وتعداد دلالاته.

ولابن مالك حدّان للنعت :

الأول: قوله (هو التابع المقصود بالاشتقاق وضعاً أو تأويلاً)^(٣).

الثاني: هو ما ورد في أرجوزته في قوله:

(فالنعت تابعٌ متمّ ما سبقٌ بوسمه أو وسمٍ مابهٍ اعتلق^(٤))

فهو (التابع، المكمّل متبوعه: ببيان صفه من صفاته... أو من صفات ما تعلق به، وهو

سببيه)^(٥).

ثم جاء أبو حيان، فعرفه بقوله: (النعت هو التابع المشتق أو المقدر المشتق، نحو: قام

زيدٌ الفاضل، وجاء زيدٌ الأسد)^(٦).

وزاد ابن هشام على هذا الحد قيماً احترازياً إذ لاحظ أنّه غير مانع، فحدّه بأنّه (التابع

المشتق أو المؤول به، المباين للفظ متبوعه)^(٧). وحدّه في أوضح المسالك بإثبه (التابع الذي

يكمل متبوعه، بدلالته على معنى فيه، أو فيما يتعلّق به)^(٨).

ويظهر ممّا تقدّم أنّ الحد الأخير هو أفضلها، ونخلص من حدود النحاة إلى حدّ أقرب

إلى مفهوم النعت هو: أنّه تابعٌ يأتي اسماً، أو ما هو في تقديره من ظرف أو مجرور أو جملة،

فيكمل بدلالته على معنى فيه، أو فيما يتعلّق به، دالاً على تخصيص نكرة، أو توضيح معرفة

مشتركة، أو مدح أو ذم، أو ترحم أو تأكيد، وحكمة المطابقة في الإعراب، والتعريف

والتكثير، والتأنيث والتذكير^(٩).

صلة النعت الدلالية بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي

(1) المقرب: ابن عصفور: ٢٤٠، ينظر: شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ١٩٣/١ .

(2) ينظر: حاشية الملوي على شرح المكودي: الملوي: ١١٩ .

(3) تسهيل الفوائد: ١٦٧ .

(4) ألفية ابن مالك: ابن مالك: ٣٥ .

(5) شرح ابن عقيل على الألفية: ابن عقيل: ١٩١/٢ .

(6) شرح اللحة البدرية: ٢١٧/٢ .

(7) شرح قطر الندى وبل الصدى «النبراس»: ٣١٦ .

(8) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام: ٤/٣ .

(9) ينظر: التوطئة: أبو علي الشلوبين: ١٦٩، شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٤٤/٢، أوضح المسالك: ٥/٣.

عند النظر إلى المعنى المعجمي للنعته نجد يدل على وصف الشيء بصورة حسنة، إذ يقول ابن منظور: (النعته في كل شيء: جديده)^(١) على حين نجد ان من اللغويين من ساوى بين معنى الوصف ومعنى النعته ولم ير ان الوصف اعم من النعته على انه يكون للشيء الحسن والسيء على حد سواء، ونميل إلى المساواة والقول بالترادف ما بين النعته والوصف، فيكون معنى النعته هو وصف الشيء سواء أكان الوصف حسناً أم سيئاً.

وإذا ما شئنا الربط بين المعنى المعجمي والمفهوم الاصطلاحي للنعته فائاً نجد مجموعة تقارب بينهما، فالنحاة يعرفونه بأنه التابع والوصف، ذلك بان وصف الشيء هو تبع له، ويرى النحاة أن النعته يدل على معنى في المتبوع ويكمل معناه، وهذا يتفق تماماً مع قول اللغويين من أن النعته هو وصف الشيء لأن وصف الشيء لا بد من ان يبين جهة منه أو خصلة من خصاله، فيكون في هذه الجهة أو الخصلة بيان للموصوف؛ فلو لا الصفة لما بان معنى الموصوف «الجهة أو الخصلة».

وقد أخذ البصريون والكوفيون مصطلح النعته وكذلك ما يتصل بالوصف عن الخليل بن احمد^(٢) بيد أن الأمر اختلف فيما بعد فقد أكثر الكوفيون من استعمال النعته^(٣) فنسب إليهم، وأكثر البصريون من استعمال الوصف^(٤) فنسب إليهم، فلا صحة لما ذهب إليه بعض القدامى^(٥) والمحدثين^(٦) من ان الوصف والصفة من مصطلحات البصريين، وان النعته مصطلح كوفي، فالنعته مصطلح بصري المولد والنشأة^(٧)، كما الوصف والصفة من مصطلحاتهم ايضاً.

وقد استعمل الإمام - عليه السلام - لفظة «وصف» ومشتقاتها أكثر من «٦٠» مرة^(٨)، في حين استعمل لفظ «نعته» في موردين فقط، وهما قوله - عليه السلام - : (الذي ليس لصيقته حدٌ محدودٌ، ولا نعتٌ موجودٌ)^(٩)، وقوله - عليه السلام - : (وَاعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صَيْقَتِهِ وَوَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْيِيدِ نَعْتِهِ)^(١٠)،

(1) لسان العرب : ٩٩/٢ « نعت».

(2) ينظر: الكتاب: ١٩٥/٢، مكانة الخليل بن احمد الفراهيدي في النحو العربي: جعفر نايف عباينة: ١٦٣. قال سيبويه: (وتقول: يا أيها الرجل... والرجل نعت «يعني صفة لأي... وهو قول الخليل».

(3) ينظر: معاني القرآن: الفراء: ٤٢٨/١، ٣١٣، مجالس ثعلب: ثعلب: ٤٤/١ .

(4) ينظر: الكتاب: ١٢/٢، ١٩، ٢٧، ٢٩، ٤٩، ٥٠، ٥٩، المقتضب: المبرد: ٣١٢/٣، ٢٥٨، الأصول: ٢٢/٢، ٢٤، ٢٥ .

(5) ينظر: همع الهوامع: ١١٧/٣، نحو القراء الكوفيين: خديجة احمد المفتي: ٣٤٠ .

(6) ينظر: مدرسة الكوفة: د. مهدي المخزومي: ٣١٤، المدارس النحوية: د. شوقي ضيف: ٢٠٢ .

(7) ينظر: ابن الحاجب النحوي - آثاره ومذاهبه: طارق عبد عون الجنابي: ١٢٣ .

(8) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: كاظم محمددي ومحمد دشتي: ١٣٢٦ - ١٣٢٨ .

(9) نهج البلاغة: ٥٧/١ .

(10) المصدر نفسه: ٢٧٥/٩ .

ونرى فيهما تعاقب الكلمتين في المعنى لذلك ارتأى باحثٌ حديثٌ أنّهما (يدلان على الاتصاف بالخصال والتحلي بها على وجه العموم ولا فرق بينهما)^(١).

وقد أشرت إلى أنّ سيبويه استعمل عبارة «الصفة» مرادفةً لعبارة «النعته»^(٢)، وينبغي لي أن أنبّه على أنّ سيبويه لم يقتصر في إطلاقها على النعت بل وسّع من نطاق استعمالها، فأطلقها على «الحال»^(٣)، و«التمييز»^(٤)، ف (هما وصفان)^(٥)، ويُعرف النحاة الحال بقولهم (وصف هيئة الفاعل أو المفعول به)^(٦)، وأطلقوا «الصفة» على اسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، والتي يطلق عليها «المشتقات»^(٧).

وقد نبّه النحاة على أنّ الحال والخبر أنماط وصفية عامّة غير تابعة (فإنّها صفات وإن لم تتبع شيئاً، لكنّه يصحّ تبعيتها وضعاً)^(٨)، وأنّ النعت نمط وصفي خاص، فهو وصف (جرى تابعاً)^(٩)، ويبيّن من ذلك فهم النحاة الدقيق للفرق بين الصفة بالاعتبار العام، والصفة بالاعتبار الخاص^(١٠). فتكون عبارة «النعته» أكثر تحديداً في الاستعمال من عبارة «الصفة» أو «الوصف»، وان إردافها باحداهما يكون على سبيل التفسير والتوضيح والتأكيد^(١١)، لذا فتفضيل بعضهم لأن يخلص مصطلح «النعته» لمفهوم الوصف الخاص (حتى لا يحدث خلط بين المفهومين ولا تداخل في المصطلحات)^(١٢)، وهو أمرٌ أراه جديراً بالنظر لما فيه من فصل دقيق بين المفهومين^(*).

المبحث الأول: دلالات النعت

-
- (1) النعت في القرآن الكريم: ١٧ .
 - (2) ينظر: الكتاب: ٧/٢ ، ٣٣ ، التوابع في كتاب سيبويه: عدنان محمد سلمان: ١٥٣ .
 - (3) ينظر: الكتاب: ٣٩٧/١، ١٢١/٢ .
 - (4) ينظر: المصدر نفسه: ١٢١/٢ .
 - (5) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٢٨/٢ .
 - (6) مقدمة في النحو: أبو عبد الله محمد الصقلي: تح: احمد خطاب عمر، مجلة المورد ع «٢»، ١٩٨٣م: ٦٦ ، شرح الأشموني: ٥/٣ ، حاشية الصبان: ١٦٩/٢ .
 - (7) ينظر: اشتقاق أسماء الله: الزجاجي: ٤٨٧، شرح المراح في التصريف: العيني: ١١٥، شرح التصريح: الازهري: ٣١٠/٢، الوحيد في النحو والإعراب والبلاغة والإملاء وقواعد القراءة: كمال أبو مصلح: ١١- ١٠ .
 - (8) شرح الرضي على الكافية: ٢٣١/٢ .
 - (9) المصدر نفسه: ٢٢٨/٢ .
 - (10) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٢٨/٢، النعت في القرآن الكريم: ١٩ .
 - (11) ينظر: النعت في القرآن الكريم: ١٨ .
 - (12) الجملة الوصفية: شعبان صلاح: ٣٢، ينظر: موجز الأحرفية أو الفوارق بين القواعد القديمة والنهج الجديد: يوسف السودا: ٤٢- ٤٣ .
- (*) ولم افصل بينهما في البحث لما أعتيدَ عليه، وهو مُعاملُهما بمعنى واحد .

ذكر سيبويه في كتابه سبع دلالات للنعت، هي: التحلية، والمبالغة، والتوكيد، والتبويض، والمدح، والذم، والترحم^(١). وقد ميّز جمهور النحاة المتأخرون بين هذه الدلالات ما يدخل على النكرة، وما يدخل على المعرفة المشتركة، وكذلك ما يدخل على المعرفة التي لا تشترك بغيرها، وهذا ما لا نجده عند سيبويه^(٢)، فالتطور الدلالي والتعمق في تناول المسائل النحوية عبر الزمن أمرٌ طبيعي، ونجد في تعريف ابن عصفور^(٣) للنعت تحديداً لوظائف النعت النحوية في التركيب وكشفاً عن أهم دلالاته أو معانيه الوظيفية داخل الجملة المعينة. وقد أمكن أحد الباحثين القول إنّ «النعت» بابٌ نحويٌّ، وإنّ الوصف أو «النعتية أو الوصفية» هي وظيفته في الكلام^(٤). وهي معنى تركيبية أي أنّ المعنى الذي لا يحضر في الذهن عند سماع اللفظ منفرداً، بل عند سماعه ضمن الجملة^(٥).

وللنعت دلالة خاصة في التركيب إذا ما قسناه بالدلالة في التوابع الأخر، وقد وقف النحاة عند الجوانب الأساس التي تخصّ هذا الموضوع، فأشار سيبويه إلى الناحية الإعرابية مبيناً أنّ التابع حالة من حالات إجراء الاسم على ما قبله، وعليه فقد قال: (هذا باب مجرى النعت على المنعوت والشريك على الشريك والبدل على المبدل منه وما أشبه ذلك)^(٦)، فإذا اشتركت التوابع في التماثل في العلامة الإعرابية فإنّ العلامة الإعرابية ليست حدّاً فاصلاً للفارق الدلالي، فالنعت مكملٌ للكلمة الأولى في المعنى^(٧)، يقول سيبويه في جرّ النعت مثل المنعوت بعد تمثيله للنعت بقوله: «مررتُ برجلٍ ظريفٍ» بأنهما كالاسم الواحد^(٨) (من قيل أنّك لم تُرد الواحد من الرجال الذين كل واحدٍ منهم رجلٌ، ولكنك أردت الواحد من الرجال الذين كلّ واحدٍ منهم رجلٌ ظريف)^(٩)، وبهذا لا يفهم المعنى إلا بالتابع والمتبوع معاً، فأنت تقول:

-
- (1) ينظر: الكتاب: ١٢/٢، ٤٣٣/١، ٧٤/٢، ٧٥، التوابع في كتاب سيبويه: ١٢، ٢٦٦ .
(2) ينظر: الكتاب: ٤٢١/١ - ٤٢٢، شرح الرضي على الكافية: ٢٣٢/٢، الكواكب الدرية: ٨٥/١، التقييد بالتوابع في القرآن الكريم: شاکر شنيار بديوي، كلية الآداب، جامعة بغداد، بإشراف د. فاضل السامرائي، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م: ٥٧ .
(3) ينظر: المقرب: ٢٤٠، ص ٢٦ من هذا البحث .
(4) ينظر: النعت في القرآن الكريم: ٢٨ .
(5) ينظر: البحث النحوي عند الأصوليين: ٢٠٤ .
(6) الكتاب: ٤٢١/١ .
(7) ينظر: النعت في القرآن الكريم: ٢٠ .
(8) ينظر: الكتاب: ٤٢١/١ .
(9) المصدر نفسه: ٤٢٢/١ .

(استشر عاقلاً نصيحاً)^(١). ليس المستشار، أو من رغبتَ في أن يستشار إلا ما أفهمت بالكلمتين: «عاقلاً نصيحاً»، وكذلك الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ﴾^(٢).

أما التوابع الأخر فالأول دالٌّ على معناه مستقلٌّ بفهامه، والثاني (دالٌّ على معنى الأول مع حظٍّ من البيان والإيضاح يجيء من قرن الكلمتين احدهما إلى الأخرى)^(٣). وقد ذكر النحاة جملة من دلالات النعت^(٤)، وعُتوا ومن قبلهم الناطقون باللغة على أن تأتي هذه الدلالات في إطار النظام النحوي ذلك بأن (كلمات اللغة في وظيفتها الدلالية متعددة الأبعاد تبعاً لموقعها من البنى التركيبية ومن وراء ذلك الموقع موقف يتخذه المتكلم من أدواته التعبيرية وهو ما يجعل رصيْدَ اللغة لا متناهيًا في دلالاته بحكم حركة المدّ والجزر الواقعة بين حقولها المعنوية طبقاً لما تستوعبه الدوال سواء المنصوص عليها بالفعل في ما عُرفَ عن مستعملي اللغة، أو الكامنة بالقوة وراء المنصوص عليه بحكم ما قد يستحدثه كل متكلم عند تصرفه في قوالب اللغة)^(٥).

ومن هنا يمكن الكشف عن القيمة الدلالية لنسق التابع النحوي في نص نهج البلاغة للوقوف على الحقيقة التي استثمرت فيها اللغة كل الامكانيات المتاحة في هذا الباب مثلما هو الحال في الأبواب الأخر، ليصبح النص إبداعاً فوق إبداع المخلوق ودون إبداع الخالق^(٦). وسأذكر أهم دلالات النعت التي وردت في نهج البلاغة (والتنكيرُ أوّلُ والتعريف بعد، فالمنكور الاسم الشائع في جنسه، والمعروف: المخصوص من النكرات ما هو إلى المعارف اقرب)^(٧)، لذا ابتدأتُ بدلالة نعت النكرة.

المطلب الأول : دلالة التخصيص^(٨)

- (1) إحياء النحو: إبراهيم مصطفى: ١١٨ .
- (2) سورة النساء: ٩٢ .
- (3) إحياء النحو: ١٢٠ .
- (4) ينظر: المقرب: ٢٤٠، شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ١/١٩٣، همع الهوامع: ٣/١١٧، شرح شذور الذهب: ٤٣٢ .
- (5) اللسانيات ومراتب اللغة: د. عبد السلام المسدي، مجلة الأقاليم، ع «٧»، ١٩٨٦ م: ٢٧ .
- (6) قال دكتور إبراهيم السامرائي: (وليس من شك أنه استوعب أدب القرآن وأدب الحديث فهو يعترف منهما، فأنت تجد الآية أو الحديث مندرجاً في كلامه كأنه شيء من مادته). في نهج البلاغة دراسة ومعجم: د. إبراهيم السامرائي: ٤٠ .
- (7) اشتقاق أسماء الله: ٤٦٦ .
- (8) قال الزملكاني: (تجيء الصفة للتقيد كقوله تعالى: ﴿تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ﴾. «سورة النساء: ٩٢»، ولمجرد المدح كالأوصاف الجارية على اسم الله -عز وعلا- «البرهان الكاشف: ١٤٤». ويبدو لنا واضحاً أنه يعني بصفة التقيد الصفة التي تحدّ الاطلاق، وتخصّص الاسم، من دون دلالة أخرى كالمدح، أو الذم، أو الإبهام وإلا فكل هذه الدلالات في حقيقة الأمر هي قيود.

انّ التخصيص يعني تقليل الاشتراك الحاصل في النكرات، ومثاله: «هذا رجلٌ عالمٌ»، فقولك: «هذا» مبتدأ، و«رجل» خبره، و«عالم» نعت مخصص لهذا الرجل من غيره بالعلم، لأنّه قد خرج بقولك «عالم» من رجل آخر ليس بعالم^(١)، وتكون بقولك «عالم» قللت الاشتراك ورفعت الاحتمال^(٢)، وأخرجت الاسم من نوع الرجال العام إلى نوعٍ أخصٍّ منه^(٣)، فقيدت المعنى المطلق بالصفة. فإذا قلت «جاءني رجلٌ» فإنّه يتناول كل ذكر بالغ من بني آدم بطريق الوضع، فإذا قلت «صالح» فقد أخرجت من ليس بصالح^(٤)، ف (خصصته بفرد من الأفراد المتّصّفة بالصلاح)^(٥) دون غيرها، وهي صفةٌ تُميّزه من غيره^(٦)، وكما زدت نعتاً نكرة زادت دلالة التخصيص تخصيصاً^(٧) وتحديداً.

ومن النعت المخصص قوله - عليه السلام - : (وَ طِفْئُ أُرْتِي بَيْنَ أَنْ أُصُولَ بَيْدِ جَدَاءٍ، أَوْ أُصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءٍ)^(٨)، فقد نعت الإمام - عليه السلام - «ببد» ب «جداء» وخصّصها بصفة تميّزها، فقد خصّصها بفردٍ من الأفراد المتّصّف بالقطع^(٩).

انّ هذه الصفة تصور لنا الإمام - عليه السلام - وقد سلّب حقّه ويده جداء، وقد أحاط به أعداؤه فأتى له أن يصول بها؟! فكانّ المكائد قد قطعت يده وكأثمه يواجه الآخر بالعدم، وبهذه الاستعارة البليغة عبّر الإمام - عليه السلام - عن وحدته وتفرده في هذا المخاض، وباستعماله الصفة «جداء» تكتمل الصورة في ذهن المتلقي عن مدى قسوة الألم الذي كان يعانيه الإمام - عليه السلام -، فإنّ اليد المقطوعة توحى بضعفه بإزاء المقابل وبانعدام وجود المُعين البتة. وهو أمر أوجد حالةً من اليأس في نفسه - عليه السلام - .

واستعار لالتباس الأمور واختلاطها وعدم تمييز الحق فيها من الباطل لفظة «الطخية»^(١٠) إذ لا يهتدى فيها للمطلوب^(١١)، ونعتها بـ «عمياء» (تأكيداً لظلام الحال واسودادها، يقولون: مفازة عمياء، أي يعمى فيها الدليل)^(١٢)، ووصف بذلك شدّة الأمر

(1) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٣٢/٢-٢٣٣، المحرر: ٩٦١/٢ .

(2) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٣١/٢ .

(3) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٣٢/٢، شرح اللحة البدرية: ابن هشام: ٢٨٨/٢ .

(4) ينظر: الكواكب الدرية: ٨٥/٢ .

(5) ينظر: المطول: ٢٢١ .

(6) ينظر: جواهر البلاغة «ط١٢»: ١٥٨ .

(7) ينظر: معاني النحو: ١٧٦/٣ .

(8) نهج البلاغة: ١٥١/١ .

(9) فالجداء هي المقطوعة، والجدّ قطعٌ وحيٌّ مستأصلٌ-أي سريع -، وقيل: هو القطع المستأصل فلم يُقَيّد

بوحاء. ينظر: لسان العرب: ٤٧٩/٣ «جذذ» .

(10) والطخية هي (الظلمة. وليلة طخياء شديدة الظلمة قد وارى السحاب قمرها). لسان العرب: ٥/١٥ «طخا» .

(11) ينظر: مصباح السالكين: ٢٥٥/١ .

(12) شرح النهج: ١٥١/١، ينظر: نهج البلاغة: محمد عبدة: ٢٦/١ .

وصعوبته، فماذا يصنع الإمام -عليه السلام- بعد أن بويع غيره بالخلافة؟ يقول: إنه أجال الفكر فوجد نفسه واقفاً بين محذورين: إما أن ينهض بحقه ونهوضه من غير جدوى لعدم الناصر، ويرى في ذلك إراقة للدماء، وتفتيتاً لوحدة الإسلام والمسلمين، وإما أن يسكت ويصبر حرصاً على هيبة الدين وإيثارا لمصلحته في ظرفٍ لا يهندي فيه الناس إلى الحق^(١) فاختر الصبر لإثمه كما يقول -عليه السلام-: أحجى^(٢)، وقد جاء استعمال الصفة المؤكدة، للدلالة على عظم محنته -عليه السلام-، فمن أشقّ المشاقّ على العالم الربائي (الصبر على معاينة الخلق على شدة جهالة وضلالة)^(٣).

ونلاحظ عناية الإمام -عليه السلام- في إحداث التوازن الصوتي بين مفاصل الكلام، فقد أنهى العبارة الأولى بـ«جذاء»، فجاء بـ«عمياء» في آخر العبارة الثانية لتتسق العبارتان، فكلاهما على صيغة «فعلاء» فضلاً عما لحرف المد «آ» في النعتين من موقع في أذن السامع، فهو الغاية في إيصال الآلام المعتلجة في داخله وإظهارها لتتكامل الشكوى في الصورة التي نقل لنا فيها حيرته في اختيار أمر من أمرين كليهما يصعب على النفس قبوله.

ونظير ذلك قوله -عليه السلام- في وصف أهل الدنيا^(٤): (... فَأَيُّمَا أَهْلَهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَ سِبَاغٌ^(٥) ضَارِيَةٌ، يَهْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَيَأْكُلُ عَزِيْزُهَا ذَلِيْلَهَا، وَ يَفْهَرُ كَبِيْرُهَا صَغِيْرَهَا)^(٦)، فقد خصص الإمام -عليه السلام- لفظة «كلاب» بـ«عاوية»^(٧)، والكلاب جمع مفرد «كلب»، وهو اسم يطلق على (كُلِّ سَبْعٍ عَقُور... وقد غلب الكلب على هذا النوع النابج)^(٨)، فلو تركت بلا وصف لكانت تنطبق على كل كلب بيد أنه -عليه السلام- نعتها بـ«عاوية»، فخصص المراد من هذه الـ «كلاب»، فعواء الكلاب رمزاً للعداء والشجار فيما بينها، فدلّت الصفة على التعادي والتباغض.

(1) ينظر: «أسباب قعوده -عليه السلام- عن المطالبة بحقه» لياالي بيشاور «مناظرات ومحاورات»: السيد محمد الموسوي الشيرازي: ٩٩٧/٢ - ١٠٠١، المراجعات: السيد عبد الحسين شرف الدين: ٢٥٠-٢٥٤.

(2) ينظر: شرح النهج: ١٥١/١.

(3) شرح الخطبة الشقشقية: الشيخ محمد رضا الحكيمي: ١٥٠.

(4) وقد جاء ذلك خلال نصيحته لأكبر بنيه في معرض التفسير من الدنيا وتحذيره من الإخلاق إليها. ينظر: شرح النهج: ٨٩/١٦.

(5) والسبع (بفتح) على مائة ناب من السباع ويعذو على الناس والدواب، فيفترسها مثل الأسد والذئب والتمر والفهد وما أشبهها...). لسان العرب: ١٤٨/٨ «سبع».

(6) نهج البلاغة: ٨٩/١٦.

(7) «عاوية» من عوى الكلب إذا (لوى) حَطَمَهُ ثُمَّ صَوَّت. وقيل مدَّ صَوْتَهُ ولم يُفصح). لسان العرب: ١٠٧/١٥ «عوى».

(8) المصدر نفسه: ٧٢٢/١ «كلب».

وكذلك ميز - عليه السلام - ال «سباع» بـ «ضارية»^(١)، ليخصصها بالعداوة والنهش والقسوة. فقد أراد - عليه السلام - أن يصف أهل الدنيا بالتناحر والصراع الدائم على حطامها و حرامها. وقد وصفهم أولاً بـ «كلاب عاوية» وأخر «سباع ضارية»، وذلك ليبيّن حقارة أهل الدنيا وضعفهم فعدل - عليه السلام - عن السباع في العبارة الأولى لما فيها من قوة وسطوة، ثم ذكرها ليبيّن شدة هذا الصراع والتنافر، ووحشية المتصارعين من أجل الدنيا، واعتيادهم هذه الحال.

ونلاحظ التوازن بين فقر الكلام في عطفه - عليه السلام - «سباع ضارية» على «كلاب عاوية»، وهو تناسب عفوي إذ لا يتكلف الإمام - عليه السلام - صناعته وإنما يجيء عفواً، قال الدكتور إبراهيم السامرائي: (وأريد أن أشير إلى عناية الإمام - عليه السلام - بنظم ألفاظه، فقد جعلها اثنين اثنين وكل اثنين منهما فصلت بالتناسب والتقنية)^(٢).

ومنها قوله - عليه السلام -: (فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا)^(٣)، فنجد هنا أنه وَصَفَ النكرة «أحد» ودلالاتها العموم بشبه الجملة الجار والمجرور^(*) «من العرب»، فخصّص هذا العموم وميّزه من غيره، والتقدير: ليس أحدٌ عربيٌّ أو منسوب إلى العرب يقرأ كتاباً حين بعث الله تعالى محمداً ﷺ بالرسالة، وهي كناية عن شركهم وانقطاعهم عن الرسالات السماوية وضلالهم، إذ لا دليل يهديهم الطريق إلى الله تعالى. كما أنّ فيه تنزيه للرسول ﷺ من أنّه قد قرأ كتاباً من الكتب السماوية السالفة حتى يقتبس منها فيضع القرآن، ففي هذا التخصيص للعام بالنعته درءٌ للرسول عن اتهامه بأنّه قد جاء بالقرآن من عنده. كذلك نجد في العبارة توجيهاً دلالياً إلى عظم النصب الذي لاقاه الرسول من العرب حين كانوا جهلة فلا يقرأون كتاباً، ولا يعرفون ثقافة، غير الجهل والعنف والظلم.

ومنه أيضاً قوله - عليه السلام -: (وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ، فَأَنْزَلَهُمْ شَرًّا دَارَ... فِي نَارِهَا كَلْبٌ وَ لَجَبٌ)^(٤)، وقد جاءت الجملة الاسمية صفة لـ «نار»، فخصّصت هذه النار وأخرجتها من

(1) و«ضارية» جمع «ضار»، والضاري من السباع ما ضري بالصيد ولهج بالفرائس؛ والضراوة: العادة، يقال: ضري الشيء بالشيء، إذا اعتاده فلا يكاد يصبرُ عنه. وضري الكلبُ بالصيد إذا تطعم بلحمه ودمه. ينظر: مختار الصحاح: أبو بكر الرازي: ٣٨٠ «ضرا»، لسان العرب: ٤٨٢/١٤ «ضرا».

(2) في نهج البلاغة دراسة ومعجم: ١٤٠، ينظر: تاريخ الأدب العربي - أدب صدر الإسلام «نقد وتحليل»: السيد جعفر الحسيني: ١٥٤.

(3) نهج البلاغة: ١١٤/٧.

(*) يرى عدد من النحاة في هذا الموضع تقدير محذوف صفة، وأرجأت الحديث عن ذلك إلى موضعه.

(4) نهج البلاغة: ٢٠٢/٧.

عموم نيران آخر، فهذه النار تمتاز بالشدة والغضب^(١)، ودلّ التتكير على عظم هذا الغضب، يُقال: كلب عليه كلبا إذا غَضِبَ فأشبهه الكلب، والكلبُ الكلب هو الذي إذا أكل لحمَ الإنسان أخذه -أي الإنسان- لذلك سَعَارٌ وداًءٌ شَبِهَ الجنون فيعوي عواءَ الكلب، ويُمزق ثيابه عن نفسه، ويعقرُ من أصاب، ثمَّ يصيرُ أمره إلى أن يأخذه العطاش فيهلك من شدة العطش، ولا يشرب^(٢)، فأَيُّ شَرٍّ بعد هذا الشَّرِّ؟! وهو الوقوع في نار هذه صفتها!^(*)، وعطف على «كلب» لفظة «لجب» لتتكمال صورة هذه النار، فهي ذات صوت وصياح وجلبة^(٣)، وأفاد التتكير كذلك الإيحاء بعظمة هذه الأصوات ممَّا يُثير الرُّعب في قلب السامع.

ونجد ذلك في مواضع كثيرة من النهج^(٤).

المطلب الثاني: دلالة التوضيح

يستعمل المتكلم الصفة الدالة على التوضيح لاحتياجه إليها، يقول الجرجاني: (إذا وقعت الحاجة في العلم إلى الصفة كان الاحتياجُ إليها من أجل خيفة اللبس على المخاطب. تفسير ذلك أنك إذا قلت جاءني زيدُ الظريف فأنتك إنما تحتاج إلى أن تصفه بالظريف إذا كان فيمن يجيء إليك واحدٌ آخر يسمى زيدا فأنت تخشى إن قلت: جاءني زيد: ولم تقل «الظريف» أن يلتبس على المخاطب فلا يدري أهذا عنيت أم ذلك. وإذا كان الغرضُ من ذكر الصفة إزالة اللبس والتبيين كان محالاً أن تكون غير معلومة عند المخاطب وغير ثابتة لأثمه يؤدي إلى أن تروم تبيين الشيء للمخاطب بوصفٍ هو لا يعلمه في ذلك الشيء وذلك مالا غاية وراءه في الفساد)^(٥).

وقد ورد في «كشف المشكل» أن النعت يرد في الخطاب لأشياء^(*) منها: (إزالة اشتراك عارض في معرفة)^(٦)، فالتوضيح بالنعت يعني رفع الاشتراك العارض في المعارف نحو: «هذا زيدٌ الطويل»، فهذا النعت «الطويل» أخرج «زيداً» من الاشتراك مع غيره، وأظهر المراد به أي: وضحه بصفة المنعوت فيما إذا كان هناك زيدٌ أو زيود، فقد أخرجته بصفة «الطويل» من زيد «القصير» ورفعت عنه الالتباس بغيره، وفصلت بين المتشابهين.

(1) لها كلبٌ أي أن لها غضبا. ينظر: لسان العرب: ٧٢٣/١ «كلب» .

(2) وقيل: هو جنون الكلاب. المصدر نفسه: ٧٢٢/١ «كلب» .

(*) على أن مصابها لا يهلك فيرتاح كما يحدث في الدنيا، فهو يمزق نفسه بنفسه من شدة ما يلقي من العذاب، ويلزمه العطش إلى الأبد .

(3) ينظر: لسان العرب: ٧٣٥/٢ «لجب» .

(4) ينظر: نهج البلاغة: ٤٤/٧ ، ٤٥ /٧ ، ٢٢٧/٧ ، ١٥٦/١٣ ، ١٦٣/١٥ .

(5) دلائل الإعجاز: ٣٤٦-٣٤٧ .

(*) والأشياء هي الأغراض التي يؤتى بالنعت للدلالة عليها.

(6) كشف المشكل: علي بن سليمان اليمني: ٦١١/١-٦١٢ .

فيسبق الذهن إلى معرفته، ويزيل الاشتراك العارض في «زيد»^(١)، بل إنَّك بيَّنته (وكشفتَه كَشْفًا كَأَنَّكَ حَدَّدْتَهُ)^(٢)، وقد عدَّ بعض النحاة دلالة الإيضاح الوظيفة الأصل في دلالة النعت^(٣)، فالتوضيح إذن يرفع الاشتراك اللفظي الواقع في المعارف، على سبيل الاتفاق، فهو يجري مجرى بيان المجلد وتقييد المطلق. ويرى أكثر النحويين أنَّ التوضيح لرفع الاحتمال في المعارف كما للتخصيص يقلل الاشتراك في النكرات^(٤)، وقال بعضهم: (أطلق النحويون أنَّ الصفة للتوضيح في المعارف، واني لأراها للتخصيص في أسماء الأجناس. يؤيده أنَّ الحقيقة الكلية لو أُريدت باسم الجنس من حيث هي كان الوصف نسخاً، فتعين أن يكون معنياً بها الخاص، ثم الصفة تأتي مبيِّنة لمراد المتكلم وهذا بعينه واردٌ في الاستثناء)^(٥)، لذا لم يجد بعضهم وجهاً مقبولاً في تقييد الجمهور بدلالة نعت النكرة على «التخصيص» وبدلالة نعت المعرفة على «التوضيح» لأنَّ ما كان مخصّصاً لا بد من كونه موضحاً، وما كان موضحاً لا بد من كونه مخصّصاً^(٦). ولهذا فضلَّ بعضهم دمج الداليتين: التخصيص، والتوضيح في دلالة واحدة تحت اسم واحد هو دلالة التخصيص^(٧)، ولا نميل إلى هذا الرأي لأنَّ التخصيص هو عملية اخراج بعض ما وقع عليه حكم العام فيكون التخصيص مُحدِّداً لجزء من العام.

أمَّا التوضيح فهو عملية كشف المبهم من خلال تضيق نطاق المعرفة عن طريق تشخيصها عن غيرها من الماهيات المشتركة معها، وهذا أقرب إلى تقييد المطلق منه إلى تخصيص العام؛ من هنا يظهر أنَّ التوضيح يغيّر التخصيص بالحيثية وإن كان يشاركه في الغاية العامة وهي التحديد^(٨).

وممَّا ذكر للتوضيح قوله -عليه السلام-: (وَ سَيَبْتَلِي أَهْلَكَ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ، وَ الْجُوعِ الْأَغْبَرِ!)^(٩)، فقد وضَّح النعت «الأحمر» المنعوت المعرفة «الموت»، وكشف عن حقيقته وإبان المراد منه، ومثله النعت «الأغبر» فقد كشف عن ماهية هذا الجوع. قال ابن أبي الحديد: الأغبر: كناية عن المحل، وسمي الموت الأحمر لشدَّته. ومنه الحديث «كنا إذا احمرَّ البأس اتقينا برسول الله»

-
- (1) ينظر: شرح المقدمة المحسبة: ٤١٣/٢، شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٣٢/٢، همع الهوامع: ١١٧/٣.
 - (2) مفتاح العلوم: ٢٨٢.
 - (3) ينظر: شرح عيون الإعراب: ٢٢٨.
 - (4) ينظر: شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ١٩٤/١، شرح التصريح: ١٠٨/٢.
 - (5) البرهان الكاشف: ١٤٥.
 - (6) ينظر: فلسفة المنصوبات في النحو العربي: عائِد كَرِيم علوان الحريزي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، «رسالة دكتوراه»، ١٩٧٥ م: ٣٥٩.
 - (7) ينظر: المصدر نفسه: ٣٥٩.
 - (8) ينظر: الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني: سيروان عبد الزهرة الجنابي، كلية الآداب، جامعة الكوفة، باشراف: أ. د. عبد الكاظم الياصري: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: ١٨٧-١٨٨.
 - (9) نهج البلاغة: ١٠٣/٧.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووصف الجوع بالغبرة، لأنّ الجائع يرى الأفاق كأنّها مغبرة ومظلمة^(١)(٢) إشارة منه--
إلى عظيم البلاء الذي سيتعرض له أهل البصرة.

وكما رأينا في أمثلة سابقة إنسجام الموسيقى المنبعثة من الأوزان التي يختمُ بها فقرار
كلامه -عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فنرى أنّه جاء بـ «الموت» و«النجاة» و«الجوع» وهما متقاربان فالأول على
وزن «فعل» والآخر على وزن «فعل»، وكذلك النعت «الأغبر» جاء مُساوفاً للنعت «الأحمر»،
وكلاهما على وزن «الأفعل»، وقد أوضحت الصيغة أن الهلاك والجوع سيصلان إلى الغاية،
فشدّتهما عظيمة، وقسوتهما لا حدود لها، وبهذا أفادت الصفتان «الأحمر والأغبر» انه ليس
موتاً اعتيادياً ولا جوعاً من النوع المألوف، فأفاد النعت هنا معنى لا يتمّ بغيره البتة، فالتوضيح
للمنعوتين صورّ لنا موتاً وجوعاً شديدين لمدينة منكوبة في مستقبل أيامها ببلاغة قلّ نظيرها.

ويصف -عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الجنة، فيقول: (وَلَذَهَلْتُ بِالْفِكْرِ...، وَفِي تَعْلِيْقِ كَبَائِسِ^(٣) اللَّوْلُوِّ الرَّطْبِ فِي
عَسَالِيْجِهَا وَ أَفْئَانِهَا)^(٤)، وهنا استعمل «الرتب» وهو من أبنية الصفة المشبهة نعتاً لـ «اللؤلؤ»،
وقد جاء النعتُ مُعرّفاً ليتسق مع منعوته فيكشف لنا عن مزية من مزايا ماهية هذا اللؤلؤ، فمن
جملة ما يُذهلُ الفكر في الجنة -وكلّ ما فيها مُذهل- تعليقُ كبائس اللؤلؤ الرطب في
عساليجها^(٥).

إنّ استعماله لـ «الرتب» نعتاً أعطى ملحظاً دلاليّاً عن طبيعة بدائع الجنة، واحسب
أنّه -عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يصفُ كروم الجنة، ولربّما أراد وصف الشجر بصورةٍ عامة فتكونُ ثمارُ هذه الجنة
مخلوقة من لؤلؤ رطب والحاجة التي دعت إلى وصفه بالرتوية أي الليونة هي صلابة اللؤلؤ
الدينيوي وقوته، فلؤلؤ الجنة ناعمٌ لا يؤدي يد اللامس مُعلّق على غصن حديث الظهور، وهذه
الصفات على وجه الديمومة والاستمرار، فالنعومة ملازمة للؤلؤ وهكذا يضلُّ العذق صالحاً
للزينة بأبهى صورة وللأكل بأشهى منظر، إنّ وصفاً بهذا المستوى لا ترقى إليه التصورات
الذهنية للمخلوقات الدنيوية، فحقّ للفكر أن يُذهل ويندهش بإزاء هذا المشهد العذب المُبهر.

-
- (1) ينظر: شرح النهج : ١٠٤/٧ ، والحديث في شرح النهج : ١١٦ / ١٩ .
 - (2) وقيل: أنّه (مأخوذ من لون السبع كأنّه سبع إذا هوى إلى الناس)، فيمزقهم ويفتك بهم. منهاج البراعة:
الراوندي: ٢٩/٣ .
 - (3) والكبائس جمع كباسة، وهي (العذقُ التام). مجمل اللغة : ٥٦٩ «كبس».
 - (4) نهج البلاغة : ٢٧٧/٩ .
 - (5) أي في أغصانها، والعسلوج: ما لان وأخضر من فُضبان الشجر والكرم أول ما ينبت. ينظر: لسان العرب
٣٢٥/٢ : «عسلج» .

ونظيره قوله -عليه السلام-: (الغنى الأكبر اليأس عمّا في أيدي الناس)^(١)، وقد جاءت هنا لفظة «الأكبر» المعرفة بـ «أل» نعتاً لـ «الغنى»، فأفادت إيضاح هذا الغنى وكشفت عن حقيقته، فإنّ اليأس عمّا في أيدي الناس يُكسبُ الإنسان نفساً راضيةً وقانعةً بما لديها، فهو أعظم الغنى وأشرفه. فإذا اعتقد الناس أنّ الغنى بالمال والجاه والسطوة فإنّ الإمام -عليه السلام- أوضح بـ «الأكبر» ماهية الغنى الحقيقي لأنّ صفة «الأفعل» التفضيلية تفيد معنى الصفة على وجه الاطلاق^(٢)، فنفهم بهذا أن غاية الغنى ومنال قصده إنّما يتحقق بعدم الطمع فيما بين أيدي الناس البتة، وبهذا يكون الغنى هو القناعة والرضا بالمقسوم.

ويذكر الإمام -عليه السلام- هذه الصفة في موضع آخر لتكشف لنا عن حقيقة «الفقر» في قوله -عليه السلام-: (الفقر الموت الأكبر)^(٣)، فقد نعت الإمام -عليه السلام- «الموت» بـ «الأكبر» ليوضح ماهية هذا الموت فهو أشدّ إيلاًماً، وأطولُ زمناً من الموت المعروف إذ إنّ الإنسان يموت في آخر عمره مرّةً واحدةً وفي الفقر يموت آلاف المرات، ولهذا استعمل الإمام صفة الكبر للموت على صيغة «الأفعل» لإظهار ديمومة صفة الموت في الفقر على وجه الاستمرار، فالفقر يذلّ الفقير و يقتلُ روحه،^(٤) فهو الموت الأكبر بصورةً مطلقة، فلا يُدانيه موتٌ آخر قياساً إلى ميّات الدنيا.

ان الأمثلة التي تناولناها أوضحت دلالة النعت المعرفة، فهو كما يقول السكاكي كاشفٌ للمنعوت بألف عبارة وكأنه تحديدٌ له^(٥). ولهذا النعت نظائر كثيرة في النهج^(٦).

المطلب الثالث : دلالة المدح والثناء

يأتي النعت أحياناً لمدح المنعوت، أي الثناء عليه ببيان صفة كماله وذلك إذا تعيّن المنعوت عند المخاطب^(٧)، ولا يُراد بها التوضيح والتمييز، فعندما يكون المنعوت معروفاً

(1) نهج البلاغة : ٢٤٦/١٩ .

(2) ينظر: «افعل» التفضيل معناها ومبناها: سيروان عبد الزهرة الجنابي، مجلة دراسات إسلامية، بيت الحكمة، ع «١٤»، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م: ٧٠ .

(3) نهج البلاغة : ٣٨٦ / ١٨ .

(4) قال الإمام -عليه السلام- في موطن آخر: (وَ الْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطْنَ عَنْ حَاجَتِهِ، وَ الْمَقْلُ غَرِيبٌ فِي بَدَنِهِ). نهج البلاغة: ٨٧/١٨، ينظر: ٢٢٧/١٩

(5) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٨٢ .

(6) ينظر: نهج البلاغة: ١٠٢/٦ ، ٤٢٤/٦ ، ٢٨٨/٧ ، ١٨١/٩ ، ٢٠٣/٩ ، ٧٦/١٨ .

(7) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٢٣/٢ .

لدى المخاطب، فإنه لا يحتاج إلى ذلك، نحو قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١)، وقد وردت هذه الدلالة في النهج في مواضع عدة منها قوله -عليه السلام-: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، وَالْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ)^(٢)، فقد جاء النعت «الأول» والمعطوف عليه «الآخر» نعتين للفظ الجلالة «الله»^(٣)، للدلالة على المدح والثناء.

قال أبو القاسم الزجاجي «ت ٣٣٧ هـ»: (اعلم ان الصفات في كلام العرب على ضربين إذا كان الاسم عند من يخاطبه ملتبساً بغيره ممن يشركه في بنيته فهو حينئذ محتاج إلى الوصف ووصفه إيضاح له وتبيين، وإذا كان الاسم معروفاً عند من تخاطبه اما بتقديم معرفته به وتحصيله إيّاه أو بشهرته، كان مستغنياً عن النعت، وكانت نعوته ثناءً عليه، ومدحاً أو نماءً فصفات الله عز وجل كلها ثناءً عليه ومدحٌ له مدحٌ بها نفسه، ونبه العباد عليها وتعبدهم بوصفه بها لأنه عز وجل ليس كمثله شيء ولا يحتاج إلى الصفات إيضاحاً كما يحتاج غيره، وإنما يمدح بصفاته ويثني بها عليه)^(٤)، فجاء النعت «مدحاً له»^(٥) تعالى، فهو القديم الذي كان قبل كل شيء، فلا أول قبله، والذي يبقى بعد هلاك كل شيء فلا آخر له، فهو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، وصفاته تستوجب حمده، و (الحمْدُ والمدحُ أخوان، وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها)^(٦)، وهو تعالى اهل للحمد.

ونظير ذلك قوله -عليه السلام-: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنْتَجَلِيِّ لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ)^(٧)، وقد جاء النعت «المتجلي» مدحاً لمنعوته اسم الجلالة «الله» جل وعلا، وثناءً عليه. فالإمام -عليه السلام- يمدح «الله» تعالى بـ (ظهور آياته ودلائله الدالة عليه ووضوحها وبيانها)^(٨)، وتجليه تعالى بأفعاله التي تؤدي إلى العلم به ومعرفته، فهو مدرك بالعقول والدلائل، وبخلقه الخلق دلهم على وجوده، وأكد -عليه السلام- قوله هذا بما بعده فهو الظاهر لقلوبهم (بما أودعها من الحجج الدالة عليه)^(٩).

(1) سورة الفاتحة: ١ .

(2) نهج البلاغة: ٩٦/٧ .

(3) أخذ المعنى -عليه السلام- من قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. «سورة الحديد»: ٣ .

(4) اشتقاق أسماء الله: ٤٧٦ ، ينظر : البرهان الكاشف : ١٤٤ .

(5) الإيضاح: القزويني: ٣٧

(6) الكشاف: ٨/١ .

(7) نهج البلاغة: ١٨١/٧ .

(8) اشتقاق أسماء الله: ٣٦٣ .

(9) شرح النهج: ١٨١/٧ .

ومما جاء نعتاً للمدح قوله -عليه السلام-: (إِنَّ الَّذِي أُتْبِئْتُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ...) (١)
فقد نعت «النبي» بـ «الأمي»، وقد دلت «الأمي» على مدح للرسول محمد ﷺ وثناء عليه، ذلك بان لفظة «النبي» إذا أُطلقت دلت عليه ﷺ خاصة، فلما نُعتت بـ«الأمي» كان النعت مدحاً له ﷺ على أحد هذين الوجهين:

١- أن تُحمل لفظة «الأمي» على معنى الرجل الذي لا يعرف القراءة والكتابة فتكون دلالة النعت على تنزيهه ﷺ عن أن يكون قد كَتَبَ القرآن بيده وإشارةً إلى علو شأن القرآن إذ إنّه كلام الخالق تعالى، فمحمدٌ ﷺ نبيٌّ حقاً والقرآنُ معجزة إلهية أنزلها الربّ تعالى عليه.

٢- حمل لفظة «الأمي» على معنى النبي المنسوب إلى أمّ القرى، فتكون دلالتها التشريف للرسول ﷺ بوصفه منسوباً إلى الأرض المقدسة التي احتوت بيت الله المعظم والتي نزل بها القرآن الكريم، وانطلق الدين الإسلامي من حجراتها فعدت محجة لعباد الله وموتلاً للناس.

ونظير ذلك قوله -عليه السلام-: (وَ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ...) (٢)، فقد نعت «رسول الله» و«آله» -صلوات الله عليهم- بـ «الطيبين الطاهرين»، واحسب أنهما صفتان دالتان على المدح والثناء عليهم، فإذا قلت: إن الطيبة والطهارة ليستا حكراً عليهم من بين المؤمنين عامة والأنبياء خاصة، فهي صفة عامة؟ (٣)، يُجاب على ذلك أنها إذا كانت بهذا اللحاظ فهي صفة للكشف عن الماهية ألا أنها صفة للمدح بلحاظ آخر، واقصد من ذلك آية التطهير في قوله تعالى: ﴿لِنَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ

الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٤)، فقد نقل عن بعض الصحابة أن الآية (نزلت في خمسة، في

النبي صلى الله عليه واله وسلم وعلي وفاطمة والحسنين عليهم السلام) (٥) و(لا يشاركون فيها

(1) نهج البلاغة : ٩٨/٧ .

(2) نهج البلاغة : ١١٧/١٧ .

(3) سورة النحل: ٣٢، سورة النور: ٢٦، ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي: ٥٧١ .

(4) سورة الأحزاب : ٣٣ .

(5) أسباب النزول: الواحدي : ٢٣٩ ، ينظر تخريج الحديث في كتب الصحاح والمسانيد وغيرها، في متن وهامش: كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: فخر الدين الكنجي: ٣٧١-٣٧٩ .

غيرهم^(١)، قال بعضهم: (وفيها قصران فقد قصر الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير وقصر إذهاب الرجس والتطهير في أهل البيت) ^(٢) -Φ- .

وكانت هذه العبارة خاتمة لبعض كتبه -عليه السلام- سلم فيها على النبي، وصلى عليه وعلى آله - صلوات الله عليهم أجمعين - ذكراً وتعظيماً ووفاءً له.

ومنها أيضاً قوله -عليه السلام- : (اللَّهُمَّ ... اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ. الْخَاتِمَ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحَ لِمَا انْغَلَقَ)^(٣)، فقد نعت محمد ﷺ بـ «الخاتم» وعطف عليه «الفتاح»، وهما صفتان أفادت المدح والثناء، لاختصاصهما بالنبي ﷺ.

ويدعو له ﷺ بـ (ما عظم من رحمته وكمال جوده على النفوس المستعدة لها)^(٤)، وبما زاد من بركاته لاستحقاقه الرحمة وزيادة البركات، فهو العبدُ والرسول وهي جهات للاستحقاق، وهو أيضاً الخاتم لما سبقه من الملل، والفتاح بشرعه وهدايته للخلق ما انغلق من سبيل الله قبله بظلم الجاهلية^(٥)، (وظاهر كون ذلك جهة استعدادٍ منه لقبول الرحمة ودرجات الكمال)^(٦).

وتأسيساً على قول الزجاجي المتقدم يكون معيار تحديد وظيفة النعت إذا ورد بعد لفظ معرفة اعتماده على معرفة المتلقي بالمنعوت، فإن جهل المنعوت كان النعت للإيضاح وإن عرف المنعوت ابتداءً كان النعت للمدح أو الذم. ولهذه الدلالة نظائر أخر في النهج^(٧).

المطلب الرابع : دلالة الذم

تقع هذه الدلالة في النعت إذا كان المنعوت معلوماً للمخاطب^(٨) أيضاً، إذ لا يراد به إزالة اشترائك ولا تخصيص موصوف، وإنما تُذكر للذم والتحقير^(٩).

(1) تفسير الميزان: السيد محمد حسين الطباطبائي: ٣١٧/١٦ .

(2) المصدر نفسه : ٣١٥ /١٦ .

(3) نهج البلاغة : ١٣٨/٦ .

(4) مصباح السالكين: ١٩٨/٢ .

(5) ينظر : نهج البلاغة : صبحي الصالح : ١١٠-١١١ .

(6) مصباح السالكين: ١٩٨/٢ .

(7) ينظر : نهج البلاغة : ٣٩٢/٦ ، ١٤٧/٩ ، ٦٢/١١ ، ١١٥/١٣ ، ٢٠/١٧ .

(8) ينظر: شرح الرضي على الكافية : ٢٣٢/٢ .

(9) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٤٧/٣، و شرح الرضي على الكافية: ٣٠٣/٣ ، البرهان : ١٤٤ .

ومما ورد في النهج من كلامه -عليه السلام- يحمل هذه الدلالة قوله -عليه السلام- : (وَتَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارَ حُدُودُ أَرْبَعَةٍ ... وَ الحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي)^(١)، فجاءت هنا لفظة «المغوي»^(٢) في هذا النص نعتاً لـ«الشيطان» للدلالة على الذم، فهو أول من غوى وضلّ وأول من أغوى واليه تنتهي الغواية، فلو أطلقت الصفة من غير موصوفٍ لانصرفت إليه، وقد يبدو للمتلقّي أنّ الشيطان ليس هو المغوي الوحيد في هذه الدنيا، وهذا ما يدل عليه استعمال لفظة «غوى» في القرآن^(٣)، وللحديث عن ذلك نقول: إنّ الشيطان هو سيّد العُصاة والمُتمردين على وجه الاطلاق، وكما قلنا فيما تقدم: إنّهُ أول من غوى وأغوى، فأية صفة يوصف بها تخرج إلى دلالة الذم على الرغم من مشاركة غيره له في هذه الصفة، فالله تبارك وتعالى لا يورد صفاته على سبيل الإيضاح، وإنّما على سبيل الذم، فتكون الصفات المشتركة ذمّاً لإثمه رمزاً للشّر فيبلغ عنده الغاية ويصل إلى النهاية، قياساً إلى الأوصاف التي مُدِح بها الله تعالى مع مشاركته المخلوق فيها، (فصفات الله عز وجل كلها ثناءً عليه ومدحٌ له مدحٌ بها نفسه)^(٤).

وإذا كان الله تبارك وتعالى ليس كمثله شيءٌ فتصرف الدلالة إلى المدح، فالشيطان - تعالى الله عن مشابهة مخلوقاته - كان مع الملائكة في العبادة، وليس منهم في الجنس، وخرج بمعصيته عنهم ودخل مع البشر وليس منهم، فيكون بذلك كائناً مُميّزاً مخصوصاً بكلّ ذم. وقد عبّر الإمام -عليه السلام- في تفصيل حدود هذه الدار المبنية عن زهده وخوفه من أن يكون القاضي قد ابتاعها بمالٍ حرام، فقال: إنّ حدّها الرابع ينتهي إلى غواية الشيطان، لبيان أنّ شروع باب هذه الدار يكون في هذا الحد، مما يجعل دخول الشيطان وأتباعه أمراً سهلاً ميسراً.

ونظير ذلك قوله -عليه السلام- عندما سُئِلَ عن الخوارج: (...مَنْ عَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ وَالنَّفْسُ الأَمَارَةُ بالسُّوءِ)^(٥)، فـ«المضل» نعتٌ لـ«الشيطان» دلّ على ذمّه، فالغواية والإضلال من أعمال الشيطان التي يحاول بها صرف العباد عن خالقهم، وهما نتيجة طبيعية لِكبره وحسده الإنسان، وعصيانه ربّه، ولذا طُرد من رحمته فصار رجيماً^(٦)، وأراد الإمام -عليه السلام- أنّ الشيطان قد تمكّن من الخوارج بعد أن بثّ سمومه في أنفسهم فوجد أنفُساً

(1) نهج البلاغة: ٢٧/١٤، من كتاب له عليه السلام بعثه لأحد قضاة لاتباعه داراً بثمانين ديناراً.

(2) والغِيُّ هو (الضلال والخيبة). مختار الصحاح: ٤٨٥ «غوى» .

(3) سورة المائدة: ٦، سورة الأعراف: ٨، ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٦٥٥.

(4) اشتقاق أسماء الله: ٤٧٦ .

(5) نهج البلاغة: ٢٣٥/١٩.

(6) قال تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾. «سورة النحل: ٩٨».

(*) في ضوء شرط غالبية النحاة .

قابلة لهذه السموم، فهي «أمارَةٌ بالسوء» أي كثيرة الأمر بالسوء، فسهُلَّتْ غوايتهم وقادهم
لحرب الإمام - عليه السلام - ، وشبَّبه الشيءَ منجذبٌ إليه.
ولم اعثر الا على هذين المثالين نعتاً دالاً على الذم^(*)، فيما ظهر لي بعد البحث الدقيق،
فإذا لم يُعدَّ دالِّين على الذم، يكون النهج خالٍ من نعتٍ دالٍّ على الذم، وأرى أنَّهما دالان.

المطلب الخامس: دلالة التوكيد

قد تأتي الصفة (لمجرد التأكيد)^(١)، وقد ذكر النحويون هذه الدلالة لرفع الإيهام^(٢)، فهي لتوكيد المعنى الذي علم من المنعوت^(٣)، أي أنّ المنعوت متضمّنٌ لمعنى ذلك النعت^(٤)، نحو قوله - ﷺ -: (عَلِمَهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعَلِمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ)^(٥).

وقد نعت «الأموات» بـ «الماضين» و«الأحياء» بـ«الباقيين»، وما الأمواتُ إلا الماضون، وما الأحياءُ إلا الباقون، وإنّما ذكر النعت هنا لتأكيد إحاطة علمه تعالى وشموله، فقد أشار إلى أنّ علمه غيرُ مستفادٍ من غيره ولا يلحقه تغيير وتجدّد، فعلمه تعالى أزلي أبديّ تامٌّ لا يلحقه نقصان^(٦)، (فهو لا يغيب عن شيء ولا يغيب عنه شيء)^(٧)، وجاء بلفظة «الماضين» هنا للدلالة على عراقة علمه المطلق بالأموات كافة، فلو لم يذكرها لربما فهم أنّ المراد من «الأموات» الذين ماتوا في عهد الرسول ﷺ على حين أنّ لفظه «الماضين» افادت معنى القدم المطلق، أمّا لفظه «الباقيين» فقد دلت على استمرارية علمه وبقائه إلى الأبد، وقد بيّن أنّ علمه بالأموات شبيه بعلمه بالأحياء، فقد يعلم العالم بحال الأحياء ولكن يصعب عليه العلم بحال الاموات، وأكد بالصفتين لترداد دلالة إحاطة علمه وثوقاً وقوةً في ذهن السامع.

وقد استعمل للتعبير عن معنى الإحاطة بالعلم التقابلُ بين عبارتي: «الأموات الماضين»، و«الأحياء الباقيين»، وسرُّ بلاغة المقابلة إنّما هو تداعي المعاني فالضدُّ أو المُقابل يجلبُ إلى الذهن ضدهُ أو مقابله، ويستند احدهما إلى الآخر^(٨)، وأراد بهذه المقابلة بيان أنّ الأشياء كلها حاضرةٌ عنده فهو محيطٌ بها أوّلاً وآخرًا، ولا يشغله علمُ شيءٍ عن علم شيءٍ آخر.

ومنه قوله - ﷺ -: (فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ مِنْهُنَّ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ)^(٩)، لمّا ذكر الإمام - ﷺ - أنّ شهادة امرأتين كشهادة الرجل أراد أن يؤكد هنا معنى الاثنيّية في جنس المرأة المعادلة للواحد من جنس الرجال في الشهادة، فإنّ لفظه «رجل» قد دلت على الأفراد، فلمّا نعت به «واحد» نفى بالتوكيد الوهم عن تحديد العدد في هذه الحقيقة الشرعية فلو رفع لفظه «الواحد» لالتبس الأمر. هل المراد بـ «الرجل» توافق شهادة المرأتين مع الرجل من

(1) البرهان الكاشف : ١٤٤ .

(2) ينظر : مفتاح العلوم : ٣٧٧-٣٧٨، معترك الأقران : ٣٥١/١ .

(3) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢/٢٣٢، الكواكب الدرية : ٨٦/٢ .

(4) ينظر: شرح الرضي على الكافية : ٢/٢٣٢، المطول : ٢٢١ .

(5) نهج البلاغة : ٢٥٣/٩ .

(6) ينظر : مصباح السالكين : ٣٠٠/٣ .

(7) التفسير الكبير : الرازي : ٦٧/٢٢ .

(8) ينظر: البلاغة الاصطلاحية : عبد العزيز عبده قفيلة : ٣١٩ .

(9) نهج البلاغة: ٢١٤/٦، من كلام له ﷺ بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء.

حيث القيمة أم من حيث العدد؟ أي أن شهادة كل امرأة مستقلة تساوي قيمة شهادة رجل، وإذا كانت اثنتان فشهادة كل واحدة تساوي شهادة الرجل وحده من حيث القيمة أم أن المراد أن شهادة الرجل الواحد مساوية لشهادة امرأتين معاً، فجاء بـ «الواحد» فحسم الأمر بان المراد التساوي لا القيمة المضمونية لصحة الشهادة. والظاهر أن العاطفة تشغل المرأة عن كثير من القضايا وتؤثر في عملها، وقد يكون ذلك سبباً في النسيان الذي ذكره تعالى علة لهذه الأثينية في الشهادة في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^(١)، وليس ذلك مُنافٍ للعدل وبخساً لحق المرأة إذ أن العدل يفرض صحة الشهادة لضمان حقوق الناس.

ومما ورد في النهج دال على التوكيد قوله -عليه السلام-: (لا تُقَاتِلُونَهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ، فَإِنَّمَا يَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرَكُّكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ حُجَّةً أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ)^(٢)، فبعد أن ذكر -عليه السلام- أنهم على «حجة» جاء بـ «حجة» ونعتها بـ «أخرى» حين ذكر أن بدء العدو قتالهم حجة، ويفهم من سياق الكلام والعطف أن الحجة الثانية هي حجة أخرى، فنعتها بـ «أخرى»، (وأشار إلى أن ذلك حجة ثانية عليهم وأومى بالحجة الأولى إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٣) وظاهر الأمر أن هؤلاء بغاة على الإمام الحق فوجب قتالهم^(٤)).

ونظير ذلك قوله -عليه السلام- في نبي الله سليمان بن داود -H- : (... وَ أَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَ الْمَسَاكِنُ مُعْطَلَةً، وَ وَرَثَتَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ)^(٥)، فقد نعت «قوم» بالنعت «آخرون»، ويذكر الإمام -عليه السلام- -X- خلو الديار من سليمان -عليه السلام-، وتعطيل المساكين منه لموته، ووراثته غيره لما خلف، فلما ذكر «قوم» بعد خلو الديار منه عرف أنهم «آخرون» غيره، ولما ذكر «آخرون» أكد هذا المعنى للدلالة على انتقال الملكية للطرف الآخر بصورة قطعية.

(1) سورة البقرة: ٢٨٢ .

(2) نهج البلاغة : ١٠٤/١٥ .

(3) سورة الحجرات : ٩ .

(4) ينظر: مصباح السالكين : ٣٨٣/٤ .

(5) نهج البلاغة: ٩٢/١٠ .

ومنه أيضاً قوله -عليه السلام-: (أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَنْ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ)^(١)، فقد جاء بـ«اللمح»^(٢)، ونعته بـ «الباصر» (مبالغة في الإبصار كقولهم: ليلٌ أليل)^(٣).
يقول الإمام -عليه السلام-: قد حان وقت انتفاعك^(*) بما تعلمه من معاينة الأمور ومشاهدتها، وما استقر من حقائق ثابتة بقلبك مثل تحقق ذي اللمح الباصر ما يُبصرُهُ وأراد بذلك (ما يعرفه ضرورة من استحقاق علي -عليه السلام- للخلافة دونه، وبراعته من كُُلِّ شُبْهَةٍ ينسبُها إليه)^(٤).
ونجد مثل ذلك النعت كثيراً في النهج^(٥).

ونصلُّ من خلال الأمثلة التي تناولناها إلى أنّ الصفة تأتي لدلالاتٍ عِدَّةٍ، فتأتي بعد النكرة لتخصِّصَ المنعوتَ وتُميِّزُهُ من غيره، وتأتي بعد المعرفة لتكشف عن ماهية المنعوت و تحدده. وقد تأتي لدلالاتٍ أحر، كالممدح والذم والتوكيد.

أنواع النعت

قسم النحويون النعت المفرد على قسمين^(٦): نعت حقيقي، ونعت سببي، والأوّل: هو (الجاري على ما قبله)^(٧) أي متبوعه، فهو (ما يدلُّ على معنى في نفس منعوته الأصلي، أو فيما هو بمنزلة وحكمه المعنوي)^(٨)، وهنا يلزم أن يتبع منعوته في أربعة من عشرة: واحدٌ من أوجه الإعراب، وواحدٌ من الأفراد وفرعيه، وواحدٌ من التذكير وفرعه، وواحد من التذكير وفرعه مالم يمنع من تبعية النعت مانع^(٩).

الأول: النعت الحقيقي

ومما ورد في النهج نعتاً حقيقياً قوله -عليه السلام-: (لَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مُهِينٍ، وَلَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ...)^(١٠)، فإن النعت «مُهِين» جاء صفة لمنعوته «مُعِين» لا إلى شيءٍ آخر، متعلّق لمنعوته ، وكذلك جاء النعت «ظَنِين» صفة لـ «صديق» لا إلى غيره.

-
- (1) نهج البلاغة: ٢٢/١٨.
 - (2) وهو اختلاسُ النظر والنظرة بالعجلة، والإبصار بنظر خفيف. ينظر: لسان العرب: ٥٨٤/٢ «لمح».
 - (3) مصباح السالكين: ٢١٣/٥.
 - (*) الكلام موجه إلى معاوية بن أبي سفيان.
 - (4) شرح النهج: ٢٣/١٨.
 - (5) ينظر: نهج البلاغة: ١١١/٢، ١٧٣/٧، ٣٠٢/٩، ٥٨/١٠، ٦٠/١١، ١٣١/١٣.
 - (6) ينظر: اللمع: ١٦١، شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٤٣/٢، شرح الأشموني: ٢٩٨/٤، حاشية الصبان: ٥٩/٣.
 - (7) شرح الحدود النحوية: ١٧٨.
 - (8) النحو الوافي: ٤٤١/٣.
 - (9) ينظر: شرح الحدود النحوية: ١٧٨، شرح قطر الندى «النبراس»: ٣١٨-٣١٩.
 - (10) نهج البلاغة: ١٠٤/١٦.

وأراد الإمام - عليه السلام - التنبيه على اجتناب الاستعانة بالمهين من الناس عند المهمّات، لأنّ المن بالاعانة او اذاعة سر الصديق إهانة وتصغير لشأن المُعان، وبهذا سيفقد العمل صفة الصلاح، كذلك نبّه على مجانية الصديق الـ«ظنين» أي المراوغ المتهم إذ إنّ باطنه مظنة الشر لصاحبه، فقد انتفى عنهما بالنعنين صفة الخيرية، فلا خير في كل صديق يحمل صفة من هاتين الذميتين.

ومنه قوله - عليه السلام - : (وَ شَرِبُوا بِالْكَاسِ الرَّوِّيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ)^(١) ، فـ «الروية» نعتٌ حقيقي للمنعوت «الكأس». وهنا يصف الإمام - عليه السلام - عبادة الملائكة ولها إلى الله تعالى، واستعار «الشرب» لما تمكن في ذواتهم من عشقٍ ومحبة له، فقد تمكّن العلم بالله تعالى من نفوسهم، لـ(كمال معرفتهم بالنسبة إلى غيرهم)^(٢)، فغمرهم هذا الفيض والعشق لعلمهم وإخلاصهم وطاعتهم، وأصبح جزءاً من تكوينهم. وهذا هو الباعث على تذوقهم حلاوة الذكر.

الثاني: النعت السببي

قد عرّف النوع الثاني بأنه (الجاري على ما بعده)^(٣)، فهو (ما كان صفةً لمتعلق منعوته، مثل جائني رجلٌ فاضلٌ أبوه)^(٤) أي أنه (يُصِفُ ما له علاقة بالمنعوت)^(٥)، (و يدلّ على معنى في شيءٍ بعده، له صلة وارتباط بالمنعوت)^(٦)، ولإثته يجري على غير من هو له^(٧) وسمّه النحاة بالوصف المجازي^(٨)، فإذا قيل: «استمعتُ إلى خطيبٍ فصيحٍ لسائمه» يكون «الفصيح» هو اللسان وليس الخطيب من وجهة نظر النحاة أي أنّ النعت لم يجر وصفاً على «خطيب»، وإمّا هو وصف للسان الذي هو سببيٌّ للخطيب^(٩)، لذا ذهب عددٌ من الدارسين المحدثين إلى أنّ النعت السببي حقه الا يجري على ما قبله، ولكّنه إذا وافقه في التعريف

(1) المصدر نفسه: ٤٢٤/٦ .

(2) مصباح السالكين: ٣٥٩/٢ .

(3) شرح الحدود النحوية: ١٧٩ .

(4) دراسات في قواعد اللغة العربية: عبد المهدي مطر: ٤٨/٣ - ٤٩، ينظر: شرح عمدة الحافظ: ٥٣٨، ٥٣٩.

(5) قواعد العرب: انطوان مسعود: ١٨٤/٣، ينظر: المقرّب: ١٤٠ .

(6) النحو الوافي: ٤٥٢/٣ .

(7) ينظر: شرح التصريح: ١١٠ / ٢ .

(8) ينظر: المصدر نفسه: ١١٠/٢، شرح الحدود النحوية: ١٧٩ .

(9) ينظر: شرح الأشموني: ٣٠٨/٤، دراسات في قواعد اللغة العربية: ٤٩/٣ .

والتتكير، جرى عليه في إعرابه، وذلك من باب الإعراب بالمجاورة^(١)، وأنَّ حمل مثل هذا النوع على النعت تكلف وتمحلّ لإثته صفة لما بعده في المعنى^(٢).

أمّا في الاستعمال اللغوي فقد بدا لبعضهم أنّ هذا النمط الوصفي لا يخرج عن دائرة الشواهد النحويّة إذا ما قيس بالنعت الحقيقي^(٣)، وإثته قد ورد قليلاً جداً في مواضع من التركيب القرآني^(٤). في حين ذكر بعض النحاة، أنّ النعت السببي ومتعلق المنعوت الذي جرى عليه النعت السببي هما في الحقيقة صفة للمنعوت^(٥)؛ ومن هنا رأى احد الباحثين أنّ (النعت السبي لا يتميّز عن النعت الحقيقي فهو يقدّم الخدمة نفسها التي يُقدّمها النعت الحقيقي إذ يجري وصفاً على منعوته فيميّزه ويخصّصه ويدلّ على معناه)^(٦)، فيقولنا: «جاء عليّ كريمٌ أبوه»، نكون قد فرقنا «علياً» هذا وميزناه من «عليين» آخرين ليس آباؤهم كراماً، وهو يُعطي الدلالة نفسها في النعت الحقيقي عند القول: «جاء عليّ الكريم» إلا أنّ النعت السببي يُحمَلُ على التركيب الفعلي وكأنّ التقدير في مثالنا السابق: «كريمٌ أبوه»، وقد احتوى هذا التركيب على ضمير يعود أصالة إلى «علي»، وهو المسمى بالسبب أو الرابط أو العائد^(٧). وحمله على التركيب الفعلي لإثته يسلك سلوك الفعل في التركيب إذ يرفع في الغالب اسماً ظاهراً، فقد قرّر سيبويه أنّ النعت عندما يرفع ظاهراً يكون بمثابة الفعل أو يقوى قوة الاسم عند إضافته^(٨) والنعت في كليهما (يجري مجرى الصفة التي تكون خالصة للأول)^(٩). وكذلك أوضح المبرد أنّ النعت يقوى قوة الفعل عند عمله، فقال: (تقول مررتُ برجلٍ قائمٍ أبوه، فترفع الأب بفعله، وتجري «قائماً» على رجلٍ؛ لأثته نكرة وصفته بنكرة، فصار كقولك: مررتُ برجلٍ يقومُ أبوه)^(١٠)، أي أنّ الموصوف «رجل» قد تخصص وتميّز من رجل ليس بهذه الصفة، وذلك كما إذا قلت: «مررتُ برجلٍ قائمٍ»^(١١) وقد حمل بعضهم هذا التركيب على أنّه

(1) ينظر: إحياء النحو: ١٢٥ .

(*) فمجاورة الشيء تدخله في كثير من احكامه لأجل المجاورة. ينظر: المنصف: ابن جني: ٢/٢، الحمل على الجوار في القرآن الكريم: د. عبد الفتاح احمد الحموز: ٩.

(2) ينظر: النحو العربي - قواعد وتطبيق - : ١٨٨ .

(3) ينظر: تصنيف الشعر في اللغتين العربية والإنكليزية: مجيد الماشطة، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، ع «٢٠»، لسنة ١٩٨٢: ٢٢١ .

(4) ينظر: النعت في القرآن الكريم: ٣٠٥ .

(5) ينظر: المقتضب: ١٥٥/٤ .

(6) ينظر: النعت في القرآن الكريم: ٣٠٤ .

(7) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠٤ .

(8) ينظر: الكتاب: ١٨/٢ .

(9) الكتاب: ١٨/٢ .

(10) المقتضب: ١٥٥/٤ .

(11) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢/٢٤٣-٢٤٤ .

(تركيب جملي وصفي أدى وظيفة النعت كما يحدث في التركيب الاسمي والفعلية)^(١) وحمله على أنه تركيب فعلي أصلاً هو أسلم وأقرب إلى أذهان الدارسين^(٢)، ونحن نميل إلى هذا الرأي.

وقد ارتضى باحث القول بأن النعت السببي لا يختلف عن النعت الحقيقي لإثمه يلمح أن مفهوم السببية تأتي من طبيعة النعت من حيث هو تركيب يحتاج إلى سبب أو رابط ليحصل التماسك بينه وبين منوعته، ولو استغنينا عن هذه التسمية مكتفين بعبارة «نعت» لأصبنا المراد إذ إنّه يصف الاسم الذي قبله - أي قبل النعت - حقيقة وإن بدا ظاهراً انه يصف الاسم الذي بعده^(٣).

ومن الأمثلة التي وردت في النهج نعتاً سببياً قوله - ﷺ - : (وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةٌ مُتَّحِنًا إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقِدًا مُصَاصُهَا...)^(٤) جاءت اللفظة «مُتَّحِنًا» نعتاً لـ «شهادة»، وكذلك جاءت «مُصَاصُهَا» نعتاً لـ «شهادة»، وفي حقيقتهما الدلالية إن «مُتَّحِنًا» هي نعتٌ لـ «إخلاصها»، و«مُعْتَقِدًا» نعتٌ لـ «مُصَاصُهَا»، فالأولى هي نعتٌ سببياً للمنوع «شهادة»، والأخرى نعتٌ سببياً ثانياً للمنوع نفسه، والعائد فيهما الضمير «ها».

وقد شهد - ﷺ - الله تعالى بالوحدانية المطلقة، ونزّهه عن الشريك ووصف شهادته بهذين الوصفين، اللذين شعرنا من خلالهما بحقيقة ما يشعُر، وهي أن كلمة التوحيد قد لازمت قلبه فعبر عنها بالنطق، ووصف خروجها من أعماقه بالخلوصية له تعالى، فأخلاص هذه الشهادة ممتحن ممحض، فكان إخلاصه للإسلام قد دخل في مراحل عدة للاختبار فنجح في جميع هذه المراحل، فحينما يقول الشهادة في هذا اليوم فإن سمة شهادته هذه خالصة تماماً لله لا شيء البتة يخالطه فيها لا من قريب ولا من بعيد، وهذا إنما يعبر عن شدة اليقين وقوة الإيمان في النفس إلى درجة نقاء الظاهر والباطن معاً دون أي خلل أو اضطراب في أي لحظة من اللحظات في الحياة.

(1) الجملة الوصفية: شعبان صلاح: ١٨٧ .

(2) ينظر: النعت في القرآن الكريم: ٣٠٤ .

(3) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠٤ .

(4) نهج البلاغة : ١/١٣٢.

ونظيره قوله -عليه السلام-: (فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَةً، وَمَعْقَلًا مَنِيعًا نِزْوَةً)^(١)، وقد نعت لفظة «حبلًا» بـ «وثيقًا» نعتًا سببياً، وكذلك نعت «معقلاً» بـ «مَنِيعاً» نعتاً سببياً، والعائد فيهما الضمير «الهاء».

وهنا يأمر الإمام -عليه السلام- الناس بلزوم التقوى، فهي الحارس الأمين للإنسان، وهذا الحارس أقوى أنواع الحرس لأنه ينطلق من داخل الإنسان فيمنعه عن ارتكاب المعاصي، ويسلكُ به سبيل الخير والنجاة، لان تقوى الله عروتها مستوثقة متماسكة ومعقلاً محظور الوصول إلى قمته، فهو لا يفتحم لان التقوى حرز وحصن للمؤمن، فمن انتهجها غدت له اماناً وقوة من كل سوء، فهي عصمته ومنعته التي لا تُقهر .

وللنعت السببي نظائر قليلة في النهج^(٢)، بيد أن الإمام -عليه السلام- استعمل في وصف يوم القيامة والنار نعتاً سببياً متتابعة بلغت «١٢» نعتاً، وذلك في قوله -عليه السلام-: (وَإِنْصَرَفَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حُضْنِهَا ... فِي مَوْقِفٍ ضَنْكَ الْمَقَامِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبُهَا، عَالٍ لَجْبُهَا، سَاطِعٍ لَهْبُهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا، بَعِيدٍ حُمُودُهَا، ذَاكِ وَفُؤُودُهَا، مَخُوفٍ وَعَيْدُهَا، عَمٍ قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٍ فُؤُورُهَا، فَطِيعَةٍ أُمُورُهَا)^(٣)، وهنا نرى أن صفة الضنك للمقام، والمقام مُتعلق بالموقف وصفة الشدة للكلب، والعلو للجب، والسطوع للهب، والتغَيِّظ للزفير، والتأجِّج للسعير، والبعد للخمود، والذكو للوقود، والإخافة للوعيد، والعمى للقرار، والظلمة للأقطار، والإحماء للقدور، والفضاعة للأُمور. وكُلُّ هذه الموصوفات مُتعلِّقة بـ «النار».

فالإنسان بعد أن تخرجه الدنيا منها يجد نفسه في هذا الموقف الضيق من العذاب في الحشر أو دخول جهنم، ورؤية هذه الأمور العظيمة، فالنار شديد (شرها وأذاها)^(٤)، عظيم صوتها، يخطفُ الأبصار لهيها، تزفر بحنق وغيظ على العصاة الهاوين بها، متزايد سعيرها، وخمودها امرٌ بعيد المنال على من ولجها، ولا يُهتدى في قرارها لشدة ظلمته، ولعمقه الكبير^(٥)، مُظلمة في كل جوانبها، لا يبرد حميمها أبداً، وكل ما فيها هو مؤلم مروّع، فأَيُّ نار هي؟!.

إنَّ الوصف الذي ذكره الإمام -عليه السلام- يُظهر لنا حقيقة النار المروعة التي لا يمكن للعقل البشري تصورها^(٦)، لذا وصفها بهذا النوع من النعت لإظهار صورة النار بتفاصيلها الدقيقة

(1) نهج البلاغة : ١١٠/١٣ .

(2) ينظر : المصدر نفسه : ٨٣/١ ، ١٠٢/٧ - ١٠٣ ، ١٩٩/١٠ ، ١٦٠/١٦ .

(3) المصدر نفسه : ١١٠/١٣ - ١١١ .

(4) شرح النهج : ١١٣/١٣ .

(5) ينظر : المصدر نفسه : ١١٣/١٣ .

(6) واحسب أنها كائن حيّ على وجه الحقيقة. ينظر: الصحيفة السجادية الكاملة: علي بن

الحسين -H- : ١٨٥-١٨٦ .

للمتلقي، فكأنه يراها عياناً، وهذا يدفعه للبحث عن طريق الخلاص، ولا سبيل للخلاص منها إلا بالتقوى (فالتقوى هي سبيل النجاة)^(١) وهنا أظهر -عليه السلام- قدرة هذا النوع من النعت على نقل صورة ما وتقريبها بالوصف إلى واقعها الحيّ فضلاً عما لها من جمال خاص.

وبذلك يتبين لنا أن الإمام -عليه السلام- قد استعمل النعت السببي في النهج^(٢)، ولم يرد في النهج فحسب بل إنه ورد في القرآن الكريم^(٣)، فضلاً عن إشارة بعض الدراسات إلى أن هذا النمط من النعت قد شاع في شعر ما قبل الإسلام^(٤)، فإن دلّ هذا على شيءٍ فإيماً يدلُّ على خروج هذا النمط الوصفي عن دائرة الشواهد النحوية إلى الاستعمال اللغوي في كلام العرب^(٥).

-
- (1) تأملات قرآنية حول التقوى : صدر الدين القبانجي : ١٣ .
 - (2) بل إنَّ الإمام -عليه السلام- قد استعمل حالاً سببياً أيضاً. ينظر: نهج البلاغة: ١١١/٢ ، ٧٠/٧ ، ١٣٨/١٦ ، ٣٤/١٨ ، ٢٨٤/١٨ .
 - (3) منها قوله تعالى: ﴿...قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها﴾. «سورة البقرة: ٦٩»، وقوله تعالى: ﴿ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهله﴾. «سورة النساء: ٧٥».
 - (4) ينظر: النعت في الشعر الجاهلي: ٢٤١ .
 - (5) إذ زعم بعضهم أنه لا يخرج عن دائرة الشواهد النحوية قياساً إلى النعت الحقيقي . ينظر: تصنيف الشعر في اللغتين العربية والإنكليزية: ٢٢١ .

المبحث الثاني: سمات النعت عند النحويين

المطلب الأول : المطابقة

من سمات النعت المطابقة بينه وبين منوعته، وهي سمة غالبية في الوصف، وقرينة مُهمّة تُسهم في ارتباط أجزاء السياق بعضها ببعض إذ إنّ لهذه السمة أثراً كبيراً في عملية التماسك السياقي.

وقد اشترط النحاة المطابقة بين النعت والمنعوت في طائفة من المسائل، وجعلوا هذه المطابقة واجبة في النعت الحقيقي^(١)، فإذا فقدت اللغة هذا الشرط «التطابق» اعتراها النقص ولم تجتمع لها أسباب القوة^(٢)، فـ (هي المكوّن الأساس لدلالة النعت الوظيفية)^(٣).
وتتمثل هذه المطابقة في :

الفرع الأول: الإعراب.

الفرع الثاني: التعريف والتذكير.

الفرع الثالث: التذكير والتأنيث.

الفرع الرابع: الإفراد والتثنية والجمع.

وسوف نُفصّل القول في هذه الشروط مع شواهدا في نهج البلاغة.

الفرع الأول : المطابقة في الإعراب

وهي ظاهرة واضحة في العربية بل من أبرز الظواهر اللغوية فيها، ويُعدّ الإعراب من أهم القرائن اللفظية التي يتمُّ بها التمييز بين معاني الألفاظ في السياق اللغوي، فالإعراب (هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ؛ الا ترى أنّك إذا سمعت أكرم سعيداً أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه)^(٤)، ويرى الزجاجي أنّ (الإعراب أصله البيان. يقال: اعرّب الرجل عن حاجته إذا أبان عنها، ورجل معرب أي مبين عن نفسه ... هذا أصله. ثم إنّ النحويين لمّا رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركات تدلُّ على المعاني وتبيّن عنها، سمّوها إعراباً أي بياناً. وكأنّ البيان بها يكون... والإعراب الحركات المبيّنة عن معاني اللغة. وليس كلّ حركة

(1) ينظر: الجمل في النحو: أبو القاسم الزجاجي: ١٣، شرح للمحة البديرة: ٢/٢١٩، المطالع السعيدة:

السيوطي: ٢/٢١٢، جامع الدروس العربية: مصطفى الغلابيني: ٥٣٩.

(2) ينظر: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب: عباس محمود العقاد: ٨٦.

(3) النعت في القرآن الكريم: ٥٦.

(4) الخصائص: ٣٥/١.

إعراباً كما أنه ليس كل الكلام معرباً^(١)، فهو (الحركات اللاحقة آخر المعربات من الأسماء والأفعال)^(٢).

وعني الثعاة بإيضاح سبب وجود الإعراب في الكلام، إذ ليس وجوده في الكلام اعتباراً وإنما أتى به للفرق بين المعاني وإذا أخبرت عن الاسم بمعنى من المعاني المفيدة احتيج إلى الإعراب ليبدل على ذلك المعنى^(٣)، فحركة الإعراب في الأصل لمعنى، ودلالاتها حينئذ على معنى المعرب ذات فائدة^(٤).

فإن قولهم الإعراب ما اختلف آخره به ليبدل على المعاني المعتورة عليه هو بيان لعلّة وضع الإعراب في الأسماء^(٥)، فالرفع علم العمدة، والنصب علم الفضلة، والجر علم الإضافة^(٦).

إن اهتمام النحاة بالإعراب ناشيء من كونه قرينة مهمة من قرائن الجملة، تعين على جلاء معناها، وتتضافر مع قرائن آخر في إحكام العلاقات المتشابكة التي تربط أجزائها^(٧)، ليتكامل التصور الدلالي للسياق.

ويقتضي بموجبها أن يكون هناك تطابق بين النعت والمنعوت^(٨) في الحركة الإعرابية، رفعا ونصبا وجرأ، مثال ذلك: «هذا رجلٌ عالمٌ»، و«تبعْتُ رجلاً عالماً»، و«تتلمذتُ لرجلٍ عالمٍ».

ومما ورد في نهج البلاغة من أمثلة المطابقة في العلامة الإعرابية «الضمة»، قوله^(٩) -عليه السلام- : (هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةَ بِأَهْلِهَا)^(١٠).

فقد جاءت «البالغة» نعتاً لـ «المواعظ» وهي نعتٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه «الضمة» لأنّ الصفة على وفق الموصوف في إعرابه^(١١)، والموصوف «المواعظ» مرفوع

(1) الإيضاح في علل النحو: أبو القاسم الزجاجي : ٩١ .

(2) ارتشاف الضرب: ٨٣٣/٢ .

(3) ينظر: المفصل: ١٨، الإيضاح في علل النحو : ١٣٧-١٣٨ .

(4) ينظر: المرتجل: ابن الخشاب: ١٩٧ .

(5) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤٣/١ .

(6) ينظر: المصدر نفسه: ٤٨/١ ، ٤٩ .

(7) ينظر: العلامة الإعرابية في الجملة : د. محمد حماسة عبد اللطيف: ١٥ .

(8) ينظر : التوطئة : ١٦٩ .

(*) وقد سأل الإمام -عليه السلام- همّامٌ، وهو احد أصحابه عن «صفة المُتقين» وعندما أجابه الإمام -عليه السلام- لم يحتمل همّامٌ ذلك، فصُعقَ صعقةً كانت نفسه فيها، أي اغمى عليه ومات .

(9) نهج البلاغة : ١٤٩/١٠ .

(**) وفي رواية أخرى وردت بهذه الصورة (هكذا تصنعُ المواعِظُ البالِغةُ بأهلها؟)، مصباح السالكين: ٤١٣/٣ .

(10) ينظر: المفصل: ١١٦ .

وعلامة رفعه الضمة لإثته «فاعل» للفعل «تصنع»، والرفع علم الفاعلية^(١).

وهنا شخّص الإمام -عليه السلام- المواظ المؤثرة بوصفها بـ«البالغة»، فهي موعظة متصفة بالبلاغ على جهة الثبوت واللزوم، وقد وجدت هذه المواظ «أهلها» -همّاماً- فانتهت به إلى أبعد مديات التأثر وهو (انزعاج نفسه وصعوقها)^(٢)، فنفسُ همّام رقيقة لينة، فقد كان رجلاً (ناسكاً عابداً)^(٣)، ولهذا ضعفت نفسه من خوف الله تعالى ورجائه حتى وصلت إلى درجة (الاستعداد التام للموت عند سماع المواظ البالغة)^(٤).

ونرى كيف اتسقت العبارة، وكيف وجّهت العلامة الإعرابية وجهة الالفاظ في الجملة، فكلّ مفرد له محلّ من الإعراب فيها، فالإعرابُ يعني العلاقة، ولحمة النسب بين الكلمات في الجملة.

ولهذا نظائر أخر في النهج^(٥).

ومّا جاء نعتاً مرفوعاً في النهج قوله -عليه السلام- : (إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَدْوَانٌ مُتَّفَاوَتَانٌ، وَ سَبِيلَانٌ مُخْتَلِفَانٌ)^(٦)، فالنعتان «متفاوتان»، و«مختلفان» جاء صفة لـ«عدوان» و«سبيلان»، ولما جاء المنعوتان مثنيين مرفوعين وعلامة رفعهما الألف طابق النعتان منعوتيهما في ذلك، ويمكن ان يكون «متفاوتان» خبراً لاسم «إن» كما في قوله -عليه السلام- (فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَ أَهْلُهُ طَرِيدَانٌ مَنْفِيَانٌ، وَ صَاحِبَانٌ مُصْطَحِبَانٌ، فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ، لَا يُؤْوِيهِمَا مَوْءٍ)^(٧)، فـ«منفيان» يُمكن أن تكون خبراً ثانياً وهو الأفضل، ويُمكن ان تكون صفة، ونرى أنّ «منفيان» قد تبعت «طريدان» في علامة الرفع، وهي الألف لإثته مثني، كما تبعت الصفة «مصطحبان» موصوفها «صاحبان» المعطوف على «طريدان» في الرفع بالعلامة نفسها للتثنية إلا أنّ المثال الأوّل فيه ميزة أخرى إذ إنّ «الدنيا»^(٨) و«الآخرة»^(٩) لفظان مؤنثان، و«عدوان»^(١٠) لفظ يجوز فيه التذكير والتأنيث، وجاء الضمير في لفظ «متفاوتان» دالاً على تثنية المذكر، فيكون عودُ «متفاوتان» على «عدوان» أفضل لما فيه من جواز التذكير وبذلك تكون العبارة أقوى تطابقاً وشدّة تماسكاً.

(1) المفصل : ١٨ ، ينظر : الآراء الراقية الحديثة في تيسير قواعد اللغة العربية وبيان اسرارها : محمد كاظم المالكي : ١٤٤ ، دلالة الاعراب لدى النحاة القدماء : بتول قاسم ناصر : ٢٢٧-٢٢٨ .

(2) مصباح السالكين : ٤١٣/٣ .

(3) المصدر نفسه : ٤١٣/٣ .

(4) شرح النهج : ١٦١/١٠ .

(5) ينظر: نهج البلاغة : ٥٧/١ ، ١٠٢/٦ ، ٢٨٥/٧ ، ٢١٥/٨ ، ٢٥٧/٩ .

(6) المصدر نفسه : ٢٦٤/١٨ .

(7) المصدر نفسه: ١٠٤/٩، ولم اجد في النعت المفرد الذي جاء مثني مرفوعاً بعلامة الألف الا هذين المثالين.

(8) ينظر: المذكر والمؤنث: المبرد : ٩٥ .

(9) ينظر: المذكر والمؤنث : أبو بكر بن الانباري: ١٧٩ .

(10) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٣ .

وقد استعار الإمام -عليه السلام- في المثال الأول للدنيا والآخرة لفظ «العدو» باعتبار ما يجده طالبهما من البعد بينهما إذ إنَّ عمَلَ كُلِّ واحدةٍ منهما يُضادُّ عمَلَ الأخرى، فالرغبة في الأولى تورثُ حُبَّ البقاء والاستمرار في العيش فيها، فينصرفُ الإنسان عن الثانية، فتحوّل عاشقها إلى طالبٍ نَهْمٍ للحطام لا يشبع ولا يقنع.

أمَّا الرغبة (*) في الثانية فهي التي تخلقُ إنساناً قنوعاً، مُنصرفاً عن كُلِّ ما يُصدِّده عن ذكر الله تعالى فيرضى بالبلغة، ويكدحُ لبناءِ حياته الأخرى وما الدُّنيا عنده إلا دارٌ مجاز، لذا اختلفت سبيلهما.

وقد أخبر الإمام -عليه السلام- في المثال الثاني عن زمانٍ يأتي بعده من صفاته إعراضُ قراء القرآن عن تدبُّر ما فيه والعمل به، وتعامي حفظته عن أوامره ونواهيه، فلا يتبعونها، ولا يلتفتُ أحدٌ من أهل الدنيا له، ولا لمن التزم بالعمل به بل إنَّ أهل الدنيا يؤذون الملازمين له لما يجدون من مخالفة أهوائهم لأوامر القرآن ونواهيه، فهم مطرودون منفيون (فكأنَّ إعراضهم عنهم إبعاداً لهم ونفياً وطرداً)^(١)، وقد اصطحبوا في طريق الله الواحد لا يجدان مؤوا لهم.

ومما جاء نعتاً مرفوعاً في النهج قوله -عليه السلام-: (قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتْنِ، وَ أَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، وَ أَرَزَّ الْمُؤْمِنُونَ، وَ نَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ)^(٢)، وهُنَا النعت «المكذبون» جاء مرفوعاً، وعلامة رفعه «الواو» لإثنه جمع مذكّر سالم مُفردة «مكذب» موافقة للفاعل المنعوت «الضالون» الذي جاء مرفوعاً، وعلامة رفعه «الواو» لانه جمع مذكّر سالم، والرفع بـ«الواو» فرعٌ على الأصل، فإنَّ آثار النحاة تفيد أنَّ الإعراب بالحركات هو الأصل، وما عداها فرع عليها أو نائبٌ عنها^(٣).

وقد ذكر الإمام -عليه السلام- قوماً اتبعوا خُطوات الشيطان، فصدّهم عن السبيل، واستعار «البحار» لما مرّ بالمسلمين من عظيم فتن وحروب، ولما سادت الفتنة اعتزل المؤمنون وأحجموا عن الكلام صابرين على المحنة والعزلة خيفة من شرار الخلق، وعمّ الفساد بنطق أهل الضلالة المكذبين، وفعلهم ما يشتهون بلا رادع ولا وازع.

(*) وهي إحدى دوافع الانسان للعمل ولكنها وحدها ليست كافية، والحديث عن الرغبة الصادقة التي يعرضها العمل.

(1) شرح مصباح السالكين: ٢٠١/٣ .

(2) نهج البلاغة: ١٦٤/٩ .

(3) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ١٥٢/١ .

ولإيصال هذا المعنى استعمل الإمام -عليه السلام- النعت، فدلّ الرفعُ في «المكذبون» على تبعيته وكونه صفة للفاعل «الضالون» ليُبَيِّنَ وصفهم .

ومّا جاء نعتاً مرفوعاً في النهج قوله -عليه السلام-: (فَأَيُّ لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقَ أَنْ أُخْطِيءَ، وَلَا أَمَّنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مَنِّي، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَارَبِّ غَيْرُهُ)^(١)، فلفظ «مملوكون» جاء مرفوعاً وعلامة رفعه الواو، لأنّه جمع مذكر سالم، مفرده «مملوك»، وقد تبع النعتُ في رفعه المنعوت «عبيد» الذي وقع «خبراً» أي مسنداً مرفوعاً للمبتدأ «أنا»، وهو المسند إليه، وقد دلّ الرفع على كون «عبيد» خبراً، كما دلّ على تبعية «مملوكون».

ما الذي يُمكنُ لإنسانِ قوله عندما يسمَعُ شخصاً زاهداً ورعاً مثل علي -عليه السلام- وهو يقول ذلك! هذا هو شأنُ العظماء، فلن ترى عظيماً إلا وهو مُنْهَمٌ لنفسه ولو كان نبياً، فالإيمانُ والإخلاصُ يحتاجان إلى عون الله وتوفيقه، فالإمام -عليه السلام- يدين بالملكية لله تعالى، لأنّ الأرض ومن عليها كلها ملك له سبحانه وحده، والعبْدُ لا يملك شيئاً مع سيّده، فإن أعانهُ على نفسه خلّص إلى الإيمان، وألا فلا يؤمّن من العبدِ الزلُّ، وقد قال ابن أبي الحديد: (فأمّا أن يكون الكلام على ظاهره أو يكون قاله على سبيل هضم النفس، كما قال رسول الله صلى الله عليه واله: «ولا أنا إلا أن يتداركني الله برحمته»)^(٢). وللرفع نظائرُ آخر في النهج^(٣).

ونجد التناوب بالعلامة الإعرابية «الفتحة» في قوله -عليه السلام-: (وَ اللَّهُ لَوْ أُعْطِيَتْ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تُحْتَفِلُ أَفلاكها، عَلَى أَنْ أُعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمَلَةٍ أُسْلِبَهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ)^(٤)، فقد جاء لفظ «السبعة» منصوباً وعلامة نصبه الفتحة لوقوعه نعتاً للفظة «الأقاليم» المنصوبة الواقعة مفعولاً به للفعل «أعطيت»، و(النصب علم المفعولية)^(٥) أي علم الفضلة^(٦)، وقد دلنا النصب على كون المنعوت ليس عمدة إذ إنّهُ لم يقع مسنداً أو مسنداً إليه، ثم تبعه التابع في حركته الإعرابية الفتحة، و (هي الحركة الخفيفة المستحبة التي يهرع إليها العربي ما وجد إلى الخفة سبيلاً)^(٧).

(1) نهج البلاغة: ١٠٢/١١ .

(2) شرح النهج: ١٠٧/١١ - ١٠٨ .

(3) ينظر: نهج البلاغة: ٣٩٢/٦، ٢١٠/٩، ٩٢/١٠، ١٦٣/١٠، ٢٢/١٨ .

(4) نهج البلاغة: ٢٤٥/١١ - ٢٤٦ .

(5) المفصل: ١٨

(6) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤٨/١، معاني النحو: ٢٨/١ .

(7) في النحو العربي -نقد وتوجيه: ٨١ .

يقول -عليه السلام- إني لو أعطي ملك الكون، وما تحت السماء من كائناتٍ، وربماً عني بذلك بني آدم -عليه السلام- على أن يظلم نملة في رزقها اليسير «قشرة شعيرة» لما فعل تلك المعصية، ويريد بذلك أنه لن يظلم أحداً من الناس، فهو لا يرى الكون بما فيه مع غضبة الله شيئاً ويجد العذاب مع مرضات الله خيراً له، فالدنيا لا تمثل مصدر إغراء له لأنه بلغ من الخشية والزهد ان يراها (أهون من ورقة في فم جرادة تفضمها)^(١).

ومما جاء في النهج منصوباً قوله -عليه السلام- : (...ثم إختبر بذلك*) ملائكة المقربين؛ ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين...^(٢)، فقد جاءت لفظة «المقربين» منصوبة وعلامة نصبها «الياء» لأنها جمع مذكور سالم مفرد «مقرب»، وقد وقعت نعتاً لـ«الملائكة»، ودلنا النصب في «الملائكة» على أنه فضلة، فقد وقع مفعولاً به، وكذلك دلنا النصب في «المقربين» على تبعيته لها.

وهنا يذكر الإمام -عليه السلام- اختبار الله تعالى للملائكة بخلقه آدم -عليه السلام- ليُعرف المُطيع من العاصي، فقد ذكر قبل هذا أنه تعالى لبس العزّ والكبرياء واصطفاهما لنفسه، وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده، فإنّ العاصي لأمره منازع له في رداء العزّ والكبرياء، وهذا الاختبار ليعلم الخلق المتواضع من المستكبر إذ إنّه تعالى عالم بخفايا القلوب. ولهذه العلامة نظائر آخر في النهج^(٣).

وقد جاء النعتُ مطابقاً للمنعوت في علامة الجر، ومما ورد في النهج مما تطابق فيه النعت والمنعوت قوله -عليه السلام- : (الجيئ نفسك في أمورك كلها إلى إلهك، فإنك تلجئها إلى كهف حريز، ومانع عزيز)^(٤)، فلفظة «كهف» جاءت مجرورة بحرف الجر «إلى» وعلامة الجر هي الكسرة، والكسرة دليلٌ على كون اللفظ فضلة، وهي هنا «منعوت»، وحينما جاءت لفظة «حريز» مجرورة دلّ الجرُّ فيها على كونها تابعاً للمنعوت «كهف»، فهي صفة مجرورة وعلامة جرها الكسرة، وكذلك جاء النعتُ «عزيز» مجروراً وعلامة جره الكسرة، لأنه نعتٌ لـ «مانع»، وهو معطوف على «كهف».

(1) نهج البلاغة: ٢٤٦/١١ .

(*) اختبار تعالى عباده باصطفاء العزّ والكبرياء لنفسه من دون خلقه .

(2) نهج البلاغة: ١٢٧/١٣ .

(3) ينظر: نهج البلاغة: ٨٣/١ ، ١١١/٢ ، ٢٨٨/٧ ، ١٤٧/١٣ ، ١٥٢/١٣ ، ١٦٣/١٣ .

(4) نهج البلاغة: ٦٤/١٦ .

وهنا ينصح الإمام ابنه الحسن -H- في أن يُخلصَ في توكله على الله، وإن يثق به،
فذلك ادعى إلى استجلاب نصر الله وحفظه، لأنه الحرز الحافظ والمانع من كل سوء ومكروه،
فإذا كانت هذه صفات الله تعالى وجب على العبد أن يرجوه ويتمسك به.

وفي مكان آخر من النهج يقول -عليه السلام- : (مَا لِلطُّقَاءِ وَابْنَاءِ الطُّقَاءِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ
المُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ)^(١)، وهنا جاءت لفظة «المهاجرين» مضافاً إليه مجروراً
وعلامه جره «الياء»، فالجرُّ دليل الإضافة^(٢)، وجاءت لفظة «الأولين» مجرورة وعلامة
الجر فيها «الياء» لانتها جمع مذكر سالم، فدلَّ الجرُّ على أنها تابع لفضلة، فـ«الأولين» صفة
لـ«المهاجرين»، وذكر الأولين هنا صفة للمدح والتفاخر بأنهم أول من لبى نداء الرسول ﷺ
وأول من اطاع فهاجر تاركاً كل شيء خلف ظهره لإعلاء كلمة الحق وازهاق الباطل.

وهنا نجد الإمام -عليه السلام- يُكرِّرُ على معاوية تعرّضه بالمفاضلة بين كبار المهاجرين
الذين سبقوا للإيمان وترتيب درجاتهم وطبقاتهم لإثمه من الطلقاء، وعنى بذلك أنه ليس منهم،
وأته ممن حارب الإسلام وأسير يوم الفتح، ثم أطلقه رسول الله ﷺ مع من أطلق، أي أن قدره
يصغُرُ عن ذلك، فإذا ما قيس بالمهاجرين الأوائل أين سيكون قدره إذن؟! .
وللجرِّ نظائر آخر من النعوت في النهج^(٣).

الفرع الثاني : المطابقة في التعريف والتنكير

صرّح سيبويه قديماً بموافقة بنية النعت بنية المنعوت تعريفاً وتنكيراً، فقال: (إنّ
المعرفة لا توصفُ إلا بمعرفة كما أنّ النكرة لا توصفُ إلا بنكرة)^(٤)، بل إنّ العرب ألزموا
نعت النكرة النكرة وألزموا نعت المعرفة المعرفة^(٥)، وجاء بعده المبرد ليقرر ذلك^(٦)، ووافقه
على هذا ابن السراج^(٧)، فـ(الصفة هي الموصوف فلذلك لم توصف المعرفة بالنكرة)^(٨)، لأن
النكرة «الصفة» هي غير المعرفة «الموصوف»، إذ رأى النحاة أنّ النعت هو المنعوت في
المعنى، وأنهما كالشيء الواحد^(٩)، وأنّ النكرة هي (المشترك بين الشيء وغيره في

(1) المصدر نفسه: ١٨١/١٥ .

(2) ينظر: المفصل: ١٨، معاني النحو: ٢٨/١ .

(3) ينظر: نهج البلاغة : ٣٠٧/٢ ، ٣٠٥/٦ ، ١١٥/١٣ ، ١١٦/١٣ .

(4) الكتاب: ٦/٢ .

(5) الكتاب: ١١٢/٢ - ١١٣ .

(6) ينظر: المقتضب: ١٢٣/٤ ، ٢٩٨ .

(7) ينظر: الأصول: ٢١/٢ ، ٣٢ ، ٢٧١ .

(8) شرح اللمع: العكبري: ٢٠٢/١ .

(9) ينظر: الأصول: ٣٢/٢ ، شرح المقدمة المحسبية: ٤١٥/٢ .

موضعه^(١)، لأنها كل ما علق في أول أحواله على الشيعاء في أمته بحيث يدلّ على واحد لا بعينه^(٢)، والأصل في اللفظة النكرة، أما المعرفة فعارضة فيها^(٣) فالنكرة ما كان شائعاً في جنسه، ففي حين أن المعرفة تعني اللفظ (المختصّ بشيءٍ دون غيره بعلامةٍ لفظية)^(٤)، فهو (ما وضع ليستعمل في واحد بعينه سواء كان ذلك الواحد مقصوداً بالوضع كما في الأعلام أو لا كما في غيرها)^(٥)، فنسبة النكرة إلى المعرفة نسبة الإبهام إلى البيان، ولمّا كانت الصفة هي الموصوف استحال الشيء الواحد ان يكون شائعاً ومخصوصاً^(٦)، وبذلك تختلف الطبيعتان^(٧)، فوقع من هنا الحظر في ان توصف النكرة بالمعرفة أو العكس.

وقد توافق إجماع النحاة مع ما ورد في النهج في لزوم مطابقة النعت منوعته في التعريف والتكثير.

ومن أمثلة تلك المطابقة في النهج قوله -عليه السلام-: (وَ عَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الْآخْرَى وَ هُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الْأُولَى)^(٨)، فلفظة «النشأة»^(٩) منوعتٌ مُعرِّفٌ بـ«أل»، ولذا جاء النعت «الآخري» معرفاً بـ«أل»، وقد كشف النعت عن ماهية هذه النشأة، فحين قال: «النشأة» أشار إلى جنس النشأة بصرف النظر عن الافراد، ثمّ جاء الوصف المحلّي بـ«أل»، ليوضح هذه النشأة بنوعها، فبالنعت «الآخري» ضيق نطاقها، وعيّن نوعها ووضّحها، فالبيان والكشف هو ما يقتضيه وصف المعرّف^(١٠)، فالمعرفة أخصّ من النكرة، وكلما كانت أخص كانت أتم دلالة على المراد، وبهذا تكون المعرفة اقل احتمالاً لغير المراد من النكرة، لـ (أنّ المعرفة ما دلّ على شيء بعينه، والنكرة: ما دلّ على شيءٍ لا بعينه)^(١١).

تعجب الإمام لإنكار الكفار النشأة الأخرى مع لحاظ وجود النشأة الأولى عياناً.

(1) الحدود: الرمانى: ٣٩ .

(2) ينظر: المفصل: ١٩٨، الكافية في النحو: ابن الحاجب: ١٢٩/٢، شرح جمل الزجاجي: ابن هشام: ١٦٢، التعريفات: ٢٦٦.

(3) ينظر: أسرار العربية: ابن الأنباري: ٣٤١، التحفة السنوية بشرح المقدمة الاجرومية: محمد محيي الدين عبد الحميد: ١١١.

(4) الحدود: الرمانى: ٣٨ - ٣٩ .

(5) الكافية في النحو: ابن الحاجب: ١٢٨/٢، ينظر: اللباب في علم البناء والإعراب: العكبري: ٤٧١/١.

(6) ينظر: أسرار العربية: ٢٩٤ .

(7) ينظر: شرح اللمع: العكبري: ٢٠٣/١ .

(8) نهج البلاغة: ٣١٥/١٨ .

(9) وتعني «البعثة». لسان العرب: ١٧٠/١ «نشأ» .

(10) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٨٢ .

(11) البرهان الكاشف: ١٣٣ .

والنشأة الأولى هي المرة الأولى من الإنشاء، وهي الابتداء للخلق^(١)، أما النشأة الأخرى فهي الإعادة بعد الموت، وكان الكفار ينكرونها، لذا قالوا ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٢) فأشار الله تعالى إلى غفلة الإنسان بقوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾^(٣)، وذكرهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٤)، ومن هنا يعجب الإمام -عليه السلام- من إنكار المنكرين لما يراه واضحاً بأدلة محسوسة^(*)، فمن قدر على الإيجاد من العدم أقدر على الإعادة بعد السكون والموت. فالنشأة الدنيوية ذاتها هي دليل على النشأة الأخروية، إذ لا بد من انطواء صفحة النشأة الأولى المؤقتة، مختومة بالموت، بانفتاح صفحة النشأة الأخرى، التي لا خاتمة لها.

وفي موضع آخر من النهج يخاطب الله تعالى ويدعوه إلى أن يجعل تحياته الجليلة وبركاته المتزايدة (عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ. الْخَاتِمَ لِمَا سَبَقَ، وَ الْفَاتِحَ لِمَا يُغْلَقُ)^(٥)، فنجد هنا أنه -عليه السلام- قد نعت «مُحَمَّدٌ» المُعَرَّفَ بالعلمية بـ «عبدك» المُعَرَّفَ بالإضافة، فوافق النعت منوعته في التعريف، فدل على كشفه -المنعوت- وتوضيحه، فقد ضيق نطاق المعرفة «مُحَمَّدٌ» ﷺ عن طريق تشخيصها عن غيرها من الماهيات المُشتركة معها، فهو المتصِف بالعبودية له تعالى.

ولو تأملنا دلالات تعريف الإضافة في المسند إليه لوجدنا أن «عبدك» تتضمن دلالة التعظيم لشأن المضاف^(٦)، فعبودية الإنسان لله شرف له فضلاً عن أنها أكثرُ شرافةً وكرامةً عند المنعوت لتكاملها عنده، ووصوله بها إلى حقيقتها فضلاً عما تُضيفه مباشرة الخطاب «عبدك» من تثبيت لهذه الحقيقة، وتقدير لعظمة هذا العبد، فتكون دلالة النعت هنا التعظيم^(٧)،

(1) ينظر: منهاج البراعة: الراوندي: ٣١٦/٣ .

(2) سورة يس: ٧٨ .

(3) السورة نفسها: ٧٩ .

(4) سورة يس: ٧٨ .

(*) ذلك أن الله تعالى خلق الإنسان وزوده بالمدارك والحواس وأسباب التفكير والمعرفة، وأوجده في هذه الدنيا، ليعيش قساوتها، وتعتصره مرارتها، ويكدح فيها، وقد حدَّ من اختياراته بتكاليف وضعها عليه، فحكمة الخالق تقتضي أن يكون ثمة غاية من خلق الإنسان، وإلا كان خلقه مع هذه المشقات والتكاليف لغواً وعبثاً، فلا بدَّ من أن تكون هناك حياة أخرى، كذلك إن الحكمة والعدل الإلهيان يقتضيان إثابة الممتثل لأوامره، ومعاقبة العاصي وهو أمرٌ غير مُتَّحَق في هذه النشأة الدنيوية.

(5) نهج البلاغة: ١٣٨/٦، ينظر: ص ٤٠-٤١ من هذا البحث.

(6) ينظر: جواهر البلاغة «ط ١٢»: ٥٧.

(7) قد تأتي الصفة (لمجرد المدح). البرهان الكاشف: ١٤٤، وقد تدل على المدح والتعظيم. ينظر: الكتاب: ٦٥/٢.

ثم إنَّ في تعريف النعت مطابقة للمنعوت دلالة تقرب فقد خصّه بآته عبد الله تعالى وحده، فكأنّه بهذا يدعو الله لأن يراعي عبده الذي خلقه وكتفه تحمل مسؤولية الدعوة الإسلامية العظيمة التي لا يحتملها احد سواه ﷺ، وقد عطف على «عبدك» «رسولك» والصفة المعطوفة أيضاً معرفة بالإضافة وتعني المُشرف برسالتك. ثم ذكر النعت «الخاتم» وما عطف عليه، وهما مُطابقان للمنعموت «مُحمَّدٌ ﷺ» لِتعرّيفهما بـ «أل»، ونلاحظ أنّ الإمام -عليه السلام- رتب الصفات بحسب الأولوية، فالعبودية لله أولاً، ثم التكليف بالرسالة ثانياً، ثم الختم بها ثالثاً، فهو عبد الله قبل كل شيء، فشرفه بالرسالة لصفاته، وقربه منه تعالى، وقدره على حمل مهام الدعوة، ثم ختم به سلسلة الرسل والأنبياء ليزيده كرامة ورفعة بهذا، لأنّه آخر من شرفهم تعالى بخطابه وقيادة عباده إلى سبيل الكرامة والسعادة.

والإمام -عليه السلام- يطلبُ من الله تعالى ان يُصَلِّيَ على النبي -ﷺ- بأعظم صلواته وأماها بركة لاستحقاق الرسول ﷺ ذلك بسبب اتصافه بهذه الصفات. ولهذا النعت نظائر كثيرة في النهج^(١).

أمّا في بنية التتكير فإننا نجد في نهج البلاغة هذه الظاهرة واضحة في كثير من المواضع، ومن المعلوم أنّ نعت النكرة يُفصي إلى نوع من التخصيص في المنعوت، ففي قوله -عليه السلام- : (أما إنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي دُلاًّ شامِلاً، وَ سَيَفًا قَاطِعاً)^(٢)، نجده -عليه السلام- قد وصف الدلّ بآته دلّ شامل، وهذا يعني أنّ هذا النوع من الدلّ لا يقتصرُ على فئةٍ مُعيَّنة وإنّما يشملُ الجميع ويعاني منه كلّ المسلمين بعد أميرهم. أما وصفُ السيفِ بآته قاطعٌ؛ فإنّه يدلُّ فيما يدلُّ عليه أنّهم سيلقون القسوة والشدة متمثلةً بالسيف القاطع، ونكر الصفة للتهويل، وزيادة الإبهام على الرغم من أنّها خصصت السيف بهذه المزية، فسيلقون ظالماً لا يتوانى عن قطع رؤوسهم، فلا يجدون راحة ولا أماناً ولا كرامة من بعد الإمام -عليه السلام- في مستقبل أيامهم.

وهناك ألفاظٌ مُبهمَةٌ لا تتعرف مثل «غير»، و«مثل» وقعت نعوتاً في نهج البلاغة، وهي ألفاظٌ موعلة في الإبهام كما أشار سيبويه، فهو يرى أنّ «غير» لا تتعرف بالإضافة وإنّ أضيفت إلى معرفة^(٣)، وكذلك «مثل» لا تتعرف بالإضافة عنده^(٤)، ونظير رأيه ما ذهب إليه

(1) ينظر: نهج البلاغة: ٢٠٤/٢، ١٦٨/٥، ٢٦٤/٦، ٤١٩/٦، ٤٣٧/٦، ١٣٧/١٣، ٧٢/١٩.

(2) المصدر نفسه: ١٢٩٧/٤.

(3) ينظر: الكتاب: ٤٢٣/١.

(4) ينظر: المصدر نفسه: ٤٢٣/١.

المبرد^(١)، فـ «غير» لفظٌ مبهمٌ (ملازمٌ للإضافة والإبهام)^(٢)، ولا يكون إلا نكرة، ولا يجمع، ولا يدخله الألف واللام^(٣)، ولا يتعرّف بالاضافة لشدة إبهامه^(٤)، ويكون (وصفاً للنكرة)^(٥)، فإذا وقع بين ضدين ضعف إبهامه^(٦).

وعدها أحد الباحثين نكرة إذا كان منعوها نكرة ومعرفة إذا كانت تابعة لمعرفة، وكانت هناك قرينة تدلُّ على أنّ المراد مُغايرة خاصة^(٧).

وقد وردت «غير» مضافة إلى النكرة، إذ جاء منعوها نكرة في قوله -عليه السلام-: (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَ أَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ)^(٨)، فقد نعت «حراماً» بـ «غير مجهول»، وقد أفاد النعت تخصيص المنعوت، فالحرام غير المجهول أمرٌ عام، فأسهمت الصفة في تحديد هذا الجزء وإخراجه من غيره، ونظيره النعت «غير مدخول»، فقد أفاد تخصيص النكرة «حلالاً»، وقد استعملت «غير» «نكرة» على وجه التطابق مع منعوها، والذي أكد تنكيرها مجيء متبوعها نكرة، وكذلك مجيئها مضافة إلى نكرة، وهذا ما عليه النحاة.

وقد ذكر الإمام -عليه السلام- هذا الكلام بعد أن أمر بلزوم الفرائض من العبادات والحفاظ عليها، ويقصد به أنّ الله سبحانه وتعالى لم يكلف الإنسان أمراً أعلى من طاقته، إذ لم يكلفه شيئاً مبهماً عليه، فلا يعرف ما أحله ممّا حرّمه، فالحرام معلومٌ المعالم للمكلف (بل هو في غاية الوضوح)^(٩)، والحلال كذلك «غير مدخول» (أي لا عيب فيه ولا شبهة فلا عُذر لمن تركه)^(١٠)، لأنّ التكليف بالمبهم محال عقلاً.

أمّا إذا كان المنعوت معرفه فتكون «غير» معرفة لإضافتها إلى محصل متميز غير مبهم ومنه اكتسبت هذا التعريف، كما في قوله -عليه السلام-: (وَ قَطَعَ*) يَدَ السَّارِقِ وَ جَلَدَ الزَّانِيَّ غَيْرَ الْمُحْصَنِ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفِيءِ...)^(١١) وهنا نجد الإمام -عليه السلام- قد نعت «الزاني»، وهي لفظة معرفة بـ «غير المُحصن»، فأفادها النعت كشفاً وتوضيحاً، ففهم بالصفة موضع وقوع

(1) ينظر: المقتضب: ٢٨٩/٤ .

(2) الإتيان: ٢٠٨/٢ .

(3) ينظر: الكتاب: ٤٧٩/٣ .

(4) ينظر: مغني اللبيب: ابن هشام: ٣١٧/١ .

(5) المصباح المنير: الفيومي: ٥٤/٢ «غير» .

(6) ينظر: المحيط: الفيروز آبادي: ٤٢٢ «غير»، ينظر: شرح الأشموني: ٤٦٤/٢ .

(7) ينظر: النعت في القرآن الكريم: ١٧٣ .

(8) نهج البلاغة: ٢٨٨/٩ .

(9) مصباح السالكين : ٣١٩/٣ .

(10) المصدر نفسه : ٣١٩/٣ .

(*) رسول الله ﷺ .

(11) نهج البلاغة : ١١٢/٨ .

الحد، فالجلد على غير المتزوج، اما المحصن فحدّه يختلف إذ يُحدّ بالرجم، فوضحت الصفة هنا من يقع عليه الحد حصراً دون غيره.

قال الإمام -عليه السلام- هذا في تخطئته للخوارج في تكفيرهم الأمة الإسلامية إذ يذكرهم هنا بحجة من الحجج عليهم، وهي أنّ الرسول ﷺ أقام الحد على السارق فقطع يده، وجلد الزاني «غير المتزوج»، ثم أجرى عليهما حكم الإسلام من المناكحة والميراث، وغير ذلك، وهذا يعني أنّ الذنب(*) يوجب الفسق دون الكفر، والسير على سنة النبي ﷺ هو ما ينبغي للمسلمين عمله إذ هو الحجة والدليل، وقد عضدّ قوله -عليه السلام- بالحجة لـ (انّ الحجّة البرهانية اقوى دليلاً وأكثر شمولاً، وألطف استدعاءً، بل وأحق أن تتبع)^(١).

وقد جاءت لفظة «مثل» مضافة إلى معرفة، وهو ضمير مخاطبين على صيغة الجمع، وجاء منعوتها نكرة جمعا أيضاً، وذلك في قوله -عليه السلام- : (مَا بَالُكُمْ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟ الْقَوْمُ رَجَالٌ أَمْثَالُكُمْ)^(٢).

ونجد الإمام -عليه السلام- قد نعت «رجال» النكرة بـ«أمثالكم»، فأفاد النعت تخصيص هذه النكرة وحصرها في أضيق نطاق دلالي.

وهنا يُظهر الإمام -عليه السلام- حيرته وعجبه من تقاعس جيشه عن حرب جُند الشام^(٣) ويحثهم على القتال وينبههم على أنهم لا يمتازون بشيء من غيرهم، فهم رجالٌ أمثالهم، وأحسب أنّ اللفظة النكرة إذا وقعت صفة يبقى شيء من دلالتها متضمناً في دلالة النعت إذ يشعر السامع من تنكير اللفظ أنه -عليه السلام- يُقلُّ من شأن رجال الشام في «أمثالكم» إذ يبدو لنا أنّ الخوف قد استولى على رجال الكوفة، فرأوهم بصورة أكبر من صورتهم الحقيقية، وقد شجعهم الإمام -عليه السلام- على الحرب في تقليل مستوى هذه الصورة وتصغيرها، وهذا من ظلال الدلالة الأولى أي دلالة النكرة قبل وقوعها نعتاً.

وجاءت «مثل» نعتاً مضافاً إلى ضمير الغائب، وجاء منعوتها نكرة في قوله -عليه السلام- : (كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ!)^(٤) ، وقد نعت هنا «مخلوق» بـ «مثله»، ولم يُفد النعت هنا توضيحاً، وإتّما خصّص المنعوت بهذا، فـ«مخلوق» لفظ عام والنعت حدّ جزءاً منه.

(*) ذنب السارق وذنب الزاني غير المحصن.

(1) المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم: أ. د. محمد حسين علي الصغير: القسم الثاني: ٤١ .

(2) نهج البلاغة: ١١١/٢ .

(3) ينظر: تاريخ الكوفة: السيد حسين بن السيد احمد البراقى النجفي: ٢٩١ .

(4) نهج البلاغة : ٢٣٧/٧ .

بيّن الإمام -عليه السلام- هنا عدم قدرة الإنسان على صفة مخلوق من مخلوقات الله تعالى لعظم القدرة وإحكام الصنّع، ولطيف التركيب، فالوصف محتاجٌ إلى المعرفة أولاً، فإذا عَجَزَ الإنسان عن معرفة ماهية الشيء فهو عن وصفه أعجز، وإذا لم يقدر على صفة المخلوق المدرك بالبصر فلا شك أنّه عاجز عن صفة خالقه الذي لا تدركه الابصار بالضرورة. ولم يرد منعوت «مثل» معرفة في النهج، وبذلك تظل على تنكيرها^(١) على الرغم من اضافتها الى المعرفة، والنهج بذلك يُساوقُ القرآن الكريم^(٢). وللنعت «النكرة» نظائر كثيرة في النهج^(٣).

الفرع الثالث : المطابقة في التنكير و التانيث

إنّ لهذه الظاهرة أهمية كبيرة في الكلام مما دعا بعضهم إلى أن يوصي الخطيب بمراعاتها، وأن يتحفظ بأشكال الألفاظ الدالة على المذكر والمؤنث، فلا يستعمل شكلاً دالاً على التنكير في المعنى المؤنث، ولا شكلاً دالاً على التانيث في المعنى المذكر، و(التنكير والتانيث في المعاني إنّما يوجد في الحيوان، ثمّ قد يتجوّز في ذلك في بعض الألسنة فيعبّر عن بعض الموجودات بالألفاظ التي أشكالها أشكال مؤنثة وعن بعضها بالتي أشكالها أشكال مذكرة)^(٤).

وقد عني النحويون بظاهرة «النوع»، واهتمّوا بدراسة هذه الظاهرة ومعرفتها^(٥)، فهي ظاهرة (مهمّة في النحو إذ يتوقف عليها أشياء كثيرة في تركيب الجملة، ذلك أنّ الجنس اللغوي يجري على منطبق خاص)^(٥).

فالتماسك السياقي يقتضي المطابقة بين أجزاء الكلام من حيث النوع، وكذلك العدد، ويُراعى ذلك في النعت لإثمه من موارد التطابق، فعُدّوها ضابطاً نحوياً فيه، إذ لا يستقيم الكلام إلا بمراعاتها - المطابقة- ، وإنّ إزالتها بين النعت والمنعوت تذهبُ بعلاقتهما وتقضي على الفائدة من التعبير بإزالة المعنى المقصود^(٦).

(1) إلا أن سببويه ذكر ورود معرفة. ينظر : الكتاب : ٤٢٣/١ .

(2) ينظر: النعت في القرآن الكريم: ١٨٥ .

(3) ينظر : نهج البلاغة : ٥٧/١ ، ٨٣/١ ، ١١٣-١١٤ ، ١٧٥/٢ ، ٤٢٥/٦ ، ٤١٣/١٨ .

(4) تلخيص الخطابة: ابن رشد: ٥٦٩، مصطلح التنكير والتانيث-المذكر والمؤنث الحقيقيان: عصام نور الدين: ١٦-١٧.

(*) فقد درسوها ضمن الكتب النحوية، كذلك ألفوا فيها مؤلفات خاصة بها، مثل كتب المذكر والمؤنث للفراء، والمبرد، وأبي بكر بن الأنباري، والتستري، وغيرهم.

(5) دروس في كتب النحو: عبده الراجحي: هامش ص ١٠٨.

(6) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها : ٢١٣ .

ونلاحظ أنّ النهج قد راعى التطابق بين النعت ومنعوتيه في التذكير، حيث نعت الأسماء المذكرة تذكيراً «حقيقياً» بنعوت يُستدلُّ منها على تذكيرها، ومنها قوله -عليه السلام- : (إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلِيِّهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحًا)^(١)، فقد جاء المنعوت «الرجل» مذكراً^(٢) فجاء نعته «الذي» اسماً موصولاً دالاً على التذكير^(٣)، وكذلك المنعوت الآخر «رجلاً» جاء نعتيه «ناصحاً» مُطابِقاً له، فقد ذكر أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري «ت ٣٢٨ هـ» : (أَنَّ فاعلاً إِذَا اشْتَرَكَ فِيهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ دَخَلَتْهُ هَاءُ التَّأْنِيثِ، كَقِيلِكَ: رَجُلٌ قَائِمٌ، وامرأة قائمة... قال الفراء، وأصحابه: الهاء ثبتت في قائمة وقاعدة فرقا بين المذكر والمؤنث...)^(٤).

(1) نهج البلاغة: ١٦ / ١٤٢ .

(2) ينظر: المذكر والمؤنث: المبرد: ٨٤ ، ينظر: البلغة: أبو البركات بن الأنباري: ٦٣ .

(3) ينظر: شرح عمدة الحافظ: ١٤٧ .

(4) المذكر والمؤنث: أبو بكر بن الأنباري: ١٣٩ .

يصف الإمام -عليه السلام- الأشر (*) في حديثه وهو من أبرز قواده بالنصح والإخلاص له، فقد كان -عليه السلام- (شديد الاعتضاد به، كما كان هو شديد التحقق بولايته وطاعته)^(١).

ونظير ذلك قوله -عليه السلام- : (وَ لَقَدْ بَلَّغْنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ، فَيَنْتَزِعُ حَجْلَهَا وَ قَلْبَهَا ... فَلَوْ أَنَّ إِمْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَ بِهِ عُنْدِي جَدِيرًا!)^(٢)، فقد ورد النعت «مُسْلِمًا» مُذَكَّرًا مُسَاوِقًا لِلْمَنْعُوتِ «امْرَأً» المذكر^(٣).

ونشعر عند قراءة هذا الكلام أو سماعه بصادق توجع الإمام -عليه السلام- -مِمَّا يَقَعُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي عَهْدِهِ، فَبَعْدَ أَنْ أَغَارَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَاعْتَدُوا عَلَى أَهْلِهَا، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُمْ حَتَّى الْمَرْأَةُ مُسْلِمَةٌ كَانَتْ أُمَّ ذَمِيَّةٍ يَرَى أَنَّ لَا لَوْمَ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَحْزُونًا مِنْ فِدَاخَةِ الْخَطْبِ بَلْ يَرَى أَنَّ ذَلِكَ جَدِيرٌ بِهِ.

وفي النهج نظائر أُخْرٍ لِلنَّعْتِ الْمَذْكُورِ تَذْكَيرًا حَقِيقِيًّا^(٤).

ويلحظ أنه ينعت الأسماء المُذَكَّرَةَ تَذْكَيرًا مجازيًا بنعوتٍ تدلُّ على تذكيرها، وبذلك تحدث العلاقة بينهما والربط الدلالي كما في قوله -عليه السلام- : (وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَ يَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْتَبِعُ مِنْهُ وَ يَمَلُّهُ، إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً؛ وَ إِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ، ... وَ فِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَ السَّلَامَةُ)^(٥)، فقد جاء بالنعت «المَيِّتِ» مُذَكَّرًا لِيُطَابِقَ الْمَنْعُوتِ «الْقَلْبِ» الْمَذْكُورِ^(٦)،

يصف الإمام -عليه السلام- حُبَّ الْإِنْسَانِ لِلْحَيَاةِ عَلَى مَا فِيهَا مِنْ آلامٍ وَأَحْزَانٍ وَكَرْهَهُ لِلْمَوْتِ، (وَقَدْ اسْتَنْتَى الْحَيَاةَ مِمَّا يُشْتَبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّ، ثُمَّ عَلَّلَ عَدَمَ مَلَالِ الْحَيَاةِ بِفَقْدَانِ الرَّاحَةِ فِي الْمَوْتِ)^(٧)، ويرى -عليه السلام- أَنَّ حُبَّ الْإِنْسَانِ لِلْحَيَاةِ حِكْمَةٌ إِذْ لَوْ لَا الْأَمَلُ لَمَا اسْتَطَاعَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجِدَ

(*) الأشر النخعي: هو مالك بن الحارث النخعي المعروف بالأشتر، أمير، من كبار الشجعان، أدرك الجاهلية، وسكن الكوفة، وشهد اليرموك، وذهبت عينه فيها، وشهد يوم الجمل، وأيام صفين مع علي -عليه السلام-، وولاه «مصر»، فقصدها فمات في الطريق «ت ٣٧ هـ». الاعلام: خير الدين الزركلي: ١٣١/٦، ينظر: أعيان الشيعة: محسن الأمين: ٢٢٤/١٣-٢٢٩.

(1) شرح النهج: ١٤٤/١٦.

(2) نهج البلاغة: ٧٤/٢.

(3) ينظر: المذكر والمؤنث: أبو بكر بن الأنباري: ٩٠.

(4) ينظر: نهج البلاغة: ٣١٢/١، ١٣٨/٦، ٢٧٧/٧، ٢٦١/٩، ٩٩/١٠، ٦٨/١٦.

(5) نهج البلاغة: ٢٨٧/٨.

(6) ينظر: مختصر المذكر والمؤنث: المفضل بن سلمة: ٥٤، والقلب هو (مضغعة من الفؤاد مُعَلِّقَةٌ بِالْبَنِيَانِ وَقَالَ ابْنُ سَيِّدَةَ: الْقَلْبُ الْفُؤَادُ، مَذْكُورٌ، صَرَّحَ بِذَلِكَ لِلْحَيَانِيِّ). لسان العرب: ٦٨٧/١ «قلب»، مصطلح المحايد - المذكر والمؤنث المجازيان: عصام نور الدين: ٤٦.

(7) مصباح السالكين: ١٥٧/٣.

ويجتهد في هذه الحياة، والحكمة (إن أريد بها الاعتقاد كان علماً)^(١)، وفي لسان الشريعة هي العلم النافع في الآخرة فحقيقة الحكمة هي العلم الصحيح، والتدبير المحكم، فالإنسان المُدبّر العالم لا بُدَّ من سلامة قلبه وأنه بهذه الحكمة يصلُ إلى غايته، (واستعار للحكمة لفظ الحياة، ووجه المشابهة كون الحياة بها وجود القلب وبقائه كما أن الحكمة بها بقاء الإنسان وسعادته في الدارين، وكذلك استعار لفظ الميِّت للقلب الجاهل باعتبار أنه غير مطلع على وجوه مصالحه ومفاسده في الدارين غير مهتد لانقناع أو دفع تضرر كالميت)^(٢)، فالحكمة التي عناها - ﷺ - هي عبارة عن المعرفة بالله تعالى وبما في مبدعاته من الاحكام الدالة على علمه الراجعة كلها إلى حكمة الصانع وقدرته وعلمه تبارك اسمه^(٣)، وفيها غنى النفس عن كل شيء وكمالها بها، وسلامة النفوس من عذاب الجهل^(٤)، وأكَّد هذا الغنى بـ «كل» لتشتمل هذه الحكمة أنواع الغنى كلها والسلامة.

وممَّا ورد في النهج مذكراً تذكيراً مجازياً قوله - ﷺ - : (وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا تَالِيَهُمَا)^(٥)، فالنعت «واحد» مذكّر تابع للمنعوت «بيت» وهو مذكّر مجازي^(٦)، فقد جاء بنعت يُستدلُّ منه على تذكير المنعوت.

إنَّ البيت الذي ذكره - ﷺ - هو البيت الذي وُلِدَ فيه الإسلام، وكان المنطلق الذي انبثق منه إلى مداه الواسع الرحب. وإنَّ استعماله - ﷺ - النعت «واحد» للمنعوت «بيت» جاء ليخصَّص هذا البيت - بيت النبوة - بهذه الفضيلة، ويؤكد وحدته في فضيلة الاجتماع على الإسلام فضلاً عن الإسلام نفسه في حين كان الناس من حوله يعيشون الجهل والضلال والشرك بالله^(٧)، وقد جاء هذا القول في أثناء ذكره فضائله - ﷺ - مؤكداً فضيلة ملازمته لرسول الله ﷺ وتصديقه ومشاركته في أحداث الإسلام المهمة وأسبقيته^(٨) في الإسلام وفي ذلك من الفضيلة ما لا يخفى، حيث أنَّ السابق إلى تغيير فكرة اجتماعية - دينية مُترسخة في مجتمع كافر إلى أخرى مُغايرة بل مُعاكسة تقع عليه أعباء هذه

-
- (1) الحدود - المعجم الموضوعي للمصطلحات الكلامية: قطب الدين أبو جعفر محمد النيسابوري: ٨٠.
(2) مصباح السالكين: ١٥٨/٣-١٥٩.
(3) ينظر: الدين الإسلامي بحث في الأصول والمبادئ: السيد حسن علي القبانجي: ٣٦٧-٣٦٨، تأملات في النص القرآني: عبد الأمير زاهد: ١١٦-١٢٠.
(4) ينظر: مصباح السالكين: ١٥٨/٣-١٥٩.
(5) نهج البلاغة: ١٩٧/١٣.
(6) ينظر: المذكر والمؤنث: المبرد: ١٠٠-١٠١، المذكر والمؤنث: التستري: ٥٥.
(7) ينظر: تاريخ الطبري: الطبري: ٤٢٠/٣.
(8) ينظر: مناقب علي بن ابي طالب - ﷺ -: ٣٢٠، المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري: ١٣٦/٣، بحث حول الولاية: محمد باقر الصدر: ٥٢-٥٥.

العملية، ولا بُدَّ له من مواجهة المشاقِّ والمصاعب الجسيمة، وتقريب الله تعالى لهم يُشعرنا بمدى الجهد الكبير الذي يبذله السابقون إليه، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ

﴿٢﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣﴾﴾^(١) ومن هنا جاء تأكيدُه -عليه السلام- اجتماعهم في بيت واحد للدلالة على هذه

الفضيلة، والدلالة على أن هذا البيت كما هو واحد، فإن ساكنيه تتحقق فيهم هذه الصفة، وهي الوحدة في الإسلام والإيمان والنسب وشدة التقارب في الروح والعقل والمواقف.

ولهذا النعت نظائر أحر في النهج^(٢).

ونجد اهتماماً واضحاً في مراعاة المطابقة بين النعت والمنعوت في الأسماء الدالة على

التذكير والتأنيث، إذ إنَّ النعت يأتي ليدلَّ على تذكير المنعوت وربطه به دلاليًا.

ومن أمثلة ذلك قوله -عليه السلام-: (وَإِنِّي لَعَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي؛ وَمِنْهَا جَاءَ مِنْ نَبِيِّي، وَإِنِّي لَعَلَى

الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الْفُطُةُ لِقَطَا)^(٣)، فقد ورد لفظ «الواضح» هنا نعتاً مذكراً على زنة «فاعل» دالاً

على التذكير، وقد جاء نعتاً لـ «الطريق»، وهو ممَّا يذكر ويؤنث،

(تقول: «هو الطريق»، و«هي الطريق»...) ^(٤)، فدلَّ النعت على تذكيره، فهو من المنعوتات

المجازية، فإذا ما نُعتت يكون النعت عماداً في كشف دلالتها من حيث التذكير والتأنيث بيد أن

(التذكير فيه أكثر وأجود، وبذلك نزل القرآن)^(٥)، وقد ذكَّر الإمام -عليه السلام- نعت الطريق في ما

يزيد على الثمانية مواضع^(٦) ففي حين أنتها

(1) سورة الواقعة: ١١، ١٠، ١٢.

(2) ينظر: نهج البلاغة: ١٤٦/٦، ٣٠/٧، ٨٢/١٠، ١٥٦/١٣، ٨٩/١٥، ٢٧٦/١٨.

(3) نهج البلاغة: ٧١/٧.

(4) المذكر والمؤنث: المبرد: ١١٥، ينظر: مختصر المذكر والمؤنث: ٥٦.

(5) المذكر والمؤنث: أبو بكر بن الأنباري: ٣٤١.

(6) ينظر: نهج البلاغة: ٧١/٧، ٢٨٥/٧، ١٠٤/٩، ١٧٥/٩، ١٧٥/٩، ٢٦١/١٠، ٨٥/١٦، ١٨١/١٩.

في موضعين^(١)، وبهذا تكون الغلبة للتذكير على التأنيث في هذه اللفظة من كلام الإمام والنص القرآني معاً.

وقد قصد الإمام -عليه السلام- في قوله آتاه معتمد على كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ فيما يقول ويفعل، وأراد بقوله: «أَلْفُطَةُ لَقْطًا» (أَنَّ الضلال غالب على الهدى)^(٢) وآتاه (يستخرج الهدى من بين الأضاليل ويُميّز الحقَّ عن الأباطيل)^(٣)، فقد كان سلوكه -عليه السلام- في النهج (كما يسلك الإنسان طريقاً دقيقة، قد اكتنفها الشوك والعوسج من جانبيهما كليهما فهو يلتقط النهج التقاطاً)^(٤)، فالطريق واضح عنده -عليه السلام-، وهو أقدر الناس على السير فيه، على الرغم من ازدحام الضلالة على هذا الطريق مبتغية في ذلك اخفاء معالمه على السائر فإنها لا تقوى على ذلك، فقد دلنا على فشلها في مبتغاها - فيما يخص الإمام - فشلاً ابدياً وإنَّ إيرادَه -عليه السلام- لفظة الواضح في هذا الموضع دلّت على الصفة المُشَبَّهة^(٥) من حيث المضمون للدلالة على ثبات الوضوح صفة لهذا الطريق، الذي يؤكد الإمام -عليه السلام- ثباته عليه بـ«ان»، و«اللام» في خبرها، ويبدو لنا أن في الطريق الواضح معنى آخر زيادة على ما أگده من تملكه البيّنة من الله تعالى، والمنهاج السديد من النبي، وملازمتها، إذ نلمح فيهما^(*) قدرته العقلية الفائقة التي تأتي عنصراً ثالثاً لتكتمل الأركان الثلاث في تمييز طريق الحق، إذ لا تجتمع هذه الأركان في غيره، وبهذا لا يمكن لإنسان غيره أن يقوم مقامه.

وقد وافق استعماله نعت الطريق مذكراً استعمال القرآن، فقد قال تعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾^(٦)، فالوضوح المذكور يعبر عن استقامة المنهج ودقة تحري الفعل الموافق

لروح السنة المأثور عن رسوله ﷺ، فكانه لا يفعل شيئاً إلا وهو على هدى منه عملاً وعاقبةً

ثم يقول -عليه السلام- في مكان آخر من النهج: (الْيَمِينُ وَالشَّمَالُ مَضَلَّةٌ، وَالطَّرِيقُ الْوَسْطَى هِيَ

الْجَادَةُ...)^(٧)، فقد وصف «الطريق» بـ«الوسطى»، وهي مؤنث «اللاوسط»، وبهذا نجد الإمام

(1) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٣/١، ٢٨٥/٧ .

(2) شرح النهج: ٧٦/٧ .

(3) في ظلال نهج البلاغة: ٩٧/٢ .

(4) شرح النهج: ٧٦/٧ .

(5) ينظر: الشامل في النحو والصرف والبلاغة والعروض والإعراب: محمد حسن الحمصي: ١٧١ .

(*) في لفظتي: «الطريق» ونعتها «الواضح»، ويؤكد ذلك قوله -عليه السلام- «القطه لقطاً» .

(6) سورة الأنعام: ١٥٣ .

(7) نهج البلاغة: ٢٧٣/١ .

-عليه السلام- قد عامل لفظة «الطريق» هنا معاملة المؤنث تأسيساً على مبدأ المطابقة بين الوصف والموصوف، ونجده قد أورد النعت «الوسطى» على هيئة التفضيل المعرف ليبين دلالة الاطلاق فيه، فدل على انّ الطريق الحق هو أمثل طريق يقتدى ويحتذى فواصل -عليه السلام- للمتلقي معنى مفاده انّ هذا الطريق الذي يخلو من الانحرافات لا يكون إلا الاعتدال على وجه الاطلاق، فالاعتدال المؤسس على العدالة والصدق ائماً هو الطريق السواء الواجب سلوكه مطلقاً إذ لا سبيل للنجاة في غيره فهو «الجادة»، والجادة (هي سواء الطريق...وقيل وسطه، وقيل: هو الطريق الأعظم الذي يجمع الطريق ولا بُدَّ من المرور عليه)^(١) فالطريق الوسطى هي أعظم الطرق، وهي الطريق التي لا بُدَّ من المرور عليها لإتّها السبيل الوحيد^(٢) للجواز إلى الجنّة، والخلص من النار.

وعنى بقوله الوسطى الطريق التي أخذ الله عليهم سلوكها ونصب لهم عليها أعلام الهدى، وميّزها من طريق الضلال، والمراد باليمين والشمال هما كلّ واحد من طرفي الإفراط والتقريط من ذلك الوسط^(٣). فإنّ من انحرف عن هذه الطريق يميناً أو شمالاً فقد انحرف عن الهدى إلى الضلال.

ولربّما جاء الإمام بالوصف مؤنثاً هنا فجعل المنعوت مؤنثاً دلالياً ليحقق الاتفاق السياقي في النص إذ استعمل جملة ألفاظ مؤنثة هي «اليمين، الشمال، هي، جادة» لذا أورد الصفة مؤنثة وعامل الطريق على سبيل التأنيث ليتم التناسب مع بقية الألفاظ الأخر تأنيثاً وفي هذا روعة أسلوبية.

وقال -عليه السلام- في موضع آخر من النهج: (لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ)^(٤)، فذكر الطريق بنعته بـ «الواضح»، ثمّ قال: «التي لا يهلك عليها» فأنته، فكيف ذكره وأنته في عبارة واحدة؟ ويبدو أنّ ابن أبي الحديد قد تنبّه على هذه الالتفاتة، فقال: (لأنّ الطريق يُدْكَرُ ويؤنث، نقول: الطريقُ الأعظم والطريقُ العظمى، فاستعمل اللُّغْتَيْنِ معاً)^(٥)، فلما أراد -عليه السلام- بيان الطريق من حيث هي وحمله لهم عليها وصفها بالمدكر، بعد تأكيد الحمل بالقسم و«قد»، لبيان شدة هذا الوضع، وقوة هذا الحمل ووثاقة الدليل «الإمام» -

(1) لسان العرب : ١٠٩/٣ «جدد» .

(2) قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ «الأنعام: ١٥٣» .

(3) مصباح السالكين : ٣٠٦/١ .

(4) نهج البلاغة : ٢٨٥/٧ .

(5) شرح النهج : ٢٨٧/٧ .

عليه السلام - في دلالتة عليها، فهو كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ اِهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾^(١)،

وكما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾^(٢) فهو سبيل

النجاة الأوحد، ولما أراد بيان الطريق من حيث هي وهلاك الهالك وصفها بالموثت لبيان عدم الثبات على الطريق، والانحراف عن الدليل الأمين، وهذا هو سبب هلاك الهالك إذ إنه كما

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾^(٣)، لذا لم ينف الإمام -عليه السلام- الهالك عن الهالك

بوجود الطريق الواضح والدليل الأمين بل خصه بالهالك لانحرافه هو -الهالك- نفسه، وعنى بذلك أنه لم يأل جهداً في نصحهم وتعليمهم .

ومن هنا استعمل النعت المذكر حيناً، والنعت الموثت حيناً آخر إظهاراً للفارق بين الطريق ودليله من جهة، والطريق والهالك من جهة أخرى، فحينما أراد القوة والثبات وصف بالمذكر، وحينما أراد الضعف والانحراف وصف بالموثت بياناً لهذا الفارق، ولربما تحول من التذكير في الوصف إلى التأنيث بـ «التي» لشد انتباه المتلقي حتى يتأمل في المقال ومضمونه علّه يروعى ويفيء إلى الرشد.

ونظيره لفظ «الريح» في قوله -عليه السلام- : (...ثُمَّ أَنشَأَ سُبْحَانَهُ فَتَّقَ الأَجْوَاءَ، وَشَقَّ الأَرْجَاءَ؛ وَسَكَئِكَ الهَوَاءَ، فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاظِمًا تَيَّارُهُ، مُتْرَاكِمًا زَخَّارُهُ، حَمَلُهُ عَلَى مَثْنِ الرِّيحِ العَاصِفَةِ...) ^(٤)، فنجد الامام ينعت «الريح» بـ«العاصفة»، وهو نعت موثت، لان لفظة الريح «موثثة»^(٥)، وتُذَكَّرُ إذا جاءت بمعنى (الارح والنشر)^(٦).

يقول -عليه السلام- : انَّ الله جلَّ وعلا أوجدَ ماءً في الفضاء الذي خلقه في بدء إنشاء الكون، وإِنَّهُ قد جعل الماء على متن الريح، فاستقلَّ متحركاً عليها إذ صارت الريح حاملة له.

(1) سورة غافر : ٣٨ .

(2) سورة الأنعام : ١٥٣ .

(3) سورة الأعراف : ١٤٦ .

(4) نهج البلاغة: ٨٣/١ .

(5) ينظر: المذكر والمؤثت: أبو بكر بن الأنباري: ٢١٤، المذكر والمؤثت: التستري : ٧٨ .

(6) المذكر والمؤثت: أبو بكر بن الأنباري: ٢١٤، ينظر: المذكر والمؤثت : التستري : ٧٩ .

وينعت - العاصف - «الريح» بنعت مذكر في موضع آخر من النهج في قوله - العاصف - يصف أصحاب محمد ﷺ: (إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبُهُمْ، وَ مَانُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ، خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، وَ رَجَاءً لِلتَّوَابِ) (١).

ف «العاصف» أمّا أن يكون نعتاً لـ «يوم» أو نعتاً لـ «الريح»، وأرى أنها جاءت هنا نعتاً لـ «الريح»، قال أبو بكر بن الأنباري: (ويقال: ريحٌ عاصِفٌ بغير هاء، وعاصِفةٌ، فمن قال: عاصف بغير هاء، قال العُصُوف لا يكون إلا للريح، وهي أنثى، ومن قال: عاصِفةٌ بناه على المستقبل أي تعصف) (٢)، ثم عزّز قوله بما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ (٣) على معنى قد عصفت، وانقطع العصوف.

وقوله تعالى: ﴿وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ (٤) على معنى تعصِفُ إذا أمرها سليمان - العاصف - بإذن الله عزّ وجل (٥).

وقال أبو علي الفارسي: إنّما قال: ﴿وَجَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾؛ لأنه أريد به النسب ولم يُجر على الفعل (٦)، أي معنى ريح عاصِفٌ: ذاتُ عصف، وقال بعضهم: وقال: «عاصِفٌ» بالتذكير؛ لأنّ لفظ «الريح» مذكر (٧).

وقال أحد الباحثين: إنّ نعت الريح جاء في القرآن بالتذكير نظراً إلى اللفظ، ونعتها بالتأنيث نظراً إلى المعنى، لأنّ العرب تقول ريحٌ عاصِفٌ وعاصِفةٌ (٨)، وقد جاء بهما القرآن كما نطق بهما العرب (٩) إلا أنّ قول ابن الأنباري في أنّ لفظة «عاصِفٌ» بمعنى قد عصفت لا يفهم من سياق هذه العبارة، فقد دلّ «عاصِفٌ» على أنّ أصحاب النبي ﷺ تَرقُّ قلوبهم،

(1) نهج البلاغة: ٧٧/٧ .

(2) المذكر والمؤنث : أبو بكر بن الأنباري: ١٥٥ .

(3) سورة يونس : ٢٢ .

(4) سورة الأنبياء: ٨١ .

(5) ينظر: المذكر والمؤنث : أبو بكر بن الأنباري : ١٥٥ .

(6) ينظر: التكملة : أبو علي الفارسي : ٣٤٥ .

(7) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ٢٣٧/٨ .

(8) ينظر: معاني القرآن: الفراء: ٤٦٠/١ .

(9) ينظر: النعت في القرآن الكريم : ١١٠ .

(*) وقد دلّ الجمع في «أعينهم» على قلة هؤلاء الأصحاب، فليسوا هم الأكثرية في العباد، وإنّما هم القلة القليلة النادرة، فهم كالكبريت الأحمر.

ويكون بكاءً شديداً عند ذكر الله تعالى « حَتَّى تَبُلَّ » الدموع صدورهم^(*)، وقد شبه اضطرابهم باضطراب الشجر في يوم الريح العاصف، ويستفاد من الفعل «يميد» التجدد في ميدان الشجر وعملية التجدد هذه مرتبطة بالظرف «في يوم الريح العاصف» أي أنها تقع عند العصف المباشر للريح، ويستمر الميدان في استمراره، فليس ميدان الشجر من ربح عصف وانتهى عصفها إذ إنَّ الانتهاء يعني السكون، والذي أراده الإمام -عليه السلام- هو اضطرابهم وتجده عند ذكره تعالى، وهو أمر يتحقق عند الذكر لدلالة «إذا» على ذلك المعنى، ويشد اضطرابهم عند الذكر حتى أنهم يكادون أن يهلكوا عنده، وكأنَّ أرواحهم تكاد أن تزهر لعظيم خشيتهم منه وكبير رجائهم لثوابه تعالى، وهذا المعنى يفهم من سياق الكلام ولا يخفى ما بين المعنيين من فرق.

ويظهر لنا أنَّ ثمة فرقا بين الريح العاصف والريح العاصفة نلمحه في الاستعمال القرآني لهاتين الصفتين، ففي قوله تعالى: ﴿وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا...﴾⁽¹⁾ نجد أنه قد وصف «الريح» بـ «عاصفة» لإثبات ربح نفع لا ضرر معه، فوظيفتها هي نقل سليمان⁽²⁾ -عليه السلام- في رجوعه إلى حيث يسكن في الأرض المباركة أو في خروجه منها أو في خروجه منها ورجوعه إليها⁽³⁾.

وقد ذكرت هذه الريح في القرآن مرةً بالعصف وأخرى بالرخاوة، ذكر الزمخشري الفرق بين الذكرين، فقال: (فإن قلت: وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة أخرى، فما التوفيق بينهما؟ قلت: كانت في نفسها رحية طيبة كالنسيم، فإذا مرّت بكرسيه أبعثت به في مدّة يسيرة، على ما قال: ﴿غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ﴾⁽⁴⁾ فكان جمعها بين الأمرين ان تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها، مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحكم: آية إلى آية ومعجزة إلى معجزة)⁽⁵⁾، فهي (عاصفة أي شديدة الهبوب)⁽⁶⁾ لشدة سرعتها، في جريها

(1) سورة الأنبياء : ٨١ .

(2) ينظر : الكشف : ١٣٠/٣ .

(3) ينظر : تفسير الميزان : ٣١٥ / ١٤ .

(4) سورة سبأ: ١٢ .

(5) الكشف : ١٣٠/٣ .

(6) تفسير الميزان : ٣١٥ / ١٤ .

بأمره، قال تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾^(١)، والرخاء هي ريح (ليونة طيبة لا تزعزع)^(٢)، ومما يقصد -ﷺ- بيت المقدس الذي وصف الريح الناقلة إليه بالعاصفة، وإثما ذكر أنها عاصفة (لأنّ تسخير الريح عاصفة أعجب وأدل على القدرة)^(٣) مع ليونة الريح، إذا فالريح العاصفة هي الرخاء نفسها ذلك أنّها تخلو من الشرّ والإضرار، وترد في الخير والمنفعة، قال بعضهم: أنّها (كانت في نفسها رخاء طيبة وفي سرعة حركتها كالعاصف)^(٤)، وهنا نلاحظ أنّ وظيفة العاصفة هي نقل الشيء من مكان إلى آخر، وأحسب أنّ الريح إذا وردت في القرآن في أمر الخير كالنقل والمنفعة من غير إضرار هي ريح عاصفة، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾^(٥) فاللواقح هي التي تحمل اللقاح، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فُسْفَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ ﴾^(٦) وإثما يُساق السحاب بالريح العاصفة، وكذلك تُسِيرُ الفلك، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(٧) فتجري بيسر كما قال تعالى: ﴿ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴾^(٨).

ونجده كذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ فالعاصفات عَصْفًا^(٩)، و«العاصفات» جمع مفردة «عاصفة»، فقد (أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهنّ بأوامره فعصفن في مضيهنّ كما تعصف الرياح تخففاً في امتثال أمره)^(١٠)، إذن فالريح العاصفة هي ريح ترد في الخير والمنفعة، وتأتي للدلالة على النقل غالباً.

-
- (1) سورة ص : ٣٦ .
 - (2) الكشاف : ٩٥/٤ .
 - (3) تفسير الميزان : ٣١٥ / ١٤ .
 - (4) الانتصاف «على هامش الكشاف للزمخشري»: الإمام احمد بن المنير الاسكندري: ١٣٠/٣ .
 - (5) سورة الحجر : ٢٢ .
 - (6) سورة فاطر : ٩ .
 - (7) سورة الروم : ٤٦ .
 - (8) سورة الذاريات : ٣ .
 - (9) سورة المرسلات : ١ ، ٢ .
 - (10) الكشاف : ٦٧٧/٤ .

أَمَّا الرِّيحُ الْعَاصِفُ، فَهِيَ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ الْمَهْلِكَةُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمُ فِي

الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِمُ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ

مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾، فنلاحظ ان

الرياح الأولى كانت طيبة أي تتقلهم من مكان إلى آخر لقوتها، ثم جاءتهم الرياح العاصف وهي (الشديدة الهبوب) (٢) المهلكة، وحين أنتهم (من جميع أمكنة الموج) (٣) وظنوا الهلاك في قوله: ﴿

أُحِيطَ بِهِمْ﴾ والاحاطة بهم (كناية عن الإشراف على الهلاك) (٤)، كان الانقطاع إلى الله تعالى في

الدعاء سبيلهم الوحيد للنجاة من هذا البلاء.

ونظيره قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا

يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ...﴾ (٥) فقد شبه ضياع اعمال الكفار وتبددها بالرماد الذي بددته

الرياح العاصف، فهي تعصف به بقوة تقضي على اجتماعه وتهلكه، وبهذا يتبين أنّ الرياح العاصف هي ربح هلاك أو مظنة هلاك، وترد في الشرّ غالباً.

وقد جاءت دلالة الرياح العاصفة في النهج كما جاءت في القرآن، ففي قوله -ﷻ:-

(يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفُلُوتِ... وَتَلَاطَمَ الْمَاءُ بِالرِّيَّاحِ الْعَاصِفَاتِ) (٦)، فإنّ الرياح العاصفات

تُحرِّكُ الماءَ وتتنقل بعض اجزائه من مكان إلى آخر، والتلاطم يحدث نتيجة هذا التحريك الشديد من الرياح العاصفة.

ومنه قوله -ﷻ:- المتقدم (٧) فالماء الجاري محمولٌ على متن الرياح العاصفة، ويظهر

لنا أنّ هذه الرياح تتحرك بسرعة في الأجواء المفتوحة، والأرجاء المشقوقة، فالرياح العاصفة هنا تحمل وتنقل الشيء، ويخلو عملها من الإضرار والإهلاك.

(1) سورة يونس : ٢٢ .

(2) تفسير الميزان : ٣٤/١٠ .

(3) الكشف : ٣٣٩/٢، ينظر: التعبير القرآني: د. فاضل السامرائي: ١٧.

(4) ينظر: تفسير الميزان : ٣٤/١٠ - ٣٥ .

(5) سورة إبراهيم : ١٨ .

(6) نهج البلاغة : ١٨٨/١٠ .

(7) ينظر: نهج البلاغة : ٨٣/١ .

ومما تقدم نصيلاً إلى أنّ الريح العاصف أقوى وأشد من الريح العاصفة فالتذكير أقوى في اللغة^(١)، وأنها ترد في الشرّ غالباً، وتتسم بالخشونة في الطبيعة، فهي ريح هلاك أو مظنة هلاك، كما ترد «العاصفة» في الخير والمنفعة غالباً، وتتسم بالليونة أي القوة من غير اضرار وإهلاك، كما تتصف بحمل الشيء ونقله، ويظهر أنّ السبب في اختلاف الداليتين هو التذكير والتأنيث.

وقد نعت النهج منوعات مؤنثة تأنيثاً «حقيقياً» بنعوت مؤنثة، ومن ذلك قوله -عليه السلام-:
 (وَ لَقَدْ بَلَّغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ، فَيَتَزَوَّجُ حَجَلَهَا وَ قَلْبَهَا...) (٢)، ونلاحظ أنّ الإمام -عليه السلام- جاء بلفظ «المرأة»، وهو «مؤنث» قال المبرد «ت ٢٨٥ هـ»: (فالحَيوان نحو قولك «جارية»، ونحو قولك «امرأة» فاعلم، فإن هذا القبيل هو الذي يُقال له تأنيث الحقيقة...) (٣)، ونعتها بـ «المسلمة»، وهو لفظ مؤنث، فطابق بين النعت والمنعوت. وقد قال الإمام -عليه السلام- ذلك عندما انتهى إليه (أنّ خيلاً لمعاوية وردت الأنبار، فقتلوا عاملاً له، ... فخرج مُغضياً يجرُّ ثوبه، حتى إنتهى الى النخيلة، وأتبعه الناس) (٤)، فخطبهم بهذه الخطبة، فقد أثار حفيظته قتل جيش معاوية الأبرياء من المسلمين وانتهابهم أموالهم حتى ماكان على النساء المسلمات من زينة فضلاً عن نساء أهل الدِّمة.
 ونظيره قوله -عليه السلام-: (وَ مَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي اللَّاتِي أُطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِيَ حَامِلٌ فَتُمْسِكُ عَلَى وَلَدِهَا وَ هِيَ مِنْ حَظِّهِ) (٥)، فقد نعت «إمائي» بـ «اللاتي»، و«الإماء» جمع مفردة «أمة» ، وهي من قبيل جارية وامرأة الذي يقال له تأنيث الحقيقة^(٦)، و(الأمة: المملوكة خلاف الحرّة . وفي التهذيب الأمة المرأة ذات العبودة) (٧)، و«اللاتي» جمع «التي»، وهي اسم موصول دالّ على التأنيث^(٨)، وأكّد التأنيث بإعادته «هنّ» في «عليهنّ» على «اللاتي».

(1) ينظر: الخصائص: ٢٠٧/٢.

(2) نهج البلاغة: ٧٤/٢ .

(3) المذكر والمؤنث: المبرد: ٨٧ .

(4) الكامل: المبرد: ٦٥. روى هذه الخطبة عن عبد الله بن حفص التيمي المعروف بابن عائشة .

(5) نهج البلاغة: ١٤٨/١٥ .

(6) ينظر: المذكر والمؤنث: المبرد: ٨٧ .

(7) لسان العرب: ٤٤/١٤ «أما».

(8) ينظر: شرح عمدة الحافظ: ١٤٧ ، ١٤٨ .

(*) يظهر أنّهنّ لسن كثيرات العدد. فقد جمعهن بـ «الهاء والنون» في «عليهنّ»، و(الهاء والنون للجمع القليل). المذكر والمؤنث: أبو بكر بن الانباري: ٦٨١ .

يُريد -عليه السلام- بقوله هذا من كنّ من إمامه* بالصفة التي ذكرها، ولها ولدٌ أو هي حاملٌ منه، وقسموا تركته (فلتكن أمّ ذلك الولد مبيعة على ذلك الولد، ويُحاسب بالثمن من حصته من التركة، فإذا بيعت عليه عتقت عليه)^(١)، فتكون بذلك من حظّه.

ولهذا النعت نظائر أحرّ في النهج^(٢) .

ونلاحظ أنّ النهج ينعت الأسماء المؤنثة غير العاقلة بنعتٍ دالٍ على تأنيثها كما في قوله -عليه السلام- يصفُ قوماً: (مَضَوْا قُدْمًا عَلَى الطَّرِيقَةِ... فَظَفَرُوا بِالْعُقَبِيِّ الدَّائِمَةِ، وَ الكَرَامَةِ البَارِدَةِ)^(٣)، فقد نعت «العقبى»، وهي لفظ مؤنث تأنيثٌ مجازي^(٤) بـ «الدائمة»، فطابق النعت المنعوت، وكذلك لفظ «الكرامة»، فهو منعوت مؤنث دلّ نعته «الباردة» على تأنيثه.

وقد ذكر ذلك الإمام -عليه السلام- بعد أن عبّر عن رغبته و أمنيته في أن يلحقه الله تعالى بالنبي ﷺ وبالصالحين من أصحابه الذين مضوا متقدمين غير مُعَرَّجِينَ، ففازوا بالجنة، وهي العُقَبِيُّ الحَسَنَةُ الدَّائِمَةُ والكرامة التي (لم تؤخذ بحربٍ ولا عسف)^(٥)، وربّما عنى -عليه السلام- بـ «الباردة» الساكنة والثابتة والملازمة، وهذا يتفق مع النعت المتقدم وهو لفظ «الدائمة»، فعقباهم ثابتة وكرامتهم كذلك لان الكرامة جزءٌ من العاقبة لهم، من هنا نقول ان لفظ «باردة» تعني ساكنة ثابتة، وعند النظر في المعجم العربي نجد ما يعضد هذا القول في معنى هذه اللفظة إذ يقول ابن منظور: (وبرد عليه حقٌّ: وجب ولزم. وبرد لي عليه كذا وكذا أي ثبت...)^(٦)، فـ (معنى بارد: ثابت، من قولهم: ما برد في يدي منه شيء، أي ما ثبت)^(٧)، فعلى المعنى الأوّل يكون قصدهُ -عليه السلام- أن الإنسان يعود في الآخرة إلى ثمرات الجنة البريئة من كدر الأتعاب^(٨)، وعلى المعنى الثاني أنّه يصيرُ حيثُ لا يطرأ عليه في الجنة ما يُغيّرُ نعيمه ومكانتهُ أو يهْدُرُ كرامته فهي ثابتةٌ أبداً، فبعد أن ذكر ثبات النعم ودوامها عامة في العبارة الأولى عاد فخصّص الكرامة بالثبات والملازمة في العبارة الثانية.

(1) شرح النهج : ١٤٩/١٥ .

(2) ينظر : نهج البلاغة : ٢٦٥/١٠ ، ١٧١/١٣ .

(3) نهج البلاغة : ٢٧٧/٧ .

(4) ينظر : مختصر المذكر والمؤنث : ٤٣ .

(5) ينظر : شرح النهج : ٢٧٨/٧ .

(6) لسان العرب : ٨٦/٣ «برد» ، ينظر : مفردات الفاظ القرآن الكريم : ١١٧ «برد» .

(7) المذكر والمؤنث : أبو بكر بن الانباري : ٣٧٣ .

(8) ينظر : مصباح السالكين : ٢٠٢/٢ .

ونظير ذلك قوله -عليه السلام-: (العلمُ وراثَةٌ كريمةٌ، و الأَدابُ حُلٌّ مُجدِّدٌ) (١) فقد نعت «وراثه» وهي لفظ مؤنث بـ «كريمة» ، فالمنعوت «وراثه» فيه علامة من علامات المؤنث وهي «هاء» (٢) فجاء النعت «كريمة» مطابقاً للنعت في التأنيث.

فأراد الإمام -عليه السلام- بقوله الحث على الرضا بما تيسر بعد السعي وبذل الجهد والالتزام يتبرم الإنسان بهذا اليسير الذي رزقه الله تعالى به، فالرضا من أسباب سعادته، وأن العلم يكسبه جميل الذكر بعد وفاته، وقيل: إنّه (فضيلة النفس العاقلة، وهو أشرف الكمالات التي تعتنى بها، وبحسب ذلك كان وراثه كريمة من العلماء، بل كان أكرم موروث ومكتسب) (٣).

وقد استعار للأدب لفظ الحُل (٤) المجدِّد لأنها تُسثر الإنسان كما تُسثرُ الحُل، و (باعتبار دوام زينة الإنسان بها وتجدد بهائه وحسنه وتهذيب نفسه على استمرار الزمان بلزومها) (٥) ذلك لأنَّ الحُلَّة تظهر الإنسان بأجمل مظهر في أعين الناس وكذا الحال للأدب فأنه زينة للمرء تظهره بابهي منظر في عقول الناس ونفوسهم، فالحُلَّة تبلى بالاستعمال وحل الأَداب الشرعية ومكارم الأخلاق لا يُبليها ذلك بل يزيدُها حُسنًا وجمالًا وجَدَّةً . ولهذا النعت نظائرُ أُخر في النهج (٦).

وممَّا ورد من هذه المنعوتات المجازية «من دون علامة تأنيث»، فكان النعت الكاشف الرئيس لدلالاتها لفظة «الدار» التي نُعتت بـ«الباقية»، وذلك في قوله -عليه السلام-: (...قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، وَ الدَّارِ البَاقِيَةِ) (٧) فقد نعت «الدار» (والدار مؤنثة) (٨) بـ«الباقية» وهو نعت مؤنث، فدلَّ على تأنيث الدار.

وهنا أراد الإمام -عليه السلام- بقوله أنَّ أهل الدنيا بعد أن ملكوا الأموال والبنين فيها، وبعد تناحرهم عليها انتقلوا إلى القبور، وهم لا يملكون شيئاً إلا أعمالهم مُفارقين جميع ما امتلكوا فيها.

(1) نهج البلاغة : ٩٣/١٨ .

(2) ينظر : مختصر المذكر والمؤنث : ٤٣ ، المذكر والمؤنث: التستري : ٤٨ .

(3) مصباح السالكين : ٢٤٠/٥ .

(4) و«الحل» جمع مفردة «حُلَّة»، وهي إزارٌ ورداء، ولا يقال لها حُلَّة حتى تكون من ثوبين. ينظر: مختار الصحاح: ١٥١ «حل»، ينظر: لسان العرب : ١٧٢/١١ « حلل » .

(5) مصباح السالكين : ٢٤٧/٥ .

(6) ينظر: نهج البلاغة: ٢٤٤/٨ ، ١٨٩/٩ ، ٢٠٩/٩ ، ٥٨/١٠ ، ١٦٣/١٣ ، ٤٨/١٧ ، ٥٢/١٧ ، ٢٤٦/١٧ ، ٢٧٣/١٨ .

(7) نهج البلاغة : ٢٢٨/٧ .

(8) المذكر والمؤنث : أبو بكر بن الانباري : ٤٠٩ ، البلغة : ٧٧ .

ونظيره قوله في وصيته لابنه الحسن -H-: (وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلُثُهُ)^(١)، فالمنعوت «الأرض» لفظة «مؤنثة»^(٢)، وقد دلَّ النعت «الخالية» على تأنيثها.

يقول الإمام -عليه السلام-: إنَّ ضعفه وكبر سنه دفعه إلى أن يكتب له هذه الوصية قبل أن يحول الموت بينه وبين نصحه، فقال (الشبان يحتمل كل شيء ويقبله سريعاً، بخلاف قلوب المشايخ)^(٣) فقلب الحدث خالٍ من كثير من المعارف ومنها العقائد ولديه القدرة والاستعداد لتلقي ما يُلقى إليه من خيرٍ أو شرٍّ، فيوسم بميسم ما ألقى فيه ويطبّع^(*) عليه (فإنه بمنزلة أرض لا بناء فيها يسهل الزرع فيها)^(٤) فالأرض إذا كانت قابلة لما يُلقى فيها وخالية من الأبنية والزررع أسرع في إخراج ما ألقى فيها نافع أو غير نافع، كما هو حال قلب الحدث، وأراد بالقلب هنا عقل الحدث ونفسه.

ولهذا النعت نظائر آخر في النهج^(٥).

وقد يلمح حالات من عدم الإئتلاف اللفظي بين النعت ومنعوته في بعض سياقات النهج، فتستثنى من المطابقة في التذكير والتأنيث ويمكن ردّها إلى صورتين:

أ- ما ورد على أوزان يستوي فيها المذكر والمؤنث: وهي أوزان مُعينة منها وزن «فاعل»، فقد جاءت لفظة «حامل» نعتاً لـ «امرأة» في قوله -عليه السلام-: (أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلْتِ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصْتِ...، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا)^(٦)، فـ «الحامل» من الأوصاف المشتقة المختصة بالنساء لذا لم تدخل فيها «التاء»^(٧)، و(املصت المرأة و الناقاة، وهي مُملِصٌ: رَمَتْ ولدها لغير تمام)^(٨).

فقد كفَّ أصحاب الإمام -عليه السلام- عن قتال مُعاوية في صَّفين بعد أن أمكنهم الله منه، فشبهم -عليه السلام- بالمرأة التي حملت جنيناً إلى الشهر التاسع، ثمَّ أسقطته ميتاً، وألقته (ألقاء

(1) نهج البلاغة: ٦٦/١٦ .

(2) المذكر والمؤنث: التستري: ٦٠ .

(3) منهاج البراعة: الراوندي: ٩٦/٣ .
(* أي يصير طبيعة لديه.

(4) منهاج البراعة: الراوندي: ٩٦/٣ .

(5) ينظر: نهج البلاغة: ١٦٤/٦، ٤٢٤/٦، ٤٥/٧، ٢٠٠/٧، ١٧٧/١١، ١٣٧/١٣، ٢٢/١٧، ٥٩/١٩ .

(6) المصدر نفسه: ١٢٧/٦ .

(7) ينظر: المذكر والمؤنث: الفراء: ٥٨، مختصر المذكر والمؤنث: ٤٤-٤٥، المذكر والمؤنث: أبو بكر بن الانباري: ١٣٩، شذا العرف في فن الصرف: احمد الحملاوي: ٨٥ .

(8) لسان العرب: ٩٤/٧ «ملص»، ينظر: في التذكير والتأنيث: إبراهيم السامرائي: ٦ .

غير طبيعي، نحو أن تلقيه لسقطة أو عارض يقتضي أن تلقيه هالكاً^(١)، ثمَّ أنَّ هذه المرأة فقدت زوجها، فقضت حياتها بلا زوج كافل، ولا ولد مُسعد، فإذا هلك لم يرثها ابنٌ أو زوج، بل ورثها الأبعد كأبناء العمومة والخوولة.

ومنها وزن «فَعُول» في قوله - عَلِيٌّ -: (... ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، وَ الْقَاصِمَةُ الزَّخُوفِ، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَ تُضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ...)^(٢)، ف «فَعُول» وصفٌ لا تدخله «الهاء» للتأنيث^(٣)، وهو بناءٌ للمبالغة^(٤)، ممَّا يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإن بدا عدم التطابق في اللفظ إلا أنَّ النعت يطابق المنعوت في المعنى.

ويتحدث - عَلِيٌّ - عن هذه الفتنة بعد أن ذكر ظهور فتنةٍ واستفحالها وآثارها السيئة، وبعد أن ذكر أشد أنواع الفتن ضرراً، وهو أن يجعل الحاكم الحكم وراثه في أسرته؛ ثم عطف عليها ذكر هذه الفتنة وذكر أنها تقضي على سلطان الأسر التي حكمت بالوراثة (وسمَّاهـا «رجوفاً» لشدة الاضطراب فيها)^(٥) فهي كثيرة الرجف^(٦)، (وكنى بقصمها عن إهلاك الخلق فيها)^(٧) فهي فتنة كاسرة تسيرُ قُدماً كسير الدبِّي الذي لا يبقي من الزروع شيئاً ولا يذر، وعلى ثوذة كسير الجيوش بعضها إلى بعض، فتزيغ قلوب عن سبيل الحق بعد استقامتها عليه، وتهلك رجالٌ أي تهلك بالمعاصي بعد سلامة منها^(٨). ونلاحظ هذا الإنتقاء غير المتكأف للعبارات في لغته - عَلِيٌّ - في كلِّ خطبة، فنلاحظ هنا هذا التوازي في السجع، وألفاظ السجع إذا جاءت (قليلةً فهي أحسنُ و أرقُ)^(٩).

ولهذا النعت نظائر آخر في النهج^(١٠).

ب- ما جاء مصدراً من النعوت: والنعت «المصدر» (صفة لا تُغَيَّر عن حالها)^(١١)، أي أنَّه يلزمُ حال واحدة هي التذكير فضلاً عن الإفراد، فلا يجري على بنيته أي تغيير عند وصف

(1) شرح النهج: ١٢٧/٦ .

(2) نهج البلاغة: ١٣٧/٩ .

(3) ينظر: المذكر و المؤنث : المبرد : ٦٣ ، المذكر و المؤنث : أبو بكر بن الانباري : ٤٨٦ .

(4) ينظر: شرح عمدة الحافظ : ٦٧٨ .

(5) شرح النهج: ١٤٢/٩ .

(6) ينظر: مصباح السالكين : ٢٢٥/٢ .

(7) المصدر نفسه : ٢٢٥/٢ .

(8) ينظر: المصدر نفسه : ٢٢٥/٢ .

(9) الطراز: ٢٣/٣ .

(10) ينظر: نهج البلاغة : ٥/١١ ، ١١٦/١٣ ، ٨٥/١٦ ، ١٣٨/١٧ .

(11) معاني القرآن: «الأخفش الأوسط» سعيد بن مسعدة: ٢٠٤/١، ٢٠٦ .

المؤنث به، فنقول: هذا رجلٌ عدلٌ، وهذه امرأةٌ عدلٌ^(١). ويرى ابن جنّي أنّ إفراده وتذكيره أقوى من تأنيثه وجمعه لأنها أجناسٌ للمعاني أي أنّها تدلّ على العموم^(٢).

ونجد أنّ النهج استعمل بعض المصادر بهيأة التذكير نعتاً للمؤنث المجازي من ذلك قوله -عليه السلام- : (وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ)^(٣)، فقد استعمل لفظة «سواء»، وهي مصدر على وزن «فَعَالٌ» نعتاً لـ «منزلة»، وهي لفظة مؤنثة، وأراد بها (مستوية)^(٤)، فجاء بصيغة النهي للنص على عدم مساواة المحسن بالمسيء، فهذا التساوي يخرج الإنسان عن نطاق العدالة.

إنّ فيما ذكر الإمام -عليه السلام- أسلوباً من أساليب التربية الذي يُسهم في بناء المجتمع وتهذيبه، وذلك أنّ الإحسانَ إلى المحسنِ يحثّه على زيادة إحسانه ويوجّه المسيء إلى الإحسان فضلاً عن أنّ الإحسان إلى المحسن هو نوع من أنواع العقوبة التي تقع على المسيء لتقصيره فيتحقّق العدل في ذلك المجتمع انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾^(٥).

ولهذا النعت نظائر أخر في النهج^(٦).

الفرع الرابع : المطابقة العددية

وقد راعى الإمام -عليه السلام- التطابق في العدد في صورته الثلاث، وهي : الإفراد، والتثنية، والجمع، وسيرد تفصيلها بالآتي :

جاء المنعوت مفرداً، وكان النعت على وفقه في النهج، ومنه قوله -عليه السلام- : (سَلِّ تَفْقَهُهَا^(٧))، وَلَا تَسْأَلْ تَعْتَنًا؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهُ بِالْعَالِمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَتِّتَ شَبِيهُ بِالْجَاهِلِ)^(٨) فقد جاء اللفظان «المتعلم»، و«المتعتت»^(٩) وهما مفردان نعتان للمنعوتين «الجاهل»، و«العالم» المفردين فطابق النعت المنعوت في إفراده، وهنا ينبه الإمام -عليه السلام- المخاطب على أداء حق

(1) ينظر: المذكر والمؤنث : أبو بكر بن الانباري : ١٣٢ ، الخصائص : ابن جنّي : ٢ / ٢٠٦

(2) ينظر: الخصائص: ٢/٢٠٦-٢٠٧ .

(3) نهج البلاغة : ٤٤/١٧ .

(4) معاني القرآن : الاخفش : ٢٠٦/١ ، في إعرابه الآية: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ من

سورة آل عمران : ٦٤ .

(5) سورة الرحمن : ٦٠ .

(6) ينظر : نهج البلاغة : ٥٤/٤ ، ١٣٨/٦ .

(7) «التفقه» طلب العلم بالشيء وفهمه. ينظر: مجمل اللغة: ٥٠٧ «فقه»، مختار الصحاح: ٥٠٩ «فقه» .

(8) نهج البلاغة: ٢٣٢/١٩ .

(9) التعتت طلب إيقاع الغير في أمر شاق و«المتعتت» هو طالب الزلة المرتقب لها من الآخر. ينظر: مختار

الصحاح : ٤٥٧ «عنت» .

العالم في التوقير والتعظيم، وينهى عن السؤال على طريق الإعانات، وأبان فضيلة التعلم في تشبيهه الجاهل المتعلم بالعالم، كما أبان رذيلة التعنت حين شبه العالم المتعنت بالجاهل، وهذا من خلق العلم وطلابه، فهنا يسن الإمام طريقة في التعامل لمن يحمل العلم ولمن يطلبه في الوقت ذاته.

وقد يأتي النعت مطابقاً للمنعوت في العدد فضلاً عن التوكيد، كما في قوله -عليه السلام-: (وَإِعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَيْتُكَ رَسُولُهُ ... وَ لَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ...) (١)، فجاء لفظ «واحد» نعتاً مفرداً مؤكداً لوحداية المنعوت «إله» الدالة على مفرد، ومخصّصاً له هذه الوحدة، فالواحد يعني (الفرد الذي لا ثاني له من العدد فإله عز وجل الواحد الأول الأحد الذي لا ثاني له ولا شريك ولا مثل ولا نظير) (٢) فالإمام -عليه السلام- ينصحُ ابنه الحسن -H- بالتوحيد ويقيم الأدلة على صحة ما ذهب إليه، ومنها أن جميع الأنبياء والمرسلين دعوا إلى إله واحد لاند له، ولاشريك، فلو كان له شريك -تعالى عن ذلك علواً كبيراً- لأتتكَ رُسُلُ الشريك لتذكرك عليه، فانهدام الرسل يعني انعدام الشريك، لذا هو إلهٌ واحدٌ كما وصف تعالى نفسه في القرآن الكريم (٣)، ثم إن صفة «الواحد» تنفي الشريك والنظير معاً، فلو قال «أله لا شريك له» على سبيل المثال لنفى الشركة له في الالهوية، ولكن قد يكن له نظير في الماهية -إن جاز لنا التعبير- على حين أن استعماله صفة «واحد» نفى فيها الشركة على الصعيدين «الماهية والمقامية» معاً على حدٍ سواء.

وللنعت المفرد نظائر كثيرة في النهج (٤)، ونلاحظ في هذه النظائر المطابقة في المنعوتات والنعت مشتقاً (٥) كان أم جامداً، كـ «الاسم الموصول» (٦)، و«اسم الإشارة» (٧)، ولفظة «ذي» (٨) بمعنى صاحب.

أما مطابقتها في بنية التنثية فقد تجلّت في مواضع معدوداتٍ لا ترقى رقيّ المطابقة في الأفراد أو الجمع، كما في قوله -عليه السلام-: (إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَدْوَانٌ مُتَقَاوَتَانِ، وَسَيِّلَانٌ مُخْتَلِفَانِ،

(1) نهج البلاغة : ٧٧/١٦ .

(2) اشتقاق أسماء الله : ١٤٥ .

(3) قال تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾. «الفرقان : ٢» .

(4) ينظر: نهج البلاغة: ١٤٦/٦ ، ١٣١/١٣ ، ٦٦/١٨ ، ٥٩/١٩ .

(5) ينظر: المصدر نفسه : ١١٣/١ .

(6) ينظر: المصدر نفسه : ٢١٦/٣ ، ٦٢/٧ .

(7) ينظر: المصدر نفسه : ٢٤٧/١ .

(8) ينظر: المصدر نفسه : ٨٦/١ .

فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الآخِرَةَ وَعَادَاهَا^(١)، فقد جاء لفظ «متفاوتان» مثني مرفوع وعلامة رفعه الألف نعتاً للفظ «عدوان» المثني المرفوع، وكذلك النعت «مختلفان» مثني تبع في الرفع منعوته «سبيلان» المرفوع، ويصُحُّ إعراب «متفاوتان» خبراً ثانياً لإسم «ان» والمعطوف عليه.

وأراد الإمام -عليه السلام- هنا الدنيا التي يعيشها الإنسان مقارفاً للمحرمات، ويحيا فيها على حساب الآخرين، وتولي الدنيا يعني الانصراف الكامل إليها، واتخاذها ديناً ومعبوداً وقد وصفهما بالعداوة والتفاوت (لأنَّ عَمَلَ كُلِّ واحدٍ من الدارين مُضادٌّ لِعَمَلِ الأخرى)^(٢).

ولم يُرد الإمام -عليه السلام- الانصراف عن الدنيا بالكُليّة وإنما قصدَ الايتوجه الإنسان إلى ما حلل الله تعالى له فيها، فيقصرُ رغبتهُ عليه، فإنَّ العمل فيها والأخذ منها وفق إرادة الله تعالى هو عينُ ما أمر به تعالى، ثمَّ انه يُعطي الإنسان القدرة على الانتفاع بسبيل الدنيا من دون وقوع تعارض بينه وبين سبيل الآخرة؛ لأن سبيل الدنيا داع للوصول الى سبيل الآخرة، فيكون قصد الإمام -عليه السلام- إن اتباع الهوى في الدنيا يأخذك بعيداً عن الآخرة، فمن تبع هواه سار في الطريق الذي وصفه -عليه السلام- بالعداوة للآخر، فالموازنة بين كفتي الدنيا والآخرة مطلوبة، وهذا دليل تكامل العبد في وجوده الدنيوي.

ونظير ذلك قوله -عليه السلام- في وصف الجراد: (وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرًاوَيْنِ؛ وَأسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرًاوَيْنِ)^(٣)، فقد وصف المنعوت المثني «عينين» بـ «حمرًاوين»، وهو مثني، فوافق منعوته في التثنية، وكذلك النعت «قمرًاوين» جاء موافقاً للنعت «حدقتين» في تثنيته.

يصفُ الإمام -عليه السلام- الجرادَ وما خلق الله تعالى في رأسها من عينين لونهما أحمر، وما أسرج لها من حدقتين، (أ ي جعلهما مضيئتين كما يُضيء السراج)^(٤)، وهنا أراد الإمام -عليه السلام- بوصفه عجيب خلق الجراد، أن يعظ الناس بما يرونه من قدرة الله في خلقها، فينبههم على عظيم قدرته تعالى في خلق هذا الكائن الصغير ليستشعروا الخوف من عذابه الشديد لانه قادر على كل شيء. فإنَّ التفكير في حقيقة هذا الإبداع الذي أبدعه تعالى من حولهم يصلُّ بهم إلى التفكُّر بقدرته وعظمته ومديات سلطانه وقوته، وهذا يدفعهم إلى محاسبة النفس وإقامة

(1) نهج البلاغة : ٢٦٤/١٨ ، ينظر : ص ٥٣ من هذا البحث .

(2) شرح النهج : ٢٦٤/١٨ .

(3) نهج البلاغة : ٦٦-٦٥/١٣ .

(4) (ويقال: حدقة قمرء أي منيرة، كما يُقال: ليلة قمرء، أي نيرة بضوء القمر). شرح النهج: ٦٦/١٣ .

الرقابة عليها خشية الوقوع في المعصية، وهذا جانب عبادي مهم، يُسهم في صناعة الإنسان المؤمن، وكبح جماح النفس الأمارة بالسوء.

إنّ نظائر هذا النعت في النهج قليلة جداً^(١).

ومن صور الجمع «جمع المذكر السالم»، ومن شواهد المطابقة فيه قوله -ﷺ-: (... وأحدركم أهل النفاق^(٢) فإنهم الضالون المضلون، والزالون المزنون)^(٣)، فقد نعت «الضالون» وهو جمع مذكر سالم بـ «المضلون»، وهو جمع مذكر سالم أيضاً، ونظيره نعت «الزالون» بـ «المزلون»، فالنعت والمنعوت متوافقان في صورة الجمع، ويجوز أيضاً أن يُعرب «المضلون» خيراً ثانياً لاسم «إنّ». والنفاق مرض اجتماعي فادح بل ينظر إليه على أنه من أمهات الرذائل الاجتماعية، فالمنافق كالمريض يحمل المرض وينشره بالأوساط التي لا تحملُ المناعة من المرض، فإنّ المنافقين هم «الضالون» (أي المنحرفون عن سبيل الله لعدم الاهتداء إليها، المضلون لغيرهم عنها بالشبهات الباطلة وكذلك الزالون المزنون)^(٤)، فالمنافق «مخطيء»^(٥) ولا يرضى بذلك، فيعمد إلى أن يُزلّ معه غيره مُصراً على ذنبه.

ويبدو أنّ انتشارهم في ذلك الوقت هو الذي دعا الإمام -ﷺ- إلى أن يُحذّر الناس من هؤلاء المفسدين، وأن يوضّح لهم صفاتهم الخبيثة، حتى يرعوا ويتخذوا الحذر سبيلاً كيما يقعوا في المحذور.

ونظيره قوله -ﷺ-: (وَ قَدْ عَرَفَ حَقَّهَا^(*) رَجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ)^(٦)، فقد نعت لفظة «المؤمنين»، وهي جمع مذكر سالم بـ «الذين»، وهي «اسم موصول» (وجمع الذي)^(٧)، وينعتُ به ما (كان مذكراً)^(٨) من الأسماء.

ونبّه الإمام -ﷺ- الناس على عظمة الصلاة بذكر عرفان رجال من المؤمنين بقدرها^(٩)؛ وهؤلاء (هم الموصفون في الآية)^(١٠) بعد أن أوصاهم بالمحافظة عليها،

(1) ينظر: نهج البلاغة: ٢٦٤/١٨ .

(2) النفاق هو (الدخول في الإسلام على وَجْهٍ والخروج عنه من آخر). لسان العرب: ٣٥٩/١٠ «نفاق».

(3) نهج البلاغة: ١٦٣/١٠ .

(4) مصباح السالكين: ٤٢٨/٣ .

(5) ينظر: لسان العرب: ٣٠٦/١١ «زلل» .

(*) الصلاة .

(6) نهج البلاغة: ٢٠٢/١٠ .

(7) شرح عمدة الحافظ: ١٤٨ .

(8) المصدر نفسه: ١٤٧ .

(9) ينظر: مصباح السالكين: ٤٦٤/٣ .

(10) ينظر: المصدر نفسه: ٤٦٤/٣ .

(*) قوله تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ «سورة النور: ٣٧».

والمذكورون هم الذين وجدوا حلاوة الإيمان بالله، وعقلوا أسرار الصلاة ولذتها ومعطياتها، فأعطوها كلَّ اهتمامهم، وشغّلوا بها عن الدُّنيا ومتاعها إذ عرفوا فيها حق اليقين وجلال الثرب من الله، ونجاتهم يوم القيامة.

ولهذا النعت نظائر قليلة جداً في النهج^(١).

أمّا صورة نعت جمع التكسير «للمذكر العاقل» فيمكن فيها المطابقة، ويمكن أن يُترخَّصَ فيها، ومثال ذلك في قوله -عليه السلام-: (لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ^(*) إِمْتِنَاعٌ ... عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ)^(٢). وقد نعت «الأموات»، وهو جمع تكسير مفردة «ميت» - «الماضين» وهو جمع سلامة، ومثله نعت لفظة «الأحياء» وهي جمع مفردة «حي» - «الباقيين»، وهو جمع سلامة أيضاً.

وأراد الإمام -عليه السلام- أن يقول: إنّه تعالى لا يمتنع منه شيء لأنّ كلّ شيءٍ في قبضته، أمّا ذكره العلم بالأحياء بعد ذكره العلم بالأموات، فللدلالة على إحاطته تعالى بكلّ شيءٍ علماً لأنّ المخلوقات تحت قدرته، ولا يُمكن شيئاً منها الخروج عن إرادته فيها^(٣)، فهو الذي يعرف الأشياء على حقائقها^(٤).

ومن هذا النطاق قوله -عليه السلام-: (مَا بِالْكُمْ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟ الْقَوْمُ رَجَالٌ أَمْثَالُكُمْ)^(٥)، فجاءت لفظة «أمثالكم» وهي جمع مكسر مفردة «مثل» نعتاً للفظة «رجال»، وهي جمع مكسر مفردتها «رجل».

أراد الإمام -عليه السلام- بقوله أن يُعْتَفَ جيشه ويُحْتَمَ على القتال لما رآه من خور في قلوبهم، فأعلن عن حيرته متسائلاً عن الدواء الشافي، والطب النافع لإصلاحهم بعد أن بذل أقصى ما يبذل إنسان لهذه الغاية، وهو يستنكر تخاذلهم أمام أهل الشام لأنّهم رجالٌ أمثالهم، أي أنكم لا تحاربون شيئاً خارقاً أو غيبياً فمحاربة بشر أمثالكم شيءٌ في طاقتكم،

فليس هناك سببٌ مقنعٌ للجبن والتخاذل، وهذا يعبر عن شدة جبنهم وخذلانهم للإمام^(٦) -عليه السلام-.

(1) نهج البلاغة: ٢٤٤/٨، ١٨١/١٥.

(*) أي الله تعالى.

(2) نهج البلاغة: ٢٥٣/٩.

(3) ينظر: اشتقاق أسماء الله: ٦٧.

(4) ينظر: المصدر نفسه: ٧٧.

(5) نهج البلاغة: ١١١/٢، ينظر: ص ٦٢ من هذا البحث.

(6) ينظر: تأريخ الكوفة: ٢٩١.

ولهذا النعت نظائر أخر في النهج^(١).

أمّا صورة نعت جمع التكسير للمذكر غير العاقل فمنه قوله -عليه السلام- : (فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ الْعَصِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، وَ مَحَامِدِ الْأَفْعَالِ، وَ مَحَاسِنِ الْأُمُورِ، الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجْدَاءُ وَ النَّجْدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ، وَ يَعَاسِيِبِ الْقَبَائِلِ؛ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيْبَةِ، وَ الْأَحْلَامِ الْعَظِيْمَةِ، وَ الْأَخْطَارِ الْجَلِيْلَةِ، وَ الْأَثَارِ الْمَحْمُودَةِ)^(٢)، فقد نعت «الأخلاق» بـ «الرغبية» و «الأحلام»^(٣) بـ «العظيمة» و «الأخطار»^(٤) بـ «الجليلة» و «الأثار» بـ «المحمودة»^(٥)، والمنعوتات جموع مذكورة، وقد جمعت جمع تكسير، ومفرداتها «خُلُقٌ» و «حِلْمٌ» و «خَطَرٌ» و «أَثَرٌ»، وهذه المنعوتات يجوز في نعتها التذكير والتأنيث، وجاءت هنا النعوت مؤنثة.

وقد أراد الإمام -عليه السلام- نهيهم عن العصبية، ثم قال إن كان لابدّ منها فليكن التفاخر والتعصب (لخلال الحمد)^(٦)، من أخلاق يُرغب إليها، وعقول كبيرة، وأقدار عظيمة، وسمو في الفعال والشرف، وأخبار حسنة، فالإمام -عليه السلام- يُريد منهم سلوك سبيل الحضارة في التعامل ونبذ السبيل البدوية الخسنة، فإن كان لابدّ من عصبية وافتخار بينهم فلتكن بهذه الأعمال الجميلة.

وللنعت المذكر المجموع جمعاً مكسراً نظائر أخر في النهج^(٧).

ومنه أيضاً قوله -عليه السلام- : (وَ عَنِ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَ الزَّكَّوَاتِ، وَ مُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ...)^(٨)، فنلاحظ هنا أنه -عليه السلام- نعت «الأيام»، وهو لفظ مذكر مفرد «يوم»، وقد جُمع جمع تكسير بـ «المفروضات»، و «اليوم» لا يوصف بـ «مفروضة»، والوجه أن تنعت «الأيام» بـ «مفروضة»، فيقال: «الأيام المفروضة»، فينعت الجمع بالمفرد المؤنث، وإثما جاء بالصورة التي أوردها الإمام -عليه السلام- لانه أجرى «مفروضات» على المنعوت «أسباب» على المطابقة إذ قابل الجمع بالجمع مجازاً^(٩).

(1) ينظر: نهج البلاغة: ١٢٣/١، ٨٩/١٠، ١٠٢/١١، ١٢٧/١٣، ١٥٢/١٣، ١١٧/١٧.

(2) المصدر نفسه: ١٦٦/١٣.

(3) ينظر: لسان العرب: ١٤٦/١٢ «حلم».

(4) الخطر هو (ارتفاع القدر والمال والشرف والمنزلة). المصدر نفسه: ٢٥١/٤ «خطر».

(5) ينظر: المصدر نفسه: ٦/٤ «أثر».

(6) ينظر: شرح النهج: ١٦٧/١٣.

(7) ينظر: نهج البلاغة: ٢٠٤/٢، ٢٧٥/٦، ٨٨/٩.

(8) المصدر نفسه: ١٦٣/١٣.

(9) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: العكبري: ١٦٥/١، في تفسيره آية ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾.

«سورة البقرة: ٢٠٣».

فأراد الإمام -عليه السلام- أن الله قد حرس عباده من مكاييد الشيطان التي ذكرها قبل هذا الكلام بالصلوات والزكاة والصوم، والجمع في «المفروضات» دلّ على أنه تعالى لم يفرض أياماً كثيرةً يشقُّ على الإنسان أداء حقها، إذ إنّ الألف والتاء يؤتى بها (للجمع القليل)^(١) فدل الجمعُ على قلة الأيام المفروضة، ذلك إنّ الصيام فريضة من الله تعالى على عباده، وهي فريضة شاقة وثقيلة، فلما أراد أن يعيّر لهم عن تحننه ورحمته في الله خففها بأن جعل أيام الصوم قلائل أورد لهم صفة الأيام على جمع التكسير الذي يدل على جمع القلة ولو أفرده الصفة فقال «مفروضة» لدل على كثرة الأيام.

ولهذا النعت نظائر أخر في النهج^(٢).

أمّا صورة نعت الجمع للمؤنث غير العاقل فيجوز فيها المطابقة وعدمها^(٣)، ومن الأمثلة الواردة في النهج نعتاً مؤنثاً قوله -عليه السلام-: (دَرَجَاتٌ مُنْقَاضِلَاتٌ، وَ مَنَازِلُ مُنْقَاوِنَاتٌ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا...) ^(٤)، فقد طابق هنا بين النعت «متفاضلات»، وهو جمع مؤنث سالم ينتهي بالألف والتاء ومفرده «متفاضلة»، ومنعوته «درجات»، وهو أيضاً جمع مؤنث سالم ينتهي بالألف والتاء، وقد دلّ هذا الجمع على أنّ التفاضل فيها كثير، وأنها درجاتٌ كثيرة^(٥).

وهنا يصف الإمام -عليه السلام- الجنة ودرجاتها مرغباً فيها الناس إذ إنّها مراتب، ولكل إنسان مرتبة حسب ما قدم من حسناتٍ في دنياه ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾^(٦) حيث يرتقي الإنسان درجته الأخروية خالداً فيها.

ومنه أيضاً قوله -عليه السلام-: (يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفُلُوتِ، وَ مَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخُلُوتِ، وَ اِخْتِلَافَ النَّيَّانِ فِي الْبَحَارِ الْعَامِرَاتِ، وَ تَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَّاحِ الْعَاصِفَاتِ)^(٧)، وهنا ينعت الإمام -عليه السلام- «الرياح»، وهي جمع مؤنث مكسر مفرده «ريح» بـ «العاصفات»، وهي جمع مؤنث سالم ينتهي بالألف والتاء.

(1) المذكر والمؤنث: أبو بكر بن الأنباري: ١٨١، ينظر: التعبير القرآني: ٤١.

(2) ينظر: نهج البلاغة: ٣٤٨/٦، ٣٨٤/٦، ٤١٦/٦، ٤٢٣/٦، ٨٦/١٠.

(3) ينظر: النحو الوافي: عباس حسن: ٣/هامش ص ٤٤٦.

(4) نهج البلاغة: ٣٤٨/٦.

(5) ينظر: المذكر والمؤنث: أبو بكر بن الأنباري: ١٨١.

(6) سورة الأحقاف: ١٩.

(7) نهج البلاغة: ١٨٨/١٠، ينظر: ص ٧٥ من هذا البحث.

وقد أجرى «الغامرات» على المنعوت «البحار» على المطابقة، ليقابل الجمع بالجمع مجازاً^(١)، ولربما أراد بالألف والتاء هنا الدلالة على الكثرة تناسباً لمقام قدرته المتحدث عنها، قال أبو بكر بن الأنباري: (وأما الألف والتاء، فإنها علامة لجمع المؤنث بمنزلة الواو والنون للمذكر وتكون للجمع القليل كقولك: الهندات... وربما كانت في الجمع الكثير...)^(٢) وعزز قوله بقراءة القراء ﴿وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾^(٣)، وقال: (فليس معنى الصلوات القلة إنما معناها الكثرة)^(٤) فقد دلت هنا في قوله -الصلوات- على التكثر وبيّنت العمق الكبير في البحار وعظيم سترها للكائنات^(٥) التي تعيش فيها.

وقد وصف -الصلوات- حال تلاطم المياه لعصف الرياح بها عصفاً شديداً مُستمرّاً دؤوباً، إن هذه هي الحركة الظاهرية للبحار، أما في باطنها فنجد حركة النينان^(٦)، وهذه هي الحركة الباطنية المغمورة وهو تعالى يعلم بكل ذلك بل ويعلم سبب اختلاف النينان - أي حركتها- في (إصعادها وانحدارها)^(٧) (بالمجيء والذهاب وقطع البحار طولاً وعرضاً)^(٨).

وهنا يصف -الصلوات- ارتفاع أصوات الوحوش المتكررة في الفلوات، والمعاصي في الخلوات، والنينان في البحار الغامرات في حركتها الخفية، والرياح العاصفة، إن هذه المذكورات لا بدّ من رابط يجمع بينها، والرابط هو أنّ الإنسان لا يقدر على الإحاطة بها علماً^(٩)؛ فأصوات الوحوش في الفلوات الواسعة البعيدة لا يُحيط بها الإنسان سمعاً، والأصوات الصادرة عن المعاصي المستورة في الخلوات خفية لا يعلم بها إلا جنائنها ومرتكبيها، وكذلك الحال في أصوات اختلاف النينان في البحار الغامرة الساترة، فصوت تلاطم الماء القوي بالرياح الشديدة السريعة لم يخف عليه - سبحانه - أصوات أنفاس النينان

(1) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: العكبري: ١٦٥/١ في تفسيره آية «٢٠٣» من سورة البقرة.
(2) المذكر والمؤنث: أبو بكر بن الأنباري: ١٨١، ينظر: الإيضاح في علل النحو: الزجاجي: ١٢٢-١٢٣.
(3) سورة التوبة: ١٠٣، وهي قراءة «صلوات» على الجمع. ينظر: الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه: ١٥٢، النشر في القراءات العشر: أبو الخير محمد الدمشقي: ٢٨١/٢.
(4) المذكر والمؤنث: أبو بكر بن الأنباري: ١٨١، ينظر الجموع في اللغة العربية: د. باكزة رفيق حلمي: ١١٧.
(5) ينظر: لسان العرب: ٢٩/٥-٣٠ «غمر» .
(6) النينان جمع مفرد نون وهو (الحوث). لسان العرب: ٤٢٧/١٣ «نون» .
(7) شرح النهج: ١٠/١٨٨ .
(8) مصباح السالكين: ٤٤٧/٣ .

وحركتها في اختلافها في أعماق البحار^(١)، فبين صوت يتلاشى ويغور في المساحات الكبيرة الشاسعة من عجاوات، وصوت وحركة لا تتركها عين، متناثرة بين المتضادات «البر، البحر» وما يحويان جامع، وهو إحاطته تعالى (بجزئيات الموجودات على اختلافها وكثرتها)^(٢)، إحاطة تامة، وكأته -ﷺ- شهد بإحاطته تعالى بكل شيء علماً، ثم شهد للنبي ﷺ بالرسالة لينبهم على وجوب التقوى^(٣) التي أوصاهم -ﷺ- بها منفذاً للخلاص من عقوبة عالم لا يفلت من علمه شيء.

وكما دلت «غامرات» على كثرة غمر البحار لما فيها دلت على تناسق الكلام، فالجموع المنتهية بـ«الألف والتاء» تُشعرنا بأننا نقف أراء كلام قد وُزن بموازن دقيقة وصيغ لمعان عميقة فأخرج متناسقاً في عباراته وموسيقاه، فلا يملُ سامعُهُ.

ونلاحظ المطابقة في نعت «الريح» إذ جاءت منعوتاً مفرداً في تركيب آخر، لذا كان النعت مفرداً، وذلك في قوله -ﷺ-: (فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً ...، حَمَلَهُ عَلَى مَثْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ ...)^(٤)، فنعت المفرد بالمفرد، ونعتها في صورة الجمع بالجمع. إن نظائر هذا النعت قليلة في النهج^(٥).

وقد وجدت أن النعت الجمع المؤنث العاقل لا يمثل ظاهرة في النهج. وأما المثال الذي وجدته في النهج فهو قوله -ﷺ-: (وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي اللَّائِي أُطُوفَ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَوَلَدٌ أَوْ هِيَ حَامِلٌ فَنُمِسْكَ عَلَى وَلَدِهَا وَ هِيَ مِنْ حَظِّهِ)^(٦)، فقد جاء المنعوت «إمائي» جمع تكسير، ونعته «اللآئي» جمع، وهو اسم موصول مفرده «التي»^(٧).

المطلب الثاني: النعت بين الاشتقاق والجمود

إن الاشتقاق سمة ملازمة للنعت ملابسة له، وهي السمة الغالبة، فإذا وقع جامداً يكون متأولاً^(١)، فالأصل فيه أن يكون مشتقاً، والمشتق هو كل ما دلّ على متّصفٍ مَصْنُوعٍ من

(*) فضلاً عن العلم بها، فالوحوش أنواعٌ متنوعة بأعداد كبيرة، والأصوات التي تطلقها لها دواعٍ متنوعة أيضاً، منها: الجوع، والخوف، والشهوة، واختار الوحوش في الفلوات لأنها وحشية وشاردة، ثم انتقل من عجيج الأعداد الكبيرة إلى المعصية الخفية المنحصرة في عددٍ قليل حيث لا شاهد ولا عالم إلا هو، فسبحانه ما أقدره على الإحاطة .

(1) ينظر: لسان العرب: ٢٩/٥-٣٠ «عمر» .

(2) مصباح السالكين : ٤٤٦/٣ .

(3) ينظر : شرح النهج : ١٨٨/١٠ .

(4) نهج البلاغة: ٨٣/١، وينظر : ص ٧٠-٧١ من هذا البحث .

(5) ينظر : المصدر نفسه: ٣٨٤/٦ ، ٤٢٣/٦ ، ٨٦/١٠ ، ٥٦/١٣ .

(6) المصدر نفسه: ١٤٨/١٥، وينظر ص٧٦ من هذا البحث .

(7) ينظر : شرح عمدة الحافظ : ١٤٨ .

غيره كضارب، ومضروب، وحسن، ويقابله «الجامد» وهو بخلافه^(١)، وقد نصَّ النحاة على أنّ النعت يلزم أن يكون مشتقاً^(٢)، فمنع سيبويه الوصف بالجامد واستقبحة^(٣)، وكذلك لم يُجِزْ المُبرِّدُ النعت به، وقد صرَّح بمنعه^(٤). أمّا ما يسوّغ النعت عندهما فهو تأويله بوصف مناسب^(٥)، على أننا لا نعدم وجود من لا يشترط الاشتقاق في النعت، فقد اكتفى بعضهم بدلالة النعت على معنى في متبوعه^(٦)، والمشتق عند النحاة ادلّ على الذات من الجامد^(٧)، إذ إنّه يُشير إلى الذات والى معنى زائد عنها به تحصيلُ الصفة^(٨)، فهو يدلّ على معان مركبة من حدثٍ وذات، ونسبة بينهما^(٩).

وقد أدلى المحدثون بدلوه في هذا الشأن، فأبدى الدكتور مصطفى جواد رأيه في النعت «المصدر» فرأى أنّ النعت يكثر في الاشتقاق، وأنّ الوصف بالجامد جائز^(١٠). أمّا الدكتور إبراهيم السامرائي فيرى أنّ النعت يكون جامداً كما يكون مشتقاً^(١١)، فنجدّه قد ساوى ما بين الأمرين من دون ترجيح.

ومِمَّا ورد نعتاً مُشتقاً في النهج قوله -ﷺ-: (فِيهَا لَهَا أَمْثَالاً صَائِبَةٌ، وَمَوَاعِظٌ شَافِيَةٌ، لَوْ صَادَقَتْ قُلُوبًا زَاكِيَةً، وَأَسْمَاعًا وَاعِيَةً، وَأَرَءَا عَازِمَةً، وَأَلْبَابًا حَازِمَةً!)^(١٢)، فالنعت «صائبة»، و«شافية»، و«زاكية»، و«واعية»، و«عازمة»، و«حازمة» المُتتَابِعَةُ على منعوتاتها «امثالاً»، و«مواعظ»، و«قلوباً»، و«أسماعاً»، و«أراء»، و«ألباباً» جاءت مشتقة على زنة «فاعل».

فالنعت «صائبة» أشار إلى ذات الأمثال مع معنى الوقوع في موقعها الصحيح للدلالة على (مطابقتها للممثل به)^(١٣)، وهو معنى زائد على الموصوف، وبه حصلت الصفة، كذلك

-
- (1) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٣٤/٢-٢٣٥، شرح الأشموني: ٤/٣٠٣.
 - (2) ينظر: شرح الفية ابن مالك: ابن الناظم: ١٨٩، المشتق بين النحاة والاصوليين: صالح مهدي الظالمي: كلية العلوم، جامعة القاهرة، «رسالة ماجستير» مكتوبة بالآلة الكاتبة، ١٩٧٦م: ١٣٦.
 - (3) ينظر: التوطئة: ١٦٩، الجامع الصغير في النحو: ابن هشام الأنصاري: ١٨٤، شرح شذور الذهب: ٤٣٢.
 - (4) ينظر: الكتاب: ٤٣٤/١.
 - (5) ينظر: المقتضب: ٢٥٨/٣.
 - (6) ينظر: الكتاب: ٢٨/٢-٢٩، المقتضب: ٣٤١/٣.
 - (7) وهو رأي ابن الحاجب. ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٢٨/٢-٢٢٩.
 - (8) ينظر: بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية: ١/١٩٢.
 - (9) ينظر: البحث النحوي عند الاصوليين: ١٢٠، المدخل الى علم الصرف: د. عبد العزيز عتيق: ٥٤.
 - (10) ينظر: البحث النحوي عند الاصوليين: ١٢٠.
 - (11) ينظر: المباحث اللغوية في العراق: د. مصطفى جواد: ١١.
 - (12) ينظر: في النحو العربي -نقد وبناء: د. إبراهيم السامرائي: ١١٢.
 - (13) نهج البلاغة: ٢٥٥/٦.
 - (14) ينظر: مصباح السالكين: ٢٤٧/٢.

النعوت الأخر زادت على منعوتاتها معاني على الذات، فـ «شافية» زادت على «مواعظ» معنى التأثير في القلوب بإزالة مرض الجهل والردائل الخلقية ورجوع المتعظ بها مُنيباً إلى ربّه، وزكاء القلوب، وهو استعدادها لقبول الهداية وقربها من ذلك، وأضاف الوعي في الـ «أسماع» معنى الفهم والانتفاع بالمسموع^(١)، وكذلك العزم في الـ «آراء» زاد معنى توجيه الهمة، والحزم في الـ «ألباب» زاد الموصوف معنى جودة رأي العقول فيما تختاره^(٢)، فهذه النعوت كلّها زادت منعوتاتها معاني على الذات.

وعنى -العلّة- أنه قدّم لهم من المواعظ ما لو صادف قلوباً طاهرةً طيبةً لأثمرت فيها، فالبذرُ الصالح لا يُجدي نفعاً إذا زُرِعَ في أرضٍ خبيثة، فقد كان -العلّة- مُحسناً في عمله، وناصحاً أميناً إلا أنّ القوم ضَعَفَ إيمانهم وعشش في صدورهم النفاق، فلم يَنْتَفِعَ أكثرهم بتلك المواعظ.

ولهذا النعت نظائرَ آخرَ في النهج^(٣).

ومما ورد في النهج نعتاً جامداً:

الفرع الأول : الاسم الموصول وصلته

ومنها «الذي»، وقد (اجتلبَ ليكون وصلةً إلى وصف المعارف بالجميل، كما اجتلبَ «ذو» ليتوصّلَ به إلى الوصف بأسماء الأجناس)^(٤)، وهو ما لا يتمُّ حتى تصلُّه بكلامٍ بعده تام^(٥)، وقد استعمله -العلّة- في قوله: (لو لا الأجلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرَفَةَ عَيْنٍ، شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ)^(٦)، فقد نعت «الأجل» بـ «الذي». فأرواح المتقين لا تطيق البقاء في هذه الدنيا وتزهد في هذه الحياة، فالمتقون يشعرون بأنّ الدنيا سجنٌ لهم، وقد سُجِنَتْ أرواحُهُمْ في أبدانهم، فهم في سجنين، وقد استقرت في قلوبهم رغبة اللقاء به تعالى حيث النور والكرامة وسعادة الروح الأبدية، وهكذا تضل أرواحهم في صراع مع هذين السجنين (من شدّة شوقهم إلى الجنة، ومن شدّة خوفهم من النار تكاد أرواحهم تفارق أجسادهم لولا أن الله تعالى ضرب لهم أجلاً ينتهون إليها)^(٧)، فنجدته قد نعت

(1) ينظر: الاستغناء في احكام الاستثناء: شهاب الدين القرافي : ٢٦٤.

(2) ينظر: المصدر نفسه : ٢٤٧/٢ .

(3) ينظر: نهج البلاغة: ٢٥٧/٦، ٣٦٣/٦، ٤٢٥/٦، ١٤٥/١١، ١٥٦/١٣، ٨٩/١٦، ٦٨/١٧، ٢٧٦/١٨، ٧٢/١٩ .

(4) قال الجرجاني: (إنك لا تصل «الذي» إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها). دلائل الإعجاز: ٢٠٣.

(5) شرح المفصل: ابن يعش: ٣٧١/٢.

(6) نهج البلاغة : ١٣٢/١٠.

(7) شرح النهج : ١٤٢/١٠ .

«الأجل» بالموصول وصلته، وذلك لان جملة الصلة «كتب الله لهم» تبين ان هذا الأمر مفروغ منه لانه مثبت بالكتابة، واسند الكتابة إلى الله ليفهم المتلقي ان هذا المعنى مقدر منه تعالى، فلا بدّ لهم من العيش في الدنيا لانها محل الاختبار والمحن.

ونظيره قوله -عليه السلام-: (وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَفْدَامُ، نَجْدَةٌ أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا)⁽¹⁾، وقد جاء الاسم الموصول «التي» نعتاً لـ«المواطن».

يذكر -عليه السلام- مواساته لرسول الله ﷺ في شدائده ومحنه وحروبه، وما أكثرَ هذه المواطن التي واسى فيها نبيه ﷺ، جالياً عن وجهه الكرب فيها⁽²⁾، إذ تخذل الرجال أنبيائها، وحيث يشعُر المسلمون بقلّة عدّتهم وعتادهم بإزاء جيش قويّ ذي عدّة وعدد، ينهضُ عليّ -عليه السلام- قطباً في رحى الحرب⁽³⁾ يطحن أعداء الله طحناً، فهو حارسه ﷺ وناصره ومعينه، فوصف بالموصول وصلته ليبين خيانة القوم بالنبي، فهم كالفرس التي تتكص بصاحبها، فترميهِ من ظهرها بعد طول رعايته لها ومداراته، فحال النبي ﷺ مع قومه كحال الفارس مع فرسه الناكص به في وغي الحرب، اما وأنّ الإمام قد ثبت فيما نكص به الأبطال فهذا يدل على تفوقه عليهم جميعاً، وانه يمتلك من الشجاعة ما لا حدود له أو وصف، وهي كرامة خصّه الله تعالى بها -عليه السلام-.

ولهذا النعت نظائر أخر في النهج⁽⁴⁾.

الفرع الثاني: إسم الإشارة

قد ذهب البصريون إلى أنّ أسماء الاشارة توصفُ ويوصف بها⁽⁵⁾، وذهب الكوفيون إلى عدم جواز النعت باسم الإشارة⁽⁶⁾، وقد ذهب ابن بابشاذ إلى أنّها يُنعت بها⁽⁷⁾، وقال أحد الباحثين (إنّ النعت بالإشارة لا يُمكن أن ينفى أو يُستبعد من الكلام فقد ورد في الاستعمال القرآني نعتٌ إشارية)⁽⁸⁾.

(1) نهج البلاغة: ١٧٩/١٠ .

(2) ينظر: أخلاق الحرب عند الإمام علي -عليه السلام- : محمد عيدان العبادي : ٢٥ ، ٢٦ .

(3) ينظر: مواساة علي -عليه السلام- للرسول ﷺ في الأحداث التي ذكرها ابن أبي الحديد: ١٨٣-١٨١/١٠ .

(4) ينظر: نهج البلاغة: ٢٨٨/١، ٢١٦/٣، ١٩٩/٦، ٣٥٣/٦، ٤٣٨/٦، ٢٩١/٧، ٩٢/١٠، ٩٩/١٠، ٢٠٢/١٠، ١٤٧/١٣، ٧٩/١٥، ١٦٨/١٦، ٢٣/١٩ .

(5) ينظر: الكتاب: ٦/٢، ٧، المقتضب: ١٦٥/٤، شرح الكافية الشافية: ابن مالك: ١١٦٥/٣، ارتشاف الضرب: ١٩٣٣/٤، الإنصاف في مسائل الخلاف: ابن الأنباري: ٧٠٧-٧٠٩ «م ١٠١» .

(6) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٨٤/٢، همع الهوامع: ١٢١/٣ .

(7) ينظر: شرح المقدمة المحسبة: ١٦٣/١، ارتشاف الضرب: ١٩٣٣/٤ .

(8) النعت في القرآن الكريم: ٢٠٧ .

ومنه قوله -ﷺ- : (انظروا إذا أنا ميتٌ من ضربتي هذه فاضربوه ضربته، بضربةٍ ولا تمثّلوا بالرجل؛ فإنّي سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: إياكمَ والمثلةَ ولو بالكلبِ العفور) (١).
 إنّ هذه هي وصية رجلٍ يُحتَضَرُ، وفيها يتجسد العدل إنساناً من دم ولحم، إذ يوصي علياً -ﷺ- بقاتله، ففي الحقّ والعدل سعةٌ تشمل علياً «أمير المؤمنين» -ﷺ- وقاتله «الأشر» ، فسمو النفس ونبل الخلق هُما شريعةُ أهلِ الحقّ، فالتراماً بهذه الشريعة كما جاءت على لسان الرسول ﷺ ينبغي لهذا الرجل أن يُعامل بعدلٍ فلا يُعدَّبُ حياً، ولا يُمَثَّلُ به ميتاً، إنّما هي ضربةٌ بضربة، فأشار بـ«هذه» لوصف الضربة العميقة -مظنةُ الإمامة- ليشدّ الذهن بهذه الصفة إلى موضع الضربة ومقدار ألمها وشدتها عليه، فيكفي الإشارة لها وصفاً ليعلم المتلقي عظمها عياناً ليأمرهم بعد ذلك بإقامة العدل رغم عظم الضربة وعظم المضروب.

ولهذا النعت نظائر أخر في النهج (٢).

الفرع الثالث : النعت بـ« ذو » و« ذات »

«ذو» من الأسماء التي لازمت الإضافة إلى الأسماء الظاهرة (٣)، وهي (بمعنى صاحب) (٤). ومؤنثة «ذات»، وقد جاءت في النهج نعتاً في قوله -ﷺ- : (وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، ذَاتِ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ، قَيْدُ قَدِّهِ؛ مُنْعَفِراً عَلَى خَدِّهِ) (٥)، فقد جاءت «ذات» نعتاً لـ«الأرض».

ينبهم -ﷺ- على الانتفاع من فرصة وجودهم في الدنيا، ليعملوا للآخرة قبل أن يحلّ بهم الموت. فماذا يكون حظّ الإنسان من هذه الأرض الواسعة؟ وقد عبر عن هذا الاتساع بـ«هذه» الصفة وما بعدها، فعلى الرغم من سعة الأرض، فإنّ نصيبه منها هو أن يُزجّ في التراب، وإذا كانت نهاية الإنسان هذه فلماذا يُضيع عمره فيما لا ينفعه؟!، فلا بُدّ له من الانصراف إلى ما هو نافع له في أخراه، وانعفار الخدّ كناية عن ضعفه وذلته وعدم قدرته في تلك الحال، فهذا الخدّ الذي كان يُكرمه وينقيبه من كلّ شائبةٍ صارت وسادتهُ التراب، فمن كان مسكنهُ «قيدُ قَدِّهِ»، والتراب وسادُ خَدِّهِ حريٌّ به الا يطمع في هذه الدُّنيا لِمَا يراه في عاقبتها.

(1) نهج البلاغة: ٦/١٧ .

(2) ينظر: نهج البلاغة: ٢٢٣/١، ٢٤٧/١، ٢٥١/١، ١٨٥/٢، ٢٣٣/٩، ٢٧٨/٩، ١٠٠/١٠، ٦٨/١٦ .

(3) ينظر: المرتجل: ٥٨ .

(4) ينظر: شرح شذور الذهب: ٤٠، شرح التصريح: ١١٣/٢ .

(5) نهج البلاغة: ٢٧٥/٦ .

وقد توصل بالنعته «ذات» إلى نعت الأرض بالأجناس «الطول» و«العرض»^(١) للدلالة على ماهية هذه الأرض وليوضح هذا المنعوت.

ولهذا النعت نظائر أخر في النهج^(٢).

الفرع الرابع: النعت بالمصدر

وهو (صفة لا تتغير عن حالها، ولا تنتهي ولا تجمع على لفظها ولا توثق)^(٣) فتلتزم حالاً واحدة وهي التذكير والافراد^(٤)، فلا تتغير بنيته (قالوا: «هذا رجل عدل»: ورضاً، وزوراً، وفطراً)^(٥)، وهو على التأويل بالمشتق عند الكوفيين^(٦)، وعلى تقدير مضاف عند البصريين^(٧). وجاء في «شرح التصريح» (وقيل: لا تأويل ولا حذف مضاف بل على جعل العين نفس المعنى مبالغة مجازاً وادعاءً)^(٨)، وهذا أرجح من تأويله بالمشتق ومن تقدير مضاف كما يذهب بعض النحاة.

وجاء في «شرح الرضي»: (والأولى أن يُقال: أطلق اسم الحدث على الفاعل والمفعول مبالغة كأنهما من كثرة الفعل تجسماً منه)^(٩) فهذه المصادر كلها مِمَّا وصف بها للمبالغة في الموصوف، كأنهم جعلوا الموصوف ذلك المعنى لكثرة حصوله منه، فقولهم: («رجلٌ عدلٌ، ورضى وفضل» كأنه لكثرة عدله والرضى عنه، وفضله، جعلوه نفس العدل والرضى والفضل)^(١٠)، ف (قولك: «رجلٌ دنفٌ» أقوى معنى؛ لما ذكرناه: من كونه كأنه مخلوق من ذلك الفعل. وهذا معنى لاتجده ولا تتمكن منه مع الصفة الصريحة)^(١١).

(1) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٠٣.

(2) ينظر: نهج البلاغة: ٩٦/١، ٢٠٧/١، ٢١٠/٩، ٢٥٢/٩، ٢٧٣/٩، ٢٠٣/١٠، ٢٢/١٨، ٣٩٢/٦.

(3) معاني القرآن: الأخفش: ٢٠٦/١.

(4) ينظر: أوضح المسالك: ٩/٣، شرح ابن عقيل: ٢٠٠-٢٠١.

(5) ينظر: أوضح المسالك: ٩/٣، التوابع في كتاب سيبويه: ٢٦.

(6) ينظر: معاني القرآن: الفراء: ١٣٥/٢، شرح الأشموني: ٣٠٩/٤.

(7) ينظر: أوضح المسالك: ٩/٣، شرح الأشموني: ٣٠٩/٤.

(8) ينظر: شرح التصريح: ١١٨/٢، شرح الأشموني: ٣٠٩/٤.

(9) شرح الرضي على الكافية: ٢٣٧/٢.

(10) شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٣٧/٢.

(11) الخصائص: ٢٦٠/٣.

ونلمس هذا في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾^(١) قال الزمخشري: أي (ذي

كذب. أو وصف بالمصدر مبالغة، كأنه نفس الكذب وعينه، كما يقال للكذاب: هو الكذب بعينه، والزور بذاته (...)^(٢)، وهو الأرجح إذ ذكر عدد من النحاة كثرة النعت بالمصدر^(٣) إلا أنهم رأوا (أنّ الوصف بالمصدر على خلاف الأصل، والأصل هو الوصف بالمشترك)^(٤).

وقد قال احد الباحثين في أقوال العلماء: اتهم (في المصدر الواقع صفة، كـ «جاء عليّ العدل»، يتأولونه على حذف مضاف «أي: ذو العدل» أو: على الوصف؛ فيكون «العدل» بمعنى «العادل»؛ لأنّ النعت عندهم لا يكون جامداً في هذه الصورة.

ومن عجب أن يقول البلاغيون: إنّ «جاء محمد العدل» وأشباهاها ممّا وقع فيه النعت مصدراً - أبلغ وأقوى في أداء المعنى من «جاء محمد العادل» ونحوه ممّا وقع فيه النعت مشتقاً. إذ الصورة الأولى تقطع بأنّ محمداً هو العدل نفسه؛ مبالغة في مدحه وتعظيمه، أمّا الثانية فتصفه بالعدل وصفاً لا قوّة فيه. فكيف يختلف الحكم بين علماء البلاغة وعلماء النحو وهم ينتسبون إلى لغة واحدة، ويعملون لها؟ وبأيّ الرأيين نأخذ؟ وأعجب من هذا أن يعترف النحاة في صراحة ووضوح أنّ وقوع المصدر حالاً ونعتاً كثير في كلام العرب؛ وأنّه -على كثرته- مقصور على السماع؛ لا يقاس عليه عند جمهورهم (...)^(٥).

ويرى الجوّاري أنّ الوصف بالمصدر ليس خلاف الأصل لأنّ المصدر هو الأصل^(٦)، فإنّ الوصف بالمصدر حقيقة من حقائق التركيب في اللسان العربي أقرّ بها علماء العربية^(٧)، والظاهر أنّ رأي البلاغيين في ذلك أرجح من رأي النحويين، لأنّهم قد نظروا إلى الدلالة المستحصلة من التعبير بالمصدر وصفاً دون النظر إلى التمسك بالقاعدة النحوية وإلزامها في التعبير من أنّ الوصف يجب أن يكون مشتقاً، فالنحاة تمسكوا بالقاعدة مع اعترافهم بكثرة خروج الوصف عن المشتق واستعمال المصدر أمّا البلاغيون فلم يتمسكوا بالقاعدة بل نظروا المعنى.

(1) سورة يوسف : ١٨ .

(2) الكشف : ٤٥١/٢ .

(3) ينظر: الفية ابن مالك: ٣٥، شرح ابن عقيل: ٢/٢٠٠، شرح الاشموني: ٤/٣٠٩.

(4) ينظر: الوصف بالمصدر: أحمد عبد الستار الجوّاري، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج «٣٥»، ج «١»، سنة ١٩٨٤: ٦.

(5) ينظر: رأيي في بعض الأصول اللغوية والنحوية: عباس حسن: ٦٨، بابي الحال والنعت من شرح الأشموني: ٣/٢١، ٤/٣٠٩، حاشية الصبان: ٢/١٧٣، ٣/٦٤-٦٥، اللغة والنحو بين القديم والحديث: عباس حسن: ١٥٤.

(6) ينظر: نحو التجديد في دراسات الدكتور الجوّاري: د. محمد حسين علي الصغير: ١٦٥.

(7) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٦.

ومما ورد في النهج نعتاً «مصدراً» قوله -عليه السلام- : (اعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ)^(١)، فقد نعت «الطريق» بـ «نهج»، وهو مصدر للدلالة على أنّ الطريق هو الوضوح نفسه، فقد (قصد المبالغة على معنى أنّ الذات تحولت إلى معنى)^(٢).
والإمام -عليه السلام- يدعو إلى العمل، فالسبيل أمام السائرين إلى الله تعالى واضحٌ (و)استعار لفظ الأعلام لأئمة الدين وكئى بكونها بيّنة عن ظهورها بين الخلق، وأنّ سلوكهم هذا السبيل أي الشريعة الواضحة سيصل بهم إلى الجنة^(٣)، فإذا أراد احد النهج بعينه فعليه ان يسلك هذا الطريق، فكان التعبير بالمصدر «نهج» اقوى في تحقيق المعنى وبلوغه في نفس المتلقي من غيره.

ولهذا النعت نظائر آخر في النهج^(٤).

الفرع الخامس: ما جاء على نسق النسب

ومنه قوله -عليه السلام- : (وَ أَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكُ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ ... أَحَبُّ الْلِقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ وَ قَدْ صَحِبْتُهُمْ ذُرِّيَّةً بَدْرِيَّةً وَ سَيْوْفٌ هَاشِمِيَّةٌ قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَ خَالِكَ وَ جَدِّكَ وَ أَهْلِكَ...)^(٥)، فقد نعت «ذرية» بـ «بدرية» و «سيوف» بـ «هاشمية»، فمن شأن الياء المشددة تصيير غير الصفة صفة^(٦)، والنعتان يدلان على النسب، فالأول يعني الذرية المنسوبة إلى البدريين، وهي (إشارة إلى أولاد من كان مع النبي ﷺ يوم بدر)^(٧)، والثاني يعني السيوف المنسوبة إلى الهاشميين.

ويريد الإمام -عليه السلام- تخويف عدوّه وبثّ الرعب في قلبه بهذه الأوصاف وتذكيره بمواقع موصوفاتها بمن وقعت به ميمّن ذكرهم، وهم أهل المخاطب^(٨).

وله نظائر آخر في النهج^(٩).

وقد جاء النعت الجامد بلفظ «مثل»^(١٠)، وجاء بالعدد^(١١) أيضاً، إلا أنّ أقواها فيما ظهر لنا من خلال ما مرّ هو النعت بالمصدر.

(1) نهج البلاغة : ٦٥/٧ .

(2) معاني النحو : ١٨٤/٣ .

(3) ينظر : مصباح السالكين : ٣٩٨/٢ .

(4) ينظر : نهج البلاغة : ١٣٨/٦ ، ٢٨٥/٧ ، ١١٦/٩ ، ١٤٧/١٣ ، ٤٤/١٧ ، ١١١/١٧ ، ١٤٩/١٧ .

(5) المصدر نفسه : ١٨٤/١٥ .

(6) ينظر : مفتاح العلوم : ١٨٩ ، شرح المفصل : ابن يعيش : ٢٣٣/٢ .

(7) مصباح السالكين : ٤٤٦/٤ .

(8) ينظر : مصباح السالكين : ٤٤٦/٤ .

(9) ينظر : نهج البلاغة : ١٩٧/٣ ، ١٤٦/٦ ، ٩٨/٧ ، ٥١/١١ ، ١٥٨/٩ ، ٢٧٣/٩ ، ١٧٣/١٦ ، ١٧٣/١٨ ، ٣٠٦/١٩ .

(10) ينظر : المصدر نفسه : ١١١/٢ ، ٢٣٧/٧ .

المبحث الثالث: صور النعت في النهج

يردُّ النعت في العربية بصور مختلفة، فهو ليس على صورة واحدة إنما يتخذُ صوراً متنوعة بحسب طبيعة الكلام وما يفرضه السياق وما تقتضيه صيغة المطابقة التي هي من لوازم النعت، وسوف نفضّل القول في هذا المبحث في الصور التي وردت في نهج البلاغة والتي تمثل صور النعت المعروفة في اللغة العربية، وهي على النحو الآتي:

الصورة الأولى: النعت المفرد.

الصورة الثانية: النعت الجملة .

أولاً : الجملة الاسمية.

ثانياً : الجملة الفعلية.

الصورة الثالثة: النعت شبه الجملة.

أولاً : الظرف.

ثانياً: الجار والمجرور.

الصورة الأولى: النعت المفرد

قد استعمل النحاة هذا اللفظ «المفرد» في ثلاثة معان اصطلاحية:

١- المفرد في مقابل المثني والجمع .

٢- المفرد في مقابل المضاف والمشبه به .

٣- المفرد في مقابل الجملة .

قال ابن الحاجب: (المفرد يطلق باعتبارات ثلاثة... المفرد ضد المركب، والمفرد ضد المضاف، والمفرد ضد المثني والمجموع ... والمراد بالمركب كلمتان فصاعداً أسندت إحداهما إلى الأخرى إسناداً يفيد المخاطب ما لم يكن عنده)^(١) إي أنّ المراد بالمركب هنا خصوص المركب التام أو الجملة، فالإفراد في باب النعت يعني: «عدم التركيب»، وبذلك يشمل المفرد، والمثني، والجمع بأنواعه المختلفة «المذكر والمؤنث والتكسير».

إنّ لاستعمال الاسم «المفرد» دلالة تختلف عن دلالة المركب، فقد ذكر علماء النحو أنّ الاسم يدلُّ على الثبوت والفعل يدلُّ على الحدوث، كذلك ذكر علماء البلاغة أنّ الاسم يستعمل

(1) ينظر : المصدر نفسه : ١٤٦/٦ ، ٢٤٥/١١ ، ٢٧/١٤ .

(2) الامالي النحوية: ابن الحاجب: ١٠٢/٣، ينظر: مصطلحات نحوية: ع«٢،٣»، لسنة ١٤١٨ هـ: ٣٧٧-٣٨٢.

لثبوت المعنى من غير ان يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء، وأما الفعل فيقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء^(١).

مِمَّا ورد في النهج نعتاً مفرداً^(*) قوله -عليه السلام- : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالُّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ...، وَ الْخَالِقُ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَ نَصَبٍ...، وَ الشَّاهِدُ لَا بِمُمَاسَّةٍ، وَ الْبَاطِنُ لَا بِتَرَاحِي مَسَافَةٍ، وَ الظَّاهِرُ لَا بِرُؤْيِيَّةٍ، وَ الْبَاطِنُ لَا بِلَطَافَةٍ)^(٢)، فـ «الدال» وما عطف عليه «الخالق» و«الشاهد» و«البائن» و«الظاهر» و«الباطن» أسماء فاعلين، ويظهر أنها دلت على ثبوت الحدث واستمراره، وأنها قد جيء بها لقصد الوصف الثابت اللازم لاقترانها بوصف الذات الالهية، إذ جرت أوصافاً على أعرف المعارف وهو اسم الله تعالى^(٣). لذلك لم يأت بصيغة الفعل لدلالته على الحدوث والتجدد، لانه لايتفق دلالياً مع مقام المتحدث عنه.

وأراد الإمام -عليه السلام- ان يحمد الله الموجود الذي دلّ عباده على وجوده بايجاد الخلق، فإن سيركل شيء في الكون طبقاً لنظام لايعيدُ عنه، وعمله لغاية تترتب عليه^(*) قد دلّ على المبدأ الأول، إذ لا ريب من أن يكون لذلك مُدبّر هو المبدأ الأول (فلا بدّ من واجب يستند إليه؛ وذلك الواجب الوجود الضروري الذي لا بدّ منه هو الله تعالى)^(٤)، إذ (لاشك في وجود موجود)^(٥)؛ وأنه واجب الوجود، و(هو ما كان وجوده نابعاً من صميم ذاته، فلا تنفك ذاته عن الوجود، بخلاف ممكن الوجود، فإنّ وجوده ليس من اقتضاء ذاته بل مُفاضٌ عليه، فان أعطيه وُجد، وإلا بقي عدماً. فالاحتياج والافتقار إلى العلة سمة الإمكان، والغنى عن العلة سمة الوجوب)^(٦) وهي سمته سبحانه وتعالى.

وقد عنى بقوله شاهداً لا بمماسّة أنّه (حاضرٌ لا بمماسّة شيء، والمراد تنزيه حضوره عن مماثلة حضور الجسمانيات المستلزم للقرب المستلزم لمماسّة الأجسام)^(٧)، فالملموس لا بدّ من أن تتحقق فيه سمة الجسمية، ولما كان الله تعالى شاهداً حاضراً فإنّ حضوره هذا يقتضي ادراكه بالحاسة كما يتصور البعض غير انّ وصف الإمام له بالشاهد واتمام هذه الصفة بقوله

(1) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٨٢، المطول: ١٥٥.

(*) وقد تناولت معظم هذا في المتقدم من البحث عند الحديث عن سمة المطابقة، كما تناولت أمثلة كثيرة من النعوت المفردة عند دراسة دلالات النعت في التركيب، وسأذكرُ هنا أمثلة أخرى.

(2) نهج البلاغة: ١٤٧/٩.

(3) ينظر: التفسير القيم: ابن القيم: في تفسير سورة المؤمن: ١-٣: ٣٥٨.

(*) والغاية تدلُّ على القصد، والقصد يدلُّ على التدبير.

(4) شرح النهج: ١٤٨/٩.

(5) مصباح السالكين: ٢٢٩/٣.

(6) بداية المعرفة: الشيخ حسن مكي العملي: ٥٧.

(7) مصباح السالكين: ٢٣٢/٣.

لا بمماسة اخرج ذات الله من الشخوص الحسي إلى المثول العقلي، وقد حمد الله تعالى باعتبارات آخر من أوصافه، وهي افضاله عن خلقه بالذات والصفات، لا بالمكان والجهة، وظهوره لا برؤية ذاته بل بظهور خلقه وآثاره.

وجاء المفرد نعتاً في قوله - ﷻ -: (... وَ قَبِلَ فُدُومَ الْغَائِبِ الْمُنتَظِرِ، وَ أَخَذَ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ) ^(١)، فقد نعت «العزیز» بصيغة اسم الفاعل «مقتدر» المشتق من الفعل «اقتدر»، وقوله - ﷻ -: مأخوذاً من قوله تعالى ﴿فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ آخِذًا مِّنْ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ ^(٢)، فالتعبير القرآني انتقى صيغة اسم الفاعل «مقتدر» ولم يؤثر صيغة «قادر»، وذلك لأن «مقتدر» في الآية أوفق من «قادر»، من حيث كان الموضوع لتفخيم الأمر، وشدة الأخذ ^(٣)، فمقتدر (أبلغ من «قادر» لدلالته على أنه قادر متمكن القدرة، ولا يُرد له شيء عن اقتضاء قدرته) ^(٤)، بناءً على أن زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى.

وقد تُعين القرينة على دلالة اسم الفاعل الحدوثية كما في قوله - ﷻ -: (... وَ لَا تُعْرَبُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ...) ^(٥)، فقد جاءت لفظة «الماضية» نعتاً لـ «الأمم»، و«الخالية» نعتاً لـ «القرون» ^(٦)، وقد جاء النعت «الخالية» للدلالة على انقضاء المنعوت وعدم الثبات بدليل اللفظة نفسها، فالخالية هي القرون من «خلا» (أي مضى) ^(٧)، والقرون الخالية هم المواضي ^(٨).

فاسم الفاعل: صيغة تدل على الحدث وصاحبه على وجه الحدث والتغيير ^(٩)، وهو (يقع ... وسطاً بين الفعل والصفة المشبهة فالفعل يدل على التجدد والحدث... أما اسم الفاعل فهو أدوم وأثبت من الفعل ولكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة) ^(١٠)، فيدل هذا الاسم على الثبوت إذا ما قورن بالفعل، ويدل على الحدث إذا ما قورن بالصفة المشبهة فضلاً عن أن دلالة هذه الصيغة لا تفيد غير أن المراد من صفتي: «خالية»، و«ماضية» في النص هي

(1) نهج البلاغة : ٢٧٦/٦ .

(2) سورة القمر : ٤٢ .

(3) ينظر : الخصائص : ٢٦٥/٣ .

(4) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣٤/٣ .

(5) نهج البلاغة: ٥/١٣ .

(6) القرون جمع مفردة «قرن» (والقرن في الناس أهل زمان واحد). مختار الصحاح : ٥٣٢ «قرن»

(7) ينظر: مختار الصحاح: ١٨٨ «قرن» ، إعراب القرآن: النحاس: ٢٣/٥ .

(8) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٨ - ١٨٩ «قرن» .

(9) ينظر: شرح المراح: ١١٥ .

(10) معاني الأنبياء في العربية : د. فاضل السامرائي: ٤٧ .

الدلالة على الثبوت لأنّ هذه الصفات ملازمة للامم والقرون على وجه الدوام، فلم تُفد دلالة النص على أنّ المعنى قليل أو كثير، فصيغته الأساسية محتملة لكلّ من القلّة والكثرة^(١). وقد قصد الإمام -عليه السلام- إلى نهيمهم (عن الانخداع لغرور الدنيا كانخداع السابقين والقرون الماضية)^(٢) فكيف يركنون إليها، وقد رأوا مكرها وغدورها بمن سبقهم؟! ولصيغة اسم الفاعل نظائر أخر كثيرة في النهج^(٣) إذ إنّ استعمال النهج لهذه الصيغة أكثر من استعماله الصفات الأخر.

وقد تناولت «اسم الفاعل» نعتاً مفرداً في حين أنّ أحد الباحثين يرى أنّ هذه الصيغة جملة وصفية، والجملة الوصفية (هي تلك التي تبتدئ بوصف يقع مسنداً، بعده مسند إليه مرفوع، سواء كان الرفع على الفاعلية وذلك بعد صفة الفاعل والمبالغة والصفة المشبّهة وصفة التفضيل، أو على النيابة عن الفاعل وذلك بعد صفة المفعول بوجه خاص. ومن ذلك قولنا: قائمٌ محمد، وناجح المجتهدان، وأعدارٌ صديقك)^(٤)، والظاهر أنّ هذه الصيغة من الصيغ التي لم تستقرّ على إسميّتها بحيث أمكن للباحث إخراجها من حيّز الإسمية إلى الفعلية .

ومما جاء في النهج نعتاً مفرداً لفظة «المعروف» إذ وردت وصفاً للفظ الجلالة في قوله -عليه السلام-: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ)^(٥)، فقد استعمل الإمام -عليه السلام- صيغة اسم المفعول «معروف»، وهي على وزن مفعول من الثلاثي «عُرِفَ»^(٦)، وقد دلّت على أنّ الوصف قد تمّ للموصوف وثبت واسم المفعول (هو ما اشتق من فعل لِمَنْ وقع عليه كمضروب ومُكْرَم)^(٧) أو (ما دلّ على الحدث والحدوث وذات المفعول كـ«مقتول» و«مأسور»)^(٨).

والإمام -عليه السلام- يمدح الله تعالى بهذه الصفة ويثني عليه، فإله سبحانه معروفٌ لعباده بالتفكّر والتدبّر في خلقه وآثاره، لا بروئيةٍ أو مشاهدةٍ إذ إنّ الرؤية والمشاهدة من شأن المخلوقات وليس من شأن الخالق. ويلحظ أنّ صيغة «اسم المفعول» جاءت في معنى أو دلالة الصفة المُشبّهة، وذلك لاقترانها بلفظ الجلالة، فالقرينة السياقية هي التي دعتنا لأصرف دلالتها إلى الثبوت، فالتعارف قد وقع على الله بآثاره وبخلقه بهذا الكون الفسيح.

(1) ينظر: النحو الوافي : ٢٣٦/٣ .

(2) مصباح السالكين : ١٠٦/٤ .

(3) ينظر : نهج البلاغة: ٢٤١/٦ ، ١٠٦/٩ ، ١٧٨/٩ ، ٢٦٨/٩ ، ٢٦٥/١٠ ، ١٤٧/١١ .

(4) الجملة الوصفية: شعبان صلاح : ١٦٠ .

(5) نهج البلاغة: ٣٩٢/٦ .

(6) ينظر: مختار الصحاح: ٤٢٦ «عرف» .

(7) شرح شذور الذهب : ٣٩٦ .

(8) معاني الأبنية في العربية: ٥٩ .

ويمكن من خلال القرائن والسياق القطع بدلالة اسم المفعول من حيث الثبوت وعدمه^(١). كما في قوله -عليه السلام- : (وَ صَادَقْتُمُوهَا وَ اللَّهُ ظِلًّا مَمْدُودًا إِلَى أَجْلِ مَعْدُودٍ)^(٢) فقد استعمل -عليه السلام- صيغتين من صيغ اسم المفعول هما «ممدود» و«معدود» ، وهما على وزن «مفعول» من الثلاثي «مدَّ»^(٣) و«عدَّ»^(٤) ، وعند النظر إلى هاتين الصيغتين نجدهما لا يدلان على اتصاف الموصوف بهما اتصافاً يتسم بالثبات والاستمرار، فالظِّلُّ امتداده إلى غايةٍ ومدةٍ محدّدة هي «الأجل» أي أنّ هذا الظلّ قصير العمر وفي قصره إشارة إلى الظلّ الدائم الباقي من غير زوال «ظلل الجنّة»^(٥) ، ومثله النعت الآخر «معدود»، فهو دالٌّ على الانقضاء ذلك أنّ (كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٌ، وَ كُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَ كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانَ)^(٦) ، و (قال الزجاج : كل عدد قـل أو كـثر فهو معدود)^(٧) ، فدلّت اللفظة على فناء الدُّنيا على الرغم من جمال زخرفها ونعيمها بل دلّت على قرب زوالها وانتهائها، من هنا نفهم أنّ ما يحدد دلالة اسم المفعول «النعت» غالباً هو السياق الذي يرد فيه، فتارة يدل على الثبات والمداومة وتارة ثانية يدل على المحدودية وهذا كله مستحصل بفعل القرائن السياقية التي تعمل على كشف معناها بدقة ووضوح عاليين.

وقد وردت لهذا النعت نظائر آخر في النهج^(٨).

ونجد الإمام -عليه السلام- في مكان آخر يستعمل «الصفة المشبهة» نعتاً مفرداً كما في قوله -عليه السلام- : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنِ شَبِّهِ الْمَخْلُوقِينَ)^(٩) ، فقد استعمل هنا «الصفة المشبهة» «العلي»، والصفة المشبهة في المنظور النحوي (هي: كل صفة صحّ تحويلُ اسنادها إلى ضمير موصوفها، وتختصُّ بالحال، وبالمعمول السببيّ المؤخّر...) ^(١٠) وتلازم الصفة المشبهة الثبوت المعنوي العام للموصوف ودوامه واستمراره^(١١) ، فـ (يقال: طمِعَ إذا وُصِفَ بالطمع، ويقال هو طامِعٌ أن يُصِيبَ منك خيراً، ويقولون: هو سكران إذا كان في سكره، وماهو ساكر عن كثرة

-
- (1) ينظر : معاني الأبنية وتصريف الأسماء : محمد الطنطاوي: ٩٠ .
 - (2) نهج البلاغة : ١١٧/٧ .
 - (3) ينظر: لسان العرب : ٣٩٦/٣ «مدد» .
 - (4) ينظر : المصدر نفسه : ٢٨١/٣ «عدد» .
 - (5) ينظر: التفسير الكبير: ١٦٤/٢٩ .
 - (6) نهج البلاغة : ١٠٥/٧ .
 - (7) لسان العرب : ٢٨٢/٣ «عدد» .
 - (8) ينظر : نهج البلاغة : ٨٣/١ ، ٥٧/١ ، ١٧٥/٢ ، ٢٦٤/٦ ، ١٩/١٠ ، ٢٠٣/١٠ ، ١٦٧/١٦ ، ١٠٢/٢٠ .
 - (9) ينظر : المصدر نفسه : ٦٢/١١ .
 - (10) شرح شذور الذهب : ٣٩٦ .
 - (11) ينظر : المفصل : ٢٣٠ ، المدخل إلى علم النحو والصرف: ٩٢ ، المنهج الصوتي للبنية العربية: عبد الصبور شاهين: ١١٧ .

الشراب، وهو «كريم» إذا كان موصوفاً بالكريم فإن نويت كرمًا يكونُ منه فيما يُستقبل قلت: كارم^(١)، فهي تدلُّ على معنى ثابت (فإن فُصِدَ الحدوث قيل: هو حاسِنٌ الآن أو غداً وكارم وطائل)^(٢).

ففي قوله - ﷺ - استعمل لفظة «عليّ» صفة لـ «الله» تعالى^(٣)، فهو (العليّ العالِي ذو العلاء والجلال والرّفعة والسناء، الغالبُ القاهر للأشياء كلّها)^(٤)، و«عليّ» صفة مشبّهة على وزن «فعليل»، وهي صفة ملازمة للذات الإلهيّة على وجه الدوام والثبوت ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى عليّ (عن صفات المخلوقين)^(٥) عالٍ بذاته وصفاته عن شبههم لأنّ المخلوق حادث وممكن ومحدود، وقد دلّ استعمال هذه الصفة مع ذات الله على معنى القوة والاقْتدار، فهو عليّ^(٦) مع الاقْتدار على كلّ شيء، وهو الذي أطاق كل شيء خلقه وقدر عليه، فـ (يعلو أن يحيط به وصفُ الواصفين بل علمُ العارفين)^(٧)، وعلى الرغم من أنّ أحد معاني اللفظة (الرفيع)^(٨) إلا أنّ الإمام - ﷺ - لم يصفِ الله تعالى بالرفيع في النهج فضلاً عن أنّ القرآن لم يصفه بذلك لأنّ العليّ بمعنى الإقْتدار وبمعنى علوّ المكان، والرفيع: من رفع المكان ليس غير لذا لا يوصف الله بأنه رفيع^(٩)، ولو وصف الإمام هذا شاهد مضموني في النص القرآني، وهو قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(١٠) فالعلو هنا ثابت ملازم مطلق وهو صفته المنفردة له المنفرد بها سبحانه دون سائر الخلق اجمعين، بيد أنّ الإمام استعمل هذه الصفة على صيغة الصفة المشبّهة، وهذا الاستعمال لا يخرجها عن مضمون العلية في اسم التفضيل في الآية الكريمة، فكلاهما يدلان على مطلق العلو بكل ما تحمل هذه اللفظة من معانٍ سامية وأنّ اتحاد اطلاقهما في المعنى متأتّ من اقترانهما بلفظ الله سبحانه في الموضعين.

(1) معاني القرآن : الفراء : ٧٢/٢ .

(2) المفصل : ٢٣٠ .

(3) قال الخليل بن أحمد: (الله عزّ وجل هو العليّ الأعلى المتعالي ذو العلاء والعلو ، فأما العلاء: فالرفعة والعلو العظمة والتجبر، ويقال : علوت وعليت جميعاً ، وكذلك عليّ علاءً في الرفعة والشرف والارتفاع). اشتقاق أسماء الله: ١٧٩ - ١٨٠ .

(4) ينظر: المصدر نفسه : ١٨٠ - ١٨١ .

(5) الكشف: ٢٣٤/٤ .

(6) العلوّ هو (الارتفاع، وعلا... الشيء يعلوه، إذا أطاقه). مجمل اللغة : ٤٣٩ .

(7) مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٥٨٣ .

(8) لسان العرب: ٨٣/١٥ .

(9) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن : الطبرسي : ٥١٨/ ٦ .

(10) سورة الأعلى : ١ .

ونظيرُ هذا قوله -عليه السلام- : (وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقُ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ...) (١) وقد جاء بـ«الرقيق» نعتاً لـ «جلد».

إنَّ النارَ الأخرويةَ فوق ما يتصوّر العقلَ البشري، فهي عظيمة الإحراق، فأثى لجسم الإنسان الضعيف وجلده الرقيق الذي تُحرّقه حرارة الشمس أن يتحمّلها، وهي كما وصفها تعالى ﴿النَّارَ الْكُبْرَى﴾ (٢)، لذا نَبّه -عليه السلام- المخاطبين على ما سيلقونه إن أساءوا العملَ إشفافاً عليهم من ورودها و ليدفع بالإنسان السوي صوب ذلك الصراط المستقيم، واستعمل «منتهجاً» الأسلوب القرآني والسنة النبويّة» ذلك الأسلوب للتحذير من النار وعقاب الخالق عزّ وجلّ (٣). وقد اعطى النعت «الرقيق» (٤) ملحظاً دلاليّاً عن طبيعة المنعوت «جلد الإنسان» (٥)، ففي هذه الرقة ملحظ من ضعفه أمام النار، وهو وصفٌ يصورُ حقيقة هذا الضعف الثابتة ثبوتاً لازماً. فإذا كانت الصفة الثابتة للإنسان هي الرقة فعليه ان يتعظ ويدرك مدى الألم الذي سوف يلقاه من عذاب الآخرة، وبهذا اللحاظ سيرعوي وينأى بنفسه عن السيئات.

ونجدُ في النهج استعمالاتٍ آخر لصيغ من «الصفة المشبهة» كما في قوله -عليه السلام- (... وَ أفسدتم عليّ رأيي بالعصيانَ وَ الخذلانَ؛ حتّى لقد قالت قريشٌ: إنّ ابنَ أبي طالبٍ رجُلٌ شجاعٌ وَ لكنّ لا علمَ له بالحرب... (٥)، فقد استعمل الإمام -عليه السلام- النعت «شجاع» على زنة «فعال» (٦) للدلالة على المبالغة في الوصف وجعله ثابتاً وراسخاً في المنعوت.

خطب الامام -عليه السلام- هذه الخطبة حينما دخل جيش الشام مدينة الانبار وفتكوا بأهلها وانتهبوا أموالهم. وقد نسبت قريش للامام -عليه السلام- صفة عدم التدبير بالحرب، (فإنّ الخلق إذا رأوا من قوم سوء تدبير أو مقتضى رأي فاسد كان الغالب أن ينسبوه إلى رئيسهم ومقدّمهم) (٧)، فبين أن سبب إخفاقاته العسكرية هي فساد حال أصحابه وعدم طاعتهم له فيما يراه ويشير عليهم به، وذلك قوله: (ولكنّ لا رأي لمن لا يُطاع!) (٨)، فإنّ الذي لا يقبل بمنزلة الفاسد، وإن

(1) نهج البلاغة : ١٢٢/١٠ .

(2) سورة الاعلى : ١٢ .

(3) ينظر: علم النفس في نهج البلاغة: هاشم حسين المحنك: ١١٧ .

(4) أي اللين. ينظر: لسان العرب : ١٢٢/١٠ «رقيق».

(*) وكفى بذلك عن الانسان نفسه.

(5) نهج البلاغة : ٧٥/٢ .

(6) ينظر: شرح المراح: ١١٨ .

(7) مصباح السالكين: ٣٩/٢ .

(8) نهج البلاغة: ٧٥/٢ .

كان صواباً^(١)، فقد وصفته قريش بثبات الشجاعة، فهي صفة ملازمة له إلا أنهم زعموا أنه ليس بقادر على قيادة حربٍ وتدبيرها^(٢)، فقارن بين ثبوت صفة الشجاعة له وبين اتهامهم له بعدم توافر الخبرة لديه في الحرب، ليبين مدى خذلان قومه له. ولهذه الصيغة نظائر أخر في النهج^(٣).

ومن أمثلة المفرد التي وردت في النهج قوله - ﷺ - : (... وَ اتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ، وَ قَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وَ أَنْدَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)^(٤)، فالنعت «شديد» صيغة مبالغة، وصيغ المبالغة أبنية دالة (على الكثرة)^(٥)، وهي «فَعَالٌ» و «فَعُولٌ» و «مَفْعَالٌ» و «فَعِيلٌ» و «فَعِيلٌ»^(٦)، (وهي عبارة عن الاوزان الخمسة...، محوَّلة عن صيغة فاعل؛ لقصد إفادة المبالغة والتكثير)^(٧)، وقال الصبان: إنها تفيدها (التنصيص على كثرة المعنى كما أوكيفاً)^(٨)، فهي صيغ تفيدها التكثير في حدث اسم الفاعل، وليست على صيغته فقولك: «جاهلٌ» يحتمل الوصف بقلة الجهل أو كثرتيه، أما «جَهُولٌ» فالمراد به الوصف لكثرة الجهل، ففي صياغة اسم الفاعل نقصد شيئين: المعنى المجرد مطلقاً وصاحبه دون النظر إلى بيان درجة المعنى، قوة وضعفاً كثرة وقلة، وأما عند استعمالنا «صيغة المبالغة» فإنما نقصد إلى الأمرين معاً مزيداً عليهما بيان الدرجة كثرة وقوة^(٩).

وتتفاوت هذه الدرجة تبعاً لتفاوت الصيغ (ومن لا يتحقق المعاني يظن أن ذلك كله^(١٠)) يفيد المبالغة فقط وليس الأمر كذلك^(١١)، إذ إنها تفيدها معاني أخر^(١٢)، قال أبو هلال العسكري: (فأما في لغة واحدة فمُحال ان يختلف اللفظان والمعنى واحد)^(١٣)، وقد رأى النحاة أن اختلاف

(1) ينظر: مصباح السالكين: ٣٩/٢

(2) فقد كان الإمام - ﷺ - من أمراء الجيش في زمن النبي ﷺ وقدراته القيادية واضحة . والقرشيون هم اعلم الناس به، فقد كان بين ظهرانيهم وخاض معهم حروباً كثيرة، فيكون لهذا القول أسباباً أخر، ولعل أوضحها هو أنهم يظلمون الإمام - ﷺ - ، وربما تكون إشاعة أشاعها أعداؤه للنيل منه.

(3) ينظر: نهج البلاغة: ٢٨٣/١، ١٧٥/٢، ٣٠٠/٢، ٣٦٣/٦، ١٨٣/٧، ٢٧٨/٩، ٩٠/١٦، ٩١/١٧.

(4) نهج البلاغة: ٣٥٠/٦ .

(5) الصاحبى: ٢٢٤.

(6) ينظر: شرح عمدة الحافظ: ٦٧٨ .

(7) شرح شذ ور الذهب: ٣٩٢.

(8) حاشية الصبان: ٢٩٦/٢ .

(9) ينظر: النحو الوافي: ٢٥٨/٣ .

(*) صيغ المبالغة .

(10) الفروق في اللغة: ١٥ .

(11) ينظر: المصدر نفسه: ١٥ .

(12) المصدر نفسه: ١٥ .

الأبنية من ناحية زيادة مبناها يدلُّ على زيادة معناها^(١)، ولذا بدا للصَّبَّانُ أن ببناء «فَعَّال» و«مِفْعَال» ابلغ من «فَعُول» و «فَعِيل» والأخيران ابلغ من «فِعْل»^(٢).

ونجد في العبارة السابقة أنه-عليه السلام- نعت «عذاب» بـ «شديد»، وهي صيغة مبالغة على زنة «فَعِيل»، وهذه الصيغة تدلُّ على الصفات اللازمة^(٣) نحو: شريف وضعيف^(٤)، فهذه الصيغ يمكن أن (ترجع عند التحقيق إلى معنى الصفة المشبهة، لأنَّ الإكثار من الفعل، والمبالغة فيه يجعلانه كالصفة الراسخة في النفس)^(٥)، فالصيغة «شديد» مسوقة إلى تكثير الفعل والمبالغة في معناه، وكان ورودها في العبارة لوصف العذاب على سبيل الكثرة للدلالة على اتِّهانه ببلوغ ذروته، وأنَّ شِدَّتَه قد بلغت الغاية، فهو-عليه السلام- ينبههم على الخطر الذي ينتظرهم، مذكِّرا إياهم باتخاذ الله الحجج عليهم، وتقديمه إليهم بالوعيد والإنذار قبل ورود العذاب، فكان استعماله لصفة الشدة بصيغة الصفة المشبهة أولى وأوفق لمقام اظهار قوة العذاب وقساوته ومدى معاناة المعذب في ذلك اليوم العظيم.

ومنه قوله-عليه السلام-: (وَإِعْلَمَنَّ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةٌ كَثُودًا الْمُخْفُ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُتَوَلَّى وَالْمُبْطِيُّ عَلَيْهَا أَقْبَحُ أَمْرًا حَالًا مِنَ الْمُسْرَعِ)^(٦)، فجاءت لفظة «كثودا» نعتا للفظة «عقبة»، وبناء «كثود» «فَعُول»، وهو من ابنية المبالغة ويأتي للدلالة على من كثر منه الفعل ودام عليه^(٧)، ويستوي فيه المذكر والمؤنث^(٨) نحو: رجلٌ صبور، وامرأةٌ صبور^(٩).

أراد الامام -عليه السلام- من المخاطب التهيؤ لما سيلقاه بعد رحيله من الدنيا إذ إنَّ أمامه عقبة شاقة المصعد^(١٠) المتقل المبطيء أسوء حالا عليها من المخف المسرع، فهي بالغة الصعوبة كأنها مادة معدة للمشقة تستهلك فيها بل هي المشقة بعينها^(١١). ولهذه الصيغة نظائر قليلة في النهج^(١٢).

(1) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٤/٤٤٣، ٥/٣١٧، حاشية الصبان: ٢/٢٩٦، المزهر: ١/٣٣٢.

(2) المصدر نفسه: ٢/٢٩٦.

(3) ينظر: الصاحبى: ٢٢٥.

(4) ينظر: الصاحبى: ٢٢٥.

(5) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: محمد الانطاكي: ١/٢٤٢.

(6) نهج البلاغة: ١٦/٨٥.

(7) ينظر: ديوان الادب: الفارابي: ١/٨٥، شرح شذور الذهب: ٣٩٢، شرح قطر الندى «النبراس»: ٣٠٧، شرح ابن عقيل: ٢/١١١.

(8) إذا كان بمعنى فاعل. ينظر: المذكر والمؤنث: أبو بكر بن الأنباري: ٤٨٦، مراح الأرواح في الصرف: أبو الفضائل احمد بن علي بن مسعود: ٧١.

(9) ينظر: المذكر والمؤنث: أبو بكر بن الأنباري: ٤٨٦، أدب الكاتب: ابن قتيبة: ٢٢٩، مراح الارواح: ٧١.

(10) ينظر: شرح النهج: ١١/٦.

(11) ينظر: معاني الابنية في العربية: ١١٥.

(12) ينظر: نهج البلاغة: ٢/١٧٤، ٩/١٣٧، ١١/٥، ١٣/١١٦، ١٦/٦٦.

ومما جاء في النهج نعتاً مفرداً أيضاً قوله -عليه السلام- : (... وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِ أَرْوَاحِهَا مُعَلَّقَةً بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى؛ أَوْلَيْكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ) (١) فقد نعت «المحل» بـ«الأعلى»، وهو اسم تفضيل واسم التفضيل وصفٌ يُصاغ على أفعل (٢) وي جاء بهذه الصيغة عندما يُراد التفاضل أو التفاوت في الوصف، وهي تدل على الزيادة في اصل الفعل في الأكثر (٣)، ودلالته دلالة ثبوت لا حدوث (٤)، وقد ورد النعت على هذه الصيغة بصورتين:

أ- مُعَرِّقاً بـ «أل» مُجَرِّداً من المفضل عليه ولم تذكر مع «من التفضيلية»، وهذه الصورة تستلزم أن يكون المنعوت في أعلى درجات المفاضلة.

إنَّ قول الإمام -عليه السلام- المذكور مثلٌ من أمثلة هذه الصورة، ولها دلالة خاصة، إذ تقول

الدكتورة بنت الشاطيء في دلالتها عند حديثها عن قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (٥): إنَّ

إطلاق مثل صيغة الأعلى - والعليا - يأتي دون قصد إلى مفاضلةٍ أو ترتيب وتري أن القصد منها هو المُضي بالعلو إلى نهايته القصوى بغير حدوده، فدلالة اللفظة «الأعلى» هو إطلاق العلو إلى مده، دون ملاحظ من المفاضلة بين أعلى وعال (٦).

فأراد الإمام -عليه السلام- أن يصف أولياء الله الذين خلصت له سرائرهم فأشرقرت أنوار عظمتهم في قلوبهم، وحين أصبحت هي ذاتها من عالم النور ومن درجات النور الإلهي، كانت صحبتهم للدنيا بأبدانهم فقط لأنَّ أرواحهم (عاشقة لما شاهدته من جمال الحضرة الربوبية وصحبة الملائكة) (٧)، فأجسامهم مع المخلوق وأرواحهم مع الخالق مُتعلقة به، وأشار إلى أنهم خلفاء الله والدعاة إلى دينه لاشتغالهم على هذه الصفات العالية، ولمّا كانت ارواحهم معلقة بالمحل الموصوف بمطلق العلو كانت ارواحهم من هنا عالية أيضاً بناءً على دلالة التعلق، فارواحهم فيها مطلق العلو كذلك من حيث اليقين وشدة الإخلاص لله وقوة التعلق بحبه والخضوع والانصياع لاداء فروضه والانتهاه عن محارمه، فتوافرت من هذا العلية في انفسهم، فتعلقت بما هو من صفتها محلاً.

(1) نهج البلاغة : ٣٤٧/١٨ .

(2) ينظر : شرح عمدة الحافظ : ٧٥٦ .

(3) ينظر : حاشية الخضري : ٤٧/٢ .

(4) ينظر : شرح المراح : ١١٥ .

(5) سورة الأعلى : ١

(6) ينظر : التفسير البياني للقران الكريم : د. عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطيء » : ١٢١/٢ .

(7) مصباح السالكين : ٣٢٧/٥ .

ونظيره قوله - عليه السلام - (فَتَأْسَ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)^(١)، فالنعتان «الأطيب» و«الأطهر» دلا على مدح النبي عليه السلام والثناء عليه بالطيب والطهر المطلقين، فدلا على المدح والثناء، وقد اقتضى له ذلك عظمة خلقه^(٢)، واجتهاده في عبادة الله تعالى^(٣)، وكونه خاتم^(٤) الديانات والخاتمية تعني فيما تعنيه مقام الكمال المطلق، وليبيان عظمة طهارته وطيبه استعمل - عليه السلام - الصفة على هيئة «الأفعل» لإفادة الاطلاق الكلي في تحقق مضمون كلتا الصفتين فلا وجود لشخص متصف بالطيب والطهر يمكن ان يقارن بالنبي أو يُفاضل معه فله عليه السلام هاتان الصفتان على وجه الاطلاق دون مفاضل معه.

ب- ورود النعت مجرداً من «الـ» وذكر المفضول عليه مع «من» التفضيلية، ومنه قوله - عليه السلام -: (أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ؛ أَشَدَّ عَلَى الْفَجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ...)^(٥)، فـ«أشد» اسم تفضيل على زنة«أفعل» جاء نعتاً لـ«عبداً» وقد جاء بعده المفضول مجروراً «بمن» التفضيلية.

وهنا يصف الإمام - عليه السلام - لأهل مصر الأمير الذي بعثه إليهم فقال: إِنَّهُ «قَوِيٌّ»^(٦) مُنْصَفٌ بِالشِّدَّةِ أَيْ (الصلابة)^(٧)، فهو رجل حازم وشجاع، مؤمنٌ بربه، وقويٌّ في دينه، ومخلصٌ في أقواله وأفعاله، راجح العقل و حسن التدبير، وهذه الصفات هي التي جعلت شدته على الكفار أعظم من حريق النار، وليس المقصود تفضيل شيءٍ على شيءٍ، أي لا يريد المفاضلة بين شدته وشدة حريق النار، وإنما أراد ان يقرن شدته بشدتها، فهو ليس في صدد المفاضلة بقدر ما هو في صدد بيان قوة الصفة، فجاء بالوصف على صيغة «أفعل» لبيان الزيادة في الوصف، لأنه وصفٌ مُطابِقٌ لموصوفه^(٨).

ولهذه الصيغة نظائر أخر في النهج^(٩).

ونصل من خلال ما تقدم إلى انّ النعت المفرد يدلّ على ثبات الصفة في الموصوف واستمرارها، ما لم تصرفه قرينة عن ذلك. وتختلف درجة اتصاف الموصوف بالصفة تبعاً

(1) نهج البلاغة : ٢٣٢/٩ .

(2) قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ . سورة القلم : ٤ .

(3) قال تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ . سورة طه : ٢ .

(4) قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ .سورة الأحزاب: ٤٠ .

(5) نهج البلاغة : ١٥٦/١٦ . والرجل المبعوث هو مالك بن الحارث الاثتر.

(6) لسان العرب : ٢٣٣/٣ «شدد» .

(7) المصدر نفسه : ٢٣٢/٣ «شدد» .

(8) ينظر: معاني النحو: ٦٨٨/٤ .

(9) ينظر: نهج البلاغة: ٩١/١ ، ٩١/١ ، ٢٣٢/٩ ، ٢٥٣/٩ ، ٢٠٨/١٦ ، ٢٤٦/١٧ .

للصيغة المستعملة في النعت، وإن صيغة إسم التفضيل «الأفعل» إذا جاءت مطلقة من قيد المفضول ولم تُذكر معه «من» التفضيلية تخرج عن دلالة المفاضلة وخصوصية القيد، وتفيد الإطلاق غير المُحدّد^(١).

الصورة الثانية: النعت الجملة أو «الجملة النعتية» وخصائصها

كان الحديث عن النعت بأسلوب المفرد، أمّا الأسلوب الآخر فهو التعبير بـ«الجملة» أو الذي عُرف عند النحاة بـ«النعت الجملة»^(*).

إنّ تنوع أساليب العربية أمرٌ اقتضته طبيعة الكلام وتفاوت الدرجات التي أراد المتكلم التعبير بها عمّا يجول في نفسه من معانٍ وهذا هو الذي أسهم في تشكّلها في صورٍ مختلفةٍ منها حلول الجملة محلّ المفرد (وكلّ جملةٍ يصحُّ وقوع المفرد مقامها، فلنك الجملة موضعٌ من الإعراب، كخبر المبتدأ، والحال، والصفة، والمضاف إليه)^(٢)، فالجملة التي يبدأ بها الكلام أو التي تستأنف بها بدايتها هي جملة على صورة من صور الاستقلال، أمّا ما صحَّ تأويله بمفرد، ويلزم أن يتبع غيره فهي جملة تابعة غير مستقلة^(٣)، لذا جعل النحاة «النعت بالجملة» في ضمن الجمل التي لها محلٌّ من الإعراب^(**) (أصل الجملة الاستقلال بنفسها، والمفرد ليس كذلك؛ بيد أنّها تقعُ موقعه في بعض الاستعمال فتكون كغير المستقل، ويحكم عليها بإعراب في موضعها بحسب إعراب المفرد الذي وقعت موقعه)^(٤)، ويؤول المركب «الجملة» بالبسيط «المفرد» إذا وقع موقعه^(٥) (***) .

إنّ جملة الصفة مع الموصوف جزء جملة^(٦) ولهذا احتاجت (إلى الجزء الذي يتمُّ به الكلام فجملة النعت تحتاج إلى منعت فقولك «رجل يعمل خير من رجل لا يعمل» إنّ جملة «يعمل» لا يستقل بها الكلام فإنّها صفة لرجل الذي هو مبتدأ و لا يتم الكلام إلا

(1) ينظر : النعت في القرآن الكريم : ٢٥٤ .

(*) قد فضلت إحدى الباحثات «عبارة النعت» على «النعت الجملة» ، ينظر : نظام الجملة العربية: سناء حميد البياتي، كلية الآداب، جامعة بغداد، «رسالة ماجستير» مكتوبة بالآلة الكاتبة : ١٩٨٣م : ١٤١ . ورأى باحث آخر أنّ البقاء على التسمية الأولى أبين وأولى لإثباتها - أي عبارة النعت - ملبسة، ونحن نؤيّد ما ذهب إليه. ينظر: النعت في القرآن الكريم: ٢٦٦ .

(2) شرح الرضي على الكافية : ٢٤٠/٢ .

(3) ينظر: الوصف بالجملة : ٥ .

(**) وهي الجمل التي تحل محلّ المفرد فتعرب بإعرابه فتكون في موضع الخبر ، أو المفعول به، أو المضاف إليه، أو الحال، أو النعت، أو غير ذلك، فتعرب بحسب الموقع الذي وقعت فيه .

(4) المرتجل : ٣٤٠ ، شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٤٣/٢ .

(5) ينظر : شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٤٣/٢ .

(***) فلا يخفى عن أحدٍ (ان دراسة النحاة للجملة كانت مرتبطة بدراسة المفردات ، ولا يهتم بها الا حين يظن بها الحلول محلّ المفرد). الجملة الوصفية في النحو العربي : ليث اسعد عبد الحميد، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، «رسالة ماجستير»، ١٩٨٤م : ١١ .

(6) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٤٠/٢ .

بالخبر «خير»^(١)، لأنّ الصفة هي جزء من الموصوف وهي مكملة له مخبرة عنه، من هنا تحتاج اللفظة الموصوفة إذا ما وقعت مبتدأ إلى خبر لها.

أولاً: خصائص النعت الجملة

من خصائص «جملة النعت» كونها خبرية إذ يجاء بها نعتاً للأسماء النكرة لحاجتها إلى البيان أو التوضيح والتخصيص، وقد بيّن ذلك ابن مالك في الألفية بقوله:

(ونعتوا بجملة مُنْكَرَا فَأَعْطِيَتْ مَا أُعْطِيَتْهُ خَبْرَا)^(٢)

وكونها - جملة النعت - خبرية هو ممّا اتفق عليه أهل العربية، ولا يجوز عندهم ان يكون النعت جملة إنشائية^(٣)، فالنعت حال ثابتة للموصوف يعرفها المخاطب له أمّا الإنشاء فليست بأحوال ثابتة للموصوف^(٤)، وقد وجد النحاة في كلام العرب نعتاً بالجملة الإنشائية على الرغم من قولهم أنّها لا تقع نعتاً، من ذلك قول الراجز:

(حتى إذا جنّ الظلام واختلط جأؤوا يمدّق هل رأيت الذئب قط)^(٥)

لذلك أولوه بقول محذوف نعتاً لـ«مدق»، والتقدير: يمدّق مقول فيه هل رأيت الذئب

قط^(٦).

وقد وجه الدارسون المحدثون هذا الشاهد توجيهاً حسناً خالياً من الصنعة والتكلف، فجملة «هل رأيت الذئب قط» من نوع خاص قصد بها التفسير والتوضيح، وهي أقرب ما تكون إلى الجملة الخبرية، وأكد ذلك بعملية نطقها فهي تُنطق بموسيقى وتنغيم غير تلك الأنماط الموسيقية والتنغيمية للجمل الاستفهامية^(٧)، ورأى آخر أنّها - ما جاء في الشاهد الشعري - مقصود به التشبيه^(٨)، والتشبيه لا يخرج عن نطاق الجملة الخبرية وبهذا نرجح الرأي الأول القائل بأنها جملة خبرية توضيحية لخلوها من التعسف والتقدير والتكلف، فقد أراد الشاعر وصف لون اللبن بلون الذئب فاوضح لون المذق بجملته هذه.

وقد وردت «جملة النعت» في الشعر العربي، ومنه قول الاعشى:

(1) الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٤٨ .

(2) ألفية ابن مالك: ٣٥ .

(3) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢/٢٤٢، أوضح المسالك: ٨/٣، نكتة الإعراب: ابن هشام: ١٤١ .

(4) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢/٢٤٢، شرح عمدة الحافظ: ٥٤١ .

(5) الرجز للعجاج في ملحق ديوانه: ٢/٣٠٤، ينظر: الأمالي الشجرية: ابن الشجري: ٢/١٤٩ .

(6) ينظر: المقتصد: الجرجاني: ٢/٩١٢، الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/١١٥-١١٦ «م ١٤»، شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ابن مالك: ٣/١٧٣ .

(7) ينظر: علم اللغة العام: د. كمال محمد بشر، القسم الثاني «الأصوات»: ١٩٥ .

(8) ينظر: معاني النحو: ٣/١٨٦-١٨٧، الأساليب الإنشائية في النحو العربي: عبد السلام هارون: ١٠٩ .

(الاحي ميأ إذ أجدَّ بكوورها وعرض بقول: هل يفادى أسيرها)^(١)

كما وردت في القرآن الكريم، ومما ورد فيه قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا

مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(٢) ويُخلص مما ذكرَ إلى أن أهم سمة لـ «جملة النعت» هو كونها خبرية إذ إنَّ

الغرض من النعت تمييز المنعوت للمخاطب، ولا يتميز له إلا بما هو معلوم عنده قبل الخطاب، والإنشائية ليست كذلك لأنَّ مدلولها لا يحصل إلاَّ بها^(٣).

ولا بُدُّ للجملة النعتية من عائدٍ يعودُ إلى موصوفها إذ لا بُدَّ من رابطٍ يربطها بما قبلها ليتم الكلام معناه^(٤)، وهذه خصيصة أخرى لـ «جملة النعت»، فـ (حكم الصفة كحكم الصلة في أنه يلزم أن يرجع منها عائدٌ إلى الموصوف كما يعود من الصلة إلى الموصول)^(٥)، ويكون العائد في الغالب ضميراً، وهو (دليلٌ على اتصال جملة الصفة بالموصوف)^(٦).

وقد امتنع عند النحاة نعت المعرفة بالجملة، وأوجبوا التكرير في الموصوف إذا كانت الصفة جملة، وإذا أردت نعت المعرفة بالجملة أتيت بـ «الذي» إذ يمكن معها التوصل إلى نعت المعرفة بالجملة بواسطة الاسم الموصول^(٧). فـ (المعرفة توصف بالمعرفة، والنكرة توصف بالنكرة، ولا توصف معرفة بنكرة، ولا نكرة بمعرفة)^(٨) و(لا يوصف بالجملة إلا النكرات)^(٩).

أمَّا ما جاء في الشعر من مثل هذا القول:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبني فمضيتُ ثمَّ قلتُ: لا يعنيني^(١٠).

(1) ينظر: ديوان الاعشى: ٤٣.

(2) سورة الأنفال: ٢٥، ينظر: النعت في القرآن الكريم: ٢٦٩ - ٢٧٠.

(3) ينظر: حاشية الصبَّان: ١/١٩٥.

(4) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢/٢٤٢، الجملة الوصفية في النحو العربي: ٢٨، وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية - دراسة حول المعنى وظلال المعنى: محمد محمد يونس علي: ٣٠٤.

(5) المسائل المشككة «البغداديات»: أبو علي الفارسي: ١٣١، وصف اللغة العربية دلاليًا مفهوم الدلالة المركزية - دراسة حول المعنى أو ظلال المعنى: ٣٠٤.

(6) الجملة الوصفية في النحو العربي: ٢٨.

(7) ينظر: الاصول: ٢/٣٠، شرح المقدمة المحسبة: ٢/٤١٦، ركن الدين الاسترآبادي وكتابه البسيط في شرح الكافية - دراسة وتحقيق: حازم سليمان الحلي، كلية الاداب، جامعة بغداد، «رسالة دكتوراه»، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م: القسم الاول: ٦٣٦.

(8) للمع: ١٦٢، ينظر: الأصول: ٢/٣٠، المقرب: ٢٤٤.

(9) المفصل: ١١٥.

(10) البيت لرجل من سلول ينظر: الكتاب: ٣/٢٤، دلائل الاعجاز: ٢٠٩، الموسوعة الشعرية - الاصدار الثالث.

فقد قال أصحاب النظر النحوي ان جملة «يسبني» يمكن حملها على الحالية لتعريف صاحبها وذلك بالنظر إلى اللفظ، ويمكن حملها على النعتية بالنظر إلى المعنى، لأن المنعوت يُراد به الجنس، فتعريفه وتكثيره سواء^(١).

والأظهر لدينا أن هذا التركيب «جملة النعت» يحتمل الحالية والنعتية وهذا ما اختاره عدد من الباحثين المحدثين^(٢). فالحمل على الأولى بالنظر إلى اللفظ، والحمل على الثانية بالنظر إلى المعنى.

ثانياً : أقسام النعت الجملة في النهج

تتنوع الجمل النعتية في الكلام العربي، فمن أقسامها: الجملة الإسمية والجملة الفعلية، وجملة الشرط، وكذلك شبه الجملة بنوعيه: الظرف والجار والمجرور^(٣)، وقد وقعت هذه الجمل نعوتاً للأسماء النكرة، ويلحظ احتواء هذه التراكيب «الجمل» على رابط يرجع على المنعوت وفي الغالب يكون ضميراً ليقوم بوظيفة الربط بين الجملة «النعت» والمنعوت، ويعمل على إيجاد التماسك بينهما، كما هو الحال في جملة صلة الموصول مع موصولها. أما حكم هذه الجملة التابعة فهو بحكم متبوعها أو موصوفها الإعرابي من رفع ونصب وخفض^(٤)، وقد تناولت هذه الجمل مبتدأةً بالجمل الإسمية في النهج .

أ- الجملة الإسمية

يرى بعضهم أن الجملة الاسمية تدلُّ على الثبوت^(٥)، فالجملة الاسمية موضوعة للإخبار بثبوت المسند للمسند إليه بلا دلالة على تجدد واستمرار. إذا كان خبرها اسماً فقد يقصد به الدوام والاستمرار الثبوتي بمعونة القرائن. وإذا كان خبرها فعلاً مضارعاً فقد يفيد استمراراً تجديدياً إذا لم يوجد داع إلى الدوام^(٦)، فالثبوت يستفاد من الإسم والتجدد يستفاد من الفعل^(٧).

(1) ينظر : الجملة الوصفية في النحو العربي: ٢٢ .

(2) ينظر: الجملة الوصفية في النحو العربي: ٢٤، النعت في الشعر الجاهلي: انس عباد عيدان، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، «رسالة ماجستير»، ١٩٩٤م: ٢٣٠، النعت في القرآن الكريم: ٢٨٠.

(3) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢/٢٤١.

(4) ينظر: الإعراب عن قواعد لغة الإعراب: ابن هشام: ٦٩ .

(5) ينظر: الإيضاح: القزويني: ٧٥.

(6) الكليات : أبو البقاء الحسني اللغوي: ١٢٨.

(7) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٨.

فالقول بدلالة الجملة الاسمية على الثبوت، ودلالة الجملة الفعلية على الحدوث^(١) هو من باب التجوز في القول اما الاولى فهو القول بأن الاسم هو الدالّ على الثبوت وانّ الفعل هو الدال على الحدوث^(٢).

وقد ظهر لنا أنّ هذا التركيب النعتي أقلّ شيوعاً في النهج من التركيب الآخر «الجملة الفعلية» الموضوعية في موضع النعت ويمكن أن نلاحظ في نهج البلاغة أنّ استعمال الجملة الاسمية نعتاً قد ورد على صور مختلفة:

١ - جملة إسمية تبدأ بضمير يعرب مبتدأ: ومنه قوله -عليه السلام- : (وَإِنَّمَا لِلَّهِ لَافْرُطَنَ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَا تَحْتُهُ؛ لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بَرِيٌّ، وَلَا يَعْْبُونَ بَعْدَهُ فِي حَسْبِي)^(٣)، فالجملة المكوّنة من المبتدأ «أنا» وخبره «ماتحه» جاءت صفة لـ «حوضاً»، و«الهاء» في «ماتحه» ضميرٌ رابطٌ يعودُ على منعوتها «حوضاً»، وهي في محلّ نصب تبع له.

يُقسَمُ الإمام -عليه السلام- أنّه سيملاً لأعدائه حوضاً، ويُريد بـ «الحوض» المنية، وأنّه -عليه السلام- هو نازع ماء هذا الحوض ومخرجه أي أنّه سيسقي من قصد إلى حربه الموت، فلا يصدر عنه بريٌّ كأنّهُ -ماء الحوض- أشبه بماء البحر إذ إنّ من ذاق الخوف يزداد عطشاً مع كلّ جرعة خوفٍ فلا يروى أبداً، ولا يشرب «بعده في حسي» فإذا سقاهاهم كأس المنية لن يذوقوا بعده ماءً زلالاً، فالإمام يتوعد أعداءه بالقضاء عليهم وإهلاكهم، قال ابن أبي الحديد: (وهذه كناية عن الحرب والهيّجاء وما يتعقبهما من القتل والهلاك)^(٤)، ونلاحظ أنّ الجملة الاسمية قد بنّيت في أوصل العبارة صفة الثبات، فقد دلّت على ثباته -عليه السلام- ماتحاً صفة لهذا الحوض، لـ (أنّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدّده شيئاً بعد شيء)^(٥).

ومنه أيضاً قوله -عليه السلام- : (وَإِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الإِعْتِبَارِ... إِنْ قِيلَ أَثَرِي قِيلَ أَكْدَى، وَإِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِالْفَنَاءِ، هَذَا وَلَمْ يَأْتِيهِمْ يَوْمٌ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ)^(٦)، فقد وصف «يوم» بالجملة «هم فيه مبلسون»، وجاء الضمير «هم» فيها مبتدأ، و«مبلسون»^(٧) خبرٌ للمبتدأ.

(1) ينظر: حاشية الخضري: ١٠٢/١.

(2) ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٦٢.

(3) نهج البلاغة: ٣٣/٩.

(4) شرح النهج: ٣٧/٩.

(5) دلائل الإعجاز: ١٨٢.

(6) نهج البلاغة: ٢٨٥/١٩.

(7) (أبلس من رحمة الله أي يئس وندم). لسان العرب: ٢٩/٦ «بلس».

أراد الإمام -عليه السلام- القول أن المؤمن إنما ينظرُ إلى الدنيا بعين الاعتبار ليعتبر، إذ إنَّه لم يُخلَق لأجلها بل ليتوصَّل بها إلى غيرها، وأراد بقوله: «إن قيل أثرى قيل أكرى، وإن فرح له بالبقاء حزن له بالفناء» ما يراه المؤمن من عيشة مُكدَّرة وليدَّة مُنَّعَصَة فيها، فالدنيا منقلبة بأهلها، ولا دوام فيها لغنى أو سرور، إذ لا بدَّ من مجيء الموت الذي يقطع الراحة. قال ابن ميثم: (هذا البلاء ولم يأت الناس يوم القيامة الذي لشدة هوله يأسون فيه من الرحمة)^(١)، إذاً ذلك اليوم لا مثيل له وقد قصر الإبلas فيه، وقد دلت الجملة الإسمية على ثبات صفة الإبلas لذلك اليوم إلا ما رحم سبحانه.

ولهذه الجملة نظائر آخر في النهج^(٢).

٢- جملة إسمية تبدأ باسم: ومنها قوله -عليه السلام-: (مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ، أَوْلَّهَا عَنَاءً، وَآخِرُهَا فَنَاءً! فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ)^(٣)، فقد وردت لفظة «أولها» مبتدأ، ولفظة «عناء» خبراً للمبتدأ، والجملة «أولها عناء»^(*) في موضع جرٍّ صفةٍ لـ «دار» ولم تخلُ من عائِدٍ على الموصوف، وهو «ها» في «أولها».

فأراد الإمام -عليه السلام- وعظ الناس بتغييرهم من الدنيا بذكر صفاتها، واتخذ إلى ذلك سبيل الاستفهام الذي دلَّ على تحقير هذه الدار، فيقول -عليه السلام-: ما الذي أصفه من الدنيا وكلَّ ما فيها تعبٌ وآمٌ منذ أن يولد الإنسان وحتى يلفظ النفس الأخير، فأولها الضعف والحاجة وآخرها موتٌ لا يردهُ شيءٌ من مالٍ أو جاهٍ أو إيمانٍ أو غير ذلك، ولا يُسلمُ من حلالها فضلاً عن حرامها، ففي الحلال حساب وفي الحرام عقاب، فكيف تُصرفكم ذاتُ الفناء والعناء بقليلها المُنكِّد الذي يودي بكم إلى نارٍ لا طاقة لكم بها عن دارٍ لا زوالٍ لنعيمها وراحتها! وهنا جاءت الجملة الاسمية وما عطف عليها من جملٍ تُخصص هذه الدار المجهولة، فدلَّت على أن المقصود بها هو الدنيا، كما دلت إسمية الجملة على ثبات هذه الصفات وملازمتها لها ليتم تحقيرها على أكمل وجه.

ونظير ذلك قوله -عليه السلام- لأحد ولاته: (فاحذروا ناراً فَعَرُّهَا بَعِيدٌ)^(٤)، فقد جاء الاسم «ععرها» مبتدأ وخبره «بعيد» جملة إسمية في محل نصب صفة للنكرة «ناراً»، وقد ربط الجملة الإسمية بمنعوتها الضمير «ها».

(١) مصباح السالكين: ٤٢٣/٥ .

(٢) ينظر: نهج البلاغة: ٢٢٨/٧ ، ٩١/٩ ، ١٥٢/١١ ، ١٤٧/١٧ ، ٢٧١/١٨ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٣٨/٦ .

(*) وقد عطف عليها الجملة الإسمية «آخرها فناء» وموقعها الجر أيضاً .

(٤) نهج البلاغة: ١٦٤/١٥ .

وهنا يُحذر الإمام -عليه السلام- هذا الوالي من ارتكاب المعاصي في عمله، فإن ارتكابها سيؤدي به إلى النار، وقد خصّص هذه النار المجهولة بفردي من أفرادها، فأخرجها من عموم النيران إلى نار صفتها بُعد القعر، ولما كانت الجملة إسمية دلت على ثبات هذه الصفة وملازمتها لها، فتصوّر لنا ناراً حجمها هائل ومساحتها شاسعة ثابتة العمق، كما أنّها توحى بعظم الخوف والرعب الذي يستولي على حواس الإنسان المعذب فيها، ف(وصفها بأوصافها ليستند منها الحذر وهي بُعد القعر)⁽¹⁾ فالْبُعد دالٌّ على عمقها، والعمق دالٌّ على كثرتها، والكثرة دالة على عظم إحراقها وشدّته، وعلى امتداد فترة الهوي، وهو نوع من أنواع عذابها. ولهذه الصفة نظائر أخر في النهج⁽²⁾.

٣- جملة إسمية تقدم فيها الخبر على المبتدأ: ومنها قوله -عليه السلام-: (مَا خَيْرٌ بِخَيْرِ بَعْدَهُ النَّارُ، وَمَا شَرٌّ بِشَرِّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ)⁽³⁾، وهنا جاءت الجملة الإسمية مكونة من خبر مقدّم وهو شُبّه الجملة «بعده»، والمبتدأ «النار» صفة لـ «خير»، وللجملة الإسمية هنا وجهان إعرابيان: الأول: صفة لاسم «ما» فيكون موضعها الرفع، وتقدير الكلام: ما خيرٌ تتعقبه النار بخير. والثاني: أن يكون موضع «بعده النار» جراً لأتفه صفة «خير» المجرور، فيكون التقدير: لا خير في خير تعقبه النار⁽⁴⁾. وقد جاءت «الهاء» ضميراً رابطاً في «بعده» يعود على المنعوت «خير». وقد تقدّم الظرف «بعده» في الجملة النعتية على المبتدأ «النار» للدلالة على الاهتمام والعناية بالمتقدم. فقد ذكر النحاة أنهم لم يجدوا العرب قد اعتمدوا في التقديم شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام، وإن كانا جميعاً يُهمّانهم ويعنيانهم⁽⁵⁾. وكذلك يدلّ على الاختصاص، ف(إن أهم غرض من أغراض تقديم الظرف هو الاختصاص والحصص)⁽⁶⁾.

فالإمام -عليه السلام- يُحقر هذا الخير المتّصف وصفاً ثابتاً بانتهاؤه إلى النار بل المختصّ بكونها خاتمة له.

وبمثل ذلك تكون العبارة الأخرى «وما شرٌّ بشرّ بعده الجنّة»، فتعرب الجملة الإسمية «بعده الجنّة» بوجهين إعرابين:

الأول: أن تكون في محل رفع صفة اسم «ما» «شر».

والثاني: أن تكون في محل جرّ صفة لـ «شر» خبر «ما».

(1) شرح النهج: ٤٢٥/٤ .

(2) نهج البلاغة: ٢٨٨/٧ ، ٦٨/١٠ ، ٢٦١/١٠ ، ١٢/١٣ ، ٢٠٥ /١٦ ، ١٠٦/١٧ ، ٢٨٥/١٩ .

(3) المصدر نفسه: ٣٣٥/١٩ .

(4) ينظر: شرح النهج : ٣٣٥/١٩ .

(5) ينظر : الكتاب : ٣٤/١ ، دلائل الإعجاز : ١٣٦ .

(6) معاني النحو : ١٦٦/١ .

وقد تقدم الظرف «الخبر» للغاية نفسها في العبارة الأولى، وهي الدلالة على اختصاص هذا الشرّ بهذه النهاية.

إنّ سوء العاقبة في الأولى نفي الخيرية عمّا يُعرَف بـ«الخير»، وإنّ حسن العاقبة في الثانية نفي عن الشرّ أن يكون شرّاً، وقال ابن ميثم في ذلك: إنه -عليه السلام- نفي عمّا يقود إلى النار وإنّ عدّ في الدنيا خيراً ولدّة استحقاق اسم الخير تحقيراً له وتنفيراً عنه لأنّ غايته هي النهاية في الشر وهي النار، وكذلك نفي عمّا يقود إلى الجنة من الطاعات الشاقة والمؤلمة وإنّ عدّ في الدنيا شرّاً وألماً استحقاق اسم الشرّ ترغيباً فيه لأنّ غايته هي دخول الجنة^(١).

وقد يأتي النعت على هيئة جملة تقدم فيها الخبر الذي هو شبه جملة على المبتدأ لإثباته نكرة لا مسوغ لها للأبتداء، ومن ذلك قوله -عليه السلام-: (فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا...؛ وَ إِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْعَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ)^(٢)، فالجملة الإسمية «فيها تشويق» جاءت في موضع الجرّ صفة لـ«آية» الأولى، وحكم الجملة الإسمية الثانية «فيها تخويف» الإعرابي هو الجرّ صفة لـ«آية» الثانية، وقد ربط بين الجملتين ومنعوتيهما الضمير «ها».

وهنا يذكر -عليه السلام- صفات المتقين وفضائلهم، أنّهم إذا مروا بآية فيها ذكر الثواب اطمأنوا بها، طمعا في نيله، وإذا مروا بآية فيها وعيد وذكر عذاب استمعوا إليها بمسامع قلوبهم، والصفتان: «فيها تشويق»، و«فيها تخويف» صفتان ثابتتان في موصوفيهما لمجيئهما على الاسمية وانما تقدم المتعلق «الخبر» على المبتدأ فيهما لان مدار الحديث في الموضعين هو على «الآية»، فكان من الواجب ان يتقدم المتعلق الذي يعبر عنها لبيان شدة الاهتمام بها.

وفي النهج نظائر آخر^(٣) لهذه الصورة من الجملة الإسمية.

٤ - جملة إسمية مُصدّرة بأحد النواسخ: وقد تأتي الجملة الاسمية النعتية مُصدّرة بأحد النواسخ، فمثلما تقع الجملة الاسمية المثبتة نعتاً للاسم النكرة كذلك تقع الجملة الاسمية المنسوخة بأحد النواسخ، ومنها قوله -عليه السلام-: (اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ؛ فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا...، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَأَنَّ بَأْذَنِهِ عَن سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقَرَأَ)^(٤)، فقد جاءت الجملة «كأنّ بأذنيه عن سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقَرَأَ» صفة لـ «متمرّدا» وتصدّرتها «كأنّ» الناسخة، واحتوت على ضمير رابط وهو «الهاء» في «بأذنه»، وحكمها الإعرابي هو النصب محلاً.

(1) ينظر: مصباح السالكين : ٤٣٥/٥ - ٤٣٦.

(2) نهج البلاغة : ١٣٣/١٠.

(3) ينظر: نهج البلاغة: ٣٣/٧ ، ٢٠٢/٧ ، ٢٨٥/١٩ .

(4) المصدر نفسه: ٢٤٤/٨.

وهنا يحث الإمام -عليه السلام- الناس على التورع في مكاسبهم، وبعد أن ذكر ازدياد إدمان الخير، وازدياد إقبال الشر قال هذا الكلام، وكأن سائلاً يسأله -عليه السلام- ولم ازداد الخير إدماناً والشر إقبالاً؟ فأجاب -عليه السلام- بأن العلة هي انتشار الفقر، فهو الذي يعرض المؤمن للفتنة في دينه، ويجره إلى كل سوء، ويلقيه في المهالك، وذكر أيضاً علة أخرى وهي بخل الأغنياء على الفقراء وكفرهم نعم الله تعالى^(*)، ثم ذكر عدم اتعاض المتمرد منهم، فالعاصي لا يسمع وعظ الواعظين وشبهه في ذلك بالذي وقرت أذنه⁽¹⁾، وقد دلت «كأن» على التشبيه⁽²⁾، ولما قدم خبرها وهو «بأذنه» على اسمها وهو «وقراً» (تقديماً جائزاً)⁽³⁾ دل على الاهتمام والعناية بالخبر وتخصيص هذا الوقر بأذن المتمرد «عن سمع المواعظ». وعبر عن اختصاص المتمرد بهذا التشبيه من بين أفراد جنسه على جهة الثبات والدوام لدلالة الجملة الاسمية على ذلك، فالمتمرد لا يتعظ أبداً لملازمته عدم السماع للموعظة⁽⁴⁾. واستعمل النسخ بأداة التشبيه كي يلزم البخيل بالحجة، فقال «كأن» فشبهه بالأصم وهو في الحقيقة ليس بأصم، من هنا تثبت الحجة عليه في أنه كامل الحواس ذو عقل يدرك الأشياء والمقتضيات بيد أنه يتجافى عمداً وقصداً بسبب بخله، فيزداد الفقر بهذا التجافي والجحود لحق غيره من الناس.

ونظيره قوله -عليه السلام- يصف النار الأخروية: (دارٌ ليس فيها رحمة، ولا تُسمع فيها دَعْوَةٌ، ولا تُفْرَجُ فيها كُرْبَةٌ)⁽⁵⁾، فقد جاءت الجملة الاسمية «فيها رحمة» منفية بـ«ليس»، وقد وقعت في موضع الرفع صفة للخبر «دار».

إن الإمام -عليه السلام- يؤدي وظيفته إماماً وواعظاً في تحذيره الناس من النار، واستعمل طريقة وصفها للوصول إلى هذا الغرض لذا نجد أنه -عليه السلام- يُكثِرُ من وصفها. وهنا ينفي وجود الرحمة في هذه الدار نفياً قاطعاً على سبيل الإطلاق، فـ«ليس» لا تدل هنا على زمن الحال كما يرى النحاة، فالنفي بـ«ليس» هنا مطلق، بيد أنه لم ينف الرحمة بقوله عن غيرها لتخصيصه انتفاء الرحمة فيها، وقد عطف عليها الجمل الفعلية «ولا تُسمع فيها دَعْوَةٌ»، و«لا تُفْرَجُ فيها كُرْبَةٌ»، لذا اختصت بانعدام سماع دعوة فيها، وتفريج كربة، وقد دلت الجملة

(*) في قوله -عليه السلام- : (أَوْ غَتِيًّا بَدَلَ نِعْمَةِ اللَّهِ كُفْرًا). نهج البلاغة : ٢٤٤/٨ .

(1) أي ذهب سمعها كله فصمت. ينظر : لسان العرب : ٢٨٩/٥ «وقر».

(2) ينظر : مغني اللبيب : ٣٨٠/١، معاني النحو : ٣٣٧/١ .

(3) الجملة الخبرية في نهج البلاغة -دراسة نحوية : علي عبد الفتاح الشمري ، كلية التربية ، جامعة بابل، بإشراف: أ. د. علي ناصر غالب، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م : ٥٦ .

(4) فالمتمرد ابعد من أن ينتفع بالمواعظ. ينظر: دلائل الاعجاز : ٢٢٩ .

(5) نهج البلاغة : ١٦٤/١٥ .

الاسمية على أنّ انعدام الرحمة صفة ثابتة مُلازمة للموصوف «دار»، وهذا يتفق مع القول باطلاق النفي في «ليس» من أي زمن.

ولهذا النعت نظائر أخر في النهج^(١).

نصل إلى أنّ الجملة الاسميّة قد وردت في النهج بعدة صور، وأنّها دلّت على ثبات الصفة في الموصوف وملازمتها له ما لم تُدَلّ قرينة على غير ذلك.

ب - الجملة الفعلية

الجملة الفعلية هي ما صُدّرت بالفعل يليه الفاعل مُسنداً إليه^(٢)، والفعل في العربية هو ما دل على حدث وزمن^(٣). وتجري الجملة الفعلية الخبرية مجرى الجملة الاسمية إذ إنّها تقع نعتاً، فيتم بها وصف الاسم النكرة، ولسيوييه تنبيه على ذلك بقوله: (وإذا كان الفعل في موضع الصفة فهو كذلك، وذلك قولك: أزيدي أنت رجلٌ تضربُهُ، وأكلَ يومٌ ثوبٌ تلبسُهُ. فإذا كان وصفاً فأحسنهُ أن يكون فيه الهاء؛ لأنّه ليس بموضع اعمال ولكنه يجوز فيه كما جاز في الوصل، لأنّه في موضع ما يكون من الاسم)^(٤)، وعلى الرغم من أنّ دلالة الفعل على الحدوث^(٥)، وأنّ الجملة الفعلية هي في الأصل (موضوعة لإحداث الحدث في الماضي والحال فتدلّ على تجدد سابق أو حاضر. وقد يستعمل للاستمرار بلا ملاحظة التجدد في مقام خطابي)^(٦)، فإنّ ما قاله سيوييه يوحى أنّ وقوع الجملة الفعلية والجملة الاسمية نعتاً للاسم النكرة تقتضي في كلّ منهما ثبوت الأمر المُخبر به^(٧)، فالظاهر أنّ تجدد الفعل في داخل الجملة الفعلية هو أمرٌ ملازمٌ للموصوف، فيكون التجدد في جملة النعت صفة ثابتة للموصوف هذا إنّ قصد سيوييه الاسمية من استعماله لفظة «اسم». أمّا إذا استعملها بمعنى «المفرد» فلا يكون للجملة الفعلية ثبات الجملة الإسمية، وأحسب أنّ سيوييه عنى المعنى الأول، إلا أنّ الجملة الاسميّة أكد وأثبت وأكمل في الوصف، وذلك لأنّها على وجه الدوام وعدم التحول.

ويلزم أيضاً احتواء الجملة الفعلية على ضمير رابطٍ لنتمّ عملية التماسك بين المنعوت وجملة النعت، ومن خلال دراسة النهج ظهر أنّ الجملة الفعلية أكثر شيوعاً واستعمالاً من الجملة الاسمية^(*)، وتنقسم الجملة على قسمين:

(1) ينظر: نهج البلاغة : ٢١٥/٨ ، ١٠٤/٩ ، ١١٦/١٠ ، ١٩٩/١٠ ، ١٦٤/١٥ .

(2) ينظر: للمع: ٨٨، مغني اللبيب: ٧/٢ .

(3) ينظر: الأصول : ٣٨/١ .

(4) الكتاب: ١٢٨/١ ، التوابع في كتاب سيوييه : ١٩ .

(5) ينظر: الإيضاح : القزويني : ٧٥ .

(6) الكليات : ١٢٨ .

(7) الجملة الوصفية في النحو العربي : ٧٢ .

١ - الجملة الفعلية الماضية

الفعل الماضي هو ما (وضعَ لحدث ماضٍ ويُعرض له الحضور أو الاستقبال)^(١)، وقد استعمل النهج الجملة الفعلية الماضية نعتاً في مواضع كثيرة منها قوله -عليه السلام-: «... أَيْتُنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانَهَا لِلْعَيْبِ، وَتَجْرُنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِعِغْضِبِهِ!»^(٢)، فجملة «أحمأها إنسانها» جملة فعلية فعلها ماضٍ في محل جرّ نعت لـ «حديدة»، وقد ربط بينها وبين منعوتها الضمير «ها» في «أحمأها»، وكذلك في «إنسانها»، ونظيرها جملة «سجرها جبارها»، فقد جاءت جملة فعلية فعلها «ماضٍ»، وهي في محل جرّ صفة لـ «نار»، وعاد فيها الضمير «ها» في «سجرها» و«جبارها» على منعوتها «نار».

يحتج الإمام -عليه السلام- لنفسه مستنكراً بأنين المخاطب من الأذى اليسير من حديدة أحمأها إنسان^(٣) بنار هذه الدنيا، رافضاً الانجرار إلى العذاب الشديد بنار الآخرة، وهي نار سجرها رب عظيم لمن عصاه^(٤)، وقد دلّ الفعل «أحمى» على أنّ الحدث كان قد تم في زمن ماضٍ^(٥) وانتهى، فبمجرد إبعاد الحديدية عن النار انتهى الإحماء وأخذت تبرّد، و«أيتنُّ» كان هو الفعل الدال على الحال في الحدث الذي ينقله الإمام -عليه السلام-، ومع زوال مصدر الإحراق يُمكن التخفيف عن المتألم أو إزالة ألمه في حين أنّ النار التي يُجرّهُ المخاطب إليها نارٌ عظيمة إذ إنّ الذي سَجَرَهَا وملاها طاقةً وقدرةً على الإحراق^(٦) هو الله تعالى، وهذه القدرة مُستمرة، فقد دلت صيغة «فعل» في الفعل «سَجَر» (على أنّ الحدث كان قد تمّ واستمر على هذه الحال أي منجزاً حتى زمن التكلم)^(٧)، وهذه دلالة الصيغة، أمّا التسجير الذي أسنده الإمام -عليه السلام- -الله تعالى فهو فعل مطلق من الزمن وإن كانت صيغته الظاهرية تدل على المضي إلا أنّ قرائن السياق تثبت أنّه مفرغ من الزمن، فالله تعالى سجّر النار وهي دائمة على هذه الحال دون انقطاع أو توقف البتة^(٨)، وهذا لايقاع التضاد بين العذابين، ويعضد هذا انه أضاف الضمير

(* ينظر: ص ١١٤ من هذا البحث.

(1) شرح عمدة الحافظ: ١٠٤ .

(2) نهج البلاغة: ٢٤٥/١١ .

(3) أي أنّه (أسخنها). لسان العرب: ٢٠١/١٤ «حما» .

(4) لا ريب في أنّه -عليه السلام- قد عامل أخاه بلطف ورقة، فإن لم يُكن له حقّ ماديّ في بيت المال - إذ أنّه يطلب الزيادة - فقد أساءه بسماع شكواه والتألم لما يه، وإمّا أراد باستعمال الحديدية المحماة تنبيهه على النار الأخروية، فالإمام زعيم الأمة ومعلمها ومربيها. ينظر: مصباح السالكين: ٨٥/٤ .

(5) ينظر: الفعل زمانه وأبنيته: ٢٨ .

(6) أي أوقدها وأحمأها. ينظر: لسان العرب: ٣٤٥/٤، ٣٤٦ «سجر»، الأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء: الشيخ محمد جعفر الكرباسي: القسم الثالث: ١٧٣ - ١٧٤ .

(7) الفعل زمانه وأبنيته: ٢٨ .

(8) ولذا كان العذاب المسبب عن الأولى كاللهو قياساً إلى الثانية. ينظر: مصباح السالكين: ٨٦/٤ .

العائد على الحديدية إلى الإنسان للدلالة على ضعف المضاف والمضاف إليه، ولذا جاء بالحديدية مفردة ليبيّن أنها شيءٌ حقيرٌ ويسير، ثمّ أضاف الضمير العائد على النار إلى الجبار للدلالة على عظمتها إذ إنّها أضيفت إلى عظيم قادر^(١).

وقد رأينا في المثال المتقدم كيف أسهم الفعل في الجملة الوصفية في إحداث دلالات عميقة يفهمها المتلقي من السياق الذي تردّ فيه العبارة.

ونظير ذلك قوله -عليه السلام-: (وَ أَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ سُجْحَانَهُ)^(٢)، ونجد هنا الجملة الفعلية «أخذت به» قد وقعت صفة للمضاف إليه «سبب» في محلّ جرّ، وفعلها «ماض»، فما الذي دلّ عليه هذا الفعل؟.

إنّ الإمام -عليه السلام- في معرض وصيّة ونصح لولده^(٣) H- إذا فلا بُدّ من أنّه عنى أن يلتزم هذا الابن بوصيته في مستقبل الأيام، فقد دلّ الفعل «أخذ» على الاستقبال، فالفعل الماضي (يحتمل المضيّ والاستقبال إذا كان صفةً لנקرة عامّة)^(٤)، فالمعنى «تأخذ به»، إنّما يفهم معنى الاستقبال من السياق الذي وردت فيه الجملة، ولذلك ذهب السيوطي «ت ٩١١ هـ» إلى (الحمل على الماضي، لإبقاء اللفظ على موضوعه)^(٥)، لأنّ الاستقبال فهم (فيما مثل به من خارج)^(٦)، ويبدو قوله -عليه السلام- هنا اخبار ونحسب أنّ هذا الكلام إخباريّ المبني انشائيّ المعنى، فالمعنى أمر أي خذ به، إذ أنّه وصية من أب لابنه، والأمر أيضاً لما يستقبل من الزمان، وقد اتضحت دلالة الاستقبال في عبارة مماثلة في موضع آخر من النهج، وذلك في قوله -عليه السلام-: (قَائِي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ... وَ الْأَعْتَصَامَ بِحَبْلِهِ، وَ أَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ؛ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ!)^(٧)، فلا أقوى من السبب بين العبد وربّه إن أخذ به والتزمه.

وعنى -عليه السلام- بالسبب العلم بأحكام الله تعالى والعمل بها، فهو كلّ ما قرّب إليه من علم وقول وعمل، وقد استعار لذلك لفظة «سبب» باعتبار أنّه يصل إليه تعالى ويُقرّب منه مثل الحبل الذي يتوصّل به إلى المقصود^(٨).
ولهذا نظائر آخر في النهج^(٩).

-
- (1) ينظر: اشتقاق أسماء الله: ٤١٧.
 - (2) نهج البلاغة: ١١٣/١٦.
 - (3) وهو الحسن -عليه السلام- وقد كتبها الامام -عليه السلام- في رجوعه من صفين. ينظر: نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: المحمودي: ٢٨٣/٤.
 - (4) الفعل والزمن: عصام نور الدين: ٦١، ينظر: معاني النحو: ٣٠٧/٣.
 - (5) همع الهوامع: ٣٩/١.
 - (6) المصدر نفسه: ٣٩/١.
 - (7) نهج البلاغة: ٦٢/١٦.
 - (8) ينظر: مصباح السالكين: ٦٣/٥.

٢ - الجملة الفعلية المضارعة

الفعل المضارع هو ما (وضع صالحاً للحال والاستقبال وَيَعْرَضُ لَهُ تَعَيَّنُ أَحَدُهُمَا وجعله ماضي المعنى)^(١)، والملحوظ أن الجملة الفعلية المضارعية وردت في النهج أكثر من الجملة الماضية.

ونجد في النهج صورتين واضحتين لجملة النعت الفعلية المضارعة:

أولاً: جملة نعتية فعلها مضارع مثبت: وقد جاء الفعل مثبتاً في مواطن كثيرة من النهج، ومنها قوله -عليه السلام-: (إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَآيَا، وَتَهْبُ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ)^(٢)، فقد وصف النكرة «غرض» بالجملة الفعلية «تنتضل في المنايا»، وقد جاء فعلها «تنتضل» مضارعاً، وكذلك جملة «تبادره المصائب» جملة فعلية فعلها «تبادر» مضارع وقعت نعتاً لـ«تهب»، وكلتا الجملتين محلها الرفع، وفيها ضمير يربطها بمنعوتها وهو «الهاء».

وهنا استعار الإمام -عليه السلام- الغرض^(٣) للتعبير عن الإنسان ووصف هذا الغرض بأنه تنتضل في الدنيا سهامها للدلالة على ما يلقاه الإنسان من مُعاناة في هذه الدنيا والمقصود بالسهام ما يلقاه الإنسان فيها من أمراض وأعراض مُهلكة تفقده راحته. وقد استعمل الفعل «تنتضل»، وهو فعل مضارع لـ (يشير إلى أن الحدث يقع كثيراً فهو لا يحدث في زمن معين ولكنه يحدث في كل زمان)^(٤)، فهو دائم مستمر، فالدنيا لا تكف عن رمي الإنسان بالمزعجات والدواهي حتى تقضي عليه.

وقد (استعار لفظ النهب بمعنى المنهوب باعتبار سرعة المصائب إلى أخذه)^(٥)، وكذلك دلّ الفعل «تبادره» (أي تتبادره)^(٦) على كثرة وقوع الحدث في كل زمان، والجملة الفعلية تفيد دلالة تخصيص النكرة التي جاءت نعتاً لها، وكلا الفعلين دلا على الزمن المطلق بدلالتهما على الاستمرار.

(1) ينظر: نهج البلاغة: ١٠٢/١، ١٣٦/١، ٢٨٣/١، ١٥٢/٣، ٣٦٣/٦، ٩٩/١٣.

(2) شرح عمدة الحفاظ: ١٠٤.

(3) نهج البلاغة: ٧/١٩.

(4) وهو (الهدف الذي يُرْمَى فيه). مختار الصحاح: ٤٧٢ «غرض».

(5) الفعل زمانه وأبنيته: ٣٢.

(6) مصباح السالكين: ٣٤٢/٥.

(7) شرح النهج: ٨/١٩.

ونظيره قوله -ﷺ-: (مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْتَى؛ وَ لَدَّةٍ لَا تَبْقَى!)^(١)، فجملة «يفنى» فعلية فعلها مضارع، جاءت وصفاً للنكرة «نعيم»، وموضعها الرفع، وليس فيها عائداً لوضوح اتصالها بتبادراً، فقد حذف الضمير العائد في هذه الجملة، وقد أجاز النحاة حذف الضمير العائد من جملة النعت وعدّوا الحذف فيه أحسن من حذف الضمير الرابط في خبر المبتدأ، إلا أن حذفه من الصلة أقيس من حذفه من الصفة^(٢).

ويبدو لنا أن الاستغناء عن الرابط في جملة النعت قليل، ونجد أمثاله في القرآن الكريم^(٣)، وفي الشعر العربي^(٤)، وقال أحد الباحثين في حذف العائد: (وربما اختص به القرآن)^(٥)، والظاهر من استعمال الإمام -ﷺ- للجملة الفعلية النعتية محذوفة العائد^(٦) فضلاً عن استعمال الشعراء المذكور أنه ليس مختصاً بالقرآن، بل هو موجود في الشعر العربي ونهج البلاغة أيضاً، فلا مسوغ لتقييد هذه الظاهرة بالنص القرآني حصراً.

وقد دلّ الفعل «يفنى» على أن الحدث واقع في حيز الاستقبال^(٧)، والقرينة هي الجملة التي وردت نعتاً للنكرة «لدّة» المعطوفة على «نعيم»، وذلك أن الجملة الفعلية هنا وردت مسبوقة بـ«لا»، وقد جاء في «المفصل»: («لا» لنفي المستقبل في قولك: لا يفعل. قال سيبويه: واما «لا» فتكون نفيًا لقول القائل: هو يفعل، ولم يقع الفعل)^(٨)، وقال السيوطي: وما عطف على مستقبل أو عطف عليه ذلك فهو مثله لاشتراط اتحاد الزمان في الفعلين المتعاطفين^(٩).

وهنا يستفهم الإمام -ﷺ- منكرًا تعلقه بهذه العلائق، وقد دلت العبارة على بعده عن هذا النعيم الفاني واللذة الزائلة. وقد حقر^(١٠) من شأنيهما إذ لا دوام لهما ولا بقاء، واستعمل الفعل المضارع للدلالة على أن الفناء واقع في المستقبل، فالفناء أمر ملازم للنعيم مهما طال

(1) نهج البلاغة : ٢٤٦/١١ .

(2) ينظر : الكتاب : ٨٧/١ ، الأماي الشجرية : ٥/١ ، شرح الرضي على الكافية : ٢٤٢/٢ .

(3) كما في قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ . سورة المزمل : ١٧ .

(4) ينظر : مثلاً : قول الحارث بن كلدة :

فما أدري أغيرهم تتاء وطول العهد أم مالا أصابوا

البيت من شواهد سيبويه، ينظر: الكتاب: ٨٨/١، تحصيل عين الذهب معدن جوهر الأدب في علم

مجازات العرب: الأعلام الشنتمري: ١٠١، الأماي الشجرية: ٥/١ .

(5) النعت في القرآن الكريم : ٢٧٤ .

(6) ينظر : نهج البلاغة : ٦٥ /١١ ، ١١٠/١٣ ، ١٩٢/١٨ .

(7) ينظر : الفعل زمانه وأبنيته : ٣٢ .

(8) المفصل: ٣٠٦ .

(9) ينظر: همع الهوامع : ٣٦/١ ، الفعل والزمن : ٨٥ - ٨٦ .

(10) ينظر: معاني النحو : ٦٣٥/٤ .

مكوث النعيم وبقاءه وقتاً. فكان إيراد الصيغ المضارعة للنعته استحضاراً للصورة الوصفية للموصوف، وتقريبها للعيان.
ولهذا النعت نظائر أخر في النهج^(١).

ثانياً: جملة نعتية فعلها مضارع منفي : وقد جاء في النهج الفعل المضارع الموصوف به منفيًا وذلك في أماكن مختلفة، وقد لَوّن النهج في استعماله أدوات النفي التي تسبق الفعل المضارع المنعوت به، فهو يستعمل «لا» كثيراً في أثناء الوصف ، ومنها قوله -ﷺ-: (وَ الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ)^(٢)، وهنا نجد أنّ النكرة «مال» قد وصفت بالجملة الفعلية «ينفذ» المسبوقة بـ «لا» النافية، وموضعها هو الرفع.

وقد تدلّ الجملة الفعلية المسبوقة بـ «لا» -ابتداء- على نفي النفاذ عن هذا المال مستقبلاً، فقد ذكر دلالتها المستقبلية سيبويه والزمخشري^(٣). غير ان النص يثبت ان المراد من «لا» النافية هنا هو الزمن المطلق، فالنفي واقع في كل حين، فهي في هذه العبارة غير مختصة بالزمن المستقبلي كما ذهب النحاة، فالقناعة هي المال الحقيقي، وهذا المال لا ينفذ أبداً، فنفي نفاذ المال هنا استمراري لا محدودي.

وقد استعار -ﷺ- للقناعة لفظ المال، ووصفها بعدم النفاذ (باعتبار أنّ بها الغنى الدائم كالمال الباقي أبداً)^(٤).

ومنه أيضاً قوله -ﷺ-: (هَلْكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ)^(٥)، وقد جاء فعل الجملة الفعلية النعتية هنا مضارعاً «يَعْرِفُ» منفيًا بـ«لم»، وموضعها الرفع، وفيها الضمير «الهاء» عائداً على المنعوت «امرؤ».

وهنا دلّ الفعل يَعْرِفُ المسبوق بـ«لم» على المضي^(٦)، فكأنه -ﷺ- قال: ما عرف قدره.

أراد الإمام -ﷺ- القول أنه قد يدّعي امرؤ ما ليس فيه من فضائل، وقد يضع نفسه في غير موضعها، ويتصدى لأمر ليس هو بكفء للتصدي لها (ومن لم يعرف منزلته أوشك أن يتجاوزها فيهلك)^(٧).

(1) ينظر : نهج البلاغة: ٢٨/١٠ ، ٢٤٦/١١ ، ١٠١/١٣ ، ٣١٦/١٩ .

(2) المصدر نفسه: ٢٦٤ /١٩ ، ٢٤٤/٢٠ .

(3) المفصل : ٣٠٦ .

(4) مصباح السالكين : ٤٦٦/٥ .

(5) نهج البلاغة : ٣٥٥/١٨ .

(6) ينظر : الفعل زمانه وأبنيته : ٣٣ .

ولهذا نظائر أخر في النهج^(٢).

ونصلُ ممّا تقدم إلى أنّ الجمل «الاسمية» و«الفعلية» الواقعة نعتاً في النهج منعوتها نكرة وجاءت في الغالب خبرية البناء والمعنى، وقد شملت على ضمير عائد يربطها بمنعوتها الذي تقدّم بوصفه، وقد توافق النحاة في ما قرروه في شأن الجملة النعت والنهج. وأنّ التعبير بالجملة الاسمية أكد من التعبير بالجملة الفعلية، ووجدنا أنّ من الجمل الخبرية ما ترد إنشائية المعنى أحياناً في النهج بيد أنّ هذا قليل إذا ما قورن بالأصل وهو دلالة الجملة الخبرية على الخبر، ورصدت الباحثة أنّ من أدوات النفي في الجمل النعتية ما تخرج الأفعال عن دلالتها الزمنية الاصل التي قال بها النحاة، فتدل على عدم وجود الزمن أحياناً أي الزمن المطلق، وذلك بفعل قرائن السياق التي ترد فيه فهي التي تُعين على معرفة زمنها بدقة.

ج- شبه الجملة

عدّ الزمخشري شبه الجملة فيما يقع من الجمل صفات للنكرات^(٣)، وتركيب شبه الجمل يُطلق على الظرف أو الجار الأصلي مع مجروره^(٤). وقد توسع النحاة في معنى الظرف حتى أطلقوه في بعض الأحيان على الجار والمجرور وجعلوه مرادفاً لشبه الجملة إذ أنّه غالباً ما يفيد معنى الظرفية المكانية والزمانية^(٥)، والأفضل أن يكون التمييز واضحاً بين هذه المصطلحات^(٦).

أمّا لماذا سُميَ هذا التركيب بـ «شبه الجملة»، فذلك لإثباتها مركبة كالجمل، فهي تتألف من كلمتين أو أكثر^(٧).

ويصلح شبه الجملة «الظرف والجار مع مجروره» أن يقع نعتاً بشروط، وهي:

(أ) التمام في شبه الجملة: أي حصول الفائدة عند النعت به^(٨).

(ب) أن يكون منعوت شبه الجملة نكرة^(٩)، فلا يوصف به إلا نكرة.

(1) مصباح السالكين: ٣٢٧ / ٥ .

(2) ينظر: نهج البلاغة: ١٤٠/٥ ، ٢٤٤/٨ ، ٢٠٩/٩ ، ١٤٩/١٠ ، ١٩٤/١٠ .

(3) ينظر: المفصل: ١١٨، مغني اللبيب: ١١٢/٢ .

(4) ينظر: مغني اللبيب: ٩٧/٢ .

(5) ينظر: مغني اللبيب: ٤٩/٢ .

(6) ينظر: إعراب الجمل وأشبه الجمل: فخر الدين قباوة: ٢٦٠ .

(7) ينظر: المختار من أبواب النحو: محمد خير الحلواني: ٢٦١ ، إعراب الجمل وأشبه الجمل: ٢٥٩ .

(8) ينظر: المقرب: ٢٤٠ .

(9) شرح الرضي على الكافية: ٤٠/٢، شرح ابن عقيل: ١٩٥/٢ .

(ج) أن يكون محتملاً للصدق والكذب^(١)، لأنّ للجملة الخبرية الواقعة نعتاً حكماً وإثبات معنى للموصوف^(٢)، وليس هذا المعنى في الإنشائية^(٣)، وقد وجدنا في ما تقدم نعتاً خبري الصيغة، إنشائي المعنى، وهذا يعني أنّ ما اشترطه النحاة من خبرية الجملة هو الأمر الغالب في جملة النعت.

(د) إذا جاءت شبه الجملة نعتاً فلا بُدّ لها من عائد يربطها بالموصوف، فـ (إنّ الظرف إذا وقع صفة كان حكمه كحكمه إذا وقع خبراً)^(٤).

وقد ربط النحاة بين شبه الجملة ومتعلّقاتها^(٥)، والشائع عندهم أنّه إذا وقع الخبر شبه جملة أنّ خبره محذوف مقدّر: بـ «استقرّ» على تقدير المعلق فعلاً أو «مستقر» على تقدير المعلق إسماً^(٦)، وينطبق هذا على النعت لأنّ حكمه كحكم الخبر.

وهكذا يرى الزمخشري أنّ الخبر ليس هو شبه الجملة، بل المتعلق المحذوف العامل في شبه الجملة، ولما حُذِفَ المتعلق قام شبه الجملة مقامه^(٧).

ويرى بعضهم أنّ تقدير خبر محذوف عبث يُميل الكلام إلى ضرب من الحشو والتطويل، لأنّ فائدة الخبر في شبه الجملة الذي به يتم المعنى^(٨).

من هنا رأى أحد الباحثين أنّ يكون شبه الجملة هو النعت (رأى سديداً لامانع من مسايرته)^(٩).

والأظهر لدينا أنّ هذا الرأي أقرب إلى روح اللغة وبلاغة العربية وأبعد عن التأويلات التي لا داعي لها، فإذا كان المعنى مفهوماً في العبارة فما الداعي إلى التقدير والتأويل؟، ثمّ ان عدم التقدير أولى من التقدير عموماً.

وقد ورد النعت شبه الجملة في النهج، ويمكننا تقسيمه على ضربين:

١ - النعت بالجار والمجرور

- (1) ينظر: المقرب : ٢٤٠ ، حاشية الصبّان : ٦٣/٣ .
- (2) ينظر: الجملة الوصفية في النحو العربي : ٨٤ - ٨٥ .
- (3) ينظر: المصدر نفسه : ٨٥ .
- (4) شرح المفصل : ابن يعيش: ٢/٢٤٢ .
- (5) ينظر: مغني اللبيب : ٩٩/٢ .
- (6) ينظر: شرح ابن عقيل: ١/٢١١، حاشية الخصري : ٩٦/١ ، النحو الوافي : ١ : هامش ص ٤٧٩ .
- (7) ينظر: شرح المفصل : ابن يعيش : ١/٢٣١ .
- (8) ينظر: في النحو العربي - نقد وتوجيه : ١٨١ ، النحو الوافي : ٤/٤٧٦ .
- (9) النعت في القرآن الكريم : ٢٩٥ .

ومنه قوله -عليه السلام - في وصف المتقين: (إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ: ... اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاعْزُرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ!)^(١)، فشبه الجملة «منهم» يُمكن إعرابه نعتاً في موضع رفع للمنعوت «أحد»، والضمير «هم» عائِدٌ على الموصوف. وقد جاءت شبه الجملة لتخصِّص هذا المنعوت بفردي من أفراد هذه النكرة العامة الشائعة، وقد دلَّت «من» على التبعية^(٢)، فالمعنى هو إِذَا زُكِّيَ بَعْضُ الْمُتَّقِينَ أَي وَاحِدًا^(٣) منهم، يخاف من التزكية، فخوف المتقي ملازم له حين سماعه إيَّاها.

وهنا يصفُ -عليه السلام - المتقين بصفاتٍ لا نجدُها في غيرهم من البشر فهم خُلِقَ شَدَبَهُم الخوفُ والحبُّ لله، فأخلصوا العمل له، ولذا امتازوا ممَّن سواهم من البشر، فما يُحدِث في نفوس البشر سروراً ونشوةً من مدحٍ وثناءٍ يُدخِلُ في قلوبهم الخوف والخشية^(**)، فعلمهم انتهى بهم إلى الزهد، فهم يعلمون عظمة الاله الذي يعبدون، وأن كثير ما يعملونه قليل في حقه، كما أن التزكية الحقيقية هي تزكية الله تعالى، كما قال عزَّ وجل: ﴿فَلَا

تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾^(٤)، وقد أكد تعالى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُرْكِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٥) والخوف من التزكية هو جانب من جوانب التقوى الملازمة للمتقي، لذا نراه يدعو صادقاً الا يواخذه الربّ بقولهم، وأن يجعله أفضل من ظنهم، وان يغفر له ما ستر عنهم ولم يعلموا به من ذنبه.

وقد دلَّ الدعاء على ادبِ عالٍ في التعامل مع الله تعالى والإنسان، وقد عنى الإمام -عليه السلام - بوصفهم لبيان حُسن أخلاقهم، وعلو شأنهم، ولترغيب الناس في سلوك سبيل التقوى ولزومها.

ونظيره قوله -عليه السلام -: (كَلَّا وَاللَّهِ؛ إِنَّهُمْ نُطْفُ فِي أَصْلَابِ الرَّجَالِ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ)^(٦)، فشبه الجملة «في أصلاب الرجال» صفة في محل رفع للنطف^(٧).

(1) نهج البلاغة : ١٣٣/١٠ .

(2) ينظر : مغني اللبيب : ٦٠٩/١، معاني النحو : ٧٥/٣ .

(*) وهذا الواحد مطلق الدلالة فيهم.

(**) فليس المتقي من يركن الى ثناء الخلق عليه وهو لا يدري أراض عنه خالقه أم لا؟.

(3) سورة النجم : ٣٢ .

(4) سورة النساء : ٤٩ .

(5) نهج البلاغة : ١٤/٥ .

(6) منهاج البراعة : ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوي : ٤٢١/٤ .

وقد دلت «في» في شبه الجملة «في أصلاب الرجال» على الظرفية المكانية، قال سيبويه: (وأما «في» فهي للوعاء، تقول: هو في الجراب، وفي الكيس، وهو في بطن أمه، وكذلك: هو في الغلّ لأثّه جعله إذ أدخله فيه كالوعاء له. وكذلك: هو في القبة، وفي الدار)^(١).

وقد قال الإمام -عليه السلام- ذلك لما قال له فائلاً بعد وقعة النهروان: هلك الخوارج بأجمعهم يا أمير المؤمنين، وعنى بقوله -عليه السلام- أن طريقتهم سوف تجد أتباعاً وأنصاراً، وأن النساء سوف تلد كثيراً ممن هم على هذا المذهب، وقد جاء النعت شبه الجملة «في أصلاب الرجال» والنعت المعطوف عليه «قرارات النساء» للدلالة على أن الشر كائن في الإنسان وهو متناسل مادامت الحياة مستمرة، فمهما يفنى من ظالم أو خارج عن الحق فإن أمثاله سيولدون لأنهم مكنونون في أصلاب الرجال وراحام النساء، إن الصفتين «شبه الجملة» تدلان على الاستمرارية والدوام للشر في هذه الدنيا، فدلالة الجملة الاسمية ثبات هذه الاستمرارية ودوامها، وقد جاءت «ان» لتأكيد ذلك، فالوجوب الحذر.

ومنه أيضاً قوله -عليه السلام- وهو يذكر قصة دخول النبيين موسى وهارون -عليهما السلام- على فرعون، وشرطهما له بقاء الملك إن أسلم، واستخفافه بهما -عليهما السلام- بقوله -أي فرعون- : (أ لا تعجبون من هذين ... فهلاً ألقى عليهما أساوراً^(٢) من ذهب؛ إعظماً للذهب وجمعه، و احتقاراً للصوف وئسبه)^(٣)، وقد جاءت شبه الجملة «من ذهب» في محل رفع صفة لـ«أساور».

(1) الكتاب : ٢٢٦/٤، ينظر : معاني النحو : ٥٥/٣، الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين: هادي عطية الهلالي: ٤٦٣، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم -مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات: محمد حسن الشريف: ٧٥١/٢.

(2) الأساوره جمع مفردة إسوار، و(السوار من الحليّ: معروف). لسان العرب : ٣٨٨/٤ «سور»، ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: الرضي: ٢٠٩/٢، ارتشاف الضرب: ٤٧٧/١.

(3) نهج البلاغة: ١٥٢/١٣ .

وقد جاءت شبه الجملة في عبارة مماثلة في القرآن الكريم^(١)، وكانت دلالة «من» فيها للبيان أو التبيين^(٢) أي (بيان الجنس)^(٣)، ويوضح ذلك في قوله -عليه السلام-: «إعظماً للذهب وجمعه»، وهنا نرى سخرية فرعون من النبيين -عليهما السلام- لاشتراطهما عليه ذلك مع ما هما عليه من حال الفقر (وأراد بإلقاء الإسورة عليه: إلقاء مقاليد الملك إليه، لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب)^(٤)، أي (هلا إن كان صادقا ملكه ربّه وسوده وسوره)^(٥)، وهذه هي الطريق التي يسلكها الطغاة في تنازعهم وأهل الحق، لصرف الناس عنهم، فوضح الإمام -عليه السلام- بشبه الجملة «النعته» «من ذهب» ان هذه الأساور هي عبارة عن الملكية والسيطرة وليس المقصود منها الغنى فحسب، ذلك بان التقليد السابق لمن ينصب ملكاً ان يسورّ بأساور من ذهب، فلما قال الإمام -عليه السلام- «من ذهب» على لسان فرعون فهمّ انها إمارة للملك، وبهذا ينفي فرعون ان يكونا هذين نبيين أو ملكين من الله تعالى، وهذا يدفعنا إلى القول بكفره وإنكاره لوجود الله تعالى على وجه الاطلاق. ولهذا النعت نظائر كثيرة في النهج^(٦).

٢ - النعت بالظرف

لم ترد الظروف بمثل الكثرة التي ورد عليها الجار والمجرور، ومما جاء في النهج نعتاً من الظروف قوله -عليه السلام-: (وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أُعْطِيتَ)^(٧)، ويُعرب الظرف «دون ما أُعْطِيتَ» في محل نصب صفةٍ لـ «جُنَّةً»، و«دون» ظرف مكان ناقص الدلالة، متوغل في الإبهام، ملازم للإضافة في اغلب حالاته، ويدلُّ على المكان القريب من المضاف إليه، سواءً أكان المكان حسيّاً أم كان معنوياً^(٨).

ويظهر أنّ «دون» جاءت هنا في هذا التركيب للدلالة على التقصير في منزلة «الجُنَّة» ويقصد بها «النفس»، لأنّ ما أعطاه لا ترقى له في المنزلة نفسه، فتداني منزلة «الجُنَّة» يعني

(1) في قوله تعالى: ﴿أولئك لهم جناتٌ عدنٌ تجري من تحتهم الأنهارُ يُحلّون فيها من أساورٍ من ذهبٍ﴾. سورة الكهف: ٣١.

(2) ينظر: تفسير البيضاوي: عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي: ١٤١/٣.

(3) معاني النحو: ٧٥/٣، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: ١٠٤٠/٣.

(4) الكشف: ٢٥٨/٤.

(5) المصدر نفسه: ٢٥٨/٤.

(6) ينظر: نهج البلاغة: ٤٤/٧، ٨٩/١٣، ٩١/١٣، ٩١/١٣، ١٥٢/١٣، ١٤/٦، ١٥٦/١٦، ١٥٦/١٦، ٢٠٥/١٦، ٢٢/١٨، ٦٨/١٨، ١١٦/١٩.

(7) نهج البلاغة: ١٠٦/١٧.

(8) ينظر: المعجم الوافي في النحو العربي: د. علي توفيق الحمد، ويوسف جميل الزغبى: ١٦٠.

أَنَّهَا أَقْلَهَا مَكَانًا مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ، فَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ أَعْلَى شَأْنًا مِنَ النَّفْسِ لَذَا أَمْرِهِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-
بِإِنْ أَجْعَلَ نَفْسَكَ جَنَّةً دُونَ مَا أُعْطِيتَ مِنْ عَهْدٍ، (أَيُّ وَلَوْ ذَهَبَتْ نَفْسُكَ فَلَا تَغْدُرُ) (١).

وَنظِيرُهُ قَوْلُهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- : (فَإِنِّي أُوصِيكَ بِثِقْوَى اللَّهِ ... وَ الْإِعْتَصَامَ بِحَبْلِهِ، وَ أَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ
سَبَبِ بَيْنِكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ؛ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ!) (٢)، فَالظَّرْفُ «بَيْنَكَ» جَاءَ فِي مَحَلِّ جَرِّ صِفَةِ لـ«سَبَبٍ»،
وَ «بَيْنَ» ظَرْفُ مَكَانٍ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَى مَكَانٍ، وَظَرْفُ زَمَانٍ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَى زَمَانٍ ، وَ قَدْ وَرَدَتْ
هُنَا ظَرْفُ مَكَانٍ (٣).

يُوصِي الْإِمَامُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِمَلَازِمَةِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَ الْإِمْتِنَاعِ بِحَبْلِهِ مِنْ عَذَابِهِ، وَ قَدْ
أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ (٤)، وَ أَرَادَ بِالْحَبْلِ الْإِسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ
وَ الْوَثُوقَ بِهِ (٥)، أَوْ التَّمَسُّكَ بِ (الْإِيمَانِ وَ الطَّاعَةِ) (٦) أَوْ التَّمَسُّكَ بِالْكِتَابِ الْمَنْزَلِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ،
فَهُوَ الَّذِي يَصِلُ مَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَ الرَّبِّ، وَ يَرْبِطُ السَّمَاءَ بِالأَرْضِ (٧)، (وَ اسْتِعَارَ الْحَبْلَ لِمَا يُوَصِّلُ إِلَيْهِ
مِنْ دِينِهِ فَيَكُونُ التَّمَسُّكَ بِهِ سَبَبًا لِلنَّجَاةِ كَالْحَبْلِ) (٨).

إِنَّ عِبَارَةَ «بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ» خَصَّصَتْ هَذَا السَّبَبَ، وَ أزالَتْ جَانِبًا مِنْ جَوَانِبِ إِيهَامِهِ.
وَ بِهَذَا يُؤَدِّي الظَّرْفُ الوَظِيفَةَ نَفْسَهَا الَّتِي تُقَدِّمُهَا الْجُمْلَةَ النِّعْتِ، حَيْثُ إِبَانُ مَوْضِعِ الصَّلَاةِ وَ هِيَ
الْبَيِّنَةُ مِنَ الطَّرْفَيْنِ. وَ أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ وَ تَوْثِيقِهَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَ رَبِّهِ!.

وَ لِعَظِيمِ شَأْنِ الْقُرْآنِ عِنْدَهُ تَعَالَى تَوَجَّهَ الْإِمَامُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إِلَى الْمَوْصِي إِلَيْهِ بِاسْتِفْهَامِ إِنْكَارٍ
وَ تَعَجُّبٍ: لَوْجُودِ سَبَبٍ أَقْوَى مِنْهُ، وَ يَرِيدُ بِذَلِكَ الْإِشْعَارَ بِعَظَمَةِ الْقُرْآنِ وَ الْحَثَّ عَلَى لَزُومِهِ.
وَ لِلظَّرْفِ الَّذِي يَقَعُ مَوْضِعَ الصَّفَةِ نَظَائِرٌ أُخْرَى فِي النِّهْجِ (٩).

وَ نَخْلُصُ إِلَى أَنَّ تَرْكِيْبَ شَبْهِ الْجُمْلَةِ قَدْ وَرَدَ فِي النِّهْجِ بِنَوْعِيهِ، نَعْتًا ذَا سَمَةِ خَبْرِيَّةٍ، وَ قَدْ
وَ رَدَ تَرْكِيْبَ شَبْهِ الْجُمْلَةِ النِّعْتِي فِي الْغَالِبِ وَ صَفَاً لِلنِّكْرَةِ.

وَ أَمَّا مَسْأَلَةُ تَعَلُّقِ شَبْهِ الْجُمْلَةِ بِمَحذُوفٍ مُقَدَّرٍ، فَحُنَّ نَتَقَّقُ مَعَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ مِضَاءٍ
الْقُرْطُبِيُّ مِنْ إِنْ عَدَمَ التَّقْدِيرِ أَوْلَى مِنَ التَّقْدِيرِ (١٠)، فَهُوَ يَضَعُ أَمَامَ الْمُتَلَقِّي عِبَارَةَ خَالِيَةَ مِنْ

(1) شرح النهج : ١٠٧/١٧ .

(2) نهج البلاغة : ٦٢/١٦ .

(3) ينظر : المعجم الوافي في النحو العربي : ١١٨ .

(4) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(5) ينظر : الكشاف : ٣٩٤/١ .

(6) المصدر نفسه : ٣٩٤/١ .

(7) ينظر : تفسير الميزان : ٤٢٢/٣ .

(8) مصباح السالكين : ٨/ ٥ .

(9) ينظر : نهج البلاغة : ٢٦٠/٦ ، ٢٣٩/١١ ، ١٣٧ /١٣ ، ٣٠/١٧ ، ٣٠٦/١٩ ، ٥٤/٢٠ .

التكلف، وهو المذهب الذي ارتضاه عدد من المحدثين متأثرين بخُطى ابن مضاء في مذهبه لبعده عن التكلف. وعليه يكون النعتُ «شبه الجملة» في النهج من وجهة نظر هؤلاء هو النعتُ حقيقة ولا حاجة لتقدير محذوفٍ متصوّر، وهذا الرأي الذي نرجّحه ونميل إليه لأنه أقرب إلى روح العربية البعيدة عن التكلف والإطالة.

د - جملة الشرط

نمطٌ من أنماط الجمل التي تقع موقع النعت لاسم نكرة، والشرط: هو (وقوع الشيء لوقوع غيره)^(١)، ويتألف هذا النمط من جملتين: شرط، وجزاء، وهما بمنزلة كلمة مفردة تُضم إلى أخرى، ف(إنّ الشرط والجزاء جملتان وجب تصاحبهما فجزتا مجرى الجملة الواحدة)^(٢)، وهو (تركيبٌ مبنيٌّ على تآلف جمل بعلاقة اسنادية مركبة)^(٣)، ويشترط فيه ما يشترط في الجملة الفعلية والجملة الاسمية، وهو أن تكون محتملة للصدق والكذب^(٤)، وإن تحوي على ضمير رابط يربط الجملة بمنعوتها وبه يحصل التماسك بينهما. وحكمها من حيث الإعراب حكم منعوتها.

وقد أكد ابن يعيش وقوعها - جملة الشرط - نعتاً بقوله: (تكون الجملة الصفة من شرط وجزاء. وذلك نحو: «مررتُ برجلٍ إن تكرمهُ يكرمك» في موضع الصفة لـ«رجل»، وقد عاد الذكر منهما إلى الموصوف، ولو عادَ في أحدهما لكان كافياً، نحو: «مررتُ برجلٍ إن تضربه تكرم خالداً». فالذكر ههنا إنّما عاد من الشرط وحده، ولو قلت: «مررتُ برجلٍ إن تضربُ زيداً يضربك»، لجاز أيضاً، لأنه قد عادَ الذكر إلى الموصوف من الجزاء)^(٥).

ومن هذا النمط قوله - عليه السلام -: (اللِّسَانُ سَبْعٌ، إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ)^(٦)، فالجملة «إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ» وقعت موقع النعت للمنعوت «سبع»^(٧)، ومحلها الرفع. والرابط فيها «الهاء».

واستعار الإمام - عليه السلام - لفظ السبع للسان لأنه إن لم يضبطه العقل كان (له نطق بما فيه هلاك صاحبه كالسبع إذا لم يُحفظ)^(٨)، وربما يقول قائلٌ: هل عنى الإمام - عليه السلام - أن كل نطق

(1) وقال ابن مضاء: (وهذا كله كلام تام لا يفتقر السامع له إلى زيادة). ينظر: الرد على النحاة: ابن مضاء القرطبي: ٩٩ .

(2) المقتضب: ٤٦/٢ .

(3) المقتصد: ٢٨٧/١، ينظر: الجملة الشرطية عند النحاة العرب: أبو أوس ابراهيم الشمسان: ١٢٨-١٢٩، في النحو العربي-نقد وتوجيه: ٢٨٦.

(4) في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر: د. مالك المطلبي: ٤٠ .

(5) ينظر: شرح المفصل: ٢٤١/٢ .

(6) شرح المفصل: ٢٤١/٢-٢٤٢، ينظر: الجملة الشرطية عند النحاة العرب: ٤٣١.

(7) نهج البلاغة: ١٨ / ١٩٦ .

(8) يقال: (سبعه اذا ذكره بسوء). تمام فصيح الكلام «ضمن رسائل في النحو واللغة»: ابن فارس: ١٩.

مؤدِّ إلى الهلاك؟ يجيب عن ذلك ابن أبي الحديد بقوله: إنَّ الكلام (محمولٌ على من يُسيءُ الكلام فتقعُ منه جنایاتٌ عظيمةٌ في أمور الدين والدُّنيا)^(١)، ولم يكتفِ -عليه السلام- بوصفه بصفة السُّبعية بالخبر «سبع»، وإمَّا حدّد هذه السُّبعية ووضّحها بصفة العقر المشروط بالتخلية، فبان الكلام للمتلقي لتمامه بالصفة.

وقد جاء الفعل ببناء «خُلِّيَ» للمجهول، لإثته أراد هنا حدث التخلية لا القائم بها^(٢)، ثمَّ جاء بالجزاء وقد حذف المفعول به لأثته أراد إلى التعميم باختصار، وإمَّا العناية والاهتمام بفعل هذا اللسان، أي العقر وملزومه (فالحديث هو المقصود لما فيه من العنف والادهاش لغرض الإيقاظ والموعظة، وإلقاء الحجة)^(٣)، فـ «عقر» فعلٌ مطلق يذهب فيه السامع كل مذهب ممكن^(٤).

وقد جاء الشرط بـ «إن» وهي (حرف يجزم فعلين)^(٥)، ودلالة «إن» الأصل في عدم جزم وقطع المنكلم بوقوع الشرط في المستقبل معها^(٦)، وأنه يجب ان يتلوها لفظ «المضارع» لاحتمال الشك في وقوعه بخلاف «إذا»، وما جاء هنا مُخالفٌ لذلك، فما الداعي لمجيء الفعل الماضي في هذه العبارة؟ أرى أن مجيئها هنا لإنزال المخاطب^(*) العالم منزلة الجاهل^(٧) لما يعلمه -عليه السلام- من مخالفة كثير من الناس لمقتضى علمهم وهو أن تخلية اللسان تعقر، وقد حققت هذه الصفة بالشرط وعظاً وإنذاراً للناس. من حيث ان الإنسان إذا ترك لسانه دون قيد أو ضابط فإنه سيورده موارد التهلكة، وقد يؤول إلى سفك دماء واقتتال، لذا فالحذر الحذر من لسان مُرسل يهتك اعراض الناس ويهلكهم مع صاحبه.

ونظيره قوله -عليه السلام- : (...بَلْ إِنْ دَمَجْتُ عَلَى مَكُونٍ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لِأَضْطَرَبْتُمْ إِنْ ضُطِرَّ أَبَ الْأَرْضِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ)^(٨)، فـ(الجملة الشرطية في موضع الجرّ صفة لعلم)^(٩)، والرابط

-
- (1) مصباح السالكين : ٢٧١/٥ .
 - (2) شرح النهج : ١٩٧/١٨ .
 - (3) ينظر: البلاغة الاصطلاحية : ٢٠٣ .
 - (4) المبني للمجهول في التعبير القرآني-دراسة نحوية دلالية: هاتف بريهي شياح، كلية الاداب، جامعة الكوفة، بإشراف د. صباح عباس السالم، «رسالة ماجستير»، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م: ٢٦ .
 - (5) ينظر : الإيضاح : القزويني : ١٣٥، جواهر البلاغة «ط١٢»: ١٥٧ .
 - (6) الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي: ٢٠٧ .
 - (7) ينظر : جواهر البلاغة «ط١٢»: ١٦٣ .
 - (*) واحسب أنّ الخطاب خطاب عام.
 - (8) ينظر: جواهر البلاغة «ط١٢»: ١٦٤ .
 - (9) نهج البلاغة: ٢١٣ / ١ .
 - (10) مصباح السالكين: ٢٧٩/١، ينظر: شرح نهج البلاغة: شارح محقق من اعلام القرن الثامن: ١٢١ .

فيها هو «هاء» في «به»، وجاءت الجملة الشرطية مسبوقه بـ «لو»، وللنحاة آراء مختلفة في تحديد معنى «لو» الشرطية^(١) من هذه الآراء قول سيبويه: أنها (لما كان سيقع لوقوع غيره)^(٢) ، وقول أبي علي الشلوبين^(*): أنها لا تدل (على الامتناع، بل موضوعها ما نص عليه سيبويه من أنها تقتضي لزوم جوابها لشرطها فقط)^(٣)، كذلك قيل: إنها (حرف امتناع لامتناع)^(٤)، فهي للشرط في الماضي مع الجزم والقطع بانتفائه، فيلزم انتفاء الجزاء على أن الجزاء كان يمكن ان يقع، لو وُجد الشرط، ويجب كون جملتها فعليتين ماضويتين^(٥).

وهنا انتفى اضطرابهم ، بسبب انتفاء بوحه - عليه السلام - بالعلم المخزون وقد صيرت «لو» البوح شرطاً، علقت على حصوله حصول الجواب: «لاضطربتم اضطراباً الأرشية...»، ولكنه -هنا- أمرٌ ربماً يحصل فيما بعد، وهذا ما افادته «اللام» الواقعة في جواب «لو» إذ لامانع من التعليق بـ «لو» في المستقبل^(٦)، وهو ما ذهب إليه بعضهم من انّ «اللام» تفيد التمهّل والتأخير في تحقق وقوع الشرط^(٧) إلا أن دلالة عدم وقوعه أقرب، ذلك أن «اللام» تؤكد عملية الاضطراب عند البوح به.

وقد امتنع - عليه السلام - لموجب هذا العلم من المنازعة في أمر الخلافة، فهو لا يبوح بما علم لعدم قدرة السامعين على اطاقته إذ إنه لو باح به لاضطربوا اضطراباً عظيماً كاضطراب الأرشية^(٨) في البئر البعيدة القعر. وقد انطوى عليه صدره الشريف - عليه السلام -.

أمّا العلم الذي قصده فهو أسرار النبوة التي خصّه بها النبي ﷺ، فقد قال ابن أبي الحديد: (وهذا إشارة إلى الوصية التي خصّ بها - عليه السلام - . إنه قد كان من جملتها الأمر بترك النزاع في مبدأ الاختلاف عليه)^(٩)، فلديه من الحق الذي لو اظهره لأذهل الناس وادى إلى اضطرابهم.

وقد وردت لهذا النمط نظائر قليلة في النهج^(١٠) قياساً إلى الأنماط الأخر.

(1) ينظر: جواهر الأدب: علاء الدين الاربلي: ١٥٣-١٥٦، الامالي النحوية: ابن الحاجب: ١٥٥/٤-١٥٩، تسهيل الفوائد: ٢٤٠، مغني اللبيب: ١/٤٩٠-٥٠٢.

(2) الكتاب : ٢٢٤/٤ .

(*) مُفسراً قول سيبويه المتقدم.

(3) التوطئة : ٢٦ .

(4) الجني الداني : ٢٧٢-٢٧٣ .

(5) ينظر: جواهر البلاغة «ط١٢»: ١٦٣ .

(6) ينظر: جواهر الأدب: ١٥٦، شرح الرضي على الكافية: ٣٦٩/٤.

(7) ينظر: النحو الوافي: ٤/٤٩٨.

(8) وهي الحبال. ينظر: مختار الصحاح: ٢٤٤: «رشا».

(9) شرح النهج: ١/٢١٥، ينظر: منهاج البراعة: الراوندي: ١/١٤٥.

(10) ينظر: نهج البلاغة : ١١/٩٢، ١٣/٢١٢، ١٥/١٨١، ١٦/١٦٤، ١٦/١٧٥، ١٦/١٢٨، ١٨/١٠٧.

ونخلصُ إلى أنّ الجملة الشرطية من التراكيب التي يُعبّر بها عن الوصف، ولا بدّ من أن تحتوي على ضمير يربطها بمنعوتها، وقد استعمل النهج أدوات معدودة تنصدر الجملة الشرطية، نحو: «إن» و«لو»، وكان الأكثر استعمالاً «إن» متصدّرة للجملة الشرطية على ما وقعت عليه من شواهد، ويبدو لنا ان النعت بالشرط فيه مقدرة كبيرة على التصوير ورسم المضمون بطريقة التزامية ما بين الشرط وجوابه، وفي هذا تتحقق دلالة تصويرية أوسع مما لو اقتصر المتكلم على جملة واحدة لاداء معنى النعت.

المطلب الثاني: حذف النعت أو حذف المنعوت

تمثّل ظاهرة الحذف ظاهرة مهمّة من ظواهر اللغة العربية، وهي من شجاعة العربية^(١) كما يرى ذلك ابن جني. فاللغة العربية تمتاز من غيرها من اللغات الأخر بكثرة الحذف فيها لميلها إلى الإيجاز^(٢) وضغط المعنى، وهذا الحذف لا يكون اعتباطاً إنّما كلّ شيء يُحذف بدليل والا كان ضرباً غير مفهوم الدلالة^(٣). وفي العربية يحذف الاسم والفعل والحرف والجملة والحركة. ومن بين ما يدخل في هذه الظاهرة في باب النعت حذف المنعوت وإقامة النعت مقامه أو حذف النعت، وقد أجاز النحاة حذف المنعوت وإقامة النعت مقامه إن عُلِم^(٤).

وقد ارتبط الحذف بفصاحة الكلام إذ (ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة)^(٥). إلا أنّ ابن يعيش يرى أنّ الحذف في هذا الباب لا يحسُنُ فالنعت والمنعوت «الصفة والموصوف» كالشيء الواحد، فلا يحسُنُ إضمار أحدهما لأنّ البيان والإيضاح إنّما يحصل بمجموعها، فكان القياسُ الا يحذف واحد منهما لأنّ حذف أحدهما نقضٌ للغرض، وتراجع عمّا اعتزمه^(٦)، وأنّ الزجاج وقد سبقه زمنياً عدّه -أي الحذف- (من جملة الفصاحة والبلاغة)^(٧) وهذا يتفق مع رأي ابن جني في أنّ الحذف يصنف على شجاعة العرب في القول.

(1) ينظر: الخصائص : ٣٦٠/٢ ، نقد النثر: أبو الفرج قدامة بن جعفر : ٦٩ .

(2) ينظر : نقد النثر : ٦٩ ، دلالة الاعراب لدى النحاة القدماء : ٢٢١ .

(3) الخصائص : ٣٦٦/٢ ، شرح المفصل : ابن يعيش : ٢/٢٥٣ ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ابن الأثير : ١٠١/٢ ، المدارس النحوية بين التصور والتصديق والسؤال الكبير : د. عبد الامير الورد : ٣٠ ، التأويل النحوي في القرآن الكريم : د. عبد الفتاح احمد الحموز : ١/٥٠٢-٥٠٣ .

(4) ينظر المقتضب : ١٣٧/٢ ، الخصائص : ٣٦٠/٢ ، المفصل : ١١٦ .

(5) دلائل الإعجاز : ١٦٢ .

(6) ينظر : شرح المفصل : ٢/٢٥٣ .

(7) إعراب القرآن المنسوب للزجاج : ١/٢٨٦ .

إنّ الظاهرة شملت «النعته» و «المنعوت» لذا سنتناولها من جانبيها، أي: حذف النعت، وحذف المنعوت.

الفرع الأول: حذف المنعوت «الموصوف»

يحذف المنعوت «الموصوف» في ظلّ قرينة تدلّ عليه^(١)، وحذف الموصوف يأتي لاعتبارات أسلوبية وبلاغية، حيث ذكر المبرد: أنّ الصفة لا تُقام مقام الموصوف حتى تتمكّن في بابها نحو: «مررتُ بظريفٍ» و«مررتُ بعاقِلٍ»^(٢).

وذكر ابن جني: أنّ حذفه في الشعر أكثر منه في النثر إذ يكاد القياس يحظره في النثر، لأنّ الوصف من مقامات الإسهاب والإطناب، لا من مقامات الإيجاز والاختصار، وهناك (من الصفات ما لا يمكن حذف موصوفه. وذلك أن تكون الصفة جملة؛ نحو مررت برجل قام اخوه)^(٣)، وقد منعه بعضهم لقلته وشدوذه في القياس^(٤).

ويذكر ابن جني أنّ حذف الموصوف قد يكون فيه إلباس^(٥)، وأيدّه ابن الأثير «ت٦٣٧ هـ» في الرأي^(٦)، إلا أنّنا نجد أقوالاً لعلماء آخرين يؤكدون فيها كثرة حذف المنعوت أو الموصوف في القرآن الكريم، وكلام العرب.

فالزجاج يرى أنّ الحذف (جائزٌ حسنٌ في العربية)^(٧)، وأنه معدودٌ من جملة فصاحتها وبلاغتها^(٨)، وعقد باباً في الكتاب المنسوب إليه في حذف المنعوت، وسوّغ له عقد هذا الباب أنّ حذفه (كثيرٌ في كلامهم)^(٩) أي العرب.

وقد لحّص السهيلي «ت٥٨١ هـ» ما يجوز من حذف المنعوت وما لا يجوز، وذكر أقسامه^(١٠)، أمّا ابن عصفور فقد ذكر أنّه: (لا يجوز حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، إذا كانت صفة في تقدير الاسم، إلا مع «من» نحو قولهم: «مِمَّا ظَعَنَ وَمِمَّا أَقَامَ» أي «فريق ظعن وفريق أقام»، بشرط أن يكون الموصوف مما يجوز حذفه)^(١١).

(1) ينظر: الكتاب: ٣٤٥/٢، همع الهوامع: ١٢٧/٣.

(2) ينظر: المقتضب: ٢٩٣-٢٩٤.

(3) الخصائص: ٣٦٦/٢.

(4) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٥٣/٢.

(5) ينظر: الخصائص: ٣٦٦/٢. (وينتهي إلى أنّه متى قام الدليل على حذفه جاز الحذف، وكلّما استبهم الموصوف كان حذفه غير لائق). التأويل النحوي في القرآن الكريم: ٥٠٢/١-٥٠٣.

(6) ينظر: المتل السائر: ١٠١/٢.

(7) إعراب القرآن المنسوب للزجاج: ٢٨٦/١.

(8) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٦/١.

(9) منهاج البراعة: الراوندي: ٣٠/١، ينظر: بدائع الفوائد: ٢٦/٣.

(10) ينظر: نتائج الفكر: السهيلي: ١٦٤.

(11) المقرّب: ٢٤٨.

وقال ابن مالك: (يُقَامُ النعتُ مقامَ المنعوتِ كثيراً إن عُلِمَ جنسُهُ ونُعِتَ بغيرِ ظَرْفٍ وجملةٍ أو بأحدهما بشرطِ كونِ المنعوتِ بعضَ ما قبله من مجرورٍ بـ«من» أو «في»^(١)).

وجاء في شرح الأشموني أنّ الحذفَ يكثرُ في المنعوتِ ويقالُ في النعتِ، وشرطُ في حذفِ المنعوتِ كونُ النعتِ صالحاً لمباشرةِ العاملِ أو أنّه بعضُ اسمٍ مخفوضٍ بمن أو في^(٢)، ومثلُ هذهِ الشروطِ ذكرها ابنُ هشامٍ الأنصاريُّ لحذفِ المنعوتِ^(٣)، وقال مصرّحاً: (ويجوزُ بكثرةِ حذفِ المنعوتِ إن عُلِمَ)^(٤) عندِ المتلقي.

ومما جاء في النهجِ تركيباً حُذِفَ فيه الموصوفُ، وبقي الوصفُ قوله -ﷺ-: (مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعَلَّقُ بِهَا، وَلَا زَوَافِرَ^(٥) عَزٌّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا...)^(٦)، فلفظةُ «وثيقة» صفةٌ لخبرٍ محذوفٍ، والتقديرُ «عروة وثيقة»^(٧). وقال أحدُ شُرَاحِ النهجِ: («وما أنتم بوثيقة» أي بذِي وثيقة، فحذفِ المضافِ، والوثيقة: الثقة، يقال: قد أخذتُ في أمرِ فلانٍ بالوثيقة، أي بالثقة، والثقة مصدر)^(٨)، وقال آخر: (أي بعروة وثيقة)^(٩)، ونميلُ إلى التقديرِ الثاني.

فالإمام -ﷺ- يعاتبهم ويُظهرُ تضرُّبَهُ مِنْهُمْ على ما يلقاه منهم من قلةِ طاعةٍ ونجدةٍ، فهم ليسوا أهلُ نجدةٍ، ولا أنصارٍ للحق، وسياقُ الكلامِ يؤيدُ ان النعتِ المحذوفِ هو «عروة» لأن الوثيقة غالباً ما تردُّ لها لا لغيرها، وهذا التقديرُ أنسبُ لمقامِ التحقيرِ والذمِّ من غيره.

وله نظائرٌ آخرُ في النهجِ^(١٠).

وقد يحذفُ الموصوفُ وتقامُ الصفةُ مقامه كما في سياقِ المصدرِ المحذوفِ أو الظرفِ المحذوفِ، كما في قوله -ﷺ- في ذكرِ الماضين: (أَمْهَلُوا طَوِيلًا، وَمُنَحُوا جَمِيلًا، وَحُدُّرُوا أَلِيمًا، وَوَعَدُوا جَسِيمًا)^(١١)، فـ «طويلًا» صفةٌ لمحذوفٍ أي امدًا طويلًا، وهو «ظرف» و«جميلًا» أي مُنَحُوا مَنَحًا جميلًا، وهو «مصدر» و«جسيمًا» أي وُعدُوا وعدًا

(1) تسهيل الفوائد: ١٧٠.

(2) ينظر: شرح الأشموني: ٣٢٩/٤.

(3) ينظر: أوضح المسالك: ١٤/٣.

(4) المصدر نفسه: ١٤/٣، ينظر: حاشية الخصري: ٥٦/٢، الاصول-دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: د. تمام حسان: ١٣٠.

(5) والزوافرُ: جمع زافرة، وهي (الأنصار والعشيرة). لسان العرب: ٣٢٦/٤ «زفر».

(6) نهج البلاغة: ١٠٤/٨.

(7) يريد قوى الحبل، كما في قوله تعالى: ﴿...فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْقِصَامَ لَهَا﴾. سورة البقرة ٢٥٦، ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها: ابن جني: ٣٣٨/٢.

(8) شرح النهج: ١٠٧/٨.

(9) مصباح السالكين: ١٣٠/٣، ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٤٢/٣.

(10) ينظر: نهج البلاغة: ٢٧٥/٦، ٢٦٩/٨، ١٦/١٠، ٤٧/١٤.

(11) المصدر نفسه: ٢٧٥/٦.

جسيماً، وهو «مصدر»، وكذلك «حُذِرُوا أليماً» أي من عذابِ أليمٍ. وقد أمهلهمُ اللهُ تعالى مدّةً طويلةً ليعملوا. ومنحهم منحةً جميلاً ليشكروا، وحُدِّرُوا من عذابِ أليمٍ ليتقوا، ووعِدُوا وعداً جسيماً لما صلحَ من أعمالهم، فهذه الصفات نابت عن موصوفاتها «المصادر» المحذوفة، فقامت مقامها لأنها وردت لإيضاح بياني للمصادر المحذوفة، ولما علّمت المصادر من الأفعال قبلها جاز حذفها وبقاء النعت دلالةً توضيحيةً لها وعليها في أن معاً. ولهذا نظائر آخر في النهج⁽¹⁾.

الفرع الثاني: حذف النعت

ذكر ابن جني أن النعت أو الصفة إذا عريت من دلالة اللفظ، أو الحال فإن حذفها لا يجوز على حين يجوز حذفها إذا تقدّمتها ما يدلُّ عليها⁽²⁾، فقال: إنّه قد حذفت الصفة ودلّت الحال عليها. وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل. وكان هذا إنّما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها. وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك. وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملتّه. وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوّة اللفظ بالله هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك.

وكذلك تقول: سأله فوجدناه إنساناً! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك. وكذلك إن ذمته ووصفته بالضيق قلت: سأله وكان إنساناً! وتزوى وجهك وتقطبه فيغني ذلك عن قولك إنساناً لئيماً أو لِحزاً أو مبخلاً ونحو ذلك، فعلى هذا وما يجري مجراه تحذف الصفة. فأما إن عريت من الدلالة من اللفظ أو من الحال فإن حذفها لا يجوز⁽³⁾.

وقال ابن يعيش: (وأمّا الصفة فلا يحسنُ حذفها أيضاً لما ذكرناه، ولأنّ الغرض من الصفة، إمّا التخصيص، وإمّا الثناء والمدح، وكلاهما من مقامات الإطناب والإسهاب، والحذف من باب الإيجاز والاختصار، فلا يجتمعان لتدافعهما)⁽⁴⁾. وقال ابن مالك: (وقد يُكتفى بنية

(1) ينظر: نهج البلاغة: ١٣٨/٦، ٢٦٩/٨، ١٥٨/٩، ٩٩/١٠، ٧١/١٧، ١٤٥/١٧.

(2) ينظر: الخصائص: ٣٧١/٢.

(3) الخصائص: ٣٧٠/٢ - ٣٧١.

(4) شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٥٧/٢، الكتاب: ١٠٦/٢.

النَّعْتِ عن لفظه للعلم به^(١)، وكذلك جوز ابن هشام الأنصاري حذف النعت (إن عليم)^(٢)، فكان المدار الذي يدور عليه الاشتراط في حذف النعت وابقاء المنعوت هو علم المتلقي في النعت فغدا ذكره - بهذا اللحاظ - وعدم ذكره سواء، فأثر المتكلم الحذف على الذكر لتحقق الغاية وهي العلم بالصفة معنيًا. وذكر الأشموني أن الحذف يكثر في المنعوت ويقل في النعت^(٣). وذكر السيوطي علة ذلك بقوله: (يقول حذف النعت مع العلم به لأنه جيء به في الأصل لفائدة إزالة الاشتراك، أو العموم فحذفه عكس المقصود)^(٤).

ويرى البلاغيون أن حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها أقل وجوداً من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، إذ إن حذف النعت نادرٌ عندهم لا يكاد يقع في الكلام، لمكان اسبتهامه^(٥).

ورأى بعضهم (ان يكون في الكلام صفة وليس لها موصوف أو ان يكون في الكلام موصوف يقتضي المعنى ان تكون له صفة ولم تذكر)^(٦) من الأمور التي تدل على الحذف وهي تتدرج في الدليل الحالي والمقالي والصناعي^(٧).

إن ذكر النعت أو حذفه أمرٌ يتعلّق بما يُريدُ المتكلم قوله وهذا يرتبط بمتطلبات القول أو الظروف المحيطة بالكلام، وقد لاحظ هذا أكثر علماء النحو، فجعلوه شرطاً أساسياً للحذف ألا وهو العلم بالمحذوف «النعت» لذا يُمكننا ان نعثر على هذه الظاهرة في شعر ما قبل الإسلام^(٨)، كما نجدها في التركيب القرآني^(٩).

ومما حذف فيه الوصف في التركيب القرآني قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَبَاءَهَا

بِأَسْنَأَ بَيِّنَاتٍ﴾^(١٠) أي: قرية عاصية^(١١).

والإمام - عليه السلام - يترسم في النهج خطا القرآن (في كلامه الخاص والعام)^(١٢).

(1) تسهيل الفوائد: ١٧٠.

(2) ينظر: أوضح المسالك: ١٦/٣.

(3) ينظر: شرح الأشموني: ٣٢٩/٤.

(4) همع الهوامع: ١٢٩/٣.

(5) ينظر: المثل السائر: ٩٦/٢، الطراز: ١٠٨/٢.

(6) الجملة العربية تأليفها و اقسامها: ٨٢.

(7) ينظر: المصدر نفسه: ٨٠.

(8) ينظر: النعت في الشعر الجاهلي: ٩١ وما بعدها.

(9) ينظر: النعت في القرآن الكريم: ٣٧٦ وما بعدها.

(10) سورة الأعراف: ٤.

(11) البحر المحيط: ٢٦٨/٤.

ومما ورد في النهج قوله -عليه السلام-: (...فإنَّ الرِّجَالَ يَنْعَرَضُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِنِّصْنَعِهِمْ وَ حُسْنِ حَدِيثِهِمْ)^(١)، قال الراوندي في «منهاج البراعة»: (والتصنع تكلف حسن السمات. والطريقة، وتقول العرب للرجل الجلد «الرجل» فيحذفون صفته تلك وهي مرادة)^(٢). وقال ابن ميثم في شرحه: (أي الرجال الجلاذ ويطلبون مراداتهم من الملوك بالمبالغة في خدمتهم)^(٣).

ينصح الإمام -عليه السلام- احد ولاته بألا يندع بحسن صنيع المنافقين وينبهه على أن بعض الرجال لديه القدرة على التلون، فيتظاهر بالزهد والورع، والصدق في خدمة الوالي والرعية ليصل الى رغبته الدنيوية غير المشروعة من خلال هذا القشر الزائف، وربما يُدع الوالي وتخونه فراسته فيضع ثقته في غير موضعها فيُقصّر في عمله، فينبغي له ان يكون يقظاً فطناً في تعامله مع هؤلاء الرجال، فحذف الإمام -عليه السلام- «النعته» والمراد به «المنافقين»، فالمقصود من ظاهر السياق ان المراد هم «الرجال المنافقين»، ويدل على هذا صفاتهم المذكورة في الخطاب «التصنع وحسن الخدمة» للوصول إلى تحقيق المصالح، فحذف الإمام -عليه السلام- هذه الصفة لانها ظاهرة من السياق معلومة للمتلقي فلا داعي لإعادتها تارة أخرى.

(1) علوم القرآن : محمد باقر الحكيم : ١٠٩ .

(2) نهج البلاغة : ٧٦/١٧ .

(3) منهاج البراعة : الراوندي : ١٩٢/٣ .

(4) مصباح السالكين : ٩٣/٣ .

الفصل الثاني

التوكيد

التوكيد في اللغة والاصطلاح

التوكيد في اللغة

يُقال: (وَكَّدتْ العهدَ والعقدَ توكيداً، إذا أَحكمته، وكل شيء أَحكمته فقد وَكَّدته)^(١)، و(وَكَّدتُ القَوْلَ والفِعْلَ، وَأَكَّدْتُهُ: أَحكمتُهُ)^(٢)، فوكد (كلمة تدلّ على شدّ واحكام)^(٣)، و(التأکید لغة في التوكيد)^(٤)، فيقال: «التوكيد» بالواو، و«التأکید» بالهمزة، والمعنى واحد؛ فالتوكيد مصدر الفعل «وَكَّد»، و«التأکید» مصدر الفعل «أَكَّد»، يقال: أوكدته وأكدته وأكدته إيكاداً، أي: شددته. وتوكّد الأمر، وتأكّد بمعنى. ويقال: وَكَّدتُ اليمينَ، والهمز في العقد أجود. وتقول: إذا عقدت فأكّد، وإذا حلفت فوكّد^(٥)، (ويقولون: وَكَّدَ وَكَّدَهُ، إذا مَهَّ وَغَنِي بِهِ)^(٦)، ويقال أيضاً: وَكَّدَ يَكْدُ وَكْدًا أي أصابَ. وَوَكَّدَ وَكَّدَهُ: قَصَدَ قَصْدَهُ وفعل مثل فعله)^(٧).

وقال الزبيدي: (أكد الحنطة: داسها ودرسها، قاله ابن الاعرابي: واكده تأكيدا: وكدّه

إشارة إلى ان الهمزة عن «واو» كما قاله أئمة الصرف. وهو بالواو أفصح. قال تعالى: ﴿بَعْدَ

توكيدها﴾^(٨)، وذهب الأزهرى «ت ٩٠٥هـ» إلى أنّ الهمزة أصل في حدّ ذاتها، والواو أصل

أيضاً، والتوكيد لغة فيه، ولم ينفرد أحدهما بتصريف فيجعل أصلاً^(٩).

ويستعمل الإمام -عليه السلام- كلمة التوكيد في النهج في قوله: (وَ لَا تُعَوِّنَنَّ عَلَى لَحْنِ الْقَوْلِ بَعْدَ

التأکید وَ التَّوَيَّقَةَ)^(١٠)، ونلاحظ أنّها تحملُ الدلالة المعجمية عينها، قال احد الشراح: إنّ هذا القول

(1) جمهرة اللغة: ابن دريد: ٨١٢/١ «وكد»، ينظر: مقاييس اللغة: ١٣٨/٦ «وكد».

(2) مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٨٨٢ «وكد».

(3) مقاييس اللغة: ١٣٨/٦ «وكد».

(4) الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية: ٣٨١/١ «أكد».

(5) ينظر: لسان العرب: ٤٦٦/٣-٤٦٧ «وكد»، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية: ٣٨١/١ «أكد».

(6) مقاييس اللغة: ١٣٨/٦ «وكد».

(7) ينظر: لسان العرب: ٤٦٧/٣ «وكد».

(8) سورة النحل: ٩١.

(9) تاج العروس: ٣٩١/٧ «أكد».

(10) ينظر: شرح التصريح: ١٢٠/٢. التوكيد: أنواعه وطرق استخدامه-دراسة لغوية: أحمد فاغدون ناسوتين

منديلي، بإشراف: د. أحمد الحسن سمساعة، كلية معارف الوحي الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية

ماليزيا، «رسالة ماجستير»، ١٩٩٥م: ١٩.

(11) نهج البلاغة: ١٠٧/١٧.

الموجّه إلى أحد عماله (هو كناية عن أمره بإحكام ما يعقد من الأمور)^(١)، فالتوثقة هي التوكيد وهما معاً يعنيان إحكام الأمر.

فيظهر من كلام المعجمات ومن الاستعمال العربي لكلمة «التوكيد» أو «التأكيد» أنّها تأتي للدلالة على معنى الاحكام والتحقيق والتوثيق والعناية بالمقصود، فكلمة التوكيد (لا تخرج عن تقوية و تثبيت الحكم وتقديره في نفس المتلقي)^(٢).

التوكيد في الاصطلاح

لم يعرف سيبويه التوكيد، وقد عبّر عنه بالألفاظ متعددة فعبر عنه بـ «التوكيد» و«الصفة» و«البدل»^(٣) (*)، ويظهر ممّا اطلعتُ عليه أنّ حدّ ابن جني هو الحدّ الأقدم في التوكيد. قال: هو (لفظ يتبع الاسم المؤكّد، لرفع اللبس، وإزالة الاتساع)^(٤) (**).

وحده ابن عصفور بأنّه: (لفظ يراد به تمكين المعنى في النفس، أو إزالة الشكّ عن الحديث، أو المحدث عنه)^(٥).

وحده علي بن سليمان اليماني «ت ٥٩٩هـ» بأنّه (تحقيق المعنى في النفس بإعادة لفظ أو معنى)^(٦).

أمّا ابن الحاجب فقد حدّ التوكيد بأنّه: (تابع يُقرّر أمرَ المتبوع في النسبة أو الشمول)^(٧). وحده العلوي «ت ٧٤٩هـ» بأنّه: (تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره وفائدته إزالة الشكوك وإمطة الشبهات عمّا أنت بصدده)^(٨).

(1) مصباح السالكين : ١٨٢/٤ .

(2) أساليب التأكيد في نهج البلاغة-دراسة دلالية: أصيل محمد كاظم الموسوي ، كلية التربية، جامعة القادسية، بإشراف: أ.م.د. جواد كاظم عناد، «رسالة ماجستير»، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٢م : ١ .

(3) ينظر: الكتاب: ١١/٢، ٣٨٥-٣٨٧، التوابع في كتاب سيبويه: ٤٩-٥٠ .

(*) «التكرير» يقابل مصطلح التوكيد عند البصريين، وقد وجد في كتب الكوفيين. ينظر: معاني القرآن:

١/٢٤٨، ٢/٤٥. والتكرير من مصطلحات البلاغيين. ينظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من

الكلام المنثور: ابن الأثير: ٢٠٤، الإيضاح: القزويني: ٨٤. وكذلك اصطلاح البلاغيون على التوكيد بـ

«التكرار». ينظر: تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة: ٢٣٥، الصناعتين: أبو هلال العسكري: ١٩٣، العمدة:

ابن رشيق: ٢/٧٣، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: احمد مطلوب: ٣٣٨/٢، الضمائر في اللغة

العربي: د. محمد عبد الله جبر: ١٠٤، المدارس النحوية أسطورة وواقع: ١٣٦.

(4) للمع: ١٦٥.

(**) ويظهر أنّه نظر إلى تعريف التوكيد المعنوي دون اللفظي.

(5) المقرّب : ٢٦١ .

(6) كشف المشكل : ٥/٢ .

(7) شرح الوافية نظم الكافية : ٢٦٤، كافية ابن الحاجب «متن شرح الرضي على الكافية»: ٢٨٥/٢.

(8) الطراز: ٢٣٨/٢ .

وَأَمَّا السُّيُوطِيُّ فَيُرَى بَإْتِهِ: (تَابِعٌ يَقْصِدُ بِهِ كَوْنُ الْمَتَّبِعِ عَلَى ظَاهِرِهِ)^(١)، أَيْ أَحْوَالِ الْمَتَّبِعِ وَشَأْنِهِ عِنْدَ السَّمَاعِ^(٢).

وَيَبْدُو لَنَا مِمَّا مَرَّ مِنَ الْحُدُودِ أَنَّ حَدَّ ابْنِ عَصْفُورٍ هُوَ أَقْرَبُ إِلَى حَدِّ التَّوَكِيدِ التَّابِعِ وَأَكْثَرُ شُمُولِيَّةً، فَالْمُرَادُ بِتَمَكِينِ الْمَعْنَى فِي النَّفْسِ هُوَ التَّأَكِيدُ اللفْظِيُّ، وَالْمُرَادُ بِإِزَالَةِ الشُّكِّ عَنِ الْمَحْدَثِ عَنْهُ هُوَ التَّأَكِيدُ الْمَعْنَوِيُّ^(٣) إِلَّا أَنَّهُ يَلَاظُ عَلَيْهِ (إِدْخَالَهُ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ وَهُوَ مِنَ الْمَنْصُوبَاتِ فِي بَابِ التَّوَكِيدِ الَّذِي هُوَ مِنَ التَّوَابِعِ)^(٤) إِذْ إِنَّ الْمُرَادَ بِإِزَالَةِ الشُّكِّ عَنِ الْحَدِيثِ هُوَ التَّأَكِيدُ بِالْمَصْدَرِ^(٥)، لِذَلِكَ رَأَى بَعْضُهُمْ أَنَّ إِدْخَالَ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ فِي حَدِّ التَّوَابِعِ أَمْرٌ (غَيْرٌ سَدِيدٌ)^(٦).

وَإِذَا أَمَكْنَا تَعْدِيلَ هَذَا الْحَدِّ فَإِنَّا نَقْتَرِبُ أَكْثَرَ مِنَ النَّظَرَةِ التَّكَامِلِيَّةِ لِحَدِّهِ وَتَحْدِيدِ الدَّلَالَةِ الْمَطْلُوبَةِ مِنْ هَذَا الْمَحْدُودِ، لِذَا يَكُونُ مَفْهُومُ التَّوَكِيدِ فِي بَابِ التَّوَابِعِ هُوَ لَفْظٌ تَابِعٌ لِمَا قَبْلَهُ يَرَادُ بِهِ تَمَكِينُ مَعْنَى مَتَّبِعِهِ فِي النَّفْسِ أَوْ إِزَالَةُ الشُّكِّ عَنْهُ، بِتَقْرِيرِهِ لِأَمْرِ الْمَتَّبِعِ فِي النِّسْبَةِ أَوْ الشُّمُولِ^(٧)، وَهُوَ يَتَّبِعُ الْمُؤَكَّدَ فِي رَفْعِهِ وَنَصْبِهِ وَجَرِّهِ غَالِبًا وَتَوْحِيدِهِ وَتَثْنِيَّتِهِ، وَجَمْعِهِ وَتَذْكَيرِهِ وَتَأْنِيثِهِ، وَتَعْرِيفِهِ^(٨).

صَلَةُ التَّوَكِيدِ الدَّلَالِيَّةِ بَيْنَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيِّ وَالْمَفْهُومِ الْإِصْطِلَاحِيِّ

تَظْهَرُ الصَّلَةُ الدَّلَالِيَّةُ بَيْنَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيِّ وَالْإِصْطِلَاحِيِّ فِي قَوْلِ ابْنِ جَنِيِّ حِينَمَا ذَكَرَ أَلْفَافَ التَّوَكِيدِ الْمَعْنَوِيِّ، فَقَالَ: إِنَّ (مَعْنَى هَذِهِ التَّوَابِعِ كُلِّهَا، شِدَّةُ التَّوَكِيدِ)^(٩)، وَعَنْى بِذَلِكَ قُوَّةَ التَّحْقِيقِ وَالتَّوَثِيقِ، وَقَدْ حَدَّ بَعْضُهُمُ التَّوَكِيدَ فِي اللُّغَةِ فَقَالَ: إِنَّ (مَعْنَاهُ أَحْكَامُ الشَّيْءِ وَاتِّقَانُهُ)^(١٠) كَمَا حَدَّهُ فِي الْإِصْطِلَاحِ بِقَوْلِهِ: إِنَّ مَعْنَاهُ تَمَكِينُ الشَّيْءِ فِي النَّفْسِ^(١١)، (فَتَمَّةٌ تَسَاوِقُ، إِذْنٌ، بَيْنَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيِّ وَالْمَعْنَى الْإِصْطِلَاحِيِّ لِكَلِمَةِ التَّوَكِيدِ الَّتِي... لَا تَخْرُجُ عَنِ تَقْوِيَّةٍ وَتَثْبِيَّتِ الْحُكْمِ وَتَقْرِيرِهِ فِي نَفْسِ الْمُتَلَقِّي)^(١٢)، وَفَائِدَتُهُ (تَحْقِيقُ وَإِزَالَةُ التَّجُوزِ فِي الْكَلَامِ)^(١٣)، فَيَفْهَمُ الْمَخَاطَبُ مَا

(1) همع الهوامع: ١٣٦/٣.

(2) ينظر: الفوائد الضيائية: ٥٦/٢.

(3) ينظر: المقرب: ٢٦١-٢٦٢.

(4) المصطلحات النحوية، ع «٣، ٤»، لسنة ١٤٢١هـ: ٢٦٨.

(5) المقرب: ٢٦١.

(6) المصطلحات النحوية، ع «٣، ٤»، لسنة ١٤٢١هـ: ٢٦٨.

(7) ينظر: المعجم المفصل في علوم اللغة: ٢١٦، ٢٦٨.

(8) ينظر: شرح المقدمة المحسبة: ٤٠٧/٢، كشف المشكل: ١١/٢.

(9) اللمع: ١٦٧.

(10) المشكاة الفتحية على الشمعة المضيئة: محمد الدمياطي: ٢٩٧.

(11) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩٧.

(12) أساليب التأكيد في نهج البلاغة - دراسة دلالية: ٢.

ما يُريد المخاطب منه تحديداً (فإنك إذا كررت فقد قررت المؤكد وما علق به في نفس السامع ومكنته في قلبه وأمطت شُبُهَةً (ربّما خالجتَه، أو توهمت غفلة وذهاباً عمّا أنت بصدده فأزلته)^(٢).

فالتحقيق وإزالة التجوّر في الكلام يعني (أنّ التأكيد يمنح الكلمة تحديداً دلاليّاً، إذ تبدو مع التأكيد على حقيقة دلالتها)^(٣)، لأنك إذا قلت مثلاً: جاء زيدٌ، يحتمل أمرين: نسبة المجيء إلى زيد وهو الظاهر ونسبة المجيء إلى غير زيد مثل كتابه أو رسوله مجازاً، فإذا أردت بقاء المتبوع على ظاهره من نسبة الحكم إليه لا غير قلت: جاء زيدٌ نفسه، أو جاء زيدٌ عينه^(٤).

أنواع التوكيد

يكون التوكيد في المفرد، ويكون في الجملة فيعني: (توكيد الإسناد الذي تم بين طرفي الجملة)^(٥)، ويسمى الخبر غير المؤكد فيها خبراً ابتدائياً، لخلو ذهن المخاطب من حكمها، وقد يتصور المخاطب طرفي الجملة ولكنه يتردّد في إسناد أحدهما إلى الآخر فيستحسن توكيدها بمؤكّد واحد، ويُسمّى الخبر في هذه الجملة طلبياً، وقد يحكم المخاطب بخلاف هذا الإسناد، وعندها يجب توكيد الجملة، بأكثر من مؤكّد - بحسب إنكار المخبر أو السامع-، ويسمى الخبر في هذه الجملة انكارياً^(٦). وهنا نعرض لما اصطلح عليه جمهور النحاة عند بحثهم لباب التوابع دون الأنواع الأخر، فالتوكيد يتخذ في العربية أنماطاً عدّة، وأساليب مختلفة فهناك التوكيد بالأسماء، ومنه: التوكيد بالنعته، والحال، والتمييز، والتوكيد بالأفعال كما هو في القسم، والتوكيد بالحروف، وبالزيادة وبالقصر وبتقديم ما حقه التأخير وغير ذلك من أساليب التوكيد وأنماطه^(٧)، وعلى الرغم من أن المؤكّدات في العربية مختلفة (بالأداة حيناً، وبغيرها أحياناً)^(٨) فإنّ النحاة (عقدوا باباً خاصاً بالتوكيد، وقصروا معالجتهم لهذا الموضوع على جانب من جوانبِه وهـ_____و: التوكيد_____د

التابع)^(٩) (*).

- (1) أسرار العربية: ٢٨٣.
- (2) شرح المفصل في صنعة الاعراب: الخوارزمي: ٧٨/٢.
- (3) دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني: ١٤٤.
- (4) ينظر: شرح الحدود النحوية: ١٨١، العجالة في علم النحو: عبد الجليل آل جميل: ١٠٦.
- (5) في النحو العربي - قواعد وتطبيق: ١٥٦.
- (6) ينظر: الإيضاح: القزويني: ١٦.
- (7) ينظر: التوابع من خلال القرآن الكريم: ٦٤.
- (8) في النحو العربي - نقد وتوجيه: ٢٣٧.
- (9) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: محمد حسين أبو الفتوح: ٩ «المقدمة».

إنّ أنواع التوكيد في هذا الباب تشتمل: التوكيد اللفظي^(**)، والتوكيد المعنوي^(***)،
ولعل ابن يعيش أول من قسّم التوكيد إلى لفظي ومعنوي^(١)^(****).

المبحث الأول : التوكيد اللفظي

التوكيد اللفظي إمّا هو تكرير للفظ الاول بعينه وإعادة له^(٢)، وقد عرفه ابن هشام بإثمه:
(اللفظ المكرر به ما قبله)^(٣)، وهو (جارٍ في كلّ شيءٍ في الاسم والفعل والحرف، والجملة
والمظهر والمضمر، وتقول: ضَرَبْتُ زَيْدًا وَضَرَبْتُ ضَرَبْتُ زَيْدًا، وَإِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقًا،
وَجَاءَنِي زَيْدٌ جَاءَنِي زَيْدٌ وما أكرمني إلا أنت أنت)^(٤)، وقال أبو حيان: (يكون في المفرد،
والمركب غير الجملة، والجملة)^(٥)، وكثيراً ما يقترن التوكيد اللفظي في الجمل بالعطف^(٦)،
نحو قوله تعالى: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٧)، وهو

(*) وقد أحدث ذلك قصوراً في دراسة أساليب التوكيد - بصورة عامة إلا أنهم قد يسروا دراسة التوكيد التابع
إذ يجد الدارس أنهم قد حصروا أنواعه في هذا الباب مع تناوله بدراسات كثيرة وواسعة .

(**) التوكيد اللفظي: هو التكرير الصريح أو التثنية عند سيبويه ، وتكرير الاسم عند ابن السراج ، والتكرير
الصريح عند ابن جني، والخوازمي، وابن يعيش. ينظر: الكتاب: ٥٠٨/٣، التوابع في كتاب سيبويه: ٥١،
الأصول: ١٧/٢، الموجز: ٦١، شرح المفصل: الخوارزمي: ٧٧/٢، شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٢٢/٢،
٢٢٧.

(***) التوكيد المعنوي: هو التوكيد غير الصريح عند سيبويه، وابن جني، والخوازمي، وابن يعيش، وهو
ما يجيء للإحاطة والعموم عند ابن السراج، والتوكيد المعنوي عند ابن هشام، وابن عقيل. ينظر: التوابع
في كتاب سيبويه: ٥٠، الخصائص: ١٠٤/٣، شرح المفصل: الخوارزمي ٧٧/٢، شرح المفصل: ابن
يعيش: ٢٢٧/٢، الأصول: ١٩/٢، الموجز: ٦٢، شرح ابن عقيل: ٢٠٦/٢، ضياء السالك: ١٣٨/٣.

(1) مصطلحات نحوية، ع «٣، ٤»، لسنة ١٤٢١ هـ: ٢٦٧، ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٢٧/٢.
(***) وهكذا قسم النحاة «التابع». ينظر: شرح المقدمة المحسبة: ٤٠٧/٢، كشف المشكل: ٩/٢، أسرار
النحو: ١٦٥ - ١٦٦، تسهيل الفوائد: ١٦٤، شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٢٦٢/١، أوضح المسالك:
٢٠/٣، حاشية الصبان: ٧٣/٣، همع الهوامع: ١٣٦/٣، ١٤٣.

(2) ينظر: الكتاب: ١٢٥/٢، شرح المفصل: ٢٢٢-٢٢٣، شرح جمل الزجاجي ابن عصفور: ٢٦٢/١،
شرح عمدة الحافظ: ٥٧٠، شرح قطر الندى «النبراس»: ٣٢٢، التراكيب اللغوية في العربية - دراسة
وصفية تطبيقية: د. هادي نهر: ١٠٧، النحو الوافي: ٥٢٥/٣.

(3) أوضح المسالك: ٢٤/٣.

(4) شرح المفصل: الخوارزمي: ٧٩/٢، ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٨٥/٢، كشف المشكل:
٥/٢، الحل في أصلح الخلل: ١١٠، شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٢٦٢-٢٦٣، البداءة في
علمي النحو والصرف: محمد النقي الحسيني الجاللي: ٩٣.

(5) ارتشاف الضرب: ١٩٥٧/٤.

(6) ينظر: شرح الأشموني: ٣٨٤/٤، أوضح المسالك: ٢٤/٣، ضياء السالك: ١٤٧/٣.

(7) سورة التكاثر: ٣، ٤.

الأجود^(١)، وتأتي بدونه^(٢)، نحو قوله ﷺ: (والله لأغزُونَ قُرَيْشًا) ثلاث مرات^(٣)، وإن كان اسماً ظاهراً يتكرر بلا فصل^(٤) نحو قوله ﷺ: (أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها فنكاحها باطلٌ باطل باطل)^(٥) و تكرار الضمير المنفصل المنصوب واضح^(٦)، نحو قول الشاعر:

فإيّاك إيّاك المراء فإيّه
إلى الشرّ دعاء وللشرّ جالب^(٧)

أمّا إذا كان ضمير رفع منفصل جاز أن يؤكّد به كل ضمير متصل مرفوعاً كان نحو: كنتَ أنتَ صديقاً فاضلاً، أو منصوباً نحو: أكرمتني أنا، أو مجروراً نحو: مررتُ بها هي^(٨). وإذا أريد إعادة لفظ الضمير المتصل للتوكيد لم يجز ذلك الا بشرط اتصال المؤكّد بما اتصل بالمؤكّد نحو مررت بك بك، ورغبت فيه فيه، وعجبت منك منك^(٩)، وإن كان فعلاً كقولك: قامَ قامَ زيد^(١٠).

أمّا (الحرف، فإن كان جواباً أكدته بإعادة لفظه)^(١١) من غير أن يتصل بشيء، فنقول: نَعَمْ نَعَمْ، وبلى بلى، ولا لا، ومنه قوله:

لا لا أبوحُ بحُبِّ بنته إنّهَا
أخذت عليّ موثقاً وعهودا^(١٢)

ونلاحظ ممّا مرّ أنّ (التأكيد اللفظي أوسع مجالاً من التأكيد المعنوي لإثته يدخل في المفردات الثلاث وفي الجمل ولا يتقيد بمظهر أو مضمّر معرفة أو نكرة بل يجوز مطلقاً)^(١٣)، (بخلاف التوكيد المعنوي: فإنه يكون في الأسماء المعارف فقط)^(١٤)، وقد أيّدت إحدى الباحثات

-
- (1) همع الهوامع : ١٤٦/٣ .
 - (2) ينظر : أوضح المسالك : ٢٤/٣ ، ضياء السالك : ١٤٧ /٣ .
 - (3) ينظر : سنن أبي داود : السجستاني: ٢٠٧/٢ ، أوضح المسالك : ٢٤/٣ ، شرح الأشموني : ٣٨٤/٤ .
 - (4) ينظر : شرح الرضي على الكافية: ٢٩٢/٢ ، النحو الوافي : ٤١١/٣ ، ٤١٤ ، في علم النحو : ٩١/٢ .
 - (5) سنن أبي داود : ٤٨١/٢ ، أوضح المسالك ٢٤/٣ .
 - (6) ينظر : شرح الرضي على الكافية: ٢٩٢/٢ ، أوضح المسالك : ٢٤/٣ ، النحو الوافي : ٥٣١/٣ ، في علم النحو : ٩١/٢ .
 - (7) البيت للفضل بن عبد الرحمن القرشي. ينظر: خزانة الأدب : ٦٣/٣-٦٤ .
 - (8) ينظر : ارتشاف الضرب: ١٩٥٩/٤-١٩٦٠ ، في علم النحو: ٩١/٢، ينظر: ضياء السالك: ١٤٨-١٥٠ .
 - (9) ينظر : ارتشاف الضرب : ١٩٥٨/٤-١٩٥٩ ، في علم النحو : ٩١/٢ .
 - (10) ينظر : أوضح المسالك : ٢٥/٣ .
 - (11) ارتشاف الضرب : ١٩٥٨/٤ .
 - (12) ينظر : أوضح المسالك : ٢٦/٣ ، شرح الأشموني : ٣٩٦/٤ ، النحو الوافي : ٥٣١/٣ .
 - (13) الأشباه والنظائر: ١١٦/٢ ، ١١٧ ، ينظر: معاني النحو : ٥٢٩/٤ .
 - (14) معاني النحو : ٥٢٩/٤ .

هذا الرأي بقولها: وما ورد في نهج البلاغة يؤيد ما ذهب إليه الدكتور فاضل صالح السامرائي إذ كان التوكيد اللفظي في كلام الإمام -عليه السلام- أكثر استعمالاً من التوكيد المعنوي^(١).
وقد ذكر السيوطي في «الأشباه والنظائر» نقلاً عن ابن الدهان^(*) «ت ٥٦٩هـ» في «الغرة»، أقسام الاسم بالنسبة إلى التوكيد، انّ (الاسم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم يوصف ويؤكد كزيد والرجل، وقسم يوصف ولا يؤكد كرجل، وقسم يؤكد ولا يوصف كالمضمر)^(٢)، وعلّق أحد الباحثين على هذا الكلام قائلاً: (وارى أن القسم الذي ذكر أنّه يوصف ولا يؤكد لا يستقيم، فقد تقول: جاء رجل لمن يشك أنّ الجائي امرأة وليس رجلاً فكيف لا يجوز توكيده - كما قيل -)^(٣)، ونحن نتفق معه في ما ذهب إليه إلا أنه ينبغي لنا أن نذكر أنّ غفلة بعض النحاة عن هذا الأمر لا يعني عدم التفات آخرين له، فنحن نجد أنّ ابن السراج -وهو أقدم من السيوطي وابن الدهان- يقول بعدم امتناع تأكيد النكرة بتكرار اللفظ بعينه، فنقول: رأيت رجلاً رجلاً، وأصبت دُرّةً دُرّةً^(٤)، وقد قال أبو حيان: (انّ التكرير اللفظي يكون في المفرد... ويكون في المعرفة والنكرة)^(٥)، فيظهر لنا انّ التوكيد مع النكرة أمرٌ جائز. يقول ابن الأثيري: (فإن قيل: فهل يجوز توكيد النكرة؟ قيل: إن كان التوكيد بتكرير اللفظ جاز توكيد النكرة كما يجوز توكيد المعرفة، نحو: «جاءني رجلٌ رجلٌ»)^(٦)، ولذا نقل السيوطي عن بعضهم أنّ مما جعل التأكيد اللفظي أوسع مجالاً من التأكيد المعنوي عدم تقيده بالنكرة لإثمه يجوز مطلقاً^(٧).

وقد ذكر النحاة أغراض استعمال المتكلم للتوكيد اللفظي في كلامه^(٨) (**).

-
- (1) ينظر: أساليب التأكيد في نهج البلاغة -دراسة دلالية: ٨٩.
(*) ابن الدهان: هو سعيد بن المبارك بن علي الانصاري «ت ٥٦٩هـ». عالم باللغة والادب. مولده ومنشأه ببغداد. له «تفسير القرآن»، و«شرح الايضاح لابي علي الفارسي»، و«الاضداد». ينظر: بغية الوعاة: ٥٨٧/١، انباه الرواة على انباه النحاة القفطي: ٤٧/٢-٥١، وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان: ابن خلكان: ٣٨٢/٢-٣٨٥.
(2) الأشباه والنظائر: ١١٦/٢، ينظر: المعجب في علم النحو: رؤوف جمال الدين: ١٠١.
(3) التقييد بالتوابع في القرآن الكريم: ١٦.
(4) ينظر: الأصول: ٢١/٢.
(5) ارتشاف الضرب: ١٩٥٧/٤.
(6) أسرار العربية: ٢٨٩.
(7) ينظر: الأشباه والنظائر: ١١٦/٢-١١٧.
(8) ينظر: كشف المشكل: ٩/٢، شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٢١/٢، شرح الرضي على الكافية: ٢٨٥/٢-٢٨٦، معاني النحو: ٥٣٠/٤-٥٣٢، في النحو العربي -نقد وتوجيه: ٢٣٥، أساليب التأكيد في نهج البلاغة -دراسة دلالية: ٩٤-٩٥.
(**) وسنذكرها في مظانها من هذا البحث.

المطلب الأول : توكيد الاسم

جاء في النهج تكرير الاسم في عدد من المواضع^(١)، وقد جاء الاسم المكرر مفعولاً به، كما جاء مفعولاً مطلقاً.

أولاً: توكيد المفعول به

ورد تكرير المفعول به لدلالات عدّه ندرسها فيما يأتي:

أ- توكيد التحذير

التحذير هو (تبيهه المخاطب على امر مكروه ليجتنبه)^(٢)، وهو (اسلوب يعتمد على القرائن والدلالات التي تكتنف الخطاب ويكتفى فيه بذكر ما يرد الى التحذير منه فلا يذكر معه فعل)^(٣)، وهو أقوى من الفعل الذي بمعناه في اداء المعنى، واقدر على ابرازه كاملاً مع المبالغة فيه، فيؤدي المعنى مع ايجاز اللفظ واختصاره، لذلك كان استعماله هو الانسب حين يقتضي المقام ايجاز اللفظ واختصاره، مع وفاء المعنى، والمبالغة فيه^(٤).

منه قوله -عليه السلام-: (قَالَهُ اللَّهُ أَنْ تَشْكُوا إِلَيَّ مَنْ لَا يُشْكِي شَجْوَكُمْ، وَلَا يَنْقُضُ بَرَأْيَهُ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ)^(٥)، وقد جاء «لفظ الجلالة» الاسم المتكرر منصوباً على التحذير^(٦)، والتقدير: «احذروا الله الله»، والاسم الثاني «الله» توكيداً لفظياً للأول منصوباً تبعاً له.

وهنا نجد ان الإمام -عليه السلام- قد كرّر لفظ الجلالة تحذيراً لهم من أن يشكوا إلى من لا يشكي حزنهم، أي: من لا يزيل شكايتهم، وذلك أن المشتكى إليه والمستشار إذا لم يسهم الشاكي همّه لم يكن أهلاً للرأي في مثل ذلك الأمر المشكوك، ثم نهاهم عن ان ينقض هذا الذي لا رأي له في الدين ولا بصيرة برأيه الفاسد ما قد احكمه هو -عليه السلام- لهم من الرأي الصائب^(٧).

ومنه قوله -عليه السلام-: (اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ؛ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَ أَهْلَ الْيُسْرِ وَالزَّمَنِ)^(٨).

(1) ذكرت احدى الباحثات أنه جاء في «أربعة وثلاثين» موضعاً، وقد وجدت موضعاً أضمه إليها، وهو قوله -عليه السلام-: (فَنَفْسَاكَ نَفْسَاكَ، فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ). نهج البلاغة: ٦/١٦، ينظر: اساليب التأكيد في نهج البلاغة - دراسة دلالية: ٩٩.

(2) النحو الوافي: ١٢٦/٤.

(3) المعنى والاعراب عند النحويين ونظرية العامل: د. عبد العزيز عبده ابو عبد الله: القسم الاول: ٣٢٠.

(4) النحو الوافي: ١٤٢/٤-١٤٣.

(5) نهج البلاغة: ١٦٧/٧.

(6) ينظر: مرجع الطلاب في الإعراب: إبراهيم شمس الدين: ١٧٠.

(7) ينظر: مصباح السالكين: ٢٨/٣، شرح النهج: ١٦٩/٧.

(8) نهج البلاغة: ٨٥/١٧.

وقد قال هذا الكلام في عهد له -ﷺ- كتبه للأشتر النخعي لما ولاه مصر، وقد قسم الناس على طبقات وعلمه كيفية التعامل مع كل طبقة، وقد وجّه -ﷺ- عنايته إلى هذه الطبقة منهم، لما يتسمون به من ضعف الحال، وفصل القول فيهم لمزيد العناية بهم، وجاء تكرار التحذير له تأكيداً لتحذيره من الله تعالى في التغافل عنهم، فلا بدّ للوالي من أن يجتهد في تأدية حقوقهم والاعذار لله سبحانه وتعالى في تأدية فرائضه وحقوقه بشأنهم إذ أنّهم أولى من غيرهم بتوفير حاجاتهم وإشباعها لهم^(١).

ونظيره - أيضاً - قوله -ﷺ-: (قَالَةَ اللَّهُ فِي كِبَرِ الْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ! فَإِنَّهُ مَلَأَهُ الشَّنَّانَ، وَ مَنَافِحَ الشَّيْطَانِ)^(٢)، أي خافوا الله الله^(٣).

هذا القول من جملة كلام قاله -ﷺ- في ذمّ إبليس على استكباره، فحذر المخاطبين من الله تعالى من سلوك طريقة إبليس، (ثمّ كرّر التحذير من الله تعالى في الكبر وأضافه إلى الحميّة ليميّز الكبر المحمود، وكذلك إضافة الفخر إلى الجاهلية فإنّ من التكبر والفخر ما هو محمود كتكبر الفقراء على الأغنياء)^(٤)، فالتكبر من أسباب الضغائن، ومن سنن الشيطان التي أدت إلى هلاكه لذلك ينبغي للمخاطبين الحذر من اقتفاء أثره.

ومنه - أيضاً - قوله -ﷺ-: (عِبَادَ اللَّهِ! اللَّهُ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وَ أَحَبَّهَا إِلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَ أَنْارَ طُرُقَهُ)^(٥).

خطب الإمام -ﷺ- مُحَدِّراً السامعين الذين هم عباد الله من غضبة ربّهم (تعالى في أعزّ الأنفس وأحبها إليهم ... وغاية هذا التحذير حفظ كلّ نفسه ممّا يوبقها في الآخرة، وذلك بالاستقامة على سبيل الله)^(٦)، إنّ الذي أجدى هذا المعنى هو (كلمة الله الأولى)^(٧) التي جاءت (نصباً على التحذير، والثانية تأكيداً)^(٨) لهذا التحذير.

وقد قال ابن أبي الحديد: (وانتصب «الله، الله» على الإغراء. و «في» متعلّقة بالفعل المقدّر، وتقديره: راقبوا. واعزّ الأنفس عليهم، أنفسهم)^(٩)، ويبدو لنا واضحاً من سياق الكلام أنّها دالة على التحذير^(*).

(1) ينظر: السياسة الإدارية في فكر الإمام علي بن أبي طالب بين الأصالة والمعاصرة: خضير كاظم حمود: ٧٨.

(2) نهج البلاغة : ١٣ / ١٤٦ .

(3) ينظر : منهاج البراعة: الراوندي: ٢٤٣/٢ .

(4) مصباح السالكين : ٢٥٩/٤ .

(5) نهج البلاغة : ٢٠٩/٩ .

(6) مصباح السالكين : ٢٧٠/٣ .

(7) في ظلال نهج البلاغة : ٣٤٠/٣ .

(8) المصدر نفسه: ٣٤٠/٣ .

(9) شرح النهج : ٢١٤/٩ .

وقد استعمل الإمام -عليه السلام- أسلوب التحذير هنا لإشعار المخاطب بقصر المدّة، فيأتي حذف الفعل، هنا لشدّ انتباه المخاطب، وللتنبية على أنّ الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف وان الاشتغال بذكره يفضي إلى تقويت المُهمّ^(١)، فالمخاطب مطالب بالترامات عليه أداؤها والموت من وراء الإنسان وهو أمرٌ جليل، ويأتي بغتة.

كذلك نجد هذه الدلالة في قوله -عليه السلام- : (فَاللّٰهُ اللّٰهُ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظْتُمْ مِنْ كِتَابِهِ، وَ اسْتَوَدَعْتُمْ مِنْ حُقُوقِهِ؛ فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى...)^(٢)، وهنا كرّر الإمام -عليه السلام- اللفظ المقدّس «الله» ليؤكد تحذير المخاطبين من مخالفة ربهم فيما أمرهم بحفظه من أحكام الكتاب، وترك الالتزام بأوامره ونواهيه، وهي حقوقه المستودعة عندهم.

وقد ذكر عددٌ من الشراح أن دلالة لفظ الجلالة «الله» الأول هو التحذير، فقال الراوندي: (« والله الله » أي خف الله فيما كان وفيما يكون في إقامة «ما استحفظكم» الله أي ما سألكم حفظه والمحافظة عليه من أحكام كتاب الله الشرعية، وفي مراعاة ما «استودعكم» من الواجبات العقلية في حقوق الله)^(٣)، وذكر ابن ميثم: أنه -عليه السلام- (أبّه^(**)) بالناس وحذرهم ربهم أن يخالفوا فيما أمرهم بحفظه وهو كتابه، وعنى بحفظه تدبّر ما فيه والمحافظة على العمل بأوامره ونواهيه وهي حقوقه التي استودعكم إيّاها)^(٤)، ويرى الشيخ مغنية أنّ قوله: (فإن الله نصب بفعل محذوف أي فاتقوا الله، أو احذروا عذاب الله)^(٥) إلا أنّنا نجد أنّ الشراح المعتزلي ابن أبي الحديد يرى أنّه نُصِبَ (على الإغراء، وهو أنّ تقدّر فعلاً ينصب المفعول به، أي اتقوا الله، وجعل تكرير اللفظ نائباً عن الفعل المقدّر ودليلاً عليه)^(٦)، ونرجّح رأي الشراح في ذلك الموضوع، لأنّ سياق الخطبة التي وقعت فيها العبارة دالٌّ على التحذير^(*)^(٧).

(*) وقد اتخذتها الباحثة أصيل الموسوي مثلاً لدلالة توكيد التحذير. ينظر: أساليب التأكيد في نهج البلاغة - دراسة دلالية: ١٠٠.

(1) ينظر: معاني النحو : ٢٢٣/٤ - ٢٢٤.

(2) نهج البلاغة : ٣٥٠/٦ .

(3) منهاج البراعة : الراوندي : ٣٥٧/١ .

(**) أي نبههم. ينظر: لسان العرب : ١٣ / ٤٦٦ «أبه» .

(4) مصباح السالكين : ٢٨٢/٢ .

(5) في ظلال نهج البلاغة : ١٩٦/٢ .

(6) شرح النهج : ٣٥٢/٦ .

(*) وقد كانت الباحثة أصيل الموسوي على صواب حين جعلت هذا القول ضمن أمثلة التحذير. ينظر: أساليب التأكيد في نهج البلاغة - دراسة دلالية: ٩٩ .

(7) ينظر الخطبة «٨٥»: ٣٥٠/٦ .

نلاحظ أن دلالة توكيد التحذير عند الإمام -عليه السلام- تكاد تُحصر بلفظ الجلالة «الله»، فقد ورد دالاً عليها في «سنة عشر» موضعاً^(١)(**)، فتكون هي الأكثر وروداً في النهج في باب التوكيد.

نصل ممّا سبق إلى أنّ الإمام -عليه السلام- يصب عنايته في أكثر مواضع التحذير على تكرار لفظ الجلالة مُستجاباً أذهان المخاطبين بذكر اسمه تعالى مُحذراً ومخوفاً من سطوته و غضبه في ما يريده ويفرضه من تكاليف على المخاطبين في المحذّر منه، وهذا ينسجم مع طبيعة عمله خليفة لرسول الله ﷺ ومُعَلِّماً، وواعظاً، وقائد أمة ومحارباً، فكلُّ هذه الصفات تُفرضُ عليه التحذير في المواضع التي ينبغي فيها التحذير، ولأهمية الموضوعات المتحدّث عنها وعظم شأن المعصية عنده تعالى وفي نظر الإمام -عليه السلام- أكدها بالتكرار.

ب- توكيد الإغراء

اسلوب الإغراء هو (تنبيه المخاطب على أمر محمود ليلزمه)^(٢)، فالمتكلم هنا يلزم المخاطب العكوف على ما يُحمد عليه)^(٣)، فيوجه طلباً إلى المخاطب للالتزام والتمسك بأمر معين، مثل: الدرس الدرس، أي الزم الدرس وتمسك به^(٤).

(1) ينظر: نهج البلاغة : ٣٥٠/٦، ١٦٧/٧، ٢٠٩/٩، ٢٦١/٩، ١٢٢/١٠، ١١٠/١٣، ١٤٦/١٣، ١٦٣/١٣، ٥/١٧، ٥/١٧، ٥/١٧، ٥/١٧، ٥/١٧، ٥/١٧، ٨٥/١٧.
(**) إن دراستي ليست إحصائية إلا أنني قد ألتزم الإحصاء في عدد من المواضع عند الحاجة إلى ذلك.
(2) شرح شذور الذهب: ٢٢٢، ينظر: النحو الوافي: ١٤٣/٤.
(3) همع الهوامع: ٢٠/٢، الواضح في علم العربية: ١١٨.
(4) ينظر: مرجع الطلاب في الإعراب: ١٧٣.

وقد ورد التأكيد بالاعراء في قوله -ﷺ-: (الْعَمَلُ الْعَمَلُ، ثُمَّ النَّهْيَةُ النَّهْيَةُ، وَ الْإِسْتِقَامَةُ الْإِسْتِقَامَةُ، ثُمَّ الصَّبْرُ الصَّبْرُ، وَ الْوَرَعَ الْوَرَعَ!)^(١)، وقد جاء (النصب على الإغراء)^(٢) في الأوائل من الألفاظ المكررة جميعها^(٣)، (أي الزموا العمل)^(٤)، (ومثله ما بعده)^(٥)، وقد أمرهم بلزوم العمل ثم أمرهم بمراعاة العاقبة والخاتمة، إمّا مؤمناً أو كافراً أوفاسقاً، والفعل المقدر هاهنا: راعوا واحسنوا وأصلحوا، ونحو ذلك^(٦)، وعبر عنها بالنهاية؛ وهي آخر احوال المكلف التي يفارق الدنيا عليها.

إنّ غرض الإمام -ﷺ- من حديثه هو (بيان منزلة القرآن وتأثيره في توجيه الإنسان إلى الغاية التي وجد من أجلها... ولذا قال الإمام مكرراً، ومؤكداً):^(٧) «العمل» أمراً بلزوم العمل الصالح فإنّه الوسيلة الوحيدة للنجاة التي يلزم عنها النهاية السعيدة فيحذر الإنسان من عاقبة السوء، ويغريهم بلزوم الأعمال الحسنة: «الاستقامة» على سبيل الحق، ثم «الصبر» على هذا السبيل، و«الورع» مكرراً تلك الألفاظ لتأكيد^(٨) حكم الالتزام بها.

ومنه قوله -ﷺ-: (الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ! أَلَا وَ إِنِّي مُعَسِّكٌ فِي يَوْمِي هَذَا؛ فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَّاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ)^(٩)، وقد نصبت «الجهاد» الأولى على الإغراء، ونصبت الثانية تبعاً للأولى، وهنا حتّى -ﷺ- أصحابه على «الجهاد»^(١٠)، وقد وجّه أمر الخروج إلى مَنْ له إرادة في «الرواح إلى الجنة»، وقد أكد حكم الالتزام بتكريره طلب الالتزام بأمر الجهاد. ونظيره قوله -ﷺ-: (الْفَرَائِضَ^(١١) الْفَرَائِضَ! أَلَا وَ إِنِّي مُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ)^(١٢) فقد أمر بلزوم الفرائض من العبادات والمحافظة عليها كالصلاة، والزكاة، وانتصب ذلك على الإغراء^(١٣)، وقد أغراهم بلزومها (لأنّها أقوى طرق الخير)^(١٤)، و(الفرائض الأولى مفعول

(1) الورع: ملازمة الأعمال الجميلة من غير فتور فيها). قانون السياسة ودستور الرياسة: مؤلف مجهول : ٦٨.

(2) نهج البلاغة: ٢٤/١٠.

(3) ينظر: شرح النهج: ٢٥/١٠.

(4) ينظر: مصباح السالكين: ٣٥٧/٣.

(5) شرح النهج: ٢٥/١٠، ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٥١١/٣.

(6) في ظلال نهج البلاغة : ٥١١/٣.

(7) شرح النهج: ٢٥/١٠.

(8) في ظلال نهج البلاغة : ٥١٥-٥١٦/٣.

(9) ينظر: مصباح السالكين : ٣٥٧/٣.

(10) نهج البلاغة : ١٠٠/١٠.

(11) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٤١/٤.

(12) (الفرض ما أوجبه الله -جل وعز-، وسمي بذلك لأنّ له معالم وحدوداً). «مجل اللغة: ٥١٩»، وهو العلامة ومنها سميت الفرائض لأنها علامات في الدين). «العشرات في اللغة: محمد بن جعفر التميمي : ٢٣٩».

(13) نهج البلاغة : ٢٨٨/٩.

(14) ينظر: شرح النهج : ٢٨٩/٩.

(15) مصباح السالكين : ٣١٨/٣.

لفعل محذوف أي أدوا الفرائض، والثانية توكيد⁽¹⁾ للأولى لتوثيق المطلوب وضرورة ادائه والمواظبة عليه.

وهنا أراد الخليفة الجديد أن يبين للناس ما ينبغي لهم الالتزام به، فأمرهم بجملة أمور، وقد كان منها الالتزام بالفرائض، وكرر هذا الالتزام لتقوية الحكم، أي الالتزام بتأديتها، ورغبتهم في ذلك ببيان علة هذا الأمر، وهي ان أداءها، يؤدي بهم إلى الجنة.

ومما ورد في النهج - أيضاً - دالاً على تأكيد التحذير قوله - عليه السلام -: (اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ... وَاللَّهُ اللَّهُ فِي جِيرَانِكُمْ... وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ... وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ... وَاللَّهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ... وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ)⁽²⁾، وقد نُصِبَ لفظ الجلالة المتكرر «الله» على الإغراء في العبارات المتقدمة، وجاء الاسم الثاني «الله» فيها توكيداً لفظياً للأول.

وقد جاء هذا الكلام في وصية له - عليه السلام - لولديه الحسن والحسين - عليهما السلام -، وهنا ورد التكرير للحضّ على عدم ترك هذه الأمور تأكيداً وتمييزاً لها من غيرها، وتعظيماً لأهميتها عند الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ لهذا كُرِّرَ اللفظ في هذا الموضع للإغراء بالتقرب لله تعالى فيها، وهو تحذير في الوقت ذاته من ترك الالتزام بها⁽³⁾، والخشية العظيمة منه تعالى في عصيانه فيها.

وقد ورد الاسم الواقع مفعولاً به، دالاً على الإغراء في عدد من المواضع⁽⁴⁾.

ونصل منها إلى أنّ فائدة التكرير في الإغراء هي تأكيد الأمر الدال على شدة اهتمام الأمر بالمأمور به⁽⁵⁾.

ج - توكيد الإغراء بلفظ التحذير

جاء تكرير المفعول به للدلالة على الإغراء والتحذير معاً في «ثلاثة» مواضع:

الأول: قوله - عليه السلام -: (الْحَذَرَ الْحَذَرَ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَتَّرَ، حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ)⁽⁶⁾، و«الحذر» الأولى منصوبة على التحذير أي الزموا الحذر، و«الحذر» الثانية تابع مؤكّد منصوب، وقد (حذّر من سخط الله بسبب معصيته لطول إمهالها وستره إلى الغاية المذكورة)⁽⁷⁾.

(1) في ظلال نهج البلاغة : ٤٤٦/٣ .

(2) نهج البلاغة : ٥/١٧ .

(3) ينظر: مصباح السالكين : ١٢٢/٥ - ١٢٣ .

(4) ينظر: نهج البلاغة : ٢٤/١٠ ، ٢٤/١٠ ، ٢٤/١٠ ، ٢٤/١٠ ، ١٠/١٠ ، ١٥٨/٩ ، ٢٨٨/٩ .

(5) ينظر: مصباح السالكين : ١٦٧/٣ .

(6) نهج البلاغة : ١٤١/١٨ .

(7) مصباح السالكين : ٢٥٢/٥ .

وهنا جاء التكرير في كلامه -عليه السلام-، لـ«لزوم الحذر من غضب الله تعالى» تأكيداً للمتقين على هذا اللزوم، وقد أردفه بالقسم البار زيادةً في تأكيد «لزوم الحذر من معصية الله وغضبه»، وقد علل قوله -عليه السلام- بأنّ ستره الجميل عن المعصية أشبه بغفرانه لها، فهو -عليه السلام- يُحذّر من الانخداع بهذه المُهلة، وهذا الستر والانزلاق في المعصية، فمشابهة الستر للغفران، أي الاستدراج^(١) تستلزم منهم لزوم الحذر انقضاء لغضبه تعالى.

الثاني: قوله -عليه السلام-: (فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكَرَتِكَ، وَ اسْتَيْقِظْ مِنْ غَفَلَتِكَ... فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ!)^(٢)، و(الحذر نصب على المصدر أي احذر)^(٣)، وهنا يُحذّر الإمام -عليه السلام- جمهور المخاطبين -المستمعين لوعظه- من الغفلة والتقصير بان يستفيقوا من سكرة الجهل، ويتيقظوا من الغفلة، ثمّ كرّر لزوم المخاطبين الحذر فيما أمرهم به -عليه السلام- مؤكّداً بذلك حُكم لزوم الحذر منهما في أذهان المخاطبين.

الثالث: هو قوله -عليه السلام-: (أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَ كِبْرَائِكُمْ! الَّذِينَ تَكْبَرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَ تَرَفَعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ...)^(٤)، و«الْحَذَرَ الْحَذَرَ» (أي خذوا حذركم والزموه عن أن تخرجوا من طاعة الله إلى طاعة ساداتكم وكبرائكم)^(٥)، فحذرهم^(٦) من ذلك العمل (تذكيراً بما نبّه عليه القرآن الكريم بزم المطيعين لساداتهم وكبرائهم فيما حرم الله عليهم وخروجهم بذلك عن سبيل الله)^(٧)، و هؤلاء المحذّر منهم هم (أرباب الحمية)^(٨) الذين يعشقون المناصب والرياسة لا لشيء إلا للذة الحُكم، وشهوة السُلطان، اللذين يتنازرون بالألقاب، ويتفاخرون بالمناصب^(٩)، متناسين أصلهم الطيني المهين مترفعين عنه بترك التواضع لله والخلق، لذا عزّر الإمام -عليه السلام- تحذيره بالتكرار لتوكيد هذا الحذر، لانّ اتباع الكبار يؤول بالمتبع إلى الابتعاد عن التفكير بالأخرة ويدفع به إلى ان يتخلّى عن قيمته الإنسانية التي منحها خالقه له وهي العزة وحرية التفكير وحسن الاختيار، (وقد تكون أهم ظاهرة في الكون هي ظاهرة الاختيار لدى الإنسان فإنّ الإنسان كائنٌ مختار ويعني ذلك أنّه كائنٌ هادف أي يعمل من اجل هدف يتوحّى

(1) ينظر: شرح النهج: ١٤١/١٨ .

(2) نهج البلاغة: ١٥٨/٩ .

(3) في ظلال نهج البلاغة: ٢٩٨/٣ .

(4) نهج البلاغة: ١٤٦/١٣ .

(5) منهاج البراعة: الراوندي: ٢٤٥/٢ .

(6) ينظر: مصباح السالكين: ٢٦٠/٤ .

(7) مصباح السالكين: ٢٦٠/٤ .

(8) شرح النهج: ١٤٩/١٣ .

(9) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١٥٤/٤ .

تحقيقه بذلك العمل^(١)، وإن طاعة القادة الظالمين تخلع المرء عن شخصيته الإنسانية عن
الجهة الهادفة وتجعل فيه شخصية مطيعة مقودة للظالم فالحذر من هذا!!.

د- توكيد الإغراء بتحريك الهمة

وردت هذه الدلالة في تكرير المفعول به في قوله -عليه السلام- : (وَ الْجَدَّ الْجَدَّ؛ أَيُّهَا
الْغَافِلُ)^(٢)(٣)، و«الجدّ الجدّ» أي (التزم الجدّ سرّاً وأعلاناً)^(٣)، والخطاب هنا موجّه منه -
عليه السلام- إلى الإنسان المتّسم بالغفلة في الدنيا، فـ(أمره بالجدّ في العمل لما بعد الموت واليقظة
من الغفلة)^(٤)، وقد نُصب الجدّ على المصدر أي جد واجتهد^(٥)، فكرر الجدّ (تأكيداً للغافل عن
الحكم، وهو «لزوم الجدّ في الدنيا» وهذا يستلزم منه «تحريك الهمة»)^(٦).

ثانياً : توكيد المفعول المطلق

ورد تكرير المفعول المطلق في عددٍ من المواضع، وبدلالات معدودة، نتناولها فيما

يأتي:

أ - توكيد الإغراء^(٧)

وذلك في قوله -عليه السلام- مخاطباً أصحابه في بعض أيام صفين: (قَدْ قَدَّمَ لِلْوَيْبَةِ يَدًا

(1) المرسل الرسول الرسالة : محمد باقر الصدر : ٥٩ .

(2) نهج البلاغة : ١٥٨/٩ .

(*) و لم ترد هذه الدلالة إلا في هذا الموضوع .

(3) منهاج البراعة : الراوندي : ٩٣/٢ .

(4) مصباح السالكين : ٢٤٣/٣ .

(5) ينظر : في ظلال نهج البلاغة : ٢٩٤/٣ .

(6) أساليب التأكيد في نهج البلاغة - دراسة دلالية: ١٠٣ .

(7) ينظر : أساليب التأكيد في نهج البلاغة - دراسة دلالية: ١٠٣ .

وَأَخْرَجَ لِلنُّكُوصِ رَجُلًا فَصَمَدًا صَمَدًا ^(١) حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ ﴿وَأَسْمُ الْأَعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ

أَعْمَالَكُمْ ^(٢)﴾ ^(٣) ^(*)، فـ «صمدا» الأولى مصدر منصوب على الإغراء، و «صمدا» الثانية

توكيد لفظي منصوب تبعاً للأولى، والتقدير: (اصمدوا صمداً صمداً) ^(٤)، وقد كتى في قوله-

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ - «قد قدم للوثبة يداً وأخر للنكوص رجلاً» عن تردد معاوية وانتظاره لأمرهم، إن

جنبوا وثب، وإن شجعوا نكص وهرب ^(٥)، فنجده قد قابل دلالية بين قدم ونكص واليد والرجل

لاستكمال صورة المتردد، ثم أكد لزوم القصد لعدوهم في الأزمنة كلها: الماضي، والحاضر،

والمستقبل إلى ان ينجلي لهم نور الحق، ويكتب لهم النصر ^(٦)، وقد اختار -﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾- التوكيد اللفظي

هنا لما يحدثه تكرار اللفظ من إثارة في النفس المتوجهة للقتال، فتشدد عزيمة المحاربين فضلاً

عن تثبيت الفكرة في عمق الذهن، فتقوى همتهم وتشدد على الثبات ثم أردف قوله بقول الله

تعالى تشجيعاً لهم وتثبيتاً بكونهم مع الله وأنهم الأعلى مشيراً بذلك لمنزلتهم عنده تعالى.

ونلاحظ أن التوكيد عموماً، واللفظي منه خصوصاً له أثرٌ فاعلٌ في خطب الحرب إذ

أنه سببٌ لنشاط الجند وصبرهم وثباتهم، فكثيراً ما نجد موضعه شاهداً في خطب الجهاد

والحرب واستنهاض الهمة لآله الاسلوب الأمثل لأداء هذه الغاية.

ب- توكيد التحسر والترغيب

ورد تكرير المفعول المطلق دالاً على «التحسر والترغيب» ^(٧) في قوله -﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾-: (اللَّهُمَّ قَدْ

مَلَأْتَ أَطْبَاءَهُ هَذَا الدَّاءَ الدَّوِيَّ ... أَيِنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَفَقِلُّوهُ، وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَ

هَيَّجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلَّهُوا وَكَلَّ اللِّقَاحَ إِلَى أَوْلَادِهَا، وَ سَلَبُوا السُّيُوفَ أَعْمَادَهَا، وَ أَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ

زَحْفًا زَحْفًا؛ وَ صَقَّ صَقًّا ^(٨))، ج_____

قوله -﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾-: «زحفاً زحفاً»، منصوباً على المصدر المحذوف الفعل، أي يزحفون زحفاً،

والكلمة الثانية تأكيد للأولى. وكذلك قوله: «صَقًّا صَقًّا» ^(٩).

(1) الصمد: هو القصد. ينظر: لسان العرب: ٣/٢٥٨ «صمد»، شرح النهج: ١٧٥/٥ .

(2) سورة محمد: ٣٥ .

(3) نهج البلاغة: ١٦٨/٥ .

(*) وليس لهذه الدلالة نظائر أخر في النهج.

(4) شرح النهج: ١٧٥/٥، ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٦٨/٢ .

(5) ينظر: مصباح السالكين: ١/٣٣٦، ينظر: شرح النهج: ١٧٤/٥ .

(6) ينظر: أساليب التأكيد في نهج البلاغة -دراسة دلالية: ١٠٣ .

(7) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٤ .

(8) نهج البلاغة: ٢٩١/٧ .

(9) ينظر: شرح النهج: ٧/٢٩٥، مصباح السالكين: ٣/١١٧، في ظلال نهج البلاغة: ٥٦١/٢ .

هذا الكلام من خطبة له -عليه السلام- يأمر فيها أصحابه بالبقاء على الحرب، فلمَّا خرجوا على أمره، وتركوا الالتزام به، توجه بالشكوى إلى الله تعالى وذلك لتحقيق الملل في نفسه المقدسة -عليه السلام- وكفى عن ذلك بـ «الدَّاءِ الدَّوِيَّ»، أي: المرض الشديد المؤلم^(١)، ثم شكَا إلى الله تعالى بالسؤال عن أصحابه الذين (بذلوا جهدهم في نصره الدين)^(٢)، و«التزموا بأوامره على سبيل الإِطلاق»، ففصل القول في صفاتهم الحسنة، وكرّر «زحَقاً»، و «صَقّاً» اسفًا وتحسُّراً^(٣) على هؤلاء القوم، الذين مضوا، وترغيباً بهم لأصحابه الذين لم يثبتوا على الحرب في انتهاج نهجهم وبذلك ينبغي لهم اطاعته والالتزام بأوامره. ولتكرير المفعول المطلق نظائر قليلة في النهج^(٤) (*).

ثالثاً : توكيد الضميرين

إنَّ (الضمير مزايا مختلفة، وأثر يطلب من اجله، فهو يرفع اللبس في الكلام، ويكنى به عن الظاهر، ويحقق الاختصار)^(٥)، وذلك لـ(أنه نصٌّ في معناه، لا يحتمل شيئاً غيره)^(٦). وقد ورد تكرير الضميرين في مواضع عدَّة في نهج البلاغة، نذكرها ونوضِّح دلالاتها فيما يأتي:

أ- توكيد الضمير المتصل بالمنفصل

-
- (1) ينظر : لسان العرب: ٢٧٧/١٤ «دوي» ، شرح النهج : ٢٩٤/٧ .
(2) مصباح السالكين : ١١٧/٣ .
(3) ينظر : في ظلال نهج البلاغة : ٥٦١/٢ .
(4) ينظر : نهج البلاغة : ٢٢٢/٩ ، ٢٢٢/٩ ، ٢٢٢/٩ ، ٢٢٢/٩ .
(*) وقد ورد فيها للدلالة على تأكيد الحمد .
(5) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: ٣٧ .
(6) ينظر: المصدر نفسه: ٣٧ .

يجوز للمتكلم (توكيد الضمير المتصل مطلقاً بالضمير المرفوع المنفصل مطابقاً له في التكلم والخطاب، والغيبة، والإفراد، والتنثية، والجمع، والتذكير، والتأنيث)^(١)، فإذا برز ضمير بعد ضمير هو نفسه تماماً كان البارز الآخر مؤكداً للمتقدم^(٢).

ومن توكيد الضمير المتصل بالمنفصل قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ قلنا لا

تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى^(٣)؛ إنَّ (المطلوب من هذا التركيب هو نفي الخوف عن نفس موسى -ﷺ-

(٤)، فجاء التوكيد في قوله: «إِنَّكَ أَنْتَ» أنفى للخوف من قلبه، واثبت في نفسه للغلبة والقهر. ولو قال تعالى -لا تخف إِنَّكَ الْأَعْلَى-، أو «فَأَنْتَ الْأَعْلَى» لم يكن له من التقرير والإثبات لنفي الخوف ما لقوله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾^(٥).

وقد ورد تأكيد الضميرين في النهج للدلالة على «تأكيد الإثبات».

ومما ورد في النهج دالاً على الغاية المذكورة قوله -ﷺ- : (بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَ أَنتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ فُرِعَ مِنْهُ)^(٦).

جاء كلامه -ﷺ- عن التسوية بين المسلمين، فيقول للمخاطبين أنه لا دخل له فيه بل وجده هو وهم امراً ثابتاً مفروغاً منه^(٧). ولم يكن لهما حق في نقيتهما، (فقد حرص -ﷺ- كل الحرص على بيت مال المسلمين، وقسم بالسوية، ولم يؤثر نفسه أو أحد أقربائه على أحد من المسلمين)^(٨). وقد جاء -ﷺ- بالضمير «أنا» في قوله: «وجدتُ أنا» تأكيداً للمعنى، وتقريراً له إذ إنَّ الموضوع يعوزه التوكيد لما نراه من عملية رفض واحتجاج من المخاطبين، تتضح في سياق الكلام المتقدم لهذا القول، وهو قوله -ﷺ- : (لَقَدْ نَقَمْنَا يَسِيرًا، وَ أَرْجَأْنَا كَثِيرًا. أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمْ فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُمْ عَنْهُ! أَمْ أَيُّ قَسَمٍ اسْتَأْثَرْتُمْ عَلَيْنَا بِهِ!...) ^(٩)، فعزَّزَ كلامه -ﷺ- بالتأكيد (لأنَّ التأكيد لفظٌ يفيد تقوية ما يفيد لفظ آخر)^(١٠)، وفي

(1) ارتشاف الضرب : ١٩٥٩/٤ - ١٩٦٠ .

(2) ينظر: سر صناعة الاعراب: ابن جني: ٤٦٩/٢، الجامع الصغير في النحو: ١٩٨ .

(3) سورة طه : ٦٧ ، ٦٨ .

(4) ينظر : دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني : ١٥٠ .

(5) ينظر : المثل السائر : ١٨/٢ ، دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني : ١٥٠ .

(6) نهج البلاغة : ٧/١١ .

(7) ينظر: مصباح السالكين : ١٢/٤ .

(8) الانذار باختلاف الأمة : السيد الحسيني الزرباطي : ٧٧ .

(9) نهج البلاغة : ٧/١١ .

(10) الإيضاح : القزويني: ٥٠ .

وفي هذا السياق نلاحظ الفائدة المبتغاة من التأكيد حيث يأتي تأكيد الضمير في موضعه المناسب.

ومنه قوله - عليه السلام - : (فكنت أنا وإياكم كما قال أخو هوازن: ^(١))

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم تستبئوا النصح إلا ضحى الغد ^(٢)

وقد جاء تأكيد الضميرين في قوله - عليه السلام - «فكنت أنا» أقوى في تقرير الندامة عليهم في مخالفة رأيه وبيان ثمره الصادر عن معاينة وجه المصلحة كما هو ^(٣).

أما وجه تمثله - عليه السلام - بالبيت، فهو: إني كنت وإياكم في نصيحتي ونهبي من الحكومة ومخالفتم أمري المستدعية لندامتكم على التفريط كهذا القائل مع قومه حيث نصح لهم فعصوه فلحقهم من الندامة والهلاك ^(٤) ما لحقهم.

ومنه قوله - عليه السلام - مخاطباً معاوية : (وَقَدْ إِبْتَلَانِي اللَّهُ بِكَ وَ إِبْتَلَاكَ بِي، فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ، ... وَ طَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجُنْ يَدِي وَ لَا لِسَانِي، وَ عَصَيْتَهُ أَنْتَ وَ أَهْلُ الشَّامِ بِي) ^(٥)، وهنا أتى - عليه السلام - بالضمير («أنت» تأكيداً للضمير المخاطب في عصبته لتصحيح العطف عليه) ^(٦)، وقد رأى احد الباحثين انه - عليه السلام - قد أكد بالضمير البارز «أنت» مضمون الجملة «عصبتُهُ» ^(٧)، ونحسب أنه قد أكد فاعلية الفاعل للعصب، ولم يؤكد العصب نفسه، أي أنه أكد انّ المخاطب هو العاصب المفترى عليه بما لم تجن يده.

والإمام - عليه السلام - (ذكر أن كل واحد منه ومن معاوية مُبتلى بصاحبه، وذلك كابتلاء آدم بإبليس وإبليس بآدم) ^(٨)، ثم بين الإمام - عليه السلام - بعضاً من هذا الابتلاء، فقال: «وطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني»، ثم قال: «وعصبتُهُ أنت...» (أي الزممتيه كما تلزم العصابة الرأس) ^(٩)، وهنا جاء التوكيد ليوثق هذه الحقيقة انّ المخاطب هو الذي فعل ذلك مُتجنياً على الإمام - عليه السلام - وقد لبس الحقيقة وموهها على أهل الشام فشاركوه في ذلك الفعل، فبراءة

(1) هو دريد بن الصمة من بني جشم بن معاوية بن بكر هوازن. ينظر : الأصمعيات : ٢٣/١ .

(2) نهج البلاغة : ٢٠٤/٢ .

(3) ينظر : مصباح السالكين : ٨٧/٢ .

(4) ينظر : المصدر نفسه : ٨٨/٢ .

(*) طلبتني بدم عثمان .

(5) نهج البلاغة : ١٣٥/١٧ .

(6) منهاج البراعة : الخوئي : ٢٠ / ٢٨٧ .

(7) ينظر : الجملة الخبرية في نهج البلاغة - دراسة نحوية: ٣٧٠ .

(8) شرح النهج : ١٣٦/١٧ .

(9) شرح النهج: ١٣٦/١٧ .

الإمام -عليه السلام- هي التي استدعت تأكيده قيام المخاطب بنفسه بإصاق التهمة له، فبإسناده فعل العصب إلى المخاطب أقام عليه الحجة، وبتكرار الضمير أكد هذه الحجة.

وقد ورد تأكيد الضميرين «المتصل بالمنفصل» في النهج في مواضع أخر معدودة^(١).

ب- تأكيد الضمير المستتر بالمنفصل^(*)

إنّ للضمير إذا جاء مستتراً حكيمين:

١- مستتراً وجوباً، وذلك في المضارع المبدوء بأحد أحرف: «أنت»، وتقديره: «أنا، نحن، أنت، أنت».

٢- مستتراً جوازاً، وذلك في الماضي، نحو: «فعل»، وفي المضارع، نحو: «يفعل» وتقديره «هو»^(٢).

وقد ورد تأكيد الضمير المستتر بالمنفصل في النهج في موضعين، وهما: (مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبَضُهَا وَ أْبْسُطُهَا، إِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنْتِ تَهْبُ أَعَاصِيرُكَ فَقَبَّحَكَ اللَّهُ!)^(٣)، ففي قوله -عليه السلام- «إِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنْتِ» جاء (الضمير بعد إلا تأكيداً للذي قبلها)^(٤) أي (تأكيداً للضمير المستتر وهو اسم تكون والخبر محذوف)^(٥).

وهنا تظهر محنة الإمام -عليه السلام- في صراعه لعدوه ، في قوله -عليه السلام-: «مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ»^(٦) ، أي ما ملكتي إلا هذا المصرف في التصرف فيه كما أريد^(٧)، فهل تصرف فيها كما يُريد حقاً؟، وهنا صرف الخطاب من الغيبة إلى خطاب الحاضر، لشدّ ذهن المتلقي، فقال: إن لم يكن لي من الدنيا ملك الا ملك الكوفة ذات الفتن، والآراء المختلفة، فأبعدها الله!^(٨) (وهو كلامٌ في معرض التحقير لما هو فيه من أمر الدنيا وما بقي له من التصرف الحقّ بالنسبة إلى ما لغيره من التصرف الباطل)^(٩)، فما الذي يمكن الإمام صنعه من التصرف، وما عسى ان يبلغ في هذا التصرف من الغرض المرجو؟ فأشار -عليه السلام- إلى صغرها وعدم انقيادها له في

(1) ينظر: نهج البلاغة : ١٩٩/٦ ، ٢١٣/١٣ .

(*) ذكرنا فيما تقدّم تأكيد الضمير البارز المتصل بالضمير البارز المنفصل، وهنا نذكر تأكيد الضمير المستتر بالضمير البارز المنفصل .

(2) ينظر: شرح عمدة الحافظ : ٥٦ ، شرح قطر الندى وبل الصدى «النبراس» : ١١٦-١١٧، مرجع الطلاب في الإعراب : ٦٩ .

(3) نهج البلاغة : ٣٣٢/١ .

(4) مصباح السالكين : ١٩/٢ .

(5) منهاج البراعة : الخوئي : ٣٠٣/٣ .

(6) وقد أقام الإمام معظم أيام خلافته في الكوفة. ينظر: العراق في التأريخ : تقي الدباغ وآخرون : ٣٢٢ .

(7) ينظر : شرح النهج : ٣٤٢/١ .

(8) ينظر : شرح النهج : ٣٤٢/١ .

(9) مصباح السالكين : ١٩/٢ .

قوله: «فقبحك الله»، وقد أتى -هنا- بالتأكيد بأوفق صورة، وذلك لعظم الغرض المبتغى، وصغر ملك الإمام -الكوفة- ازاء هذا الغرض، مع عظم ما يملك عدوه فضلاً عما في الكوفة من فتن وخذلان له -عليه السلام- إن جدّ الجد^(١).

والآخر هو قوله -عليه السلام- لطلحة والزبير: (وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأَسْوَةِ^(*))، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمُ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلَا وَلِيُّهُ هُوَ مِثِّي...^(٢))، وقد جاء هذا الكلام (في معنى التنفيل في العطاء)^(٣)، يقول: (إنّ حكمي بالتسوية في القسمة لم يكن عن رأي مني ولا هوى اتبعته)^(٤) فيها، ويبدو أنّ المخاطبين قد أظهرَا رغبة كبيرةً في مبتغاهما، وألحاً عليه بذلك، لهذا قال (لم اجعل الحاكم في ذلك هو ابي)^(٥)، ولم يكتفِ بذلك فأتى بالضمير «أنا» تأكيداً^(٦) لما يقول، وفائدة التوكيد بالضمير رفع المجاز الذي كان يحتمله اسناد الفعل إلى الضمير والتصييص على أنّه^(٧) لم يحكم بنفسه هذا الأمر، فإنّ رسول الله ﷺ هو الذي سوّى في العطاء بين الناس^(٨)، وقد حَسُنَ موقع «أنا» بعد المستتر؛ لإثمه -عليه السلام- أتى بما ينفي التهمة عنه ليكمل تلقي المخاطبين الكلام بالقبول.

المطلب الثاني : توكيد اسم فعل

اسماء الافعال هي (الفاظ نابت عن الافعال معنى واستعمالاً)^(٩)، فهي (تؤدي معاني الافعال ولا تقبل علاماتها وليست هي على صيغها فسمّاهَا النحاة اسماء الافعال)^(١٠)، وهي تقوم مقام الفعل وتتضمن معناه، من دون ان تقبل علاماته أو تتأثر بالعوامل الإعرابية، واسم الفعل يعمل عمل الفعل الذي يتضمن معناه، سواء كان لازماً أم متعدياً، وهو ثلاثة اقسام: اسم فعل ماضٍ، مثل هيهات بمعنى بَعُدَ، واسم فعل مضارع، مثل: أفّ بمعنى اتضجّر، واسم فعل دالّة مثل: مكانك بمعنى اثبتت، ودونك بمعنى خذ^(١١) والغرض من استعمال اسماء الافعال الدالّة

(1) ينظر : المعجم الموضوعي لنهج البلاغة : لويس كريم محمد : ٤٢٠ - ٤٣٢ .
(*) الاسوة : أي التسوية بين المسلمين في قسمة الأموال، وكان ذلك قد أغضبهما، على ما روى. ينظر: نهج البلاغة : محمد عبده: ٢/٢١١.

(2) نهج البلاغة : ٧/١١ .

(3) شرح النهج : ٧/١١ .

(4) مصباح السالكين : ١٢/٤ .

(5) المصدر نفسه : ١٢/٤ .

(6) ينظر: في ظلال نهج البلاغة : ٣٥٦/٤ .

(7) ينظر: روح المعاني: الألوسي: ٥٧/٣ ، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم : ٣٧ .

(8) ينظر : شرح النهج : ٧/١١ ، وص ١٥٩ من هذا البحث.

(9) شرح الفية ابن مالك: ابن الناظم: ٢٣٢.

(10) معاني النحو : ٤١٩/٤ .

(11) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٦٨/١، مرجع الطلاب في الإعراب : ٥٠ .

الدالة على الطلب (الايجاز والاختصار ونوع من المبالغة)^(١)، فـ (الاختصار لغرض التأكيد)^(٢)، فهي (ابلق وأكّد من معاني الافعال التي يقال ان هذه الاسماء بمعناها)^(٣)، وبهذا تكون فائدة استعمالها (المبالغة والتوكيد)^(٤).

وقد ورد تكرير اسم الفعل في النهج في موضعين، هما:

أ- توكيد اسم فعل ماض «هيهات»^(٥)

ورد اسم الفعل «هيهات» في قوله - ﷺ -: (... وَ كُوتُوا عَنِ الدُّنْيَا نُرَاهَا؛ وَ إِلَى الآخِرَةِ وُلَاهَا... هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! قَدْ قَاتَ مَا قَاتَ، وَ دَهَبَ مَا دَهَبَ، وَ مَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾^(٦)^(٧).

قد أمر الإمام - ﷺ - المخاطبين بالتنزه عمّا حرّم الله تعالى عليهم والتشوق إلى الآخرة إلى حدّ الوله أي التحير، فوجّههم إلى الحال التي ينبغي لهم أن يكونوا عليها، وبعد أن فصل القول بذكر أحوال الدنيا مُحَدَّرًا لهم من مغزياتها، أو مُحَدَّرًا لهم من عملٍ مُناقض لما أمرُوا به، كرّر لهم الجزاء عند وصولهم إلى تلك الحال في قوله: «هيهات هيهات» أي بعد الرجوع إلى الدنيا، و (بعد الخلاص والفرار وأتى به مكرراً للتأكيد)^(٨)، وقد نلمح التعجّب في قوله - ﷺ - (فكل ما هو بمعنى الخبر ففيه معنى التعجّب، فمعنى هيهات، أي ما أبعد)^(٩)، وهذا المعنى يضاف إلى المبالغة والتوكيد في هيهات^(١٠)، وكان استبعاد الفرار والخلاص من عقابه تعالى لبلوغ الاجل وانتهاء مدة العمل المعبر عنه بالفوات والذهاب، ومضي الدنيا عنهم لحال

(1) شرح المفصل : ٢٥/٤ ، النحو الوافي : ١٤٣/٤ .

(2) شرح الرضي على الكافية: ٧٣/١ .

(3) المصدر نفسه : ٧٣/١ ، النحو الوافي : ١٤٢/٤ .

(4) معاني النحو : ٤٢٣/٤ .

(5) «هيهات» اسم فعل ومعناه بَعُدَ . ينظر: المقرّب: ١٤٨، شرح عمدة الحافظ: ٧٣٧، شرح قطر الندى:

«النبراس»: ٢٨٦، شرح النهج: ١٣/١٢٦ .

(6) سورة الدخان : ٢٩ .

(7) نهج البلاغة : ١١٦/١٣ .

(*) ولم يرد الا في هذا الموضع .

(8) مصباح السالكين : ٢٣١ / ٤ .

(9) شرح الرضي على الكافية: ٧٣/١ .

(10) ينظر : معاني النحو : ٤٢٣/٤ .

بالها بما فيها من خير، أو شر^(١)، ثم ختم كلامه بالآية استشهداً للدلالة على (المبالغة في تحقير شأنهم)^(٢).

ب- توكيد اسم فعل مضارع «آه»^(٣)

ورد اسم الفعل «آه» في النهج لـ «تأكيد التوجع شوقاً» في قوله -عليه السلام- مخاطباً كميلاً بن زياد النخعي^(٤) «رض»: (يَا كَمِيلَ بْنَ زِيَادٍ؛ هَلْكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَ هُمْ أَحْيَاءُ، وَ الْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ ... أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِيهِ، وَ الدُّعَاءُ إِلَى دِينِيهِ، آه آه شَوْقاً إِلَى رُؤْيَيْتِهِمْ!)^(٥).

وهنا يخبر -عليه السلام- كميلاً «رض» عن منزلة العلماء عند الله تعالى، فهم خلفاء الله في أرضه، والدعاء إلى دينه، وقد (تأوه شوقاً إلى رؤيتهم و - آه - كلمة توجع أصلها أوه)^(٦)، فصفتهم فضلاً عن وحدة الإمام -عليه السلام- ووحشته تبعث في نفسه شوقاً إليهم وتوجعاً، وقد استعمل اسم الفعل هنا للدلالة على المبالغة في تشوقه إلى هؤلاء العلماء وتوكيد رغبته في رؤيتهم، يقول أفلاطون: (إذا بلغ الرجل الحسن الخلق في قصصه كلام الصالحين أفعالهم تلاها عن رغبة)^(٧)، ثم أكد هذا الشوق وهذا التوجع حينما كرر التأوه «آه»، فالتكرار من عناصر كشف مكونات الذات، لأن الذات عندما تريد التعبير عن شيء ما يفيض في داخلها، فانها تعمل على تفريغه خارجاً، وهي لا تكتفي بهذا فحسب بل إنها تستمر في الإلحاح عليه تبعاً لدرجة أهميته وتأثيره فيها، ومن هنا يمكننا التعرف على مكونات الذات وأسرارها من عملية التكرار^(٨)، ف (هو -عليه السلام- أحق الناس بأن يشناق إلى رؤيتهم، لأنّ الجنسيّة علّة الضمّ، والشيء يشناق إلى ما هو من سنخه وسوسيته)^(٩) وطبيعته، ولما كان هو -عليه السلام- شيخ العارفين وسيدهم، لا جرم اشتاقت نفسه الشريفة إلى مشاهدة أبناء جنسه وإن كان كل واحد

(1) ينظر: شرح النهج: ١٢٦/١٣.

(2) مصباح السالكين: ٢٣١/٤.

(3) اسم فعل ومعناه اتوجع. ينظر: المقرّب: ١٤٧-١٤٨، شرح عمدة الحفاظ: ٧٣٧.

(4) هو كميل بن زياد بن نهيك النخعي، تابعي ثقة، من أصحاب علي بن أبي طالب -عليه السلام- كان شريفاً في قومه شهد صفين مع علي، وسكن الكوفة، وروى الحديث، قتله الحجاج «ت ٨٢هـ». الأعلام: ٩٣/٦، ينظر: نهج الحياة - مجموعة بحوث ومقالات حول نهج البلاغة: مجموعة علماء: ١٩٩-٢٠٠.

(5) نهج البلاغة: ٣٤٦/١٨-٣٤٧.

(6) مصباح السالكين: ٢٣٧/٥.

(7) جمهورية أفلاطون: ٨٩.

(8) ينظر: لغة الشعر العراقي المعاصر: عمران خضير الكبيسي: ١٨٢.

(*) وفي الـ «آه» صوتان: الـ «آ»، و الـ «هاء»، يعينان على هذا التفرغ، فهما يستوليان في النطق على مدة زمنية أطول من سائر الحروف في الكلام، والثاني منهما يخرج من الاعماق ويستفرغ الانفاس، فكانت دلالتهما على الشوق اعظم.

(9) السوسة: الطبيعة. ينظر: مجمل اللغة: ٣٢٤ «سوس».

من الناس دون طبقته^(١)، فالإمام يعيش الغربة بفقدهم، فحق له ان يتأوه، وان يؤكد هذا التألم والشوق إليهم.

المطلب الثالث: توكيد الحرف

توكيد «حرف النداء» و«المنادى»

ورد تكرير «حرف النداء + المنادى» في قوله -عليه السلام-: (يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا إِنَّكَ عَنِّي، أ بي تَعَرَّضْتُ، أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتُ! لَا حَانَ حَيْثُكَ، هَيْهَاتَ، عُرِّي غَيْرِي، لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ)^(٢)(*).

وهنا يخاطب الامام -عليه السلام- الدنيا مستنكرا تعرضها به وتشوفها له، معلنا عن زهده فيها وعدم قدرتها على خداعه، يريد بذلك تحقيرها، فكرر النداء تأكيدا لتنبهها على بعد اغتراره بها، أو تمكنا منه.

المطلب الرابع : توكيد الجملة

لم يرد في النهج جملة مكررة للتوكيد سوى جملة فعلية «واحدة»، وقد جاء فعلها «مبني للمجهول»، وذلك في قوله -عليه السلام-: (يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَلْفَيْكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا، تُقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ! أَلَا لَا تَقْتُلَنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي)^(٣).

إن الجملة الخبرية الاولى، «قُتِلَ أمير المؤمنين» -التي قدر-عليه السلام- صدورها عن أهله^(**) بعد موته- افادت المخاطبين بفائدة الخبر، وجاء تكريرها لافادة استعظام المخاطب لهذا الخبر، وقد اتى بالفعل المبني للمجهول للدلالة على (تركيز الاهتمام على الحدث، بصرف النظر عن محدثه)^(٤)، وقد قرن الفعل المبني للمجهول هنا بأمير المؤمنين -عليه السلام- فاتسعت دلالاته فشملت دلالة استعظام المتلقي للخبر بكامله^(٥).

فقد أراد -عليه السلام- أن ينهاهم عن إثارة الفتنة بسبب قتله فيحكي ما يُظنُّ بمثلهم فعله في مثل هذا الأمر، وهو (حكاية ما جرت به العادة ان يقوله طالب الثأر حين هياجه إظهاراً لعذره والسبب الحامل له على إثارة الفتنة)^(٦)، ولما نهاهم عن إحداث هذه الضجة في المجتمع أراد

(1) شرح النهج : ٣٥٢/١٨ .

(2) نهج البلاغة : ٢٤٤/١٨ .

(*) ولم يرد تكرير حرف النداء في النهج للدلالة على الغاية المذكورة الا في هذا الموضع.

(3) نهج البلاغة : ٦/١٧ .

(**) وهم بنو عبد المطلب.

(4) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق : ٢٤٢ - ٢٤٣ ، ينظر: الجملة الفعلية في نهج البلاغة -دراسة

دلالية: محمود حمد اللامي، كلية التربية، جامعة القادسية، بإشراف: د. جواد كاظم عناد ، «رسالة

ماجستير»، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: ٥٠ .

(5) ينظر : أساليب التأكيد في نهج البلاغة - دراسة دلالية: ١٠٦ .

(6) مصباح السالكين : ١٢٣/٥ .

- التوكيد - ان يقصر اهتمام المخاطبين بالجاني، فـ(نهاهم ان يقتلوا إلا قاتله، إذ ذلك هو مقتضى العدل)^(١) وزيادة^(*)، فقد نهاهم عن التحقيق في أصل الفتنة ورجال المؤامرة وأسباب الفساد، وأمرهم بالاكْتفاء بالقصاص من القاتل^(٢)، فضلاً عن الاحسان إليه^(٣).

نصلاً من خلال ما مرّ إلى أنّ التوكيد من الوسائل التي تحكم المعنى المراد احكامه درءاً للبس في الكلام او ابتغاء لتقويته وتوثيقه، وأنّ تكرير الاسم هو التكرير الأكثر وروداً في النهج ويكاد يندم تكرير الحرف، وتكرير الجملة فقد ورد كلا منهما مرّة «واحدة» فقط، في حين يندم تكرير الفعل، ونؤيد في ضوء ما وجدناه من شواهد ما ذهب إلى احدى الباحثات من (انّ التوكيد اللفظي في نهج البلاغة غالباً ما يؤتى به لتأكيد أغراض الكلام المجازية)^(٤).

المبحث الثاني : التوكيد المعنوي

جعل ابن السراج التوكيد المعنوي ضرباً من تكرير الاسم فعرفه قائلاً: (هو إعادة المعنى بلفظ آخر)^(٥)، وعرفه ابن جنّي بأنّه (تكرير الأوّل بمعناه)^(٦)، وقال ابن يعيش: هو (تكرير المعنى دون لفظه، نحو قولك: «رأيت زيدا نفسه»، و«رأيتكم أنفسكم»، و«مررتُ بكم كلّمكم»)^(٧)، وحده الأشموني بقوله: (هو: التابع الرافع احتمال إرادة غير الظاهر)^(٨) أو: هو (التابع الرافع احتمال تقدير إضافة إلى المتبوع، أو إرادة الخصوص بما ظاهره العموم)^(٩)، فهو تابع يُقرّر أمر المتبوع في النسبة، أو الشمول، فالأول نحو: «جاءني زيدٌ نفسه»، و«الزيدان او الهندان انفسهما»، و«الزيدون انفسهم»، و«الهندات انفسهن». والعين كالنفس، والثاني نحو: «جاء الزيدان كلاهما»، و«الهندان كنتاجهما»، و«اشتريت المزرعة كلّهما»، و«حضر الأحباب كلهم»^(١٠)، ويبين التوكيد على ألفاظ مُعيّنة، (توضع بحسب الحاجة إليها)^(١١)،

(1)المصدر نفسه: ١٢٣/٥.

(*) ليس قومه - التوكيد - ممّن يُحبُّ إثارة الفتن أو التعامل مع الأمور بصورة جاهلية، وإمّا يظهر من كلامه - التوكيد - أنّ هناك قوماً متواطئين مع الجاني حتّوه على القتل، وسهلوا له ذلك، فيكون التعرّض لهم مدعاة لإثارة الفوضى، والإمام - التوكيد - هنا يفكر بعمق وروية - وهو في هذه الحال - كعادته للحفاظ على سلامة المجتمع وهدوئه، فيؤكّد لهم هذه القضية بنهيبهم عن ان يقولوا هذا الكلام، ثم يعود لبيّن لهم حكمه في القضية وهو حصر القضية بالقاتل فقط.

(2)ينظر: علي - التوكيد - من المهد إلى اللحد: السيد محمد كاظم القزويني : ٣٠٠ .

(3)التكامل في الإسلام : احمد أمين : ٢١٤-٢١٥ .

(4)أساليب التأكيد في نهج البلاغة - دراسة دلالية: ١٠٦ .

(5)الاصول : ١٨/٢ .

(6)الخصائص : ١٠٤/٣ .

(7)شرح المفصل : ٢٢٠/٢ .

(8)شرح الاشموني: ٣٤٧ /٤ .

(9)شرح الفية ابن مالك: ابن الناظم: ١٩٢ .

(10)ينظر : شرح شذور الذهب: ٤٢٨، التقييد بالتوابع في القرآن الكريم : ٢٨ .

(11)ألفاظ الشمول والعموم : المرزوقي : ٣٩ .

فـ(إذا انتفت الحاجة فإنّ التوكيد يكون من الحشو الزائد)^(١)، وذكر النُّحاة أنّ ألفاظ التوكيد المعنوي هي: نفسه، وعينه، واجمع، واجمعون، وجمعاء، وجمع، وكلهم، وكلاهما، وكتاهما، فأما أكتعون وأبصعون، وكتعاء، وبصعاء، وكتع، وبصع، فكلها توابع لأجمع لا تستعمل إلا بعده، ولا تستعمل منفردة^(٢).

وقد ذكر النحاة للتوكيد المعنوي غرضين^(٣)، وقد وردت هاتان الدالتان -الغرضان- في النهج في مؤكدين من هذا الضرب، هما: «عين»، و«كل»، ففضلت قصر الحديث عليهما.

المطلب الأول: التوكيد المعنوي بلفظة «عين»

إنّ «العين» تدلُّ على حقيقة الشيء^(٤)، فيؤكّد بها (ما ثبت حقيقته)^(٥)، ويؤكّد بها (لرفع المجاز عن الذات)^(٦)؛ تقول: «جاء الخليفة»، فيحتمل أنّ الجائي خبره أو ثقله، فإذا أكّدت بـ «العين» ارتفع ذلك الاحتمال^(٧)، (فحقّ هذا ان يتكلم به المتكلم في عقب شك فيه ومن مخاطبه)^(٨) فالتوكيد بها (يقصر المعنى الحقيقي على الذات وحدها)^(٩)، فتزيل احتمال إرادة غير المذكور، وتقرّر أنّ المذكور هو المعنى بالحكم^(١٠). ولا يؤكّد بـ «العين» إلا الاسم المعرفة^(١١)، (لأنّ التوكيد كالنعت ولا ينعت نكرة بمعرفة)^(١٢)، وتضاف إلى ضمير يطابق المؤكّد بالإفراد والتذكير وفروعهما^(١٣)، حكمهما في الإعراب حكم الاسم المؤكّد، لـ(أنّ التأكيد يتبع المؤكّد)^(١٤).

- (1) اساليب التوكيد في القرآن الكريم : عبد الرحمن المطردي : ١٢ .
- (2) هذا قول ابن جني، فقد اختلف النحاة في عدد ألفاظ التوكيد، فقال ابن جني: أنّها «سبعة»، وكذلك عدّها ابن بابشاذ، وذكر علي بن سليمان اليماني أنّها «ستة»، وعدّها ابن هشام «سبعة»، وقال ابن كمال باشا: أنّها «ثمان» ألفاظ. ينظر: للمع: ١٦٥، شرح المقدمة المحسبة: ٤٠٧/٢، كشف المشكل: ٩/٢، أوضح المسالك : ٢٠/٣، أسرار النحو : ١٦٦ .
- (3) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢٠٦/٢-٢٠٨، أسرار النحو: ١٦٦، الكواكب الدرية: ١١٧/٢، التقييد بالتوابع في القرآن الكريم: ٢٩، ٣٣.
- (4) ينظر: نتائج الفكر: ٢٢٧، شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٢٦٦/١، شرح الأشموني: ٣٤٧/٤، أسرار العربية: ٢٨٤ .
- (5) شرح جمل الزجاجي : ابن هشام : ١٢٠ .
- (6) شرح قطر الندى «النبراس»: ٣٢٥، حاشية الصبان: ٧٣/٣، همع الهوامع : ١٣٦/٣ .
- (7) ينظر : معاني النحو : ٥١٢/٤ .
- (8) الاصول : ١٨/٢ .
- (9) التوكيد أنواعه وطرق استخدامه -دراسة لغوية: ٢٩ .
- (10) ينظر : معاني النحو : ٥١٢/٤ .
- (11) ينظر : للمع : ١٦٥، شرح المقدمة المحسبة : ٤٠٨/٢ .
- (12) شرح جمل الزجاجي : ابن عصفور: ٢٦٩/٢ .
- (13) ينظر : للمع : ١٦٥، ارتشاف الضرب : ١٩٤٧/٤، شرح ابن عقيل : ٢٠٧/٢، شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو: المكودي : ١٩٥، في علم النحو : ٨٧/٢ .
- (14) كشف المشكل : ١١/٢، ينظر : للمع : ١٦٥ .

وقد انفردت «العين» ، و «النفس» بجواز جرهما بـ«الباء» الزائدة^(١) زيادة في التوكيد (فلا يجوز ذلك في غيرهما من ألفاظ التأكيد)^(٢)، وذلك نحو «جاء العالم بنفسه»، و«أقبلت هند بعينها» فيجري عليهما إعراب المتنوع محلاً^(٣).

ولم يقبل الرضي القول بزيادة «الباء» في مثل هذا الموضع، فقال: (والعجب، أنهم لا يرون تأثير الحروف معنوياً، كالتأكيد في الباء)^(٤)، وقال -أيضاً-: (ولا يجوز خلوها من الفوائد اللفظية والمعنوية معاً والا لعدت عبثاً، ولا يجوز ذلك في كلام الفصحاء، ولا سيما في كلام الباري تعالى، وأئمته، عليهم السلام)^(٥)، فما ذهب إليه بعضهم من تعريفها بـ(الباء الزائدة التي تأتي في الكلام دون أن تحدث معنى فيه وانما اتيانها لتوكيد معنى الكلام)^(٦)، قولٌ يناقض بعضه بعضاً، فكيف تخلو من احداث معنى في الكلام مع دلالتها على توكيد معناه؟ ويظهر من قول بعضهم أن القول بزيادة هذا الحرف بمعنى خلو الكلام معه من معنى أمرٌ مجانب للصواب إذ ان من أغراض هذا الحرف «التأكيد»^(٧)، ومن هنا ذهب أحد الباحثين إلى (أن هذه «الباء» ليست زائدة بمعنى ان حذفها وذكرها سيان، فليس قولنا: «أقبل أخوك بنفسه» مثل «أقبل أخوك نفسه»، وإنما تفيد الباء، أن المؤكد فعل ذلك وما كان متوقفاً منه ان يفعل أو بعبارة أخرى، إنها يؤتى بها للاهتمام الزائد)^(٨).

وقد وردت «عين» مؤكدة في قوله -الكاتب-: (وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ غَيْرِهِ فَأَنكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ الْأَحْمَقُ بَعَيْنُهُ)^(٩)، فقد أكدت «عين» لفظة «الأحمق»، وقد دخلت «الباء» على عين^(١٠) زائدة فأفادت التوكيد^(١١)، فـ«عين» مجرور لفظاً مرفوع محلاً، لأنه تابع لمرفوع قبله.

-
- (1) ينظر: ارتشاف الضرب : ١٩٤٨/٤ ، شرح عمدة الحافظ : ٥٦١ ، النحو الوافي : ٣٩٤/٣ ، معاني حروف المعاني عند ابن هشام -بحث مقارن: عباس الترجمان: ٥١ ، دراسة في حروف المعاني الزائدة : عباس محمد السامرائي : ٤٧ ، الجنى الداني : ١١٦ .
 - (2) همع الهوامع : ١٣٧/٣ .
 - (3) نار القرى في جوف الفرا : ٢٤٣ .
 - (4) شرح الرضي على الكافية : ٣٥٦/٢ .
 - (5) المصدر نفسه : ٣٥٣/٢ - ٣٥٤ .
 - (6) دراسة في حروف المعاني الزائدة : ٣١ .
 - (7) ينظر : شرح قواعد الإعراب لابن هشام : محيي الدين الكافي : ٢٢٧ . فعدم تغير اصل المعنى شيء وعدم احداثها معنى فيه شيء آخر .
 - (8) معاني النحو : ٥١٥/٤ .
 - (9) نهج البلاغة : ٢٦٤/١٩ ، ينظر : المصدر نفسه : ٥٩/٩ .
 - (10) ينظر : مغني اللبيب : ٢١٩/١ ، شرح الأشموني : ٣٤٧/٤ ، همع الهوامع : ١٣٧/٣ .
 - (11) ينظر : مغني اللبيب : ٢٠٧/١ .

وهنا استعمل الإمام -عليه السلام- توكيداً معنوياً، وهو لفظة «بعينه»، فالألف واللام في «الأحمق» يفيد حصره في المشار إليه، ولذلك أكده بقوله: «بعينه»^(١)، لرفع احتمال إرادة غيره. ووجه الحمق الذي ذكره الإمام -عليه السلام- هو انّ إنكاره للعيوب من غيره ورضاه بها لنفسه حمق ونقصان في ظاهر العقل^(٢)، فعليه ان ينظر لها في نفسه أولاً ثم يرصدها عند الآخرين. ونظيره قوله -عليه السلام-: (تَرُدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةَ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ، فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرُدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةَ بَعَيْنَهَا عَلَى غَيْرِهِ؛ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ)^(٣)، جاء التوكيد المعنوي «عين» ليؤكد لفظة «القضية»، وقد دخلت عليه «الباء» زيادة في التوكيد، فجاء لفظ «عين» مجروراً لفظاً مرفوعاً محلاً، لأنه تابع للفظ الـ «قضية» المرفوع.

وقد استعمل الإمام -عليه السلام- «عين» ليقرّر حقيقة «القضية» بالحكم المذكور لها، فعندما ذكر -عليه السلام- ورود قضية من القضايا على أحد العلماء، وحكمه فيها برأيه^(٤)، ثم ورودها على آخر وحكمه فيها بخلاف رأي الأول، فقد يحصل تردد بين كون هذه القضية هي الأولى نفسها أم أنها غيرها، فأكد -عليه السلام- هذه القضية بقوله: «بعين» للقطع بأنها هي عينها ليصل من ذلك إلى ذم اختلافهم في حكم القضية الواحدة التي ينبغي ان يتوحدوا في حكمها، لأنّ مصدر التشريع واحد، ودلالة الاختلاف هي عدم الوقوع على حقيقة الحكم، فذمهم به لعلمه بحقيقة الاحكام.

وقد أتى بـ«الباء» في «بعينها» للدلالة على زيادة التوكيد، فلا يعود في قلب السامع شك من أنها عين القضية المذكورة، ومبتغى الإمام -عليه السلام- من توكيد «القضية» الواحدة هو كشف اختلافهم لبيان قصورهم عن الوصول إلى الحكم الصحيح، فهم ليسوا أهلاً لهذا المقام، ولهذا وجب عليهم الرجوع إلى العارف بالأحكام والصدور عنه بالحكم الحق^(٥).

المطلب الثاني: التوكيد المعنوي بلفظة «كل»

(1) ينظر: مصباح السالكين: ٩٥/٥.

(2) ينظر: المصدر نفسه: ٩٥/٥.

(3) نهج البلاغة: ٢٨٨/١.

(4) ينظر: الباب الثاني «في آداب الفتوى والمفتي والمستفتي». منية المرید في آداب المفید والمستفيد: زين الدين العاملي: ١٢١-١٢٥.

(5) وقد بين النبي ﷺ هذا العارف في قوله: (إن أفضى أمّي علي بن أبي طالب). ينابيع المودة: القندوزي: ٨٥، وقوله ﷺ: (أفضاكم علي) احسن التقاسيم: شمس الدين المقدسي: ١٢٧، الصواعق المحرقة: ابن حجر الهيتمي: ٧٦، بحار الانوار: ٨٧/٤٠، عقائد الامامية: محمد رضا المظفر: ٦٧-٧٢.

وردت «كل» في العربية للدلالة على الإحاطة والعموم^(١)، ويأتي بها المتكلم في كلامه لدفع توهم عدم الشمول^(٢)، وإزالة الشك ورفع التوهم عن المحدث عنه^(٣)، فالفائدة من التوكيد بها وما في معناها: رفع ما كان يحتمله اللفظ من إرادة البعضية به^(٤)، أي أنها ترفع احتمال إرادة الخصوص بلفظ العموم^(٥)، فيرتفع بذلك المجاز^(٦)، ويستعمل لهذا الغرض: «كُلٌّ، وكلا، وكلتا، وجميعٌ»^(٧)، فيؤكد بـ «كل»، و «جميع» ما كان ذا أجزاء يصح وقوع بعضها موقعه، نحو «جاء الركب كُلهُ، أو جميعه»، و «القبيلة كلها، أو جميعها» و «الرجال كُلهم، أو جميعهم»، و «الهندات كُلهنَّ، أو جميعهنَّ»، ويؤكد بـ «كلا» المثني المذكر، نحو «جاء الزيدان كلاهما» أما المثني المؤنث فيؤكد بـ «كلتا»، نحو «جاءت الهندان كلتاها»^(٨)، ولا يؤكد بكل إلا ذو أجزاء يصح افتراقها، نحو: «أكرمتُ القومَ كُلهم»^(٩)، ولا بُدَّ من أن يُضاف لـ «كُلٌّ» ضمير يُطابق المؤكّد بالإفراد والتذكير وفروعهما^(١٠)، كذلك الألفاظ الأخر لا بُدَّ من اتصال ضمير المتبوع بها، ليحصل الربط بين التابع والمتبوع^(١١)، لأنَّ التوكيد تكرر للمؤكّد فلا يكون إلا مثله، إن كان جمعاً فجمع وإن كان واحداً فواحد^(١٢)، وحكمة في الإعراب حُكْمُ الاسم المؤكّد فهما تابعان له^(١٣)، ولا يؤكد بها إلا الاسم المعرفة^(١٤).

وقد وردت لفظة «كلٌّ» مؤكّدة توكيداً معنوياً في مواضع من كلام الإمام -عليه السلام-، ومنها قوله -عليه السلام- في صفة عجيب خلق الجراد: (يَرْهَبُهَا الزَّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ، وَ لَا يَسْتَطِيعُونَ دَبَّهَا وَ لَوْ أَجْبُوا بِجَمْعِهِمْ، ... وَ خَفُّهَا كُلهُ لَا يُكُونُ إِصْبَعاً مُسْتَدَقَّةً)^(١٥)^(١٦) فقد أكّدت «كلٌّ» لفظة «خلقها» التي نابت عن لفظ الجراد، فبعد ان وصف الإمام -عليه السلام- ما أودعه الله تعالى في الجراد من

- (1) ينظر: الكتاب: ١١٦/٢، ٢٣١/٤، الأصول: ٢١/٢، الموجز: ٦٢، ألفاظ الشمول والعموم: ٤٢، شرح الأشموني: ٤٠٤/٢.
- (2) ينظر: شرح المفصل: ٤٠/٣، شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٢٦٦/١، شرح الرضي على الكافية: ٣٢٨/١، شرح ابن عقيل: ٢٠٧/٢، شرح الأشموني: ٤٠٤/٢.
- (3) ينظر: الأصول: ٢٠/٢، اللمع: ١٦٥، المقرَّب: ٢٣٨/١، شرح الأشموني: ٤٠٢/٢.
- (4) ينظر: شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٢٦٦/١.
- (5) ينظر: شرح قطر الندى: «النبراس»: ٣٢٦.
- (6) ينظر: أسرار النحو: ١٦٦، الكواكب الدرية: ١١٧/٢.
- (7) ينظر: شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٢٦٦/١، دراسات في قواعد اللغة العربية: ٥٦/٣.
- (8) ينظر: شرح الأشموني: ٣٥٦/٤.
- (9) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٩٦/٢، شرح المفصل: ٢٢٦/٢، شرح الأشموني: ٣٥٥/٤.
- (10) نتائج الفكر: ٢١٦.
- (11) ينظر: شرح الأشموني: ٣٥٦/٤.
- (12) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢٠٧/٢، همع الهوامع: ١٣٨-١٣٩، المطالع السعيدة: ٢٢٠-٢٢١.
- (13) ينظر: اللمع: ١٦٥.
- (14) ينظر: الكتاب: ٣٩٦/١، اللمع: ١٦٥.
- (15) مستدقّ كل شيء: ما دقّ منه واسترقّ. واستدقّ الشيء أي صار دقيقاً. لسان العرب: ١٠٢/١ «دقق».
- (16) نهج البلاغة: ٦٦/١٣.

عجائب الصنع ذكر خوف الزراع منها، فـ(لو قدرنا أنّها وُصِفَت لمن لم يرها فربّما اعتقد أنّ لها خلقاً عظيماً تستند إليه هذه الأوصاف ولم يكن عنده تعجّب حتى ننتبين مقدار خلقها وصغر صورتها)^(١)، فكان عظم اوصافها وخوف بني الإنسان منها من جهة، وصغر حجمها من جهة أخرى مدعاةً للتوكيد بأنّ حجمها كلّه لا يكون هذا الإصبع المُتَّسِم بالحقارة وصغر الحجم^(٢).

ونظيره قوله - ﷺ -: (وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنْفَةٌ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ)^(٣)، وجاء لفظ «كلها» تأكيداً مرفوعاً للفظ «اعمال» المبتدأ المرفوع.

إنّ «النفث» هو (قذف الريق القليل، وهو أقلُّ من النفل)^(٤)، وقيل: إنّه (نَفْحٌ بلا ريق، والنَّفْلُ نَفْحٌ معه ريق)^(٥)، ولجة البحر هي (معظمه)^(٦)، فأين يكون وزن هذه النفثة قياساً إلى مقدار هذا البحر؟ هذا إذا كانت نفثة بريق، فإذا كانت نفثة بلا ريق كانت كالشيء العديم، وقد شبه الإمام - ﷺ - بذلك نسبة أعمال البر والجهاد في سبيل الله إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن هنا ندرك أنّ هذا العمل لا قرين له من أعمال البر وهذا مبتغى الإمام - ﷺ - بيد أنّه عملٌ واحد، وأعمال البر كثيرة، وكل واحدٍ كبيرٌ بنفسه فضلاً عن اجتماع الجهاد إلى هذه الأعمال بحرف العطف «الواو»، وهذا العمل - أي الجهاد - لو جاء وحده في الكلام لكان قادراً على إرباك السامع^(٧)، في قبول الكلام، والجهاد هو (نصرة الإسلام بالمال والبدن على الأعداء)^(٨)، وهنا يأتي دور التوكيد في بيان تفضيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد أحاط التوكيد بأعمال البر كلّها، شاملاً أجزاءها جميعاً بـ«كل»^(٩)، فبيّن تصاغر أعمال البر - رغم عظمها - أزاءه، ووثق كبيره ومنزلته الرفيعة عند الله تعالى، كما بيّن أثره الفاعل في رقي المجتمعات، فعليه تقوم أعمال البرّ، وبه (تُحمل راية الإصلاح الاجتماعي)^(١٠).

(1) مصباح السالكين : ١٤٣/٤ .

(2) ينظر : لسان العرب : ١٠٢/١٠ «دقق» .

(3) نهج البلاغة : ٣٠٦/١٩ .

(4) مفردات الفاظ القرآن الكريم: الراغب: ٨١٦ «نفث» ينظر: لسان العرب: ١٩٥/٢ «نفث» .

(5) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: ابن خالويه: ٢٥٢، ينظر : لسان العرب: ١٩٥/٢ - ١٩٦ .

(6) مختار الصحاح : ٥٩٢ «لجج» .

(7) ينظر: «مفهوم الجهاد في القرآن». الجهاد الإنساني في الإسلام: عبد الصاحب الشاكري: ٣٥-٤٢،

«أهمية الجهاد وفضيلته» دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة: محمد باقر الحكيم: ٤٤١-٤٤٤،

الجهاد: محمد باقر الحكيم : ٨-١٣ .

(8) الحدود: قطب الدين النيسابوري : ٨٧ .

(9) ينظر : شرح الأشموني: ٤٠٤/٢ .

(10) الملحمة الحسينية: مرتضى المطهري: ٦٠/٢ .

ومِمَّا ورد توكيداً معنوياً بـ«كل» قوله -عليه السلام-: (إِنِّي أَوْلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ... فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ)^(١).

أكدت «كل» لفظة «القوم»، فجاءت مرفوعة تبعاً للمتبوع الفاعل «القوم».

وقد قال الإمام -عليه السلام- ذلك لما شهد انقلاع الشجرة ومجيئها إلى الرسول ﷺ كما أراد ملاً من قريش، وقد طلبوا منه أن يدعوها، فإذا أنته بإذن الله، طلبوا منه أن يدعو نصفها فدعاه فاتاه، فأسرع في تصديقه، وإعلان هذا التصديق، في حين أن الملاً من قريش قد أنكروا هذا الأمر بباطل قولهم «بل ساحرٌ كذَّابٌ» كفرأ برَّبهم وإنكاراً لنبوته ﷺ، و(من أراد الباطل كان له ميدان في المجادلة عليه)^(٢)، وقد يتبادر إلى الذهن مع عجيب هذا الاعجاز وحقيقته -إيمان بعضهم في الأقل، فجاء التأكيد بـ«كل» لعموم القوم وشمولهم جميعاً بهذا الإنكار.

وفي إسرعه -عليه السلام- في الإيمان بنبوته ﷺ مع إنكارهم جميعاً لذلك من الفضيلة له - ما لا يخفى عن أحد.

ومنه - أيضاً - قوله -عليه السلام-: (فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ)^(٣)، وقد جاءت لفظة «كل» المجرورة بحرف الجر «على».

وقد أتى بلفظة «كل» تأكيداً للفظة «جوارحك»، ففي التوكيد بـ«كل» أهمية دلالية بالغة تدل على أن الإنسان لا يقوى على الانفلات من مراقبة الله تعالى، ولا يكاد لأن جوارحه على كثرتها ودقتها وبراعتها فاتتها جميعاً تحت معلومه -سبحانه- فلا تند منه نظرة خاطفة لمحرم، أو تتسمع أذنه كلمة سوء فلا يباهاها، أو تسيير رجله إلى مكيدة من دون أن يردّها، أو تمتدّ يده إلى سحت فلا يرجعها إلا والله تعالى مطلعٌ عليه، سائرٌ معه، ناظرٌ إليه في كل حال من أحواله؛ من هنا نفهم أن التوكيد بـ«كل» أفاد بيان عظّمته - سبحانه - وقدرته العالوية على مراقبة عباده من جهة.

(1) نهج البلاغة : ٢١٣/١٣ .

(2) منهج الرشاد لمن أراد السداد : جعفر كاشف الغطاء : ٣٣ .

(3) من وصية له -عليه السلام- لمحمد بن الحنفية . ينظر : كلمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- : ٣٢١/٢ .

(4) ينظر : فرائضه تعالى على الجوارح : رسالة الحقوق : الإمام علي بن الحسين - عليهما السلام - : ٢١ -

٢٣ ، كلمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- : ٣٢٢/٢ - ٣٢٥ .

(5) نهج البلاغة : ٣٢٣/١٩ .

وأفادت الوعظ والارشاد للإنسان من جهة أخرى ليرعوي، ولا يقوم بسوء لان الله مطلع عليه
فكل جارحةٍ عنده فريضة «شاهد».

ولهذا النعت نظائر أخر في النهج⁽¹⁾.

نصل مما تقدم الى انّ للتوكيد أثره في تقوية المعاني ورعاية الانسجام مع المواقف التي
تقتضي ذلك في كلام الامام -عليه السلام-، وقد جاء التوكيد التابع في النهج في صور شتى بغاية
الاقناع والبيان.

(1) ينظر: نهج البلاغة: ٢٨٧/٨، ١٠/١٠، ٣٠٩/٩، ٢٨٧/٨، ٢٥٥/١١، ٨٦/١٧، ٢٢٥/١٧، ٢٥٠/١٧،
٦٩/١٩، ٣٠٦/١٩، ٨٧/٢٠، ٦٦/١٣.

الفصل الثالث

البدل وعطف البيان

المبحث الأول: البدل

البدل في اللغة والاصطلاح

البدل في اللغة

البدل في اللغة: العوض^(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا﴾^(٢).

قال ابن فارس: (الباء والداد واللام أصل واحد، وهو: قيام الشيء مقام الشيء الذاهب، يقال: هذا بَدَلُ الشيء وبديله، ويقولون: بَدَلت الشيء إذا غَيَّرته، وإن لم تأت له ببديله... وأبدلته إذا أتيت له ببديل)^(٣).

أمّا ابن منظور فيقول: (وبَدَلُ الشيء غيره... يَدُلُّ الشيء وبَدَله وبديله: الخلفُ منه، والجمع أبدال... والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر)^(٤).

من هنا نجد ان البدل في اللغة هو الخلف والإبدال، وهو جعل الشيء مكان آخر لغاية.

البدل في الاصطلاح

يعد «البدل» من مصطلحات البصريين التي ظهرت في كتاب سيبويه إذ أثار فيه مصطلحا «البدل» و«المبدل»^(٥)، أمّا مصطلح البدل عند نحاة الكوفة فهو «الترجمة والمترجم والتبيين والتكرير والمردود»^(٦).

وقد عرّفه سيبويه بقوله: (هذا باب من الفعل يستعمل في الاسم، ثمّ يبديل مكان ذلك الاسم اسم آخر، فيعمل فيه كما عمل في الأوّل، وذلك قولك: رأيت قومك أكثرهم)^(٧).

(1) ينظر: العين، جمهرة اللغة، تهذيب اللغة، الصحاح- تاج اللغة وصحاح العربية، مقاييس اللغة، مجمل اللغة، العشرات، أساس البلاغة، مختار الصحاح، لسان العرب، القاموس المحيط، تاج العروس. مادة «بدل»، كذا ورد في كتب النحو. ينظر: شرح شذور الذهب: ٤٣٩، شرح قطر الندى «النبراس»: ٣٤٥، حاشية الخصري: ٦٨/٢.

(2) سورة القلم: ٣٢.

(3) معجم مقاييس اللغة: ٢١٠/١ «بدل».

(4) لسان العرب: ٤٨/١١ «بدل».

(5) ينظر: الكتاب: ١٥٨/١، ١٤٠، ١٤/٢، ١٥، ١٦.

(6) ينظر: معاني القرآن: الفراء: ١/١٦٧، ١٦٨، ١٧٩، مجالس ثعلب: ٢٠/١، حاشية الصبان: ١٢٣/٣، همع الهوامع: ١٤٧/٣، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء: المختار احمد ديرة: ٢٢٣-٢٢٦، المصطلح النحوي-نشأته وتطوره حتى اواخر القرن الثالث الهجري: ١٦٣.

(7) الكتاب: ١٥٠/١.

وقال المبرّد: (قيل بدل؛ لأنّ الذي عمل في الذي قبله قد صار يعمل فيه بأن فرغ له)^(١)، ثمّ يستطرد بعد هذا التعريف، فيقول: (اعلم أنّ البديل في جميع العربية يحلّ محلّ المبدل منه، وذلك قولك: مررتُ برجلٍ زيدٍ، وبأخيك أبي عبد الله. فكأنّك قلت: مررتُ بزيدٍ، ومررتُ بأبي عبد الله)^(٢).

أمّا الرماني فقد عرفه باختصار: (قول يقدر في موضع الأوّل)^(٣)، على حين كان الزمخشري أكثر تفصيلاً إذ قال: هو الذي يعتمد بالحديث، وإثما يذكر الأوّل لنحو من التوطئة وليفاد بمجموعهما فضل تأكيد وتبيين لا يكون في الأفراد)^(٤).

فـ (البديلُ ثانٍ يقدر في موضع الأوّل، نحو قولك: «مررتُ بأخيك زيدٍ»، فـ«زيدٌ» ثانٍ من حيث كان تابعاً للأوّل في إعرابه، واعتباره بأن يقدر في موضع الأوّل، حتى كأنك قلت: مررتُ بزيدٍ، فيعمل فيه العامل كأنه خالٍ من الأوّل)^(٥).

وذكره ابن الحاجب بقوله:

(التابع المقصودُ دون الأوّل ذلك الذي قدّ لقبوا بالبديل)^(٦)

ونجد لابن مالك حدّين للبديل:

الأوّل: قوله (هو التابع المستقلّ بمقتضى العامل تقديراً دون متبع)^(٧).

الثاني: قوله:

(التابع المقصودُ بالحكم بلا واسطةٍ هو المُسمّى بدّلاً)^(٨)

وهذا الحدّ هو الذي أخذ به معظم النحاة بعد ابن مالك ليصبح تعريفاً نهائياً للبديل، وممن أخذ به: ابن الناظم^(٩)، وابن هشام^(١٠)، وابن عقيل «ت ٧٦٩ هـ»^(١١)، والسيوطي^(١٢)، والفاكهي^(١٣).

(1)المقتضب : ٢٩٥/٤ .

(2)المصدر نفسه : ٢١١/٤ .

(3)الحدود: الرماني: ٣٩ .

(4) ينظر : المفصل : ١٢١ .

(5) شرح المفصل : ابن يعيش : ٢٥٨/٢ .

(6) شرح الوافية في نظم الكافية : ابن الحاجب : ٢٦٨ .

(7) تسهيل الفوائد : ١٧٢ .

(8) الفية ابن مالك : ٣٩ .

(9) شرح الفية ابن مالك : ابن الناظم : ٢١١ .

(10) أوضح المسالك : ٦٤/٣ .

(11) شرح ابن عقيل : ٢٤٧/٢ .

(12) همع الهوامع : ١٤٧/٣ .

(13) شرح الحدود النحوية : ١٨٥ .

صلة البديل الدلالية بين المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي

إنَّ أخذَ النحاة المعنى الاصطلاحي من المعنى اللغوي امرٌ واضح، فقيام الشيء مقام الشيء الذاهب ليقال عنه بَدَل الشيء^(١) هو عينُ حلول البديل محلَّ المبدل منه في النية، إذ (إنَّ الأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر)^(٢)، وقد (قال سيبويه: ويقول الرجل للرجل اذهب معك بفلان، فيقول: معي رجل بدلَه أي رجل يُغني غنائه ويكون في مكانه)^(٣) عوضاً منه، وكذلك البديل عوضٌ من المبدل منه والظاهر لدينا أنَّ قول بعض النحاة أنَّ البديل (يحلُّ محلَّ المبدل منه)^(٤) على أن ينوى بالأول منهما -أي المبدل منه- الطرح معنى لا لفظاً^(٥) إنَّ في هذا القول نظراً ذلك أنَّ الغاية من الإبدال هي (إعلام السامع بمجموعي الاسم على طريق البيان من غير أن ينوى بالأول الطرح)^(٦) وقال ابن بابشاذ مُستدلاً على أنَّ البديل ليس في نية الطرح (أنَّه قصد به البيان على جهة الإعلام بمجموعي الاسم، فلم يصح أن ينوى بالأول الطرح، لأنَّ جعله في نية الطرح يخرج منه أن يكون مبيّناً. فكما لا يجوز أن يكون المؤكد ولا المنعوت في نية الطرح، فكذلك المبدل منه على جهة البيان لا يكون في نية الطرح. ولو كان في نية الطرح لما جاز أن تقول: زيدٌ ضربته أخاك، على أن تجعل أخاك بدلاً من الهاء العائدة على «زيد»...، وفي عدم جواز هذه المسألة وأشباهها ما يدلُّ على أنَّه ليس في نية الطرح)^(٧).

ففي هذا التركيب يجب ذكر المبدل منه للوصول إلى المعنى المبتغى والدلالة التي يريدها المتكلم، وإثما يذكر الأول لنحو من التوطئة، وليفاد بمجموعهما فضل تأكيد وتبيين لا يكون في الأفراد^(٨)، فليس المبدل منه زيادة يمكن إغفالها أو تقدير إغائها لأن المعنى يبتغيها كما يبتغي اللفظ، والنحاة يلحظون ذلك في المضمون الدلالي لعملية اشتراك «البديل»، و«المبدل منه» في إنتاج معنى دلالي عميق في الكلام، وهو التبيين بعد الإبهام أو التفصيل بعد الإجمال أو كلاهما، ونلمس ذلك الأمر في تعليق الزمخشري على رأي النحاة في حلوله -أي البديل- محل المبدل منه أنَّه (إيدان منهم باستقلاله بنفسه ومفارقته التأكيد والصفة في كونهما تتمتين لما يتبعانه، لا أن يعنوا إهدار الأول واطراحه، الا تراك تقول: زيدٌ رأيتُ غلاماً رجلاً

(1) ينظر: المقتضب: ٢١١/٤، معجم مقاييس اللغة: ٢١٠/١ «بديل».

(2) لسان العرب: ٤٨/١١ «بديل».

(3) المصدر نفسه: ٤٨/١١ «بديل».

(4) المقتضب: ٢١١/٤.

(5) ينظر: المقرب: ٢٦٦، شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٦٢/٢-٢٦٣، شرح التصريح: ١٩٠/٢.

(6) شرح المقدمة المحسبة: ٤٢٣/٢.

(7) المصدر نفسه: ٤٢٣/٢.

(8) ينظر: المفصل: ٢٢١.

صالحاً، فلو ذهبت تهدر الأول، لم يسد كلامك^(١). إنَّ عدم سداد الكلام، وعدم قدرته على الأداء حينما يطرح الأول دليلٌ على وجوبه في هذا التركيب للوصول إلى المعنى الدلالي العميق الذي ذكرته -فيما تقدّم-، وهو الإفادة بمجموعهما فضل تأكيد وتبيين لا يكونا في الأفراد.

بيد انّ هذا التعليق لم يلقَ قبولا لدى صدر الأفاضل الخوارزمي «ت٦١٧هـ» إذ قال: (...ثمّ الذي يشهدُ بكون البَدَل في حُكم تحية المَبَدَل حقيقةً لفظ ابن السراج المُبدَل منه بمنزلة ما ليسَ من الكلام)^(٢).

وأما إذا كان القصدُ منه تمييز البَدَل من غيره كما ذكر في «استقلاله بنفسه ومفارقته التأكيد والصفة» فإنهم لتحقيق هذا الغرض قد أهدروا الوقوف على الدلالة الأصلية التي يُؤتى بالبَدَل من أجلها، فلا نجد المعاني الدلالية التي يؤديها هذا التركيب في هذا الحد، (وعلة ذلك أنّ معنى البَدَل البيان عند الجميع فلا يجوزُ أن يطرحَ المَبِين لأنَّ السامعَ به مُنفرداً أغنى منه بالبَدَل مُنفرداً ولمن يكون البيان إذا)^(٣)، -لو نويت بالأوّل طرح لأفسدت الإعراب وكان لحناً صريحاً^(٤)، وهذا ما نبّه عليه الرضي^(*) في قوله: (وعلى ما ذكرنا من فوائد البَدَل والمبدل منه، يتبيّن أنّ الأوّل ليس في حكم الطرح معنّى إلا في بدل الغلط)^(٥).

وقد أجاد الكوفيون في تسميته -أي البَدَل- بالتفسير والمفسّر^(٦)، وكذلك في تسميته بـ «التبيين»^(٧) لأنه يأتي لإيضاح المبدل منه، فالبدل (القصدُ به الإيضاح بعد الإبهام، وفائدته البيان والتأكيد)^(٨).

والأظهر أنّ مسألة التعليم قد أخذت مأخذها في حدّ البَدَل وفي حدّه نظر إذ ينبغي للحدّ أن يُعنى بالوقوف على المعاني الدلالية المتأثية من اجتماعهما ليكون الحدّ جامعاً مانعاً.

العامل في البَدَل

-
- (1) المفصل: ١٢١.
 - (2) شرح المفصل: الخوارزمي: ١١٨/٢، ١١٩.
 - (3) كشف المشكل: ١٦/٢.
 - (4) المصدر نفسه: ١٧/٢.
 - (*) ومكانة الرضي في النحو لا تخفى، وقد اعتمدتُ رأيه لإثباته رأياً لا يستهان به لما فيه من عمق دلالي ونظر نحوي دقيق.
 - (5) شرح الرضي على الكافية: ٣١٢/٢.
 - (6) ينظر: معاني القرآن: الفراء: ٧٩/١، حاشية الصبان: ١٢٣/٣، دراسة في النحو الكوفي -من خلال معاني القرآن للفراء: ٢٢٦-٢٣٠.
 - (7) ينظر: حاشية الصبان: ١٢٣/٣، همع الهوامع: ١٤٧/٣.
 - (8) الاتقان: ٢١٠/٣.

يرى النحاة القدامى انّ العامل في البديل هو العامل في المبدل منه، قال سيبويه: (هذا باب من الفعل يستعمل في الاسم الأوّل ثمّ يبديل مكان ذلك الاسم اسم آخر فيعمل فيه كما عمل في الأوّل)^(١)، فلم يقل سيبويه بتكرار العامل في البديل، وبهذا لا يكون البديل عنده من جملة ثانية، وإنّما هو من جملة المبدل منه. وقد قال المبرد: (قيل بدل؛ لأنّ الذي عمل في الذي قبله قد صار يعمل فيه بأنّ فرغ له)^(٢).

وقد احتجّ سيبويه ومن وافقه في رأيه كالسيرافي وابن مالك والرضي على ذلك بأنّ البديل تابع للمبدل منه موضّح له، فلا يمكن أن يكون من جملة ثانية، ولو كان من جملة ثانية لما عدّ موضّحاً للمبدل منه تابعاً له^(٣).

ويرى جمهور النحاة أنّ العامل في البديل مقدّر من جنس الأوّل «المبدل منه»، وذلك على نية تكرار العامل^(٤). ومن هنا جاء التوكيد بتكرار هذا العامل.

وقال أبو حيان: انّ البديل على نية تكرار العامل فهو في تقدير جملتين^(٥).

وعلى عبده الراجحي ذلك بقوله: وهذا ناجم عن تصوّر النحاة أنّ جملة مثل: «كان الخليفة عمر عادلاً»، أصلها: «كان الخليفة كان عمر عادلاً»^(٦)، وهذا التكرار للعامل خيالي^(٧).

معاني البديل

حدّ ابن معطٍ البديل فقال: هو (تفسير اسم باسم، يُقدّر إحلاله في محل الأوّل)^(٨) (*)، فيذكر المبدل توطئة وتمهيداً لذكره، ويكون البديل تبييناً وإيضاحاً ورفعاً للإلتباس في التمهيد المتقدّم لأنّ البديل هو الذي يعتمد بالحديث، وإنّما يذكر الأوّل لنحو من التوطئة، وليفاد

(1) الكتاب: ١٥٠/١، ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٦٤/٢.

(2) المقتضب: ٢١١/٤.

(3) ينظر: الكتاب: ١٥١/١، شرح الرضي على الكافية: ٢٢٦/٢، شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٦٤/٢، ابن الحاجب النحوي آثاره ومذهبه: ١٣٦.

(4) ينظر: البسيط في شرح جمل الزجاجي: ابن أبي الربيع الاشيلي: ٣٨٧/١.

(5) ينظر: البحر المحيط: ٢٧/١.

(6) ينظر: التطبيق النحوي: عبده الراجحي: ٣٩.

(7) ينظر: البديل في الجملة العربية- القرآن الكريم: حسين محمد محمد حسن: ١٩.

(8) الفصول الخمسون: ابن معطٍ: ٢٣٨.

(* والملاحظ على هذا الحد أنّه خصّ البديل بالاسم، وهو لا يختصّ به، فالبديل يكون بالفعل وبالجملة ايضاً. وليتمّ الحدّ وفق رؤية النحاة كان ينبغي له ان يقول: تابع مفسّر لمتبوع يُقدّر احلاله في محل المتبوع «المفسّر».

بمجموعهما فضل تأكيد وتبيين لا يكون في الأفراد^(١)، فيأتي البديل للدلالة على معنيين أصليين
-كما ذكر سيبويه-

- ١- التوكيد: وذلك نحو «رأيت قومك أكثرهم» أي «رأيت أكثر قومك» .
- ٢- البيان وذلك ان يتكلم المتكلم، فيقول: رأيت قومك، ثم يبدو له أن يُبين ما الذي رأى منهم، فيقول: ثلثهم أو ناساً منهم^(٢)، فالبديل القصد به الإيضاح بعد الإبهام وفائدته البيان والتوكيد^(٣)، لإزالة اللبس والابهام في المتقدم^(٤).

أنواع البديل من حيث المعنى

قد قسم علماء اللغة والنحو البديل على أقسام عدة على وفق استقراءهم للغة، فكانت
أنواعه على النحو الآتي:

المطلب الأول : بديل كل من كل

ويُسمى بديل المطابق من مطابقه ويتفق جمهور النحاة على ذلك^(٥) .
وهذا البديل هو الذي أطلق عليه سيبويه (هو هو)^(٦)، وذكر ابن القيم أنه (بديل الموافق من الموافق)^(٧)، وسمّاه ابن مالك البديل المطابق وذلك (لوقوعه في اسم الله تعالى)^(٨)، فبديل كل من كل (إنمّا يطلق على كل ذي أجزاء وذلك ممتنع هنا)^(٩)، لهذا ذهب أحدُ الباحثين إلى أنّ تسمية هذا النوع من البديل ببديل كل من كل تحتاج إلى إعادة نظر، إذ إنها دخلت في أمر عقائدي، ورأى أنّ تسميته بالموافق أو المطابق هي الأولى مع الإشارة إلى أنّه يُسمى بديل كل من كل^(١٠)، وهو الأولى فيما نحسب.

وبديل كل من كل لفظ (ثان يُقدّر في موضع الأوّل... والغرض من ذلك البيان، وذلك بان يكون للشخص اسمان، أو أسماء ويشتهر ببعضها عند قوم وبعضها عند آخرين، فإذا ذكر احد الاسمين، خاف أن لا يكون ذلك الاسم مشتهراً عند المخاطب، ويذكر ذلك الاسم الآخر على سبيل بديل احدهما من الآخر للبيان، وإزالة ذلك التوهم. فإذا قلت: مررت «بعبد الله

(1) ينظر: المفصل : : ١٢١ .

(2) ينظر: الكتاب : ١٥٠/١-١٥١ .

(3) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٠٣/٢، ٣٠٥، شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٦٢/٢-٢٦٣، التوابع في كتاب سيبويه: ٥٦ ..

(4) ينظر: همع الهوامع : ١٥٢/٣ .

(5) ينظر: الكتاب: ١٥١/١ «قصدها سيبويه ضمناً»، حاشية الصبان: ١٢٤/٣، شرح ابن عقيل: ٢٤٩/٢ .

(6) الكتاب : ١٥١/١ ، التوابع في كتاب سيبويه : ٥٨ .

(7) بدائع الفوائد : ١٩٨/٤ .

(8) حاشية الصبان : ١٢٤/٣ .

(9) المصدر نفسه : ١٢٤/٣ .

(10) ينظر : التقويد بالتوابع في القرآن الكريم : ١٠٢ .

زيد»، فقد يجوز ان يكون المخاطب يعرف عبد الله، ولا يعلم أنه زيد، وقد يجوز ان يكون عارفاً بزيد ولا يعلم انه عبد الله، فتأتى بالاسمين جميعاً لمعرفة المخاطب⁽¹⁾ للاسم الذي قصدت إيضاحه وتحديده فورود البديل «زيد» أفاد تشخيص الماهية بدقة تشخيصاً ينأى بها عن الاشتراك مع غيرها أي انه قد ضيق من نطاق دلالة المبدل منه «عبد الله»، وقام بوظيفته في إزاحة اللبس والإبهام عنه وإحداث التأثير في نفس المخاطب، وذلك لان للإبهام أولاً ثم التفسير ثانياً وقعاً وتأثيراً فيها ليس للالتيان بالمفسر أولاً⁽²⁾، إذا لم يتقدمه إبهام فالبدال يرفع المجاز ويبطل التوسع الذي كان يجوز في المبدل منه⁽³⁾، وفي الأغلب يعمل هذا النوع من البديل على تقييد الماهية المطلقة فيبينها ويخلصها من اشتراك الماهيات الأخر.

ونجد في هذا البديل التساوي بينه وبين المبدل منه في المعنى مع اختلاف لفظيهما في الأغلب، وقد يتفقان في اللفظ فيُشترط في البديل أن يكون مُبيناً وموضحاً للمبدل منه، وسيوضح ذلك في دراسة دلالاته.

دلالات بدل كل من كل

إنّ رغبة سيبويه في حصر قوانين العربية دفعته إلى الاكتفاء بذكر دلالتين للبديل: هما البيان والتوكيد، وقد اتسع فيهما من جاء بعده، ومن التوسع قولهم بدلالة هذا البديل على الإيضاح، أو التفصيل، أو المدح، أو الذم، وقد ارجع احد الباحثين المحدثين فضل هذه التقسيمات الدلالية لسيبويه إذ يقول: (إنّ الدلالات التي ذكرت بعد سيبويه ترجع إلى ما ذكره)⁽⁴⁾، وهو رأي على قدر كبير من الصواب، وقد وردت في النهج الدلالات الآتية:

- ١- دلالة التوضيح .
- ٢- دلالة المدح أو الذم.
- ٣- دلالة التفصيل .
- ٤- دلالة التفخيم .
- ٥- دلالة التوكيد .

١ - دلالة التوضيح

إنّ الإيضاح هو الوظيفة الدلالية الأساس للبديل عموماً.

(1) شرح المفصل : ابن يعيش : ٢٥٨/٢، ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٠٣/٢.

(2) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٠٣/٢.

(3) شرح المفصل : ابن يعيش : ٢٦٣/٢.

(4) التقييد بالتتابع في القرآن الكريم : ١٠٣ .

ومِمَّا يندرج تحت هذه الدلالة قوله -عليه السلام-: (...وَ السِّيَاقَةُ إِلَى الْوَرْدِ الْمَوْزُودِ، فَكُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ؛ سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا؛ وَ شَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا)^(١)، نجد أن «سائق» وما عطف عليه قد وردا بدلين مرفوعين لاتباعهما المبتدأ «سائق» وما عطف عليه «شاهد» المرفوعين.

وقد جاء -عليه السلام- بـ «سائق» و«شاهد» على وجه الإجمال ثم فصل هذا الإجمال، فلا شك من وقوع الإنسان في مخالف الموت^(٢) يوماً ما، ليدفعه إلى موقف الحساب «سائق» و«شاهد» (أي ملك يسوقه، وآخر يشهد عليه وله)^(٣)، فأبهم الإمام -عليه السلام- لفظي السائق والشاهد ثم فسّر -عليه السلام- ذلك وقال: «سائقٌ يسوقها إلى محشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها»^(٤)، وقد حققت عملية الانتقال من الغموض في السائق والشاهد إلى الوضوح في النص لِدَّةٍ عظيمة للمخاطب بعد جذب اهتمامه وإثارة مخاوفه في المبهم، (فان الشيء إذا حصل إكمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم، وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوّقت النفس إلى العلم بالمجهول فيحصل لها بسبب المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي ألم ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم)^(٥)، فنلاحظ - في هذا المثال - أن الكشف والإيضاح هما الأساس^(٦) في ورود البديل الذي قيّد الماهية المطلقة في المبدل منه -الـ «سائق»، و الـ «الشاهد»، وعمل على معرفة تلك الماهية وتخليصها من الاشتراك مع ماهيات أخرى، فكشّف عن معناها وعرفها للمتلقى.

ونظيره قوله -عليه السلام- حين وُلِّيَ غُسْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (وَ مَا فَارَقْتُمْ سَمْعِي هَيْئَةً^(٧) مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرْجِهِ...)^(٨)، فقد أبدل هنا الجملة «يُصَلُّونَ عَلَيْهِ» من المفرد

(1) نهج البلاغة: ٣٤٦/٦ .

(2) ينظر: شرح النهج: ٣٤٧/٦، قال ابن ميثم: (والورد المورد هو المحشر). مصباح السالكين: ٢٧٦/٢ .

(3) مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٤٣٦ «ساق».

(4) شرح النهج: ٣٤٧/٦، ينظر: لسان العرب: ٦٦/١٠ «سوق»، ثم ذكر ابن أبي الحديد قول بعض المفسرين عقيب هذا الكلام، فقال: (إن الآية لا تقتضي كونها اثنين، بل من الجائز أن يكون ملكا واحدا جامعا بين الأمرين، كأنه قال: «وجاءت كل نفس معها ملك يسوقها ويشهد عليها». وكلام أمير المؤمنين يحتمل ذلك أيضا، لأنه لم يقل أحدهما لكن الأظهر في الأخبار والآثار أنهما ملكان)، ورأي الشارح أقرب إلى المعنى من قول المفسر. شرح النهج: ٣٤٧/٦.

(5) الإيضاح: القزويني: ١٤٠-١٤١، ينظر: مختصر المعاني: التفتازاني: ١٧٦، عروس الأفراح «ضمن شروح التلخيص»: السبكي: ١٢١/٣.

(6) ينبغي للباحث القول: إن البديل بصورة عامة يُلمس فيه الإيضاح؛ لأن المفهوم الأصل للمبين هو البيان عما في الكلام من معنى إلا أنني أتحدث هنا عن الدلالة الرئيسية المبتغاة والمفهومة من العبارة. ينظر: جامع البيان: الطبري: ١١٧/١١، التبيان: الطوسي: ٣٧٧/٥، مجمع البيان: الطبرسي: ١١٠/٣.

(7) الهنيمة هي الكلام الخفي، أو الصوت الخفي. ينظر: لسان العرب: ٦٢٣/١٢، ٦٢٤ «هم» .

(8) نهج البلاغة: ١٧٩/١٠ .

«هَيْمَةً مِنْهُمْ» إذ تبدل الجملة من المفرد^(١)، لتقوم بـ(الإيضاح ورفع الإلتباس، وإزالة التوسع والمجاز)^(٢) فيه، وقد عملت الجملة «يُصَلُّونَ» على تخليص المبدل منه من الإبهام وأفصحت عنه بمعناه فاتضحت دلالاته تشخيصاً، وقد استعمل البديل فعلاً مضارعاً للدلالة على استمرارية سماعه للصلاة من الملائكة إلى حين موارة النبي ﷺ في ضريحه^(٣) وهذا البديل بهذه الصيغة يعبر عن عظيم مكانة الرسول ﷺ عند الله تعالى حتى لأنه يوكل الملائكة بالصلاة والدعاء له على وجه الاستمرار والدوام.

ونظائر هذه الدلالة قليلة في النهج^(٤).

٢- دلالة المدح أو الذم

وهو ان يأتي احد الطرفين: البديل أو المبدل منه مُصفاً بصفة دالة على المدح أو الذم^(٥).

من ذلك قوله -ﷺ-: (وَ نَسْتَغْفِرُهُ^(*) مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَ أَحْصَاهُ كِتَابُهُ؛ عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ؛ وَ كِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ. وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانٌ مِّنْ عَايِنِ الْغُيُوبِ، وَ وَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ؛ إِيْمَانًا نَفَى إِخْلَاصَهُ الشِّرْكَ، وَ يَتَّقِيهِ الشُّرْكَ)^(٦)(***)، فقد جاءت «عِلْمٌ» و«كِتَابٌ» و«إِيْمَانًا» أبدالاً متتابعة من «علمه» و«كتابه» و«إيمان»، وجاء البدلان الأول والثاني مُعربين بالرفع تبعاً لمتبوعيهما المرفوعين، ويجوز إعرابهما خبرين لمبتدأ محذوف مُقدر. أما الثالث فقد جاء منصوباً تبعاً للمبدل منه المنصوب، ويحتمل وجهاً آخر وهو أن تكون لفظة «إيماناً» مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف.

وقد دلت الصفة «غير قاصر» بعد البديل «علم» على المدح، وكذلك «غير مغادر»^(٧) التي جاءت صفة للبديل «كتاب»، كما بيّن البديل الثالث «إيماناً» المبدل منه عندما وُصِفَ بالجملة «نفى إخلاصه الشرك».

وهنا يستغفر -ﷺ- من السيئات التي يحيط بها علمه تعالى^(١)، ويعدها كتابه الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة^(٢). ويقول: انّ إيمانه بالله واليوم الآخر وبحسابه وجزائه إيمان من

(1) ينظر: شرح التصريح: ٢٠١/٢ .

(2) أسرار العربية: ٢٩٨ .

(3) الضريح هو (الشق في وسط القبر). لسان العرب: ٥٢٦/٢ «ضرح» .

(4) ينظر: نهج البلاغة: ٢٥٠/٧، ٢٨٢/٩، ١٨/١٠، ٤٨/١٠، ١٧٦/١١، ٣٠٧/١٣، ١١٤/١٥، ١٥٦/١٦ .

(5) ولم أعر - في حدود تتبعي واستقرائي - على مثال دال على الذم في النهج، أمّا امتلته في النص القرآني فقوله تعالى: ﴿لَنْسَفَعَنَّ بِالْناصِيَةِ﴾ ناصية كاذبة خاطئة ﴿﴾. «سورة العلق: ١٥ ، ١٦» فقد بيّن تعالى صفة الناصية المسفوعة.

(*) المقصود هو الله تعالى .

(6) نهج البلاغة: ٢٥٠/٧ .

(**) ولم أعر الا على هذا المثال في النهج للدلالة على المدح .

(7) أي (غير مبق شيئاً لا يحصيه). شرح النهج: ٢٥٣/٦، ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٥١٢/٣ .

رأى بعين، ولمس بيد، ولا يبلغ هذا المدى إلا من أدرك آياته في خلقه^(٣). وقد صلح البدل للتعبير عن عظمة علمه وكتابه تعالى، وعميق إيمان الإمام -عليه السلام- وإخلاصه.

٣- دلالة التفصيل

ذكر النحاة التفصيل تحت مصطلح «التمييز» و«البدل»، فالتمييز هو عملية (تخليص الاجناس بعضها من بعض)^(٤)، فيعمل على (رفع الابهام في جملة او مفرد بالنص على أحد محتملاته)^(٥)، و(تمييز المعاني بعضها من بعض بالبيان عما فيها)^(٦)، تمييزاً (على وجه يزول معه اللبس)^(٧)، الذي يفرضه الإبهام، فإذا استعمل في المعاني، فيراد به التفرقة بينها وإزالة اشتراكها وإشكالها فيجيء من ذلك بيانها^(٨)، فبه يتم (تبيين المعاني المُجملة)^(٩) في الكلام و(تمييز أبعاضه بعضها من بعض بإنزاله إلى مرتبة البيان)^(١٠) الواضح.

والتفصيل من مقتضيات^(*) الخطاب التي يستعان بها لإيضاح مضمون الكلام بتحديد دلالاته، ولما كانت الأداة التفصيلية -هنا- تابعاً من التوابع -وهو البدل- لذلك اتسم بسمية «الورود الإلتحافي» لأن وجوده يناط بوجود مبهم سابق في النص يستدعيه^(١١).

ومما ورد في النهج دال على التفصيل قوله -عليه السلام-: (مَنْهُمَانٌ^(١٢) لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا)^(١٣)، ف «طالِبُ» العلم بدلُ تفصيل من «منهُومان»، وقد جاء البدل «طالِبُ» اللفظة الأولى مُعربة بالرفع لاتباعها المبدل منه المرفوع للابتداء^(**). وقد أفادنا البدل التفصيل.

(1) قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. «سورة البقرة: ٨١».

(2) قال تعالى: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَىٰ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾. «سورة الكهف: ٤٩».

(3) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٥١٤/٢.

(4) للمع: ١٣٧، ينظر: اللباب في علل البناء والاعراب: ٢٩٦/١، الاجمال والتفصيل في التعبير القرآني: ١٦٣.

(5) المفصل: ٦٥.

(6) جامع البيان: ١٨٠/١١، ينظر: الجوهر الثمين: شبر: ٣٠٥/٢.

(7) النبيان: الطوسي: ٤١٨/٤.

(8) ينظر: تفسير الثعالبي: الثعالبي: ٤٨/٢.

(9) مجمع البيان: الطبرسي: ١١٠/٣، مقتنيات الدرر: الحائري: ٢٤٦/٥.

(10) الميزان: ٣٥٩/١٧.

(*) ومن مقتضيات البيان في الخطاب ايضاً تقييد اللفظ المطلق وتخصيص اللفظ العام.

(11) ينظر: الاجمال والتفصيل في التعبير القرآني: ١٧٩.

(12) والنهمة: بلوغ الهمة بالشيء. وهو منهومٌ به، أي: مولعٌ به. مجمل اللغة: ٦٣٠ «نهم».

(13) نهج البلاغة: ١٧٤/٢٠.

(**) وتحتل لفظة «طالِبُ» وجهاً آخر، وهو الخبرية لمبتدأ محذوف، غير ان هذا لا يخرجها من حيز المرفوعة.

فالمنهومان مُبهمان، وقد وردت في العبارة عملية تفصيل ببديل الكل «طالب علم» وما عطف عليه «طالبٌ ذُنَيْبًا» لبيان الإبهام المجمل في لفظة «منهومان»، فأوضح -البديل- المبدل منه بعد إبهامه وأفاد البيان⁽¹⁾.

وقد صاغ -الكَلْبُ- العبارة على الاسمية لثبات معنى النهم في المنهومين -الطالبين- وديمومته، وقد جاء بالوصف -الخبر- «يشبعان» فعلاً مضارعاً منفياً لينفي الشبع عنهما، على سمة الاستمرارية بناءً على إمكان تعبير المضارع على الدوام.

ونرى أنه -الكَلْبُ- جاء بـ «يشبعان» مطلقاً من الزمن، فهو حدث محض (...بصرف النظر عن إرادة الوقت الذي وقع فيه، فقد لا يحتاج الإنسان في بناء الجملة إلى المفهوم الدلالي الزمني، وإنما يحتاج إلى إثبات الأحداث للموصوف...وعلى هذا فإن كثيراً من الأساليب لا يقصد فيها المتكلم في أثناء الكلام وقتاً معيناً لحصول الأحداث فيها، إنما يقصد إلى معرفة حصول الحدث)⁽²⁾ مجرداً من قيد الزمن، فلم يرد من الفعل «يشبعان» تقييده بزمن محدد، وإنما هو فعل مطلق غايته مع «لا» -نفي الشبع عن المنهومين- ليعظم شوق المتلقي لمعرفة هذا المجمل الذي اتبعه المتكلم بالتفصيل في البيان تنشيط النفس وإيقاظها، لأن النفس إذا ما تلقت كلاماً محاطاً بشيءٍ من الغموض والابهام تشتاق إلى بيانه واستيضاحه، فإذا جاء البيان صادف نفساً يقظة، متطلعة فيتمكّن الكلام منها فيكون أوفى بتأدية الغرض مما قبله، لدلالته عليه بالتفصيل⁽³⁾. فطالب العلم عاشق له مثل الشارب من ماء البحر يزداد عشقه للعلم وتهالكه عليه كلما استكثر منه، ومثله طالب الدنيا.

وإذا أراد المتكلم دلالة التجدد في المبيّن -البديل- أتى به فعلاً موظفاً بذلك عُصْرُ الزمن، ومنه قوله -الكَلْبُ- في وصية بما يُعْمَلُ في أمواله: (فَإِنَّهُ يَفُومُ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ)⁽⁴⁾، ففي الوصية هنا بيان لما يريد -الكَلْبُ-، وقد جعلها لابنه الأكبر الحسن -H- وهي ولايته صدقات أمواله، وفيها أذن له أن يأكل من الأموال بالمعروف دون اسراف، وإنما يتناول منه على مقدار الحاجة، وهذا الفعل يتطلب عملاً مُتجدِّداً^(*) لذلك جاء -الكَلْبُ- بالفعل «يقوم» للدلالة على هذا التجدد المستقبلي، ولمّا أجمل هذا الفعل أحقه بالبديل «يأكلُ» و «ينفقُ» المتجددين زمنياً بغاية الوضوح والبيان للابهام السابق.

(1) همع الهوامع : ١٥١/٣ .

(2) الدلالة الزمنية في الجملة العربية : علي جابر المنصوري : ٤٦-٤٧ .

(3) ينظر: دلالات التراكيب دراسة بلاغية : محمد محمد أبو موسى : ٣٠٠ .

(4) نهج البلاغة : ١٤٧/١٥ .

والاظهر أنه -عليه السلام- سلك إلى ما يُريد سبيل البيان والتفصيل بعد الإجمال والإبهام
للأسباب الآتية:

١- إنه -عليه السلام- أبهم طريقة القيام -ابتداءً- لتشويق النفوس وشدّ الانتباه إليها ثمّ وجّه بالبيان
طريقة هذا القيام تفصيلاً لتحدث اللدّة المعرفية لهذه الطريقة بعد التشويق الإبهامي لها، (فقد
يكون التفصيل في القول في بعض المواضع أبلغ وقعاً في النفوس وألذّ)^(١)، كما يكون الإجمال
أو الاختصار في بعضها أنفع وأبلغ^(٢).

٢- إنّه تكرر لذكر القيام فقد ذكره مرتين: مرّة إجمالاً وأخرى تفصيلاً، ويفيد ذلك التقرير
والتوكيد فتترسّخ طريقة القيام في ذهن المُخاطب.

٣- أفادت هذه العملية اظهر شدة تركيز الإمام -عليه السلام- واهتمامه بهذا الأمر حتى يأتي بذكره
مُجملاً تارة ومفصلاً أخرى.

وقد يظهر العامل في البديل كما يظهر في المبدل منه وذلك زيادة في التوكيد فالبديل
(توكيداً للفظه لا لحكمه)^(٣)، وأمّا إذا أردنا توكيد الأمرين فان العامل يظهر في البديل والمبدل
منه كما في قوله -عليه السلام-: (قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ؛ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ؛ مِنْ
مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ)^(٤)، فقد تكرر العامل، وهو «من» في البديل «مِنْ
مُنْقَطِعٍ»^(٥) لإثته أريد به توكيد أنّ هذه السنة هي بعض مما صنعه آل فرعون إذ كانوا الغاية في
(الاستهتار والإفساد)^(٦)، وقد وصف الذين اوغلوا في الفتن واضطربوا في حيرة الضلالة
وانتشوا فيها من سكرة الجهل^(٧) بأنهم سائرون على هذه السنة التي اجملها مبهما ابتداءً، ثمّ عاد
فصلها بالبديل مُكرراً العامل ليؤكد انتهاء هذا الـ«بعض» إلى سنة آل فرعون المنقطعين إلى
الدنيا منهم والمفارقين، ونلاحظ مجيء «أو» لتصبّب في هذا المنحى الدلالي.

وقد وردت لدلالة التفصيل نظائر كثيرة في النهج^(٨).

٤- دلالة التفخيم

(*) لدلالة المقام على ذلك فالعبارة تقع في سياق وصية .

(1) مصباح السالكين : ٢٧٨/٣ .

(2) ينظر : المصدر نفسه : ٢٧٨/٣ .

(3) التقييد بالتوابع في القرآن الكريم : ٩٨ .

(*) أي المبدل منه .

(4) نهج البلاغة : ١٣٢/٩ .

(5) ينظر : في ظلال نهج البلاغة : ٢٥٤/٣ .

(6) المصدر نفسه : ٢٦٦/٣ .

(7) ينظر : المصدر نفسه : ٢٦٦/٣ .

(8) ينظر : نهج البلاغة : ٢٧٣/٢ ، ١٤٥/٥ ، ١٣٨/٦ ، ٢٠٠/٧ ، ٢٠٢/٧ ، ١١٢/٨ ، ٣٢٨/٩ ، ١٦٠/٩ ،

٣٠/١٠ ، ١٦٣/١٣ ، ١٩/١٧ ، ٣٢/١٧ ، ٦٠/١٨ ، ٩١/١٩ ، ٣٦٤/١٩ .

إنّ سبق البديل بالمبدل منه المبهم يجعله أداة تمييز للمعنى على وجه التحديد وكشفاً لما يُراد من المتلقي (و فائدة هذه الطريقة تفخيم أمر المبهم وإعظامه)^(١) في الخطاب من جهة المتكلم ليكون وقعه افخم في نفس المتلقي، فالمعنى المقصود إذا ورد في الكلام فإنه يفيد بلاغة ويكسبه إعجاباً وفخامة، وذلك لأنه إذا قرع السمع على جهة الإبهام، فإنّ السامع له يذهب في إبهامه كلّ مذهب)^(٢)، فالمعرفة بعد الجهل أشدّ ثباتاً لدى المتلقي من ان يرد البيان إليه ابتداءً، فالإبهام اولا يوقع السامع في حيرة وتفكّر واستعظام ، لما قرع سمعه، فلا تزال نفسه تنزع وتشتاق إلى معرفته والإطلاع على كنه حقيقته)^(٣).

ومِمَّا ورد في النهج دالا على ذلك قوله -عليه السلام-: (بَلِّغْنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهًا، وَ عَصَيْتَ إِمَامًا؛ إِنَّكَ تَقْسِمُ فِيَّ الْمُسْلِمِينَ -الذي حازته رماحهم و خيولهم، و أريقت علىه دماؤهم- فَيَمَنَ إِعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابٍ قَوْمِكَ)^(٤)، فورد الإمام -عليه السلام- في خطابه جملة تفصيلية «إِنَّكَ تَقْسِمُ» للفظ «أمر»، و«أمر» فاعل للفعل «بلغني» مرفوع ولذا كان للجملة التفصيلية محلا من الإعراب، لأنها في محل رفع بدل من اللفظة المجملة قبلها، فالجملة التفسيرية تكون بحسب ما تُفسره فإن كان له محل من الإعراب فهي لها محل كذلك والا يكن لما تفسره محل فلا محل لها)^(٥)، وفي هذا الموضع جاء البديل والمبدل منه كلاهما نكرة للدلالة على عظم الأمر وانّ في عملية الانتقال من الإبهام إلى الإيضاح زيادة اهتمام ومبالغة في عظم ذلك الأمر؛ إذ حقق الإبهام تفخيماً في خطاب الإمام -عليه السلام-، فإن ابتداءه هذا الأمر مبهماً مجملاً يترك المتلقي في حال تأملٍ وتفكّرٍ وولعٍ وسعيٍ وراء معرفته، ثمّ بيّنه ليقف المخاطب على المراد من هذا المبهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى إنّ عملية الانتقال هذه -من الإبهام إلى البيان- تُشعرنا بشدّة اهتمام الإمام -عليه السلام- بمسألة استغلال عامله لوظيفته واعتدائه على بيت المال في إيثاره ذوي قرباه وأبناء قبيلته في قسمة الأموال وحرمان المسلمين من حقوقهم فيها، فعبر -عليه السلام- عمّا يحزّ في نفسه من غضب

(1) التبيان : الطيبي : ٣٩٨ .

(2) الطراز : ٧٨/٢ .

(3) المصدر نفسه : ٧٨/٢ .

(4) نهج البلاغة : ١١٧/٦ ، ينظر : ١٢٠/٧ .

(*) ولم أعتز في النهج على أمثلة دالة على التفخيم إلا هذا المثال .

(5) وقد ذُكر أنّ هذا الرأي لإبي علي الشلوبين . موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: الأزهرى: ٦٤/١ ،

ينظر : مغني اللبيب: ٥٠/٢-٥١ .

بصورةٍ ينتبّه معها العامل من غفلته إذا خاطبه بصلافة و(الصلافة في كلام المتحدث لها أثرها في المستمع)^(١) .

٥ - دلالة التوكيد

قد يرد البديل لإفادة دلالة التوكيد إذا دلَّ على الإحاطة والشمول كقوله تعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا

عِيدًا لَأُولَئِنَّا وَآخِرِنَا﴾^(٢)، يقول ابن السراج: (وقولك: ضربت قومك صغيرهم وكبيرهم على

البديل، والتأكيد جميعاً)^(٣)، فيأتي البديل (لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين، مرة على سبيل الإبهام والإجمال، ومرة على سبيل التوضيح والتفصيل)^(٤) ليقف المتلقي على المراد من المجمل.

ومما ورد في النهج دالاً على ذلك قوله -عليه السلام-: (هَذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَ بَادِيهَا، وَ رِبِيعَةٌ حَاضِرُهَا وَ بَادِيهَا، أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ)^(٥)، فـ«حاضر» اليمين و «باديها» شمالاً كل اليمين، وكذلك «حاضر» ربيعة و «باديها» شمالاً كل ربيعة، وقد جاء البديل والمبدل منه كلاهما معرفة^(٦)، ثم أوضح الإمام -عليه السلام- مضمون الاجتماع بقوله «أثم على كتاب الله»، فجاء بالجملة اسمية للدلالة على ثبوتها وتأكيدتها، وممّا زاد في توكيدها ايضاً ورود «أن» المؤكدة في صدارتها .

وهنا أراد -عليه السلام- توكيد الارتباط بين اليمين وربيعه واجتماعهما على العمل بكتاب الله والدعوة إليه، وقد أفاد بديل كل من كل في السياق العلوي تفصيل ماأبهم قبله من اللفظ المجمل، فرفع ذلك الإجمال ونصّ على المعنى المبتغى وضوحاً وتحديداً، فدلالته البيّنة تعمل على الجزم بمراد المتكلم دون تردد.

(1) الأمتل: الشيرازي: ١٣٥/٩ .

(2) سورة المائدة : ١١٤ .

(3) ينظر : معاني النحو: ٢٠٠/٣ .

(4) الأصول : ٥٥/٢ .

(5) جواهر البلاغة«ط١٢»: ١٦١، ينظر: علوم البلاغة: المراعي: ١٢٣، دروس في البلاغة: معين دقيق العاملي: ١٠/١، أصول البلاغة : علي فقيهي : ١٣٤ .

(6) نهج البلاغة : ٦٦/١٨ .

(7) ولا يلزم التطابق بين المبدل منه و البديل، فكما تبدل المعرفة من المعرفة والنكرة من النكرة تبدل المعرفة من النكرة وبالعكس. ينظر: الممع: ١٦٩، البديل في الجملة العربية -القرآن الكريم : ٩٠ .

نظيره قوله -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في موضع آخر: (وَأِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحَدَّهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ)^(١)، قال احد الشُّرَاح: (وجملة لا شيء معه بدل من وحدَه، حيثُ أجاز ابن هشام وغيره ان تبدل الجملة من المفرد)^(٢).

وقد جاءت الجملة الاسمية الدالة على الثبات والدوام في المعنى بدلاً موضحاً ومؤكداً لهذه الوحدة المجملة «المبدل منه» إذ إن انعدام وجود آخر معه هو الكاشف لهذه الوحدة بل هو عين الوحدة المذكورة، ونلاحظ انه جاء بالبدل جملة منفية بـ «لا» النافية للجنس وأورد بعدها نكرة، فدلّت على عموم النفي على وجه الكلية وهذا أوثق لتحقيق معنى الوجدانية، فبعد فناء الدنيا يعود تعالى وحده كما كان قبل وجودها ومعه.

المطلب الثاني : بدل بعض من كل

أطلق سيبويه على هذا المصطلح «شيء منه» ولم يستعمل مصطلح «بدل بعض من كل»^(٣).

والضابط فيه هو كون البديل جزءاً حقيقياً من المبدل منه (سواء أكان هذا الجزء أكبر من باقي الأجزاء أم أصغر منها، أو مساوياً)^(٤) لها مع صحة الاستغناء عنه بالمبدل منه فلا يفسد المعنى بحذفه، فيصح قولنا: جُدِعَ السارقُ أنفه، ولا يصحُّ قطعُ السارقِ أنفه، لأنه لا يقال: قطعُ السارقِ، على معنى قطع أنفه واردة هذا المعنى، فلا بدّ في البديل الجزئي من دلالة ما قبله دلالة كلية، وذلك يعني أنه لو حذف البديل لأمكننا الإهتداء إليه مما قبله من غير أن يختل الكلام بحذفه^(٥) غير أنّ الكلام يبقى مشوباً بشيء من الإبهام من حيث تحديد ذلك اللفظ الكلي «المبدل منه».

إنّ الذي يُقرّر وجود البديل في نظام الكلام هو المعنى، ففي مكان نحتاج إلى أداة مُعينة قد لا نحتاج إليها في مكان آخر، فبديل الـ«بعض» من باب تخصيص العام، ومن أمثلة هذا البديل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾^(٦)، فـ«بعضهم» بدل خصص تعالى به جزءاً

(1) نهج البلاغة : ٩٠/١٣ .

(2) في ظلال نهج البلاغة : ٩٠/٤ .

(3) ينظر: الكتاب: ١٥١/١-١٥٤ .

(4) شذور الذهب : ٥٢٢ ، أوضح المسالك : ٦٥/٣ ، النحو الوافي : ٦٦٧/٣ .

(5) ينظر : النحو الوافي : ٦٤٣/٣ .

(6) سورة البقرة : ٢٥١ .

مما كان داخلاً تحت حكم العام «الناس»، ومنه أيضاً القول «أعجبني زيدٌ وجهه»، فإن «وجهه» بدل دلّ على بعض زيد وهو خصوص من عموم زيد، ولفظة «ثلثه» من قولك: «أكلت الرغيف ثلثه» هي الأخرى دالة على ذلك لأن التثنت بعض الرغيف ويبدو واضحاً أنّ عملية الأكل وقعت عليه حصراً دون عموم الرغيف فكان خصوصاً للعموم .

ومما ورد في النهج بدل بعض من كل قوله - ﷺ -: (... وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)^(١)، وقد أتت كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»^(٢) مؤكدة بأسلوب القصر^(*)، وذلك يكون بقصر صفة على موصوف قصرأ حقيقياً بحيث لا يتصف بهذه الصفة إلا ذاك الموصوف، وقد جاء القصر فيها بوساطة النفي و «إلا»، والمقصود عليه لفظ الجلالة «الله» هو البديل مما قبل «إلا»، فقد أثبت النحاة أنّ «إلا» إذا جاءت مسبوقه بكلام تام منفي، كان ما بعدها بدلاً مما قبلها^(٣)، وإذا وقعت بعد نفي فهي للإيجاب، وكان ما بعدها محمولاً على ما كان عليه قبل دخولها^(٤)، والإتيان بها في هذا التركيب يفيد تخصيص ما قبلها وحصره فيما بعدها وقصره عليه^(٥)، (ويكون ذلك صراحة بحرف النفي)^(٦)، والمستثنى^(٧) بطبيعته غير البديل، إذ البديل في القصر داخل وليس خارجاً كما هو حال المستثنى^(٨).

ويعرب العلماء كلمة التوحيد بأعاريب مختلفة، فمنهم العكبري الذي يرى أنّ لفظ الجلالة بدل من موضع «لا إله» لأنّ موضع «لا» وما عملت فيه رفع بالابتداء^(٩)، وهو وجهٌ راجح من وجوه إعرابها.

أمّا أبو حيان فيرى (انّ لفظ الجلالة بدل من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، فإذا قلت: لا رجل الا زيد، فالتقدير: لا رجل كائن أو موجود إلا زيد، كما تقول: ما أحد يقوم إلا زيداً فزيد بدل الضمير في «يقوم» ولا يجوز أن يكون خبراً، كما جاز ذلك في قولك: زيد ما العالم إلا هو إنّ «لا» لا تعمل في المعارف، إن قلنا إنّ الخبر مرفوع بها، وإن قلنا إنّّه ليس

(1) نهج البلاغة : ٢٥٠/٧ .

(2) الصافات : ٣٥ .

(*) إن الحصر هو المصطلح النحوي وقد استعملت هنا القصر وهو من مصطلحات البلاغين لبيان روعة الدلالة بلاغياً لكلمة التوحيد .

(3) ينظر : الكتاب : ٣١١/٢ ، مغني اللبيب: ١٤٨/١، همع الهوامع: ٤٧٠/١ .

(4) ينظر : الكتاب : ٣١١/٢، تسهيل الفوائد : ٥٤ .

(5) ينظر : في النحو العربي - قواعد وتطبيق: ٢١١ .

(6) البيان في روائع القرآن - دراسة لغوية واسلوبية للنص القرآني: تمام حسّان: ١٣٦/٢ .

(7) الاستثناء هو (صرف اللفظ عن عمومه بإخراج المستثنى من ان يتناوله الأوّل). ينظر: شرح المفصل : ٤٦/٢ .

(8) ينظر : الجملة الخبرية في نهج البلاغة - دراسة نحوية: ٢٨٤ .

(9) التبيان: العكبري: ٤٩/١، ينظر: الكتاب: ٣١٧/٢ .

مرفوعاً بل هو خبر المبتدأ الذي هو «لا» مع اسمها وهو مذهب سيبويه فلا يجوز أن يكون خبراً أيضاً لما يلزم عليه من جعل المبتدأ نكرة والخبر معرفة وهو عكس ما استقرّ في لسان العرب^(١)، فلا يصح -هنا- أن يكون لفظ الجلالة «الله» بدلاً من اسم «لا» لأنها لا تدخل إلا على اسم نكرة^(٢).

وقد جمع احد الباحثين المحدثين أعراب كلمة التوحيد^(٣)، ولم نجد في الوجوه التي ذكرها الوجه الذي ذكره أحد شراح النهج، ويرى هذا الشارح أنّ دلالة كلمة التوحيد لا تتناسب مع ما قاله النحاة، فقال: (وقد زعم النحويون أنّ فيها شيئاً مقدّراً يكون خبراً لـلا. قالوا: وتقديره لا اله لنا إلا الله أو لا إله موجود إلا الله، واعلم أنّ كلّ تقدير يقدر ههنا فهو مخرج لهذه الكلمة عمّا يفيد إطلاقها^(٤) ويفيدها تخصيصاً لم يكن وهو ممّا يجده الإنسان من نفسه عند الاعتبار فالأولى أن يكون خبر لا قولنا إلا الله ولا حاجة إلى تقدير امر زائد^(٥)).

ولا يجد هذا الرأي قبولاً نحوياً يسوّغه إلا أنّ صاحبه انطلق من زاوية المعنى، واطنه يقصد أنّ إطلاق «اله» بحذف الخبر أولى لتشمل بالنفي شمولاً عاماً كلّ إله آخر أي نفي عموم الآلهة غير الله تعالى بلا تخصيص بصفة معينة مقدرة، فـ«اله» تتضمن معاني كثيرة (فالآله لا يكون إلهاً حتى يكون معبوداً، وحتى يكون لعباده خالقاً ورازقاً ومُدبِّراً، وعليه مُقتدراً، فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عبُد ظمناً بل هو مخلوق ومُتعبّد^(٦))، ولا بدّ من وجوده أو لا ليخلق الخلق ويُدبّر أمرهم، ويبدو لنا أنّ رأي العكبري هو الأقرب إلى الفهم النحوي في بنية الخطاب العربي، ونحن نميل إليه ومعلوم أنّ الغرض البلاغي من استعمال هذا الأسلوب «النفي، والا» هو التوكيد إذ (إنّ القصر ليس إلاّ تأكيداً على تأكيد)^(٧)، وإنّ

(1) البحر المحيط: ٣٩٤/١، ينظر: أوضح المسالك: ٢٥٨/٢.

(2) ينظر: المقتضب: ٣٥٧/٤، تسهيل الفوائد: ٦٨، جواهر الأدب: ١٣٤-١٣٥.

(3) وهو عباس حسن إذ جمع في كتابه «النحو الوافي» أعراب كلمة التوحيد، فقال: إنهم يعربون كلمة «الله» الإعراب الآتي:

أ- الرفع على البدلية مراعاة لمحل «لا» مع أسمها لأنّ محلها رفع على الابتداء عند سيبويه.

ب- أو الرفع على البدلية مراعاة لمحل اسم «لا» باعتباره في الأصل مبتدأ مرفوعاً قبل دخول الناسخ.

ج- أو الرفع على البدلية من الضمير المستتر في خبر المحذوف فأصل الكلام لا إله موجود، أي: هو.

د- أو النصب على الاستثناء من هذا الضمير المستتر لأنّ الجملة تامة غير موجبة، فيجوز في المستثنى أمران كما عرفنا: البدلية أو: النصب على الاستثناء. ينظر: النحو الوافي: ٢٦١/٢، وقد يجيء ما بعد إلا الضمير المنفصل المرفوع «هو» ويعرب بالوجوه الإعرابية المتقدّمة نفسها.

(*) يقصد عمومها لأنّ النكرة في سياق النفي تُفيد العموم.

(4) مصباح السالكين: ٢٣٨/١، وقد أعربها الشيخ مغنية بقوله: (وان «لا» نافية للجنس، وإله اسمها، والخبر محذوف ولفظ الجلالة بدل منه أي موجود إلا الله). في ظلال نهج البلاغة: ١٥٤/١، ينظر: معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم: محمد فهيم: ٥٨٩.

(5) لسان العرب: ٤٦٨/١٣ «إله»، ينظر: المصطلحات الإسلامية: مرتضى العسكري: ٣٠.

(6) الإيضاح: القزويني: ١٢٢/١.

اجتماع «النفى والال» هو الذي أفادنا هذا المعنى^(١) ومنه حصر المتكلم الحكم في «الله» تعالى وقصره عليه وأفرده به يقول بعضهم: (فكأن الأسلوب في القصر تفصيل يعقبه التخصيص والقصر)^(٢).

وقد وردت كلمة الإخلاص أكثر من مرة في النهج^(٣)، وكذلك وردت بصيغة مماثلة، وهي قوله -عليه السلام-: (لا اله الا هو)^(٤)، وكان ورودها قليلاً^(٥)، وتعني كلمة التوحيد (ان لا ثاني له سبحانه في الإلهية)^(٦)، ووحدته هي (الوحدة الحقيقية بمعنى... انه لا يقبل الإثنيّة، ولا التكثر ولا التكرار)^(٧) لذا يشهد^(٨) -عليه السلام- بها فلا شيء أكمل، ولا أعظم منها فهي كلمة الإخلاص والتنزيه، والتوحيد، وهي اصل الأصول في عقيدة الإسلام، وبها يمتاز عن جميع الأديان^(٩).

ومن بدل بعض من كل الوارد في النهج قوله -عليه السلام-: (وَ الشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ؛ يُزَيِّنُ لَهُ المَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا، وَيُؤَيِّدُ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا...) (١٠)، فقوله: «مُوَكَّلٌ بِهِ» «مبدل منه» مجملٌ فسره قوله «يُزَيِّنُ لَهُ» جملة بدلية من «مُوَكَّلٌ بِهِ» في محل رفع، وكان قائلاً يقول للإمام -عليه السلام-: كيف يتوكل به؟ فقال: «يُزَيِّنُ لَهُ المَعْصِيَةَ... وَيُؤَيِّدُ التَّوْبَةَ»، فالشيطان ضمن القيام بخداع الإنسان^(١١)، وهذا الخبر مجمل، فاستعمل البديل ليشد السامع إلى معرفة تفصيلية للتوكل وكيفيته، فجاء -عليه السلام- بالبديل موضعاً لسبب الخداع ومُفَصِّلاً لما ضمن الشيطان القيام به. واستعمل البديل على زنة المضارع للدلالة على استمرارية التزيين والتمنية وتجذدهما، قال ابن ميثم: (وذلك أن ستر الأجل عن الإنسان موجب للغفلة عنه فإذا انضاف إلى ذلك خداع

(1) ينظر: أساليب التأكيد: د. كاظم فتحي الراوي، مجلة آداب المستنصرية، ع «١»، ١٩٧٦م : ٦٣.

(2) نحو المعاني: د. عبد الستار الجوارى : ١٣٥ .

(3) ينظر: نهج البلاغة : ١٣٢/١، ٢٠٤/٢، ٣٤٥/٦، ٩٧/٧، ٢١٣/١٣، ٥٨/١٠، ١٧٠/١٠.

(4) سورة البقرة: ٢٥٥، ال عمران: ٦.

(5) ينظر: نهج البلاغة : ١٧٩/١٠، ٩١/١٩ .

(6) شرح النهج : ٣٤٥/٦ .

(7) الالهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل -محاضرات الشيخ جعفر السبحاني: الشيخ حسن العاملي: ١٢/٢، ينظر: جامع السعادات: الشيخ محمد مهدي النراقي: ١٣٤-١٣٦، التربية الدينية: عبد الهادي الفضلي: ١٩.

(8) وتعني (عند أهل العربية، أعلم أنه لا اله الا الله وأبين أنه لا اله الا الله). الزاهر في معاني كلمات الناس: ابو بكر بن الانباري: ١٢٥/١.

(9) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١٥٦/١.

(10) نهج البلاغة: ١٤٥/٥ .

(11) ينظر: لسان العرب : ١١/٧٣٤ «وكل» .

الأمل الناشيء عن وساوس الشيطان في تزيينه المعصية وتسويفه التوبة مع كونه موغلاً به وقريناً له... كانت الغفلة أشدَّ والنسيان أكد^(١)، وكان الحذر من الشيطان أحرى.

ونظيره قوله -عليه السلام-: (وَ لَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ، وَ لَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ)^(٢)، فـ«لسانك» بدل من سفير، وقد جاء «لسان» بدلا مرفوع مضافا إلى الضمير «الكاف»، و«الكاف» مضاف إليه، وذلك لاتباعه المبدل منه المرفوع «سفير» اسماً لـ«يكن». فقد أخرج بعض أفراد المبدل منه من أصل الحكم لإرادة التخصيص.

ونلاحظ هنا إبدال المعرفة من النكرة، فلا يلزم التطابق بين المبدل منه والبدل، فكما تبدل المعرفة من المعرفة والنكرة من النكرة تُبدل المعرفة من النكرة ويحدث العكس كذلك^(٣).

وقد ورد المبدل منه «سفير» نكرة في سياق النهي فدلت على العموم^(٤)، فقد نهى الإمام -عليه السلام- العامل عن جعل سفير بينه وبين الناس غير لسانه وحاجب غير وجهه.

ونجد أن عموم السفير قد تم تخصيصه تخصيصاً متصلاً بالنص بواسطة الإستثناء بـ«إلا» ومثله تخصيص عموم الحاجب حتى لا يكون بين العامل وبين الناس وسيط يجربهم عنه، فقد أراد -عليه السلام- من عامله أن يختلط بهم، ويقابلهم وجهاً لوجه، ويتحدث اليهم ويسمع منهم مباشرة وبلا واسطة^(٥).

ومنه أيضاً قوله -عليه السلام-: (إِنَّهُ لَيْسَ لَأَنْفُسِكُمْ تَمَنُّ إِلَّا الْجَنَّةُ)^(٦)، فهنا نجد أن كلامه -عليه السلام- قد تم قبل ورود «إلا»، وهو مؤلف من «ليس» واسمها المؤخر «تَمَنُّ»، وخبرها المقدم عليه «لأنفسكم»، وبما أن البدل (ثانٍ يقدر في موضع الأول)^(٧) يكون المعنى «ليس لأنفسكم إلا الجنة»، فقد قصر اسمها على البدل «الجنة»، يريد بذلك أن يقصر المخاطبين أنفسهم على ما يؤدي بهم إلى الجنة، لإثمه يريد سلامتهم ونجاتهم وسعادتهم، فسعادته هو -عليه السلام- في نجاتهم.

ونظيره قوله -عليه السلام-: (وَ أَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلَا مُنْجِيَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ)^(٨)، وهنا نجد أن الكلام قد تم قبل «إلا» -أيضاً-، فجاء قبلها «لا» واسمها «منجي» وخبرها «منك»، فقصرت «إلا» اسم

(1) مصباح السالكين : ١٦٦/٢ .

(2) نهج البلاغة «نسخة الانترنت»: ٣٠/١٨ .

(3) ينظر : للمع : ٨٧ .

(4) قضايا لغوية قرآنية : ١١٧ .

(5) في ظلال نهج البلاغة : ٥٦١/٥ .

(6) نهج البلاغة : ١٧٣/٢٠ .

(7) شرح المفصل : ابن يعيش : ٢٥٨/٢ .

(8) نهج البلاغة : ١٩٤/٧ .

«لا» على ما هو بدل من خبرها، وهو «إليك»، والمعنى: هو «لا منجي منك الا إليك»، ونلاحظ أنه قد أخرج المنجي «إليك» من المنجي «منك» لإرادة تخصيصه تعالى بعملية التعلق به طلباً للنجاة منه، أي: من عقوبته للمخطيء العاصي إذ لا ينجي هذا المخطيء احداً من سطوته تعالى لتعدّر ذلك، ولاتصافه تعالى بالرحمة المطلقة تلك الرحمة التي تشمل المطيعين والعصاة، فلا يكون فرار الإنسان منه إلا إليه.

ولهذه الدلالة نظائر أخر^(١) في النهج.

المطلب الثالث : بدل الاشتمال

لم يعرف سيبويه هذا النوع من البديل، وإثماً ذكره عرضاً ومثلاً له بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ

عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾^(٢).

وبدل الاشتمال (هو بدل شيء من شيء يشتمل عامله على معناه بطريقة الإجمال كاعجبي زيد علمه أو حسنه أو كلامه)^(٣)، فـ(الثاني بدل من الأول، وليس إياه، ولا بعضه، وإنما هو شيء اشتمل عليه. والمراد بالاشتمال ان يتضمّن الأوّل الثاني، فيفهم... ان المعجب ليس زيدا من حيث هو لحم ودم، وإثماً ذلك معنى فيه)^(٤) مشتمل عليه^(٥) ^(٦)، كالعلم أو الحسن أو الكلام^(٧)، ومن هنا جاءت تسميته بهذا الاسم لاشتمال الفعل المسند إلى المبدل منه على البديل ليفيد ويتم، فان العامل -الإعجاب- قد اشتمل على جميع ما يمكن ان يُعجب من زيد على طريق الإجمال دون التفصيل إذ إته (يدل عليه دلالة إجمالية لكونه لا يناسب نسبته إلى ذات المبدل منه، ففي قولك: أعجبي زيد علمه، الإعجاب لا يناسب نسبته إلى ذات زيد التي هي مجموع لحم وعظم ودم، فيفهم السامع ان المتكلم قصد نسبته إلى صفة من صفاته كعلمه أو حسنه، وفي قولك: سُرِقَ زيدٌ ثوبه، إثماً يفهم السامع ان المتكلم قصد نسبته إلى شيء يتعلق به كثوبه أو فرسه، فقد دلّ العامل المنسوب إلى المبدل منه في الظاهر إجمالاً)^(٨)، فجاء البديل ليكشف هذا الاجمال ويوضحه تفصيلاً، وقد لمس النحاة هذه الدلالة في هذا البديل. يقول

-
- (1) ينظر: نهج البلاغة : ١٣٢/١ ، ٢٠/٢ ، ٢٠٤/٢ ، ١٤٠/٥ ، ٩٧/٧ ، ٢٥٠/٧ ، ٢٥١/٧ ، ٢١٥/٨ ، ٥٨/١٠ ، ٨٩/١٠ ، ١٧٠/١٠ ، ١٠٩/١١ ، ٢١٣/١٣ ، ٤٨/١٧ ، ٧٠/١٧ ، ٢٥٠ /١٨ .
- (2) سورة البقرة : ٢١٧ ، ينظر : الكتاب : ١٥١/١ .
- (3) حاشية الصبان : ١٢٥/٣ .
- (4) شرح المفصل : ابن يعيش : ٢٦٠/٢ .
- (5) فشرطه أن يكون مشتملاً على الثاني والثاني قائم به. ينظر: لباب الاعراب: العكبري: ٤٣١/١ .
- (6) حاشية الصبان : ١٢٥/٣ .
- (7) المصدر نفسه : ١٢٥/٣ .

الرضي: (و الفائدة في بدل البعض والاشتمال: البيان بعد الإجمال والتفسير بعد الإبهام لما فيه من التأثير في النفس، ذلك ان المتكلم يُحَقِّقُ بالثاني بعدَ التجوِّزِ والمسامحة بالأول) (١) تفصيلاً للمذكور أولاً.

ويتضح مما ذكر أن المراد من بدل الاشتمال ليس المبدل منه عينا كما في بدل الكل، ولا المبدل منه جزءاً كما في بدل البعض، وإنما المراد المبدل منه بلازمة من لوازمه (٢) قد اشتمل عليه على سبيل الإجمال مع لوازم آخر، فيأتي الاشتمال ليزيح هذه اللوازم المشتملة ويثبت على واحدة منها تفصيلاً وبياناً، وهذا لا يعني بأن الأول- المبدل منه- غير مقصود تماماً، وإنما هو مقصود بلازمته، ومن هنا كانت نسبة المبدل منه الى الفعل نسبة مجملة وحينما يرد البديل يُفهم تعلق النسبة تفصيلاً؛ لان بدل الاشتمال هو من يعلق به الفعل من وجهة نظر دلالية لا نظرية (٣).

ومما ورد في النهج بدل اشتمال قوله -عليه السلام-: (فَاَحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُعْذِيَكُمْ بِدَائِهِ) (٤)، و(موضع «ان يُعْذِيكُمْ» نصب على البديل من «عَدُوَّ اللَّهِ») (٥)، وقد جوَّز الراوندي «ت ٥٧٣هـ» أن يكون موضعها مفعولاً ثانياً من العدوى (٦)، وهذا ليس بصحيح لان «حذر» لا يتعدى إلى مفعولين (٧)، فهو سهو منه (٨)، والراجح هو كونه بدلاً من «عَدُوَّ اللَّهِ».

فلاحظ أنه -عليه السلام- قد فصل لازم الحذر من عدو الله ببديل الاشتمال «ان يُعْذِيكُمْ»، وقد أتى هذا التفصيل لإقصاء الإبهام في نسبة الحذر من جهة المخاطبين إلى «عَدُوَّ اللَّهِ» في الحذر في أي وجه يقع، إذ ان هناك جملة أمور يمكن ان يحذر منها بيد أنه -عليه السلام- أراد الحذر في معنى معين فصله بقوله «ان يُعْذِيكُمْ» بدل الاشتمال، فأتضح المعنى من نسبة الحذر بهذا التفصيل.

ونظيره قوله -عليه السلام-: (وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ) (٩)، فجاء «الموت» مبدلاً منه مُبهماً، فقد عرفه الإمام -عليه السلام- بـ «الـ» المجمل، التي يكون المعرف بها أوغل إبهاماً من المعرف بـ «الـ» الماهية «المطلق» والمعرف بـ «الـ» الجنسية

(1) شرح الرضي على الكافية : ٣٠٥/٢، ينظر: معاني النحو: ٢٠٣/٣.

(2) فهو نوع من الملابس غير الكلية والجزئية. ينظر: شرح شذور الذهب: ٤٤٠.

(3) ينظر: الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني: ٢٨٨.

(4) نهج البلاغة: ١٣٦/١٣.

(5) شرح النهج: ١٣٦/١٣.

(6) منهاج البراعة: الراوندي: ٢٣٧/٢.

(7) شرح النهج: ١٣٨/١٣.

(8) مصباح السالكين: ٢٤٩/٤.

(9) نهج البلاغة: ١٤٥/٥.

«العام»، وذلك لعدم معرفة المراد منه البتة، فتعدو الألف واللام فيه صورية، لأنه في حكم اللفظة النكرة المبهمة^(١). فنجد أنّ «الموت» لفظة مبهمة مجملة لذا جاء -العلية- بالبدل «أن ينزل» في محل رفع بدل من الموت^(٢) بياناً له. فكان (أوفى بتأدية المعنى المقصود)^(٣) منه. وقصر الخبر «بين» على مبتدئه «الموت»، فأكد مضمون الجملة، وقد أكد كلامه -العلية- (بمؤكدين أحدهما لفظي وهو «القصر». وثانيهما أسلوبية وهو تقديم ما حقه التأخير)^(٤) لينفي -العلية- وجود شيء وتوسطه بين المخاطبين ويوم الحساب غير الموت الذي يُمثل جسراً العبور إلى يوم (الجزاء بالنعيم على عمل الخير، أو الجحيم على فعل الشر)^(٥)، ولما جاء به مجملاً عاد وفصله بالمصدر «أن ينزل به»، و(موضعه رفع لأتفه بدل من «الموت»)^(٦) جاء لبيان لازمة من لوازمه وهي النزول بالإنسان، وقد ذكر هذا الإعراب غير واحد من الشراح^(٧)، فالمصدر -هنا- بدل اشتمال من الموت^(٨)، وذلك (لأنّ المعنى نزول الموت فيكون مثل أعجبني ثوب زيد)^(٩).

ومما ورد في النهج قوله -العلية-: (وَ قَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَ ظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمُ)^(١٠)، وقد قال أحد الشراح: (بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ بدل اشتمال من الأمر)^(١١)، ولست اتفق معه في ذلك فالبدل هنا هو بدل كل من كل مؤكداً^(١٢) لما أجمل في «الأمر» قبله، وقصد -العلية- من الكلام الإحاطة بالأمر من نواحيه كلها غير مُغادر صغيرة ولا كبيرة فيه وذلك لأنّ الأمر الذي عرض له غاية في الأهمية، إلى الحدّ الذي جعله -العلية- يُبالغ في التفكير به، فقلّبه مراراً وتكراراً بدلالة الفعل «قلّب»، فدرس الأمر على مستوى العمق والشمول باطناً وظاهراً مما أدّى إلى امتناع النوم على الإمام -العلية-.

-
- (1) «الـ» المجل، وهي مما توصل إليه أحد الباحثين المحدثين بعد عرضه لأنواع المعرف بـ «الـ» المبهمة. ينظر: الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني: ٨١.
- (2) منهاج البراعة: الخوئي: ٣٤١/٤.
- (3) عروس الأفراح «ضمن شروح التلخيص»: ٤٣/٣.
- (4) الجملة الخبرية في نهج البلاغة -دراسة نحوية: ٢٧٨.
- (5) في ظلال نهج البلاغة: ٥٤/٢.
- (6) شرح النهج: ١٤٦/٥.
- (7) ينظر: منهاج البراعة: الراوندي: ٢٨٥/١، حدائق الحقائق: قطب الدين الكينزي: ٣٣١/١، منهاج البراعة: الخوئي: ٣٤١/٤، نهج البلاغة: محمد عبده: ١٢٠/١، شرح نهج البلاغة: مدرس وحيد: ١٨٣/٤.
- (8) ينظر: بهج الصباغة: محمد تقي الشوشترى: ١٢٨/١١، في ظلال نهج البلاغة: ٥٤/١.
- (9) في ظلال نهج البلاغة: ٥٤/٢.
- (10) نهج البلاغة: ٦/٤.
- (11) في ظلال نهج البلاغة: ٥٥٠/١.
- (12) ينظر: الأصول: ٥٤/٢، ٥٥.

وله نظائر أخر في النهج^(١) .

وقد ردَّ السهيلي «بذل بعض من كل» وبذل الاشتمال إلى «بذل كل من كل»، فذكر أنّ العرب تتكلم بالعام وتريد به الخاص، وتحذف المضاف وتنويه وبذل المصدر من الاسم -أي بدل الاشتمال- إنّما هو في الحقيقة من صفة مضافة إلى ذلك الاسم^(٢)، نقول: أنّ هذا الكلام لا يتناسب والمضمون الدلالي لهذه الأبدال، فبذل كل من كل يفيد تفصيل الإجمال وغالباً ما يأتي تقييداً للماهية المطلقة فيعمل على معرفة تلك الماهية، وبذل بعض من كل من باب تخصيص العام، وبذل الإشتمال مفصلٌ للنسبة التي اشتملت على جملة محتملات غير معينة، فالتفصيل هو إخراج المجمل من إبهامه، والتخصيص إخراج جزء من العام بالتخصيص عليه خارج الحكم، والتقييد هو تشخيص ماهية من المطلق يقع عليها الحكم حصراً لا غير^(٣) .

وأكر الدكتور المخزومي انطباق مصطلح البذل على «بذل الاشتمال»، ذلك بأنّ مفهوم البذل عنده ينطبق على البذل المبين فحسب، أمّا غيره فلا يسمى بدلاً، ويرى أنّ بدل الاشتمال يؤدي ما يؤديه التوكيد من وظيفة^(٤) .

وقيل: أنّ البذل -مصطلحاً- قد صار له مدلول آخر غير مدلوله اللغوي^(٥) فضلاً عن أنّ شهرة المصطلح البصري وثباته مدلولاً لغوياً لهذه المفردة النحويّة عبر مدّة طويلة من الزمن ضمن له قبول أكثر العلماء والدارسين، وأمدّه بالبقاء.

(1) ينظر: نهج البلاغة: ١٣٦/١، ٣١٣/١، ١٤٥/٥، ١٠٧/٧، ١٠١/١١، ١٣٨/١٦، ٣٠/١٧ .

(2) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: المرادي «ط١»: ٢٥٠/٣-٢٥١ .

(3) فمن جوانب الافتراق بين التفصيل والتقييد والتخصيص ان الحكم في التفصيل هو إخراج اللفظ المجمل من نطاق الإبهام إلى حيز الوضوح والبيان، أما الحكم في التقييد فهو إخراج الكل «الماهيات» الشائعة والتخصيص على ماهية واحدة مشخّصة، على حين ان الحكم في التخصيص هو إخراج بعض ما وقع عليه الحكم العام والإبقاء على الكل الشامل. ينظر: الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني: ١٨٠-١٨٨ .

(4) ينظر: في النحو العربي -قواعد وتطبيق: ١٩٥-١٩٦ .

(5) ينظر: البذل في الجملة العربية - القرآن الكريم: ٥٦-٥٧ .

المطلب الرابع : البديل المباين(*)

قسم البديل المباين إلى بدل غلط ونسيان وإضراب⁽¹⁾، ويُعدُّ عدولاً عما قاله المتكلم إلى قول آخر. وهذه الأصناف الثلاثة لم ترد في النص القرآني⁽²⁾ البتة لأنّ مضامينها لا تجوز على الله تعالى. ولم أعثر في دراستي للنهج - على شيء من هذه الأصناف في مضامين خطاب النهج .

(*) ويسمى - أيضاً- بـ «بديل المغايرة» .

(1) ينظر: البسيط : ٣٩٣/١ - ٣٩٤ ، حاشية الصبان : ١٢٤/٣ .

(2) ينظر:المقتضب: ٢٩٧/٤، شرح المفصل:ابن يعيش:٢/٢٦٢، شرح الرضي على الكافية: ٣٠٨/٢، أسرار العربية: ٢٩٩، التطبيق النحوي: عبده الراجحي: ٣٩١ .

المبحث الثاني: عطف البيان

عطف البيان في اللغة والاصطلاح

العطف والبيان في اللغة

للعطف في اللغة عدة معانٍ أهمّها: الميل والثني^(١)، والرجوع والانصراف^(٢).
أما البيان فـ (هو الكشفُ عن الشيء)^(٣) وإيضاحه، فنقول: «بان» الشيءُ «ببَيِّن»
«بيانا» إذا اتضح^(٤)، (واستبانَ الشيءُ: ظهر)^(٥). فـ (البيان ما بين به الشيء من الدلالة
وغيرها. وبان الشيء بيانا: اِتَّضح وتبيَّن الشيء ظهر والتبيين الإيضاح والوضوح.
والبيان الفصاحة واللسن، وكلام بيِّن فصيح، وأصله الكشف والظهور)^(٦).

عطف البيان في الاصطلاح

عَبَّر سيبويه عن عطف البيان بأربعة عنوانات، وهي: الصفة، والبدل، والعطف،
وعطف البيان^(٧)، فكأنه بهذا قد جعل التوابع جميعها من عطف البيان، ويبدو أنه قد فعل هذا
بناء على أساس مبدأ البيان، فلما يأتي التابع لبيان المتبوع فكأنه عطف عليه بيانا، فكان عطفه
بيانا لذلك.

وقد حدّه ابن برهان العكبري «ت ٤٥٦ هـ» بقوله: انّ (عطف البيان يتعلّق بالاسم
تعلق الصفة، ويفارق الصفة بأنه غير مشتق، فإذا كان الاسم مشتقا أو في معنى المشتقّ سماه
النحويّون صفة، وإذا كان جوهرًا غير مشتقّ سمّوه عطف بيان)^(٨).
وحده الجرجاني بقوله: عطف البيان (هو الاسم الذي يكون الشيء به أعرف، فيبيّن به
غيره، كقولك: مررتُ بأخيكَ زيدَ بيّنْتَ الأخَ يزيدِ و يزيدِ أبي عبد الله، إذا كان معروفاً بكنيته،
وبأبي عبد الله زيد، إذا كان معروفاً بالاسم)^(٩).

أما الزمخشري فقد عرفه بأنه: (اسم غير صفة يكشف عن المراد كشفها وينزل من
المتبوع منزلة الكلمة المستعملة من الكلمة الغريبة إذا ترجمت بها، وذلك نحو قوله:

-
- (1) ينظر: مجمل اللغة: ٤٨٢ «بين»، مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٥٧٢ «عطف»، مختار الصحاح: ٤٤٠ «عطف».
 - (2) ينظر: لسان العرب: ٢٤٩/٩ «عطف».
 - (3) مجمل اللغة: ٦٥ «بين»، مقاييس اللغة: ٣٢٨/١ «بين»، ينظر: مفردات الفاظ القرآن الكريم: ١٥٧ «بان».
 - (4) ينظر: مختار الصحاح: ٧٢ «بين».
 - (5) لسان العرب: ٦٧/١٣ «بين».
 - (6) لسان العرب: ٢١٤/١٦، ينظر: أصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة: د. محمد حسين علي الصغير: ١٤، ١٥.
 - (7) ينظر: الكتاب: ٤٣٢-٤٣٣، ١٨٤/٢، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٣.
 - (8) شرح اللمع: العكبري: ٢٣٥/١، ينظر: شرح المقدمة المحسبة: ٤٢١/٢.
 - (9) الجمل: عبد القاهر الجرجاني: ٣٢-٣٣.

اقسم بالله أبو حفص عمر ما مسَّها من نقبٍ ولا دبرٍ

...فهو كما ترى جار مجرى الترجمة حيثُ كشفَ عن الكنية لقيامه بالشهرة دونها...^(١).

ويراه ابن معطٍ «ت ٦٢٨ هـ» على أنه : (اسم يفسره اسم كما يفسره النعت، إلا أنه ليس مشتقاً، ولا في حكم المشتق، فأشبهه البدل، والفرق بينهما: أنه لا ينوي فيه إحلال الثاني محلّ الأول)^(٢).

وحده ابن مالك في التسهيل بقوله: أنه (التابع الجاري مجرى النعت في ظهور المتبوع، وفي التوضيح والتخصيص، جامداً أو بمنزلته)^(٣).

وقال في الألفية:

(فدو البيان تابعٌ شبيه الصفة حقيقةً القصد به مُنكشِفةً)^(٤)

وحده ابن هشام بحدين أيضاً :

اولهما: انه (تابع غير صفة يوضح متبوعه أو يخصه)^(٥).

وثانيهما: إنه (تابع، موضح أو مخصص، جامد، غير مؤول)^(٦).

وقال ابن هشام: (عطف البيان: تابع أشهر من متبوعه، نحو: جاء أبو حفص عمر إذا كان عمر أشهر من الأول)^(٧).

وحده السيوطي بقوله: (هو الجاري مجرى النعت في تكميل متبوعه ، توضيحاً وتخصيصاً، قيل: وتوكيداً)^(٨).

وقد عرفه الدكتور أمين علي السيد بقوله: (هو التابع الجامد المشبه للصفة في إيضاح متبوعه بنفسه وعدم استقلاله)^(٩)، وعرفه أحمد الهاشمي بقوله: هو (تابع جامدٌ يُشبه النعت في إيضاح متبوعه إن كان معرفة وفي تخصيصه إن كان نكرة بنفسه، لا بمعنى في متبوعه ولا في سببه، نحو جاء: صاحبك عثمان)^(١٠).

إنّ العثور على حدّ جامع مانع لعطف البيان عند النحاة ليس بالأمر الميسور لأنّ هذا التابع يتأرجح بين الصفة والبدل، لذا نختار من مقولات النحاة والباحثين المحدثين مفهوما نراه

(1)المفصل: ١٢٢-١٢٣ .

(2)الفصول الخمسون: ٢٣٦.

(3)تسهيل الفوائد: ١٧١ .

(4)ألفية ابن مالك: ٣٧ .

(5)شرح شذور الذهب: ٤٣٤.

(6)شرح قطر الندى«النيراس»: ٣٣١.

(7)شرح للمحة البدرية: ٢٤٠/٢ .

(8)همع الهوامع : ١٣١/٣ .

(9) في علم النحو: ٩٢/٢.

(10) القواعد الاساسية للغة العربية: احمد الهاشمي: ٢٢٧.

متكاملا محاولة للوصول الى فهم واضح ومحدد لمفهوم عطف البيان في النحو العربي وبهذا سيكون مفهومه هو: عطف البيان هو التابع الجامد -غالبا- المُشبه للنعت الحقيقي في توضيح المتبوع بنفسه إن كان معرفة وتخصيصه ان كان نكرة، والمكمل لما فُصد بالحكم منه، وحكمه المطابقة في الاعراب، والتعريف والتكثير، والتأنيث والتذكير^(١).

صلة عطف البيان الدلالية بين المعنى اللغوي والمفهوم الإصطلاحي

إذا ما حاولنا إيجاد الصلة الدلالية بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لمفهومي «العطف» و«البيان» نقول: أن المعجميين قد كشفوا المعطى الأصل للفظتي: «عطف» و«بيان»، وإن ما ذكره المعجميون فيهما كان شديد الصلة بوجه أو بآخر بالمفهوم الاصطلاحي لهما، فـ«العطف» يعني رجوع التابع وثنيه على المتبوع و«البيان» يعني كشف المعنى في المتبوع وإبانتته للمتلقي، فإن إلحاق المتبوع بالتابع يُظهر معناه ويُجليه ويكمله ويؤكدده.

ولا نجدُ تقارباً بين عطف النسق وعطف البيان في المعنى والوظيفة إذ لا تربط الأول بالثاني الا صلة اشتراكهما في ظاهرة المطابقة في العلامة الإعرابية، فعطف النسق لا يرد على جهة البيان، لاجل ما بين المتعاطفين من المغايرة، فلا وجه لكونه بيانا للمعطوف، واما هو وارد على جهة الاقتصاد للعامل^(٢).

المطلب الأول : سبب تسمية البيان عطفاً عند النحاة

مُعجمياً العطف يعني الرجوع والثني والميل إلى ناحية^(٣)، وقد ظهر من تعريفات النحاة أن قصدهم في استعماله مصطلحاً كان على أساس المُطابقة المجردة من غيرها بين التابع والمتبوع^(٤) في الاعراب، ويبدو أنّ هذه التسمية غير مانعة لأنها تصلح ان تنطبق على أي تابع من التوابع، فالتوابع الآخر يصحُّ أن تندرج تحت هذه التسمية إذ يتحقق فيها إرجاع الثاني إلى الأول من حيث المطابقة في العلامة الإعرابية، فقد أطلقه سيبويه من دون تحديد على عطف النسق^(٥)، وعلى عطف البيان^(١)، وعلى التوكيد^(٢)، وعلى التبعية بوجه عام^(٣). كما اطلق ابن السراج باب «عطف البديل»^(٤) على باب البديل في «أصوله».

(1) ينظر: شرح عمدة الحفاظ: ٥٩٢، شرح المفصل: ابن يعيش: ٢/ ٢٧٢، شرح شذور الذهب: ٤٣٦، أوضح المسالك: ٣٣/٣، شرح ابن عقيل: ٢٢٠/٢.

(2) ينظر: الطراز: ٢٦٩/٣.

(3) ينظر: لسان العرب: ٢٤٩/٩ «عطف».

(4) ينظر: مقدمة في النحو: خلف الاحمر: ٨٥، اللمع: ١٧٤، المرتجل: ٢٤٤، المحرر: ٩٩٣/٢.

(5) الكتاب: ٢٤٨/١، ٥٠١/٣، ٥٠١/٣.

وقال صاحب «المقدمة» في تسمية عطف البيان: كأنك انعطفت على الاسم الأول فبينته باسم آخر بغير حرف عطف^(٥).

ونقل السيوطي قول ابو حيان إذ قال: (وسمي به، لأنه تكرر الأول لزيادة بيان، فكأنك ردّدته على نفسه)^(٦).

وعلل الصبان في حاشيته دعوى تسمية عطف البيان بهذه التسمية بقوله: (وسمي هذا التابع عطف البيان، لان المتكلم رجع إلى الأول فأوضحه به)^(٧)، فـ(لأنه للبيان، جيء به)^(٨) سمي بيانا، فكأن ثمة إبهاماً في الأول احتاج إلى بيان، فجيء بعطف البيان.

المطلب الثاني : علاقة عطف البيان بالتوابع الأخر

نلاحظ فيما تقدّم من تعريفات الجهد الذي بذله علماء النحو للوصول إلى حدّ جامع مانع يميّزه من غيره من التوابع إلا أنها مع كثرتها لم تُحدّد على وجه الدقّة ما يفصلُ عطف البيان عن النعت^(٩) والبدل والتوكيد، فقول أكثرهم «غير صفة» أو نحو ذلك لا يُعدُّ فصلاً دقيقاً بين عطف البيان والنعت، وكذلك لم يستطع الفصل بينه وبين البدل قولهم أنه-أي عطف البيان- يأتي لإيضاح متبوعه- فكذلك يأتي البدل موضعاً لمتبوعه^(١٠)، وهذا ما أكده قول ابن يعيش: إنّ في عطف البيان بياناً كما في البدل، وأنّه يكون بالاسماء الجوامد مثله^(١١).

بيد أنّ النحاة في مجال آخر - في غير حدهم لعطف البيان- قد عُنوا كثيراً بالتفرقة بين عطف البيان والنعت وكان من أهم تلك الفروق قولهم أنّ عطف البيان جامد لا يؤول بالمشقق وإنّ أمكن، بخلاف النعت، فلا بُدّ من تأويله إذا ورد جامداً، وأنّ عطف البيان يكشف المتبوع بنفسه، والنعت يكشفه ببيان معنى فيه^(١٢).

(1)المصدر نفسه: ١٨٦/٢.

(2)المصدر نفسه: ٢٧٧/١، ٢٧٨.

(3)المصدر نفسه: ١/ .

(4)ينظر: الأصول: ٤٦/٢ .

(5)ينظر: شرح المقدمة المحسبة: ٤٢١/٢.

(6)همع الهوامع: ١٣١/٣.

(7)حاشية الصبان: ٨٥/٣، ينظر: حاشية الخصري: ٥٩/٢، معجم المصطلحات النحوية والصرفية: محمد سمير اللبدي: ٣٠ .

(8) الاصول: ٤٥/٢، شرح عيون الإعراب: ٢٣٤ .

(9)قال ابن برهان العكبري:(وجميع ما ذكرناه في الصفات قائم في عطف البيان، لأنه ليس يفرق بينهما الا الاشتقاق، والا فمعناهما سواء) فهما (يجتمعان من طريق المعنى، يعني أنهما من تمام الأول). شرح اللمع: ٢٣٥/١

(10)نقلا عن ابن الدهان في «العرة». ينظر: الأشباه والنظائر: ٢٥٦/٢.

(11)ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٧٤/٢ .

(12)ينظر: التوطئة: ١٨٥، الاتقان: ٢١١/٣، حاشية الخصري: ٥٩/٢، النحو الوافي: ٥٤٢/٣.

فيقول النحاة مثلاً: «اقبل محمدَ الطويلُ» إنَّ قصدوا بيان معنى في «محمد» في حين يقولون: «اقبل محمدَ أبو عبد الله» إنَّ قصدوا بيان حقيقته، وبذلك تبين أنَّ قصد الإيضاح في عطف البيان عند النحاة أقوى من قصده من النعت، وذلك لانَّ البيان يوضح المبين ببيان حقيقته، فهو كالتعريف، بخلاف النعت^(١) الذي يبين شيئاً فيه فحسب.

أمَّا عطف البيان والتوكيد فقد فرَّقوا بينهما بأنَّ الثاني يأتي في الكلام رفعاً للمجاز، وتحقيق النسبة في المتبوع في حين أنَّ الأوَّل يأتي لرفع الاشتراك^(٢)، (لأنه لا يكون الا بعد اسم مشترك)^(٣)، ولربَّما يتناقض هذا القول مع ما ورد على لسان نبي الله موسى -عليه السلام- مخاطباً ربه في قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي﴾ هَارُونَ أَخِي...^(٤) وقوله -

عليه السلام- أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءاً﴾^(٥)، ففي الأولى

والثانية نجد أنَّ النبي -عليه السلام- يخاطب الله تعالى والله تعالى لا يخفى عليه المسمى ولا يشترك عنده الاسم فيحتاج إلى بيان، وإنَّما بيَّن النبي موسى «هارون» -H- بـ«أخي» إرادة منه في أنَّ يصفه بصفة في ذاته تكون بياناً لعلاقة الأخوة الرابطة بينه وبين المسمى استجلاباً لعطفه تعالى عليهما ليُشركه في أمر الرسالة^(*)، وكذلك الحال في المثال الآخر، فلو قال أخي لكفاه ذلك إذ إنَّ المخاطب هو الربُّ الذي يعلمُ قصد المتكلم، والمتَّبِع للقصص القرآني لا يجدُ أخاً لموسى غير هارون -H-، فمن أين يأتي الاشتراك في هذا الاسم! والنحاة يقولون إذا لم يكن مُشتركا كان بدلاً إلا أنَّ «هارون» في «الثانية» جاءت عطف بيان لما قبلها ويصح كونها بدلاً، كذلك «أخي» في «الأولى» منهما تعرب عطف بيان كما تعرب بدلاً^(٦).

والتوكيد المعنوي أكثر وضوحاً إذ أنَّه لا يكون إلا بالفاظ مختصة، وعطف البيان ليس

كذلك^(٧).

المطلب الثالث : العلاقة بين عطف البيان والبدل المطابق

(1) ينظر: حاشية الصَّبَّان: ٨٦/٣، أساليب العطف في القرآن الكريم: مصطفى حميدة: ٤٣٠.

(2) ينظر: الأشباه والنظائر: ٢٥٤/٢.

(3) أسرار العربية: ٢٩٦.

(4) سورة طه: ٢٩، ٣٠.

(5) سورة القصص: ٣٤.

(*) يؤكد ذلك قوله تعالى في إجابته -عليه السلام-: ﴿سَنَسُدُّ عَنْدَكَ بِأَخِيكَ﴾. «سورة القصص: ٣٥».

(6) ينظر: الكشاف: ٦١/٣، البيان في غريب إعراب القرآن: أبو البركات ابن الأنباري: ١٤١/٢.

(7) ينظر: المقرب: ٢٧٢، أساليب العطف: ٤٣٠.

أن يكون البديل مقصوداً بالحكم أو النسبة دون متبوعه نحو: «أقبل أخوك عمرو» هو ممّا اتفق عليه النحاة⁽¹⁾ في درسهـم النحوي فكان «عمرو» البديل هو المقصود بحكم المجيء، وكان أخوك -المبديل منه- في نيّة الطرح في حكم المعدوم، وعلى أساس ذلك عرفوا البديل بأنّه التابع المقصود بالحكم بلا واسطة⁽²⁾.

أما التوابع الأخر «النعته والتوكيد وعطف البيان» فلم تكن عندهم المقصودة بالحكم، فهي مكملات لما قصّد بالحكم من متبوعاتها.

فيلاحظ من قولهم نظرتهـم إلى قصديّة المتكلم^(*) في تعبيره عن المعاني التي يُريد إيصالها فهم يفترضون قصدين: فقد يقصد المتكلم الإسناد إلى الأوّل ثمّ يجيء بالثاني بياناً وإيضاحاً وتنتمه له، وهنا يكون الثاني عطف بيان، وقد يقصد الإسناد إلى الثاني ويجيء بالأوّل توطئة له، فيكون الثاني بدلاً⁽³⁾.

ويظهر لنا أنّ الحدّ هنا لم يقع على الدلالة العميقة التي يؤديها البديل من البيان؛ فنشعر بقطع الصلة بينه وبين المبديل فضلاً عن غفلتها عمّا يؤديه ذكر المبديل منه في التركيب إذ إنّ المتكلم لا يذكر «المبديل منه» وهو لا يريد منه شيئاً في كلامه بحيث يُستغنى عنه، لأنّه غير مقصود، وإمّا يذكره المتكلم لأنه هو المراد ابتداء^(**) غير ان هذا المراد لما دخله الإبهام في المعنى والغموض في دلالته المقصودة جيء بالبديل لتخليصه من الشبّهات وإخراجه إلى حيّز الدلالة الواضحة، فالمقصود به تحديد معنى المبديل منه وإيضاحه⁽⁴⁾.

وقد عارض الرضي قولهم: إنّ البديل هو المقصود بالحكم دون المبديل منه، في تعليقه على تعريف ابن الحاجب (لا تُسلم أنّ المقصود بالنسبة في بدل الكل هو الثاني فقط، ولا في سائر الأبدال إلا الغلط فإنّ كون الثاني فيه هو المقصود بها دون الأوّل ظاهر، وإمّا قلنا ذلك لأنّ الأوّل في الأبدال الثلاثة منسوب إليه في الظاهر، ولا بد ان يكون في ذكره فائدة لم تحصل لو لم يذكر كما يذكر في كلّ واحدٍ من الثلاثة؛ صوتاً لكلام الفصحاء عن اللغو، ولا

(1) ينظر: الامالي النحوية: ابن الحاجب: ٦٢/٣، الإيضاح في شرح المقصل: ابن الحاجب: ٤٤٩/١، شرح الفية ابن مالك: ابن الناظم: ٢١١، شرح شذور الذهب: ٤٣٩، اوضح المسالك: ٦٤/٣، همع الهوامع: ١٤٧/٣، شرح الحدود النحوية: ١٨٥.

(2) ينظر: الكافية «متن شرح الرضي على الكافية»: ابن الحاجب: ٣١٥/٢، شرح الفية ابن مالك: ابن الناظم: ٢١١، همع الهوامع: ١٤٧/٣، شرح الحدود النحوية: ١٨٥.
(*) وقصديّة المتكلم أمرٌ لا علاقة له بالتركيب.

(3) ينظر: حاشية الجرجاني على شرح الرضي: الشريف الجرجاني: ٣٣٧/١، شرح المفصل: الخوارزمي: ١٢٥، الطراز: ٢٦٩/٣، دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني: ١٧١-١٧٢.

(**) يستثنى «البديل المبين» من ذلك لأنّه غير مقصود من الكلام ابتداءً فالمقصود الحقيقي هو «البديل».
(4) ينظر: الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم: ٢٢٢-٢٢٣.

سيما كلامه تعالى، وكلام نبيه ﷺ فادعاء كونه غير مقصود بالنسبة مع كونه منسوباً إليه في الظاهر واشتماله على فائدة يصح أن ينسب إليه لأجلها، دعوى خلاف الظاهر^(١).
ولأنه أشبهه البديل^(٢) أعلن الرضي عن رأيه في مسألة تفرقة النحاة بين البديل وعطف البيان، فقال: (وأنا إلى الآن لم يظهر لي فرقٌ جليٌّ بين بدل الكُلِّ من الكل وبين عطف البيان، بل لا أرى عطف البيان إلا البديل، كما هو ظاهر كلام سيبويه؛ فإنه لم يذكر عطف البيان)^(٣).
لذا رأى الرضي أن الأولى إدخال الأبدال الثلاثة: بدل كل من كل، وبديل بعض من كل، وبديل الاشتمال، ضمن الحدّ الموضوع لعطف البيان، أي أنه تابع غير صفة يوضّح متبوعه، فيصير عطف البيان والأبدال المذكورة شيئاً واحداً، واستثنى بدل الغلط من ذلك لإثباته يرى أنه ينفرد بالحدّ الذي جعله النحاة للبديل، وهو قولهم: أنه تابع مقصود بما نسب إلى المتبوع دونه^(٤).

وكان لرأي الرضي أثرٌ كبيرٌ عند عددٍ من الباحثين في العصر الحديث، ومنهم: إبراهيم مصطفى، ومهدي المخزومي، وفاضل السامرائي.

وقد رأى الدكتور إبراهيم مصطفى استبعاد عطف النسق من التوابع، ثم قسم التوابع الأربعة المتبقية على قسمين:

١- ما كانت فيه الكلمة الثانية من الأولى بمنزلة المكمل للمعنى، المتمم له، حتى لا يفهم المعنى إلا بهما معاً وحتى تكون الكلمتان في الدلالة على ما يراد بمثابة «عبد الله» في الدلالة على مسماه، وحكمه المطابقة في الإعراب والتعريف والتذكير والتأنيث والتذكير، وهذا القسم ينفرد به النعت.

٢- ما كان فيه الأول دالاً على معناه، مستقلاً بإفهامه، والثاني دالٌّ على معنى الأول، مع حظ من البيان والإيضاح يتأتى من قرن الكلمتين إحداهما إلى الأخرى، فإذا ضمنتها أفدت التأكيد أو زيادة البيان، كما في زارني محمد أبو عبد الله، ولقيتُ القوم أكثرهم أو كلهم، ويندرج تحت هذا القسم: البديل، والتوكيد، وعطف البيان، ولا يلزم هنا اتفاق اللفظين في التعريف والتذكير.

ويرى صاحب هذا الرأي في تقسيمه أن المعنى هو الحكم في تمييز كل نوع، وأنه يحسم الخلاف في تمييز الأقسام بعضها من بعض^(٥).

(1) شرح الرضي على الكافية: ٣٠٣/٢.

(2) ينظر: الفصول الخمسون: ٢٣٦.

(3) شرح الرضي على الكافية: ٣٠٢/٢. إلا أن سيبويه ذكر مصطلح «عطف البيان» في كتابه. ينظر: الكتاب: ١٨٦/٢.

(4) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣١٥/٢، ٣٠٢.

(5) ينظر: إحياء النحو: إبراهيم مصطفى: ١١٩-١٢٣.

أمّا الدكتور المخزومي فقد كان معترضاً على تسميته بعطف البيان، فقال: (...ان ما سُمي بعطف البيان ليس عطفًا، لان العطف يعني التشريك ولا تشريك في هذا الموضوع)^(١)، واعتراض على استقلاليته ايضاً لإثته (يؤدي وظيفة النعت فهو بمنزلة) ^(٢) فيرى أنّ (النحاة مُصيبون في تشبيه ما سمّوه بعطف البيان بالنعت، لأنه كالنعت في وظيفته)^(٣).

وقد رأى أنّ هناك تعارضاً بين قول النحاة انّ البديل هو المقصود بالحكم دون المتبوع وبين قولهم انّ البديل تابع لمتبوعه، لذا قال: (إذا كان البديل هو المقصود بالحكم فينبغي أن يكون هو المسند إليه، وإذا كان هو المسند إليه لم يكن تابعاً)^(٤)، من هنا وقع التعارض بين مقولتي النحاة في كون البديل هو المقصود وهو التابع في وقت معاً، وتابع الرضي في ما ذهب إليه من أنّ بدل الغلط هو البديل الذي ينطبق عليه المصطلح في حين لاينبغي أن تسمى الأبدال الثلاثة الآخر بدلاً^(*).

ورأى أنّ بدل الكل وما سمي بعطف البيان موضوع واحد وهو جدير بأن يُطلق عليه تسمية «البيان» لأدائهما وظيفة النعت في الكلام بياناً وتوضيحاً.

على حين يرى الدكتور فاضل السامرائي أنّ عطف البيان والبديل يمكن ان يكونا شيئاً واحداً وباباً نحوياً موحداً، وهو في هذا يتفق مع الدكتور المخزومي، بيد أنه يباينه في اطلاق التسمية على هذا الباب، فاذا كان المخزومي يرى بان يسمى كلا الموضوعين بـ«البيان» فان السامرائي يفضل تسميتهما بـ«البديل» بدعوى ان عطف البيان موضوع من موضوعات البديل، وهو بهذا يؤسس كلامه على ايمانه بان للبديل اربع موضوعات هي «بديل كل من كل وهو ما يوافق عطف البيان في نظره، وبديل بعض من كل، وبديل اشتمال، وبديل المباينة»^(٥)، على حين ان المخزومي اخرج الابدال الثلاثة الباقية واكتفى ببديل كل من كل، وهو عطف البيان في نظره ولهذا اطلق عليه البيان لان بدل كل من كل هو بيان للمبديل منه كما لـ «عطف البيان».

وكذلك رأى انّ بدل بعض من كل، وبديل الاشتمال يؤديان ما يؤديه التوكيد من وظيفة، فموضوعات البديل ليست كلها من باب واحدة، فهي من أبواب متفرقة.

(1) في النحو العربي - قواعد وتطبيق: ١٩٣ .

(2) المصدر نفسه : ١٩٣ .

(3) المصدر نفسه : ١٩٢ .

(4) المصدر نفسه : ١٩٥ .

(*) ونقصد بالابدال الثلاثة: «بديل كل من كل وبديل بعض من كل، وبديل الاشتمال».

(5) ينظر: معاني النحو: ٢٠٧/٣-٢٠٨.

وقد ذهب الشيخ رفعت فتح الله إلى أن بدل كل من كل وعطف البيان شيء واحد لآته يأتي متعلقاً بمتبوعه مُكملاً له ببيانه، فهو ليس بدلاً منه، والأبدال الثلاثة: «كل من كل»، و «بعض من كل»، و «الاشتمال» لم يعترض على شيء منها بل ابقاها كما وردت عن النحاة إلا أنه توصل إلى تعريف البديل بأنه التابع المقصود بالحكم قصداً أصلياً، غير مُقترن بحرف العطف. أمّا عطف البيان بعد ضمّ بدل كل من كل إليه فيحدّه بقوله هو التابع الشارح لمتبوعه بغير طريق الوصف⁽¹⁾.

وقد أيد الدكتور فاضل السامرائي جمعهما تحت باب واحد فقال: (والحق فيما أرى أنّ هذا ضرب من التعسف ولا أرى عطف البيان إلا البديل ولا داعي لإدعاء الفروق بينهما ويمكن الاكتفاء بباب واحد هو البديل أو البيان)⁽²⁾، ووافقه على هذا المنحى أحد الباحثين إذ ألغى عطف البيان في القرآن الكريم⁽³⁾.

وقد حرص النحاة على إيجاد فروق بين عطف البيان والبديل ونلمس هذا في حدّ ابن معط لعطف البيان إذ يقول: (هو اسم يُفسره اسم كما يفسره النعت، إلا أنه ليس مشتقاً ولا في حكم المشتق، فأشبهه البديل، والفرق بينهما أنه لا ينوي فيه إحلال الثاني محل الأول)⁽⁴⁾، وكذلك في حدّ ابن الناظم الذي قال بأنّه: (التابع الموضّح والمخصّص متبوعه، غير مقصود بالنسبة، ولا مشتقاً ولا مؤول بالمشتق)⁽⁵⁾.

ويظهر أن جميع آراء المحدثين المذكورة هي محاولة جادة منهم لتفسير ظاهرة التبعية في الخطاب العربي في ضوء المعنى، لا من حيث الناحية اللفظية وحسب. والأظهر لدينا أن التوابع -ماعدا عطف النسق- تؤدي وظيفة البيان وأعني بذلك رفع الإبهام عن المتبوع، والبيان في العبارة يأتي من تضافر التابع والمتبوع على أداء الوظيفة المذكورة، فالبيان في الصفة (إنما حصل من مجموع الصفة والموصوف؛ لأن مجموعهما أخصّ من كلّ واحدٍ منهما منفرداً)⁽⁶⁾ وعلى الرغم من اشتراكهما جميعاً في هذا المعنى فإنّ كلّ واحدٍ من التوابع يسلك إلى ذلك البيان سبيلاً مختلفاً، عدا عطف البيان وبديل كل من كل فإنّهما يتقاربان في الوظيفة والمعنى تقارباً كبيراً. فالنعت يزيل الإبهام الذي في متبوعه ببيان معنى فيه، لا ببيان حقيقته^(*)، وهذا هو سبب اشتراط الاشتقاق فيه، والتوكيد يفيد مع الإيضاح والبيان وإزالة

(1) ينظر: «البديل وعطف البيان»: رفعت فتح الله، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج«٢٤»، لسنة ١٩٦٩
١٣٦-١٤١، أساليب العطف: ٤٣٤-٤٣٥.

(2) معاني النحو: ٢٠٨/٣.

(3) ينظر: التقييد بالتوابع في القرآن الكريم: ١٤٤.

(4) كان المناسب أن يقول: اسمٌ يُفسرُ اسماً. الفصول الخمسون: ٢٣٦.

(5) شرح الفية ابن مالك: ابن الناظم: ١٩٧.

(6) شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٤٩/٢.

اللبس^(١) تمكين المعنى في نفس المخاطب وإزالة الغلط في التأويل^(٢)، وقد يصل إلى ذلك بتكرير اللفظ، أو استعمال ألفاظٍ محصورةٍ مختصّ بها.

أمّا بدل بعض من كل وبدل الاشتمال فهما يمثلان جزءاً من المتبوع أو عرضاً من أعراضه فيحققان (البيان بعد الإجمال، والتفسير بعد الإبهام)^(٣)، والتخصيص بعد العام أو الكلي. ويشك النحاة في مجيء بدل الغلط في الكلام الفصيح^(٤)، وقد يكون الأفضل استعمال «بل» لأداء معناه.

المطلب الرابع : شروط عطف البيان

وضع النحاة شروطاً لعطف البيان، ولا يمكننا القول بانطباق هذه الشروط في الخطاب العربي، فالخلاف واسع فيما يخصّ عطف البيان. ومن هذه الشروط ما ذكره ابن هشام من اشتراط النحاة في عطف البيان ألا يخالف متبوعه في التعريف والتكثير وتجويزهم ذلك في البديل (تعلقاً بأنّ المجهول لا يُبين المجهول)^(٥)، وقد أجاز الزمخشري والرضي^(٦) التخالف بين عطف البيان ومتبوعه في التعريف والتكثير، فالقاعدة ليست محل إجماع.

ومن الشروط أيضاً قولهم أنّ عطف البيان لا يكون جملة أو تابعاً لجملة^(٧)، وهذا الشرط هو الآخر ليس محل إجماع، فقد نجد في أقوال المفسرين ما يخالف هذا الرأي^(٨). ولم يشترط البلاغيون لعطف البيان الا يكون في الجمل^(٩) فهم يرون الجملة جديرة بالبيان، شأنها في ذلك شأن المفرد. وقد جاء بحث هذا العطف عندهم في باب الفصل، فقد ذكر السكاكي أنّ من أسباب الفصل ان يكون هناك داع للإيضاح والتبيين^(١٠)، فعلاقة عطف البيان وهي (ان تكون الجملة الثانية بياناً للأولى، وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح، والمقتضى للتبيين أن يكون في الأولى نوع خفاء، مع اقتضاء

-
- (*) أي أنّ عطف البيان يبين حقيقته .
(1) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٣٣/٢.
(2) المصدر نفسه : ٢٢١/٢.
(3) شرح الرضي على الكافية : ٣٠٥/٢.
(4) بل نفى المبرد مجيئه في القرآن والكلام المستقيم. ينظر: المقتضب: المبرد: ٢٩٧/٤، همع الهوامع: ١٤٩/٣.
(5) قرة العين في النحو: صدر الدين العاملي: ١٥١.
(6) شرح الرضي على الكافية: ٣٠٥/٢.
(7) ينظر: مغني اللبيب: ٥١/٢، الاشباه والنظائر: ٢٥٢/٢.
(8) إذ يفهم من آراء العلماء وأقوالهم في تفسير أي القرآن أنّ عطف البيان يصح أنّ يجيء جملة مبيّنة لجملة وأنه لا وجه للتفرقة بينه وبين البديل في هذا المجال. ينظر: الكشاف: ١٣٨/١، ١٨٤، ٥٧٣/٢، التبيان: العكبري: ١١٢٠/٢، البحر المحيط : ٤٠٦/٨.
(9) ينظر: مفتاح العلوم: ٣٧٧، الايضاح: القرويني: ٤١١، البلاغة الاصطلاحية: ٢٦٦.
(10) مفتاح العلوم : ٣٦١ .

المقام إزالته^(١)، وهي العلاقة التي جعلها البلاغيون إحدى علاقات كمال الإتصال بين الجملتين.

وقد اشترط النحاة لعطف البيان الا يكون مضمراً ولا تابعاً لمضمراً^(٢)، ونجد في الخطاب العربي غير هذا الكلام، ومن النحاة الذين لم يلتزموا بهذه القاعدة الزمخشري إذ نجده في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾^(٣) يقول بإجازة ان تكون جملة «ان اعبدوا» بياناً للهاء في «به»^(٤)، من هنا تكون الشروط التي وضعها النحاة كلها محل نظر وتأمل؛ لأنّ هناك ما يخالفها عند غيرهم من النحاة والمفسرين فهي ليست محل إجماع عمومي.

كذلك ما اشتهر به عطف البيان عند النحاة بأن يكون في الجوامد^(٥). وقد اجاز الزمخشري ان يكون «ملك الناس» وكذلك «إله الناس» عطفاً بيان في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾.

إن عملية التفرقة بين عطف البيان والبدل أمرٌ دقيقٌ وذلك لصعوبة حصول العلم بقصدية المتكلم للتمييز بينهما، لذا ذكر النحاة ان كل ما جاز إعرابه عطفاً بيان جاز أن يكون بدلاً^(٦).

وقد توصلَ باحث حديث إلى أنّ القرآن يخلو من الأمثلة التي يوجب النحاة إعرابها عطفاً بيان، ولذلك قال: كل ما جاز ان يعرب عطفاً بيان في القرآن الكريم جاز ان يعرب بدلاً. وبهذا نتخلص من اختلاف وجوه الإعراب ورأى انّ هذا الرأي أقل جرأة مما ذكره الرضي^(٨)، وهو قوله: (وانا إلى الآن لم يظهر لي فرق جلي بين بدل الكل وعطف البيان. بل لا أرى عطفاً البيان الا البدل)^(٩)، وقد أيد الدكتور السامرائي توحيدهما في قوله: (... ولا

(1) الإيضاح: القزويني: ١١٤.

(2) مغني اللبيب: ٥١/٢.

(3) سورة المائدة: ١١٧.

(4) ينظر: الكشاف: ٦٩٦/١.

(5) البحر المحيط: ٥٣٢/٨.

(6) سورة الناس: ١، ٢، ٣.

(7) شرح ابن عقيل: ٢٢١/٢.

(8) ينظر: التقييد بالتوابع في القرآن الكريم: ١٤٤.

(9) شرح الرضي على الكافية: ٣٠٢/٢.

أرى عطف البيان الا البدل ولا داعي لادعاء الفروق بينهما ويمكن الاكتفاء بباب واحد هو البدل أو البيان^(١)، وإن جعلهما بايين ما هو (إلا ضرباً من الخيال وتعسفاً في التأويل)^(٢).

المطلب الخامس : دلالات عطف البيان في النهج^(*)

دلالة التوضيح

قال ابن مالك في تعريفه لعطف البيان بأنّه: (التابع الجاري مجرى النعت في ظهور المتبوع، وفي التوضيح والتخصيص...)^(٣)، فهو يشبه الصفة في إيضاح متبوعه^(٤) إن كان معرفة وإلا فهو مُخصَّصٌ له^(٥)، وقال ابن هشام: والايضاح في المعرفة امر (متفق عليه)^(٦).

ومن أمثلة ذلك في النهج ما قاله احدهم للإمام -عليه السلام-: (يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد)^(٧)، فقد جاءت لفظة «عاصم» عطف بيان منصوباً من لفظة «أخ»، وهي «مفعول به» منصوب للفعل «أشكو» مضاف إلى «ياء» المتكلم، ويصح ان تكون بدلاً ايضاً.

وقد جاء المتكلم بعطف البيان «عاصم» مبيّناً للوصف^(٨) «أخي» وقد أزلت «عاصم» عن المعرفة التي قبلها ما يشوبها من غموض وشيوع، وأوضحت المقصود منها ايضاحاً لا يكاد يترك اثرًا لإبهام أو اشتراك، وهي في الوقت نفسه بمعنى تلك المعرفة دون لفظها، فمدلولها ذات واحدة، على الرغم من اختلاف لفظيهما^(٩). فالأخ لفظٌ قد يكتنفه غموض لدى السامع، فعاد المتكلم وشخصه مُحدِّداً هذا الأخ لينصرف ذهن السامع إليه بعد ان لفتت انتباهه لفظة «أخي» التي لم تُحدِّده وذلك أمرٌ يدل على أهمية هذا الأمر لدى المتكلم ورغبته في نقل هذا الإهتمام إلى السامع وهو أمير المؤمنين -عليه السلام- ليُشكِّيه ويعالج هذه القضية التي حدّثه فيها.

ونظيره قول أحد أصحاب الإمام -عليه السلام-: (أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب...)^(١٠)، فقد جاء الوصف «أمير» المضاف فاعلاً، مرفوعاً، ثم جاء بعد ذلك الاسم

(1) التقييد بالتتابع في القرآن الكريم : ١٤٤ .

(2) معاني النحو : ٢٠٨/٣ .

(*) لم يوجّه شراح النهج -فيما اطلعت عليه- عناية إلى هذا التابع ودلالته قياساً إلى التتابع الآخر، كما لم أعتز فيما اطلعت على دلالات التخصيص، والتوكيد، والمدح في النهج.

(3) تسهيل الفوائد: ١٧١ .

(4) ينظر: شرح ابن عقيل : ٢١٨/٢ .

(5) ينظر: حاشية الخضري : ٥٩/٢ .

(6) اوضح المسالك: ٣٢/٣ .

(7) نهج البلاغة : ٣٢/١١ .

(8) ينظر: اللمع: ١٧٣، وقد مثل المطرزي لعطف البيان بنحو «جاعني أبو عبد الله زيد أو زيداً أبو عبد الله».

ينظر : المصباح : المطرزي : ١٠٩ .

(9) ينظر: النحو الوافي : ٥٤٠/٣ .

(10) نهج البلاغة : ٣٤٦/١٨ .

«علي» عطف بيان موضحاً للمتبوع «أمير»، ويصحّ عدّه بدلاً أيضاً، فالاسم علي شخص هذا «الأمير» وبيّنه بياناً تعريفياً من غيره.

ولهذه الصيغة نظائر أخر في النهج^(١).

ومّا ورد في النهج عطف بيان دالا على التوضيح قوله -عليه السلام- في كتاب بعثه إلى أهل مصر: (أَمَّا بَعْدُ؛ فَفَدُّ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ...؛ أَشَدَّ عَلَى الْفَجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَدْحَجٍ)^(٢)، فـ«أخو» المضافة إلى «مدحج» عطف بيان مرفوع لـ«مالك»، و«مالك» خبر مرفوع للمبتدأ «هو»، ويصلح «أخو» ان يكون بدلاً أيضاً.

ونلاحظ هنا تعدد البيان الذي استعمله الإمام -عليه السلام- وسيلة تعريفية للشخصية التي بعثها، فقد ذكر أنّ مبعوثه هو مالك بن الحارث ثم جاء بـ «أخي مدحج» ليتكامل البيان وتتضح شخصية المبعوث فلا يظل في ذهن المتلقي شكٌ بسبب اشتراك اسم أو ظنٍّ في اشتراك اسم.

ومما جاء في النهج عطف بيان، قوله -عليه السلام-: (أَمَّا وَصِيَّتِي، فَالَّةٌ ... أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَ أَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمَصْبَاحَيْنِ...)^(٣)، ونجد هنا لفظتي «العمودين»^(٤) و«المصباحين» عطف بيان جامدين منصوبين مقترنين بـ «أل»، ويصحّ كونهما بدلين أيضاً. وقد تبع اسم الإشارة «هذين» في الأولى والثانية، وقد جاء المتبوعان منصوبين لوقوعهما مفعولين للفعل «أقيموا» في الأولى، ولل فعل «أوقدوا» في الثانية، وقد قاما بتعيين المتبوع المراد إقامته والمتبوع المراد إيقاده وقد أورد الإمام -عليه السلام- عطف البيان هنا ليبين أمرين هامّين أراد إيضاحهما في وصية له -عليه السلام- قبل الموت، والأمران هما الإخلاص لله في القول والعمل، والعمل بسنة رسول الله ﷺ وعطف جملة «أوقدوا هذين المصباحين» على «أقيموا هذين العمودين» توكيداً.

ونظير ذلك قوله -عليه السلام-: (لَا يُقَاسُ بِأَلٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ)^(٥)، فقد جاء باسم الإشارة وهو اسم مبني على الكسر في محل جر بـ «من» ليذكر بعده عطف البيان «الأمّة»^(٦)، فيعين به المتبوع ويشخصه فيسوق الفكرة كاملة تامة مع لفت انتباه المتلقي واستجلاب اهتمام السامع إلى الخطاب فتغدو الفكرة أكثر ثباتاً ورسوخاً في ذهنه. وهو -عليه السلام- يستعمل هذه الصيغة غالباً لبيان أهمية الأمر الذي يتحدث فيه والتنبيه عليه. فالإمام -عليه السلام- هنا

(1) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٢/١٣، ٦/١٤، ١٤٦/١٥، ١٥٦/١٦، ١٦/١٧، ١٩/١٧، ١٤٧/١٧، ٦٨/١٨، ١٠٢/٢٠.

(2) المصدر نفسه: ١٥٦/١٦.

(3) نهج البلاغة: ١١٦/٩، ينظر: ١٤٣/١٥.

(4) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢٤٢/٣.

(5) نهج البلاغة: ١٣٨/١.

(6) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١٨٥/١.

بيّن أنّ آل محمد - صلوات الله عليهم - لا يقاس بهم أحد من هذه الأمة فقد طهّرهم الله من كل رجس^(١) وساوى الرسول ﷺ بينهم وبين القرآن^(٢).

وقد اختلف علماء النحو في هذه الصورة التي يرى سيبويه أنها نعت، وتلمس هذا الاختلاف عند ابن هشام، فقد ذكر أن من الخطأ قول كثير من النحويين في نحو: مررتُ بهذا الرجل، إنّ «الرجل» نعت، وكذلك نقل عن ابن مالك قوله: (أكثر المتأخرين يقرأ بعضهم بعضاً في ذلك، والحامل عليه توهمهم أنّ عطف البيان لا يكون إلا أخص من متبوعه، وليس كذلك: فإنه في الجوامد بمنزلة النعت في المشتق، ولا يمتنع كون المنعوت أخص من النعت، وقد هُدى ابن السيد إلى الحق في المسألة، فجعل ذلك عطفًا لا نعتًا، وكذا ابن جنبي^(٣))، وقد علل السهيلي تسمية سيبويه له نعتًا بالتسامح، كما سمى التوكيد وعطف البيان صفة^(٤).

وهذه الصيغة هي الأكثر وروداً في النهج إذ استعملها الإمام - ﷺ - أكثر من «١٣٠» مرة فيه^(٥).

ومن الصيغ التي ورد بها عطف البيان موضعاً للمعرفة المتقدمة عليه اللقب، نحو قوله - ﷺ -: (هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ)^(٦)، فـ«الأشتر» عطف بيان^(٧) منصوب من لفظة «مالك» التي وقعت مفعولاً به للفعل «أمر». وقد عيّن اللقب «الأشتر» الاسم «مالك» واتم إيضاحه بصورة لا يتداخل معها الشك في الشخصية المرادة من كلام الإمام - ﷺ - بناء على أنّ «الأشتر» لقب يمكن أن يعرف به مالك من غيره.

(1) في آية «٣٣» من سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

(2) ينظر: حديث الثقلين في صحيح مسلم: مسلم: ١٨٠/١٥، سنن الترمذي: الترمذي: ٦٢١/٥-٦٢٢، مناقب الإمام علي - ﷺ -: ١١٧-١١٨، الدرّة الباهرة من الاصداف الطاهرة: محمد بن مكي العاملي: ١٩، الكشاف المنتقى لفضائل علي المرتضى: كاظم عبود الفتاوي: ٢٠٨.

(3) مغني اللبيب: ٦٣٠/٢ - ٦٣١.

(4) ينظر: المصدر نفسه: ٦٣٠/٢ - ٦٣١.

(5) ينظر: نهج البلاغة: ١٨٤/١، ٢٣٧/١، ٢٧٢/١، ٧٤/٢، ١٨٥/٢، ٢٠٤/٢، ٢٦٥/٢، ٣٨١/٦، ٣٨٧/٦، ٤٢٣/٦، ٣١/٧، ٧٠/٧، ١٦٧/٧، ١٩١/٧، ١١٢/٨، ١٨٥/٨، ٢٩٦/٨، ٤٩/٩، ٨٤/٩، ٩١/٩، ٩٥/٩، ١١٦/٩، ١٠/١٠، ١٦/١٠، ١٨/١٠، ٢٨/١٠، ٢٥/١١، ٣٢/١١، ٩١/١١، ١٤٧/١١، ٢٥٧/١١، ١٠/١٣، ٩٥/١٣، ١٧٥/١٦، ٤٧/١٧، ٥٢/١٨، ١٦/١٩.

(6) نهج البلاغة: ٣٠/١٧.

(7) ينظر: التوضيح والتسهيل لشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: محمود احمد المكاوي وعبد الحميد شبانة عوض: ١١٨.

وقد ذكر الإمام -عليه السلام- اللقب في كلامه في النهج (٤) مرات^(١) كما ذكر في النهج أكثر من (٢٠) مرة^(٢) في حين ورد عطف البيان اسماً بعد كنية مرة واحدة^(٣)، وكذلك ورد كنية بعد اسم مرة واحدة^(٤).

نصل ممّا تقدم إلى أنّ دلالة عطف البيان في النهج هي التوضيح وعلى الرغم مما تقدم فإننا نميلُ إلى التوحيد بين عطف البيان والبدل، وهو قولٌ يؤيده جمهور النحاة الذين أجازوا في البيان ان يكون بدلاً الا في بعض المواضع. ولا أجد المواضع التي ذكرت في النهج شاهداً قوياً على وجود عطف البيان مستقلاً عن البديل، وعليه فلا داعي لذكر عطف البيان في النهج، فليس هناك ما يقطع بوجوده فيه، وإذا كان علماء النحو يفرّقون بين عطف البيان والبديل بان المقصود في عطف البيان هو الأول وفي البديل هو الثاني، نقول: فما الدليل الذي يقطع بانّ الإمام -عليه السلام- أراد في هذا الموضع الأول وأراد في آخر الثاني حتى نقول بانّ الأول عطف بيان وأنّ الثاني بدل، من هنا نصل إلى فناعة بأن عطف البيان والبديل يمكن ان ينظر إليهما على انهما موضوع واحد.

(1) ينظر : المصدر نفسه: ٩٨/١٥ ، ٣٠/١٧ ، ٣٠/١٧ ، ٣٠/١٧ ، ١٧٣/١٦ ، ٧٤/٢ .
(2) ينظر : المصدر نفسه : ٣٢٢/٢ ، ١١٩/٣ ، ٦٤/١٠ ، ٧٦/١٠ ، ١٣٠/١٠ ، ٣٢/١١ ، ١٨/١٣ ، ٩٢/١٥ ، ٤٥/١٤ ، ١٧٣/١٦ ، ١٧٣/١٦ ، ١٧٣/١٦ ، ١٧٥/١٦ ، ٢٠٥/١٦ ، ٧٤/١٨ ، ٧٤/١٨ ، ٢٢٤/١٨ ، ٢٤٠/١٨ ، ٢٦٥/١٨ ، ٢٧٥/١٨ ، ٣٤٦/١٨ .
(3) وهو ما نقل في النهج مقدمة لكلامه -عليه السلام- : (وحكى عنه أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام (...). المصدر نفسه : ٢٤٠/١٨ .
(4) وهو ايضاً مما نقل في النهج مقدمة لكلامه -عليه السلام- : (وقال عليه السلام لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق (...). المصدر نفسه : ٩٦ / ٢٠ .

الفصل الرابع

عطف النسق

مفهوم «عطف النسق» في اللغة والاصطلاح

مفهوم «العطف» في اللغة

هو ثني شيء إلى آخر، فـ(يُقَالُ فِي الشَّيْءِ إِذَا تَنَبَّيَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ إِلَى الْآخَرِ)^(١) عطفًا، فهو الإمالة والثني والرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه^(٢)، وكذلك يعني وصل آخر لأنه إذا (تعطف عليه: وصله وبرّه)^(٣)، بأن يعود عليه بزيادةٍ عنده، فهو (رجل عاطفٌ وعطوف: عائد بفضلِه حَسَنُ الخُلُقِ)^(٤).

مفهوم «النسق» في اللغة

إنَّ النسق من كُلِّ شيء هو ما كان على طريقة نظام واحد، عام في الأشياء^(٥)، متتابع^(٦) (والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطف عليه شيئًا بعده جرى مجزئًا واحدًا)^(٧)، فيقال: جاء كلامه على نسقٍ ونظام^(٨) أي جاء على نظام واحد^(٩)، ويعني (نسق الأسنان: انتظامها في النبتة وحسن تركيبها... والكلام إذا كان مُسَجَّعًا. قيل: له نسق حسن)^(١٠)، (ودرُّ نسق، أي منظوم)^(١١)، فـ («التنسيق» التنظيم)^(١٢)، والنسق بالتسكين هو مصدر نَسَقَتِ الكلام إذا عطفت بعضه على بعض^(١٣)، فإن عطف (الكلام على الكلام)^(١٤) هو جعله منسوقًا أي مُنظَّمًا كما ينسق الخرزُ في سلكه^(١٥).

ومن هنا نفهم أن معنى لفظة «عطف» في اللغة تعني الرجوع والإمالة والصلة، وزيادة في معنى العبارة ومبناها، أما لفظة «نسق» فتعني انتظام الأشياء ورجوعها إلى مأل واحد.

- (١) مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٥٧٢ «عطف» .
- (٢) ينظر: لسان العرب: ٢٤٩/٩ «عطف»، ص ٢٠٠ من هذا البحث .
- (٣) المصدر نفسه: ٢٤٩/٩ «عطف»، المعجم الوسيط: ٦٠٨ «عطف» .
- (٤) لسان العرب: ٢٤٩/٩ «عطف» .
- (٥) ينظر: العين: ٨١/٥ «نسق»، معجم مقاييس اللغة: ٤٢٠/٥ «نسق»، لسان العرب: ٣٥٣-٣٥٢/١٠ «نسق»، مختار الصحاح: ٦٥٧ «نسق» .
- (٦) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٢٠/٥ .
- (٧) لسان العرب : ٣٥٢/١٠ «نسق»، ينظر: مختار الصحاح: ٦٥٧ «نسق» .
- (٨) ينظر: أساس البلاغة: ٧٤٩/٢ «نسق» .
- (٩) ينظر: لسان العرب: ٣٥٣/١٠ «نسق» .
- (١٠) المصدر نفسه : ٣٥٣/١٠ «نسق»، مقاييس اللغة: ٤٢٠/٥ «نسق» .
- (١١) مجمل اللغة : ٦٤٦ «نسق» .
- (١٢) مختار الصحاح: ٦٥٧ «نسق» .
- (١٣) لسان العرب : ٣٥٣/١٠ «نسق»، ينظر : مختار الصحاح: ٦٥٧ «نسق» .
- (١٤) مجمل اللغة: ٦٤٦ «نسق» .
- (١٥) ينظر: مختار الصحاح: ٦٥٧ «نسق» .

مفهوم «عطف النسق» في الاصطلاح

فيما مضى من البحث ذكرنا^(*) أن النحاة قد استعملوا مصطلح «العطف» في تسمية بابين من أبواب التوابع، هما: «عطف البيان»، و «عطف النسق»، كما استعملوا مصطلحا عاما يشمل البابين الفرعيين، وهو مصطلح «العطف» .

ولم يستقر النحاة على هذه المصطلحات الثلاثة إذ ظلت موضع خلاف بين البصريين والكوفيين، فكان لكل منهما مصطلحاته الخاصة في باب العطف حتى أنهم استعملوا أكثر من مصطلح للتعبير عنه.

ولم يُعرّف سيويوه عطف النسق. وقد عرّفه من جاء بعده، ومنهم الرُّماني، فقال: إنه (تبع للأول على طريق الشركة)^(١).

وقال ابن الحاجب: هو (تابع مقصودٌ بالنسبة مع متبوعه، يتوسّط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة)^(٢).

أما ابن عصفور فقال: إنه (حملُ الاسم على الاسم، أو الفعل على الفعل، أو الجملة على الجملة، بشرط توسط حرف بينهما)^(٣).

على حين اختصر ابن مالك عطف النسق ، فقال: بأنه (المجول تابعا بأحد حروفه)^(٤).

وعرّفه الرضي بأنه: (تابعٌ يتوسط بينه وبين متبوعه أحدُ الحروف العشرة)^(٥)(**).
أما ابن يعيش فقد كان أطول نفسا وأكثر تفصيلا في تعريفه إذ يرى أنه: تابعٌ مقصود بالنسبة مع متبوعه يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العاطفة وهو أما أن يشترك بين الأول والثاني بالحكم والإعراب، وأما أن يشترك بينهما بالإعراب فقط^(٦).

وهذا الاشارة هو الفائدة المتحققة في عطف المفردات، إذ إنّ العطف (هو ربط بين المفردات والجملة بواسطة احد حروف العطف)^(٧). أمّا فائدته في عطف الجمل فهي تحقق

(*) في ص ٢٠٢ من هذا البحث .

(١) الحدود: الرماني: ٣٩ .

(٢) الكافية في النحو «متن شرح الرضي على الكافية»: ٢٦٥/٢ .

(٣) المقرب: ٢٥١ .

(٤) التسهيل: ١٧٤ .

(٥) شرح الرضي على الكافية : ٢٦٥/٢ .

(**) وبمثله قال ابن عقيل . ينظر: شرح ابن عقيل: ٢٢٤/٢ .

(٦) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٧٦/٢، التعريفات: ١٥٦ .

(٧) المعجم المفصل في علوم اللغة: ٤٠٩/٢ .

المعنى المراد لتمام الحصول على مضمون الجمل أي إنه يحقق وحدتها الدلالية في الجمل المكونة للنص، وهو ما يسمى بالاتساق^(١).

إن مصطلح العطف أي «عطف النسق»^(٢)، ومصطلح الإشراك^(٣)، والشركة^(٤)، والضم^(٥)، وحروف الإشراك^(٦) التي تعني حروف العطف مصطلحات ذُكرت في كتاب سيبويه، وقد ترددت على لسان الخليل^(٧).

وإن أقدم كتاب نحوي وصل إلينا استعمل فيه مصطلح «النسق»^(٨) هو كتاب «معاني القرآن» للفراء «ت ٢٠٧هـ»، وقد استعمل مصطلحات آخر منها «الرد»^(٩) و«العطف»^(١٠)، وكان يعبر عنه، بـ «الكر»^(١١) أحيانا.

وقد استعمل الكوفيون مصطلح «النسق» على نطاق واسع^(١٢)، وقد شاع لديهم بكثرة، بيد أننا نجد أن من البصريين من يستعمل مصطلح النسق -أيضا-، فيقول خلف الأحمر البصري^(١٣) «ت ١٨٠هـ»: (فإذا أتيت برفع ثم نسقت بشيء من حروف التنسيق رددت^(**) على الأول، وكذلك إذا نصبت وخفضت ثم أتيت بحروف النسق رددت على الأول، وحروف النسق خمسة، وتسمى حروف العطف، وقد ذكرها الخليل بن أحمد في قصيدته في النحو)^(١٤)، كذلك نجد هذا المصطلح في قول المبرد:

(1) ينظر: الاتساق في العربية -دراسة في ضوء علم اللغة الحديث: جبار سويس حنيحن الذهبي، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، بإشراف: د. نهاد فليح ود. حسن العاني، «رسالة ماجستير»، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٥م: ٩٤، اسرار التشابه الاسلوبي في القرآن الكريم: ١١٣-١١٤.

(2) ينظر: الكتاب: ٢٧٨/١، ٢٩٨.

(3) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨٢/٣، مكانة الخليل بن أحمد: ١٦٤.

(*) ويعني عطف النسق.

(4) ينظر: الكتاب: ٤٤١/١، ٣٧٧/٢-٣٧٨.

(5) ينظر: المصدر نفسه: ٥٠١/٣-٥٠٢.

(6) ينظر: المصدر نفسه: ٥٩/٢.

(7) مكانة الخليل بن أحمد: ١٦٤.

(8) ينظر: معاني القرآن: الفراء: ٤٤/١، ٥٩، ٧٢، ٦٨/٢، ٧٠، نحو القراء الكوفيين: ٣٤٥. وقد رأى الدكتور المخزومي أن اصطلاح الكوفيين أدق من اصطلاح البصريين لاختصاره وغناؤه عن التخصيص والتقييد. مدرسة الكوفة: ٣١٥.

(9) ينظر: معاني القرآن: الفراء «على سبيل المثال»: ٨٧/١، ١٢٤، ٩٧/٢، نحو القراء الكوفيين: ٣٤٥.

(10) ينظر: معاني القرآن: الفراء: ٢٦/١، ٢٧، ٢٢٨/٢، ٢٧٦/٢.

(11) ينظر: المصدر نفسه: ٨/١.

(12) ينظر: مجالس ثعلب «على سبيل المثال»: القسم الاول: ٦٠، ١٤٦، ٣٢٤.

(13) خلف بن حيان، أبو محرز، المعروف بالأحمر «ت ١٨٠هـ» كان عالما باللغة والأدب، وأحد رواة الغريب والشعر ونقاده، والعلماء به وبقائله وصناعاته. قيل: كان يصنع الشعر وينسبه إلى العرب. له «ديوان شعر»، وكتاب «جبال العرب»، و «مقدمة في النحو». ينظر: بغية الوعاة: ٥٥٤/١، وإنباه الرواة: ٣٨٣/١-٣٨٥.

(**) أي عطف على الأول.

(14) مقدمة في النحو: ٨٥.

فالتى تنسق ثم تنسق هاهنا؛ كما كان ذلك في الواو والفاء وثمّ، وجميع حروف العطف^(١)، فمصطلح النسق هو الآخر من مصطلحات الخليل^(٢)، وقد استعمل من جاء بعد سيبويه من البصريين مصطلح العطف للدلالة على هذا الباب^(٣)، وأكثر النحاة جمع بين المصطلحين، فقال: «عطف النسق» أي العطف في الكلام المنسوق بعضه على بعض^(٤).

وقد أطلق أبو عبيدة معمر بن المثنى «ت٢٠٩هـ» تسمية «الموالة» على العطف بالحرف في كتابه «مجاز القرآن»^(٥)، والحقيقة هي أنه من مصطلحات الخليل^(٦) أيضا.

صلة عطف النسق الدلالية بين مفهومي «العطف» و «النسق» في اللغة والاصطلاح

إن مصطلح العطف وثيق الصلة بمعناه اللغوي إذ إن المعطوف يرجع على المعطوف عليه في الإعراب^(٧)، قال بعضهم: (والعطف في النحو عبارة عن ردّ آخر الكلام على أوله حتى يصير في مثل حاله من الإعراب)^(٨)، ومن تعريفات العطف يظهر لنا معناه في نحو: «صدّق محمد وعلي»، فـ «الواو» تثنت وأرجعت «عليا» على «محمد»، فجرى على «علي» ما جرى على «محمد» من فعل «الصدق» وتبعه في إعرابه، لذلك ينبغي إرجاع الثاني على الأول في الحكم والإعراب (لأنه شريكه في العمل)^(٩)، بيد أن المتقدمين من النحاة لم يقصدوا في «العطف» أكثر من معنى «التبعية» في الحركة الإعرابية، قال ابن يعيش: (وسُمّي هذا القبيل عطفًا، لأن الثاني مثنيّ إلى الأول، ومحمول عليه في إعرابه)^(١٠)، وإرجاع الثاني إلى الأول في الحكم أمرٌ غير ممكن في بعض الأحيان كقولك: «صدق محمدًا لا خالدًا»، وبهذا فمصطلح العطف لا يعبر بدقة عن العلاقة المعنوية القائمة بين «المعطوف» و «المعطوف عليه»، فقد لا يكون بينهما عطف معنوي تأسيسا على كلام ابن يعيش في نظرته لمعنى العطف.

أما إطلاق النحاة حروف النسق على حروف العطف فذلك لأنها تجعل الكلام على نظام واحد ومجرى واحد^(١١) حين تعطف بعضه على بعض^(١).

(١) المقتضب : ٣٩/٢ .

(٢) ينظر: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري: عوض القوزي: ١٦٩.

(٣) وسموا هذه الحروف بحروف العطف. ينظر: مكانة الخليل بن أحمد: ١٦٤.

(٤) ينظر: حاشية الخضري: ٦٠/٢ .

(٥) ينظر: مجاز القرآن : ٦٥ ، ٦٠/١ ، ٦٦ .

(٦) ينظر: الجمل في النحو: الفراهيدي: ١٤٦ .

(٧) ينظر: للمع: ١٧٤، المرتجل: ٢٤٤ .

(٨) المحرر : ٩٩٣/٢ .

(٩) المقتضب : ٢١١/٤ .

(١٠) شرح المفصل: ابن يعيش: ٣/٥ ، ينظر: المحرر: ٩٩٣/٢ .

(١١) ينظر: لسان العرب: ٣٥٣/١٠ «عطف»

ويبدو أن الكوفيين قد قصدوا إلى معنى المتابعة بين المعاني المنفصلة وتنظيمها في عبارة واحدة مستوية مترابطة الأجزاء، تعطي المتلقي معنى متكاملًا^(٢)، فالعطف من وسائل الربط المهمة في النص، وقد عد العطف في علم اللغة النصي من أهم وسائل الاتساق وأكثرها شيوعاً؛ فالجملة المركبة -كما يرى كرسنال- تتكون من عبارة أساسية ومجموعة من العبارات الأخر التي تعتمد على العبارة الأولى، والرابط بين هذه العبارات هو أدوات العطف التي تقوم بوظيفتها في تحقيق التماسك الذي يخلق نصاً متسقاً ذا دلالة واحدة^(٣)، ولذا يمكننا القول: بأن مصطلح النسق أكثر دقة في التعبير عن دلالة هذه الحروف ووظيفتها من مصطلح «العطف».

عدد الحروف

قد نشأ بين النحاة على مسار الدرس النحوي خلاف واسع حول عدّة حروف النسق وتحديداتها، وحول الحالات التي تكون فيها عاطفة، فحددها سيبويه في كتابه بأحد عشر حرفاً^(٤)، مضيفاً إليها «لا بل»^(٥)، وهكذا درسها المبرد^(٦)، وابن السراج^(٧)، من المتقدمين^(٨)، وهي عند النحاة عشرة، بيد أن أبا علي الفارسي عدّها تسعة بعزله «إما» عنها^(٩)، وهي (تعطف الاسم على الاسم، والفعل على الفعل، والماضي على الماضي، والمستقبل على المستقبل، والأمر على الأمر، والجملة على الجملة)^(١٠).

العامل في العطف

قد اختلف أئمة العربية في العامل في المعطوف، وللنحاة فيه ثلاثة أقوال^(١١).
١- إن العامل فيه هو العامل في المعطوف عليه، وهو مذهب سيبويه^(١) وجمهور المحققين^(٢).

-
- (١) ينظر: همع الهوامع: ١٥٥/٣، لسان العرب: ٣٥٣/١٠ «عطف»
 - (٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: صبحي الصالح الفقي: ٢٥٨/١ .
 - (٣) ينظر: الاتساق في العربية دراسة في ضوء علم اللغة الحديث: ١١٨ .
 - (٤) لم ينص على تحديد حروف النسق، ولكن يفهم من عباراته كما في المواضع الآتية: الكتاب: ٤٣٥/١، ٤٤٠/١، ١٤٦/٢ .
 - (٥) وقد جرى عرف النحاة من بعده على دراسة «لا بل» في خلال حديثهم عن «بل» على أساس أن «لا» جاءت لتأكيد معنى الإضراب. ينظر: تسهيل الفوائد: ١٧٧، مغني اللبيب: ٢٢٢/١، همع الهوامع: ١٨٠/٣ .
 - (٦) المقتضب: ١٠/١، ١٢-١٠/١، ٢٩٨/٤ .
 - (٧) الأصول: ٥٥/٢، ٦١ .
 - (٨) هكذا وردت عند أصحاب الشروح والحواشي من المتأخرين. ينظر: المقرب: ٢٥١، شرح جمل الزجّاجي: ابن هشام: ١١٥ .
 - (٩) ينظر: اللمع: ١٧٤، المحرر: ٩٩٣/٢ .
 - (١٠) المحرر: ٩٩٣/٢، ينظر: المقرب: ٢٥١ .
 - (١١) ينظر: الفصول المفيدة في الواو المزيدة: صلاح الدين كيلكدي: ٥٧، شرح الرضي على الكافية: ٢٢٦-٢٢٧/٢ .

٢- إن العامل في المعطوف حرف العطف لأنه إنما وضع لينوب عن العامل ويغني عن إعادته، فلما أغنت الواو في نحو: «قام زيدٌ وعمرو» عن إعادة «قام» مرة أخرى قامت مقامه فرفعت ونصبت وخفضت وجزمت ما بعدها.

وقد اختار هذا القول ابن السراج^(٣)، وذكر منسوباً إلى أبي علي الفارسي وأبي الفتح ابن جني^(٤)، وقال به الرماني^(٥) (*) أيضاً.

٣- إن العامل في المعطوف هو فعل محذوف مقدر بعد حرف العطف، من جنس الفعل العامل في المعطوف عليه، وحرف العطف دالٌّ على المقدّر^(٦).

وقد جاء في شرح المفصل^(٧) أن هذا هو اختيار الفارسي وابن جني^(٨)، وهو ما اختاره أبو القاسم السهيلي^(٩) (**).

المبحث الأول

دلالة الحروف التي تشترك المعطوف مع المعطوف عليه مطلقاً، أي لفظاً وحكماً، ودلالاتها الجمع، وهي: «الواو، والفاء، وثمّ، وحتى»^(١٠).

المطلب الأول : دلالة «الواو»

هي حرف معناه: إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول^(١١)، وهي أصل حروف العطف لأنها تدل على الجمع والاشتراك وغيرها يدل على الاشتراك وعلى معنى زائد كالترتيب

-
- (١) ينظر: الكتاب: ٤٣٧/١، ٤٣٩، شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٧٧/٢-٢٧٨.
- (٢) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٧٨/٢، شرح اللمع: ٢٣٧/١.
- (٣) ينظر: الأصول: ٧٠/١.
- (٤) قال في الخصائص: (إن العامل في المعطوف غير العامل في المعطوف عليه): ٤٠٩/٢.
- (٥) ينظر: توجيه أبيات مُلغزة: الرُّماني: ١٣٩.
- (*) وقد اعترض عليه بأن الحرف لا يعمل عند البصريين حتى يكون مختصاً وحروف العطف غير مختصة فلا تصلح للعمل لأنها تدخل على الأسماء والأفعال. ينظر: الفصول المفيدة: ٥٨، شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٢٦١/١.
- (٦) ينظر: شرح اللمع: العكبري: ٢٣٧/١.
- (٧) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٤/٥، وذكر الشيخ الرضي في شرح الكافية: إنه قول الفارسي في الإيضاح وابن جني في سر الصناعة. ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٢٦/٢.
- (٨) ينظر: الخصائص: ٤٠٩/٢، ١١١/٣.
- (٩) ينظر: نتائج الفكر: ٦٤.
- (**) و اعترض الجمهور على هذا القول بأن الاصل عدم التقدير، إلا أن يقوم دليل، ولا دليل هنا. ينظر: تفصيل الاعتراضات في شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٢٦١/١، والفصول المفيدة: ٥٩.
- (١٠) ينظر: التوطئة: ١٨٥، شرح الوافية نظم الكافية: ابن الحاجب: ٣٩٨، تسهيل الفوائد: ١٧٤، شرح المفصل: ابن يعيش: ١٣/٥، حاشية الصبان: ٩٠/٣.
- (١١) ينظر: المقتضب: ١٠/١، الأصول: ٥٥/٢، الجمل: الزجاجي: ٣٠، ٣١.

والمهلة، والشك وغير ذلك^(١)، لذا قال جمهور النحاة: إن الواو تفيد مطلق الجمع^(٢)، قال الرضي: (هذا مذهب جميع البصريين والكوفيين)^(٣). ودلالاتها عليه أعم من دلالتها على العطف وذلك أتا لا نجدها تعرى من معنى الجمع، وقد تعرى من معنى العطف^(٤).

أما المقصود بـ «الجمع» عندهم فهو اجتماع المعطوف والمعطوف عليه في كونهما محكوما عليهما، كما في «جاعني زيدٌ وعمرو»، أو في كونهما حُكْمين على شيء، نحو: «زيدٌ قائمٌ وقاعدٌ». أو في حصول مضمونيهما، نحو: «قام زيدٌ وقعد عمرو»^(٥)، وهي بهذا تأتي للجمع المطلق بين المتعاطفين والإشراك بينهما في المعنى والإعراب بلا تعيين أيهما استحق نسبة الحكم قبل الآخر^(٦) ذلك بانّ قولك: مررتَ بعمرو وزيد...جئت بالواو لتضم الآخر إلى الأول وتجمعهما، وليس فيه دليل على أن أحدهما قبل الآخر^(٧).

ويقول ابن هشام في ذلك: (أما الواو فلمطلق الجمع فتعطف متأخراً في الحكم نحو:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾^(٨)، ومتقدماً نحو: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٩)، ومصاحباً

نحو: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾^(١٠)^(١١) وبذلك يكون قصد النحاة من كلمة «مطلق» في العطف

الاجتماع في الفعل من غير تقييد بحصوله من المعطوف والمعطوف عليه في زمان، أو بسبق أحدهما الآخر. فتقول: مررت بالكوفة والبصرة، فجاز أن تكون البصرة أولاً كما قال الله عزّ

(١) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٦/٥، وهذا هو رأي الأعلام. ينظر: الأشباه والنظائر: ١١٨/٢، أسرار العربية: ٣٠٢، المحرر: ٩٩٤/٢-٩٩٥.

(٢) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٦/٥، مفتاح العلوم: ١٨٧، الجنى الداني: ١٥٨، شرح الرضي على الكافية: ٣١٠/٤، المحرر: ٩٩٤/٢-٩٩٥.

(٣) شرح الرضي على الكافية: ٣١٠/٤.

(٤) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٦/٥-٧.

(٥) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٠/١، ٣١١/٤.

(٦) ينظر: التوابع في كتاب سيبويه: ٦٨.

(٧) الكتاب: ٢١٦/٤، ينظر: المقتضب: ١٠/١.

(٨) سورة الحديد: ٢٦.

(٩) سورة الشورى: ٣.

(١٠) سورة العنكبوت: ١٥.

(١١) أوضح المسالك: ٣٥٦/٣.

وجل: ﴿سُجْدِي وَارْكَبِي مَعَ الرَّاَكِبِينَ﴾^(١) والسجود بعد الركوع^(٢)، فالواو حرف لا يفيد ترتيباً ولا معية إلا بقرينة غيره^(٣)(*)، و (لا أصل له في الترتيب)^(٤).

إن دلالة الحرف تتعاضد مع دلالة السياق، وللتركيب أثره الواضح في هذا الأمر (لأن حرف العطف لا يخلو من أن يكون عاطفاً مفرداً على مفرد، أو جملة على جملة)^(٥)، فمن الأول قولنا: «رأيتُ زيدا وعمراً»، ومن الثاني قولنا: «عليُّ يُحسِنُ إلى الفقراء، ويُعين الضُّعفاء».

والواو قرينة من القرائن اللفظية في التركيب، وظيفتها الربط بين المتعاطفين، ودلالاتها الجمع بينهما، بيد أن هذه القرينة مبهمة زمنياً لذا تفتقر إلى قرائن آخر في السياق، تُعين على فهم الزمن النحوي في حين أن «الفاء» و«ثمّ» تؤديان دلالة الجمع كما في «الواو» إلا أنهما تؤديان دلالة في الزمن النحوي، وهي الترتيب في ذلك الجمع.

قال الزملكاني «ت ٦٥١ هـ»: (واعلم أن العطف ضربان: عطف مفرد على مفرد، وعطف جملة على جملة)^(٦)، و«الواو» تصلح لعطف المفرد على المفرد، وكذلك الجملة على الجملة^(**)، وتختص بأحكام^(٧)، وسأذكر ما يعنينا منها ويتعلق بالموضوع: **الفرع الأول: دلالة الجمع**: وفيما يلي حالات من العطف بالواو تؤدي الواو فيها دلالة الجمع، في حين يقوم السياق بإيضاح زمن ذلك الجمع، فالسياق هو الذي يحدد الزمن النحوي في تراكيب الواو، لا الواو نفسها.

(1) سورة آل عمران : ٤٣ .

(2) ينظر: المقتضب : ١٠/١ ، الأصول : ٥٥/٢ .

(3) ينظر: اللمع : ١٧٤، المفصل : ٣٠٤ .

(*) وذهب جماعة من النحاة إلى أن الواو تدل على الترتيب وقد نسب الرماني هذا الرأي إلى قطرب، وعلي بن عيسى الربعي، ينظر : معاني الحروف: الرماني: ٥٩. ونسبه الرضي إلى الفراء والكسائي، وثعلب والربعي، وابن درستويه . ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٣٦٤/٢، ونسبه المالقي إلى الكوفيين عامة. ينظر: رصف المباني : ٤١١-٤١٢، شرح الاشموني: ٤١٨/٤ .

(4) المقتصد : ٩٣٨/٢ .

(5) هذا قول أبي علي الفارسي، نقله الشراح. ينظر: شرح اللمع: العكبري: ٢٥٨/١، شرح المفصل، ابن يعيش: ٥/٥ .

(6) التبيان في علم البيان: الزملكاني : ١٢٨ .

(**) ولما يشترك فيه هذان النوعان من العطف من دلالات آثرت دراسة الأول منهما «عطف المفرد على المفرد» ضمن دراسة دلالات العطف، ثم أفردت الآخر «عطف الجملة على الجملة» في عنوان مستقل لدراسة ما يتضمنه من دلالات خاصة به.

(7) قال السيوطي: الواو أصل حروف العطف ولهذا انفردت عن سائر حروف العطف بأحكام). الأشباه والنظائر: ١١٨/٢، ينظر: همع الهوامع: ١٥٦/٣ .

أولاً: الواو تدل على الجمع بين المتعاطفين والسياق يدل على الزمن الواحد (١) .
من ذلك قوله -عليه السلام-: (وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوْلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنَقَاشِ الْحِسَابِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ، خُضُوعاً قِيَاماً...) (٢) أي يجمع بينهم في نقاش الحساب، وقد جاء المعطوف «الآخرين» مفرداً منصوباً، تبعاً للمعطوف عليه «الأولين» المفرد، فـ «الأولين» مفعول به منصوب.
يدل سياق الكلام على أن الجمع بين الأولين والآخرين يقع في زمن واحد، ولكن دلالة المصاحبة لم تؤدّها «الواو» في حدّ ذاتها، وإمّا دل الحدث في الفعل «يجمع» على ذلك لأن معنى هذا الفعل قرينة التضام الافتقاري إلى التعدد في الزمن الواحد سواء بالعطف كما رأينا المثال، أو بالتثنية، أو بالجمع (٣) .

وهنا شرح الإمام -عليه السلام- حال يوم القيامة، وعنى بالنقاش استقصاء الحساب، فهو يوم يُجمع فيه الناس وقد اشتملتهم ذلة الخوف وانتظار المصير المجهول بجزء الأعمال إن خيراً فخييراً وإن شراً فشيئاً، وإن جمع الأولين والآخرين بهذا العدد الهائل على صعيد واحد، وفي زمن واحد وقوفاً محاسبين يزيد في رعب المجموعين وخضوعهم فأى يوم هذا اليوم! وكيف يتهاون الإنسان في الاستعداد له!.

يتضح مما أشرت إليه من أمثلة (*) أنه لا يجوز هنا الاقتصار على المعطوف عليه وحده، فلا يصح القول: «جمع زيدٌ عمراً»، ولكن يصح: «جمع زيدٌ عمراً وخالداً». وقد أصاب النحاة كثيراً في تسمية هذه الحالة من الجمع بـ: عطف ما لا يُغني متبوعه، أو عطف ما لا يستغنى عنه (٤).

إن القرينة المقالية في هذا الفعل وأقصد «معنى الفعل» هي التي دلت على المصاحبة، وهي التي جعلته محتاجاً -عند استعمال تركيب العطف معه- إلى حرف نسق يتسم بالإبهام زمنياً، فكان «الواو» هو الحرف المناسب لهذا الغرض، ولهذا لا يجوز العطف في مثل هذه الحال بـ «الفاء»، أو بـ «ثمّ» مثلاً؛ لأنهما حرفان دالان على الترتيب في الزمن، وإن استعمال أي منهما هنا يحدث تناقضاً بين دلالاته ودلالة المصاحبة في الفعل، وقد تتبّه النحاة

(1) ينظر: الأشباه والنظائر : ١٨/٢ .

(2) نهج البلاغة : ١٠٢/٧ .

(3) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٨/٦، ٢٦١/١٠، ١٣٥/٧ .

(*) ينظر: هامش ص ٢٩٤ من هذا البحث .

(4) ينظر: مغني اللبيب: ٣٩٣/١، همع الهوامع: ١٥٦/٣، الأشباه والنظائر: ١١٩/٢، شرح الأشموني: ٤١٨/٤ - ٤١٩ .

على ذلك فخصّوا «الواو» بالعطف في هذه الحال^(١)، ونرى أن «الواو» لم تؤدّ في هذا التركيب وظيفة الاختصار، والاختصار من الوظائف المهمة في العطف.

ونظير هذا أيضا الفعلان «يستوي»، و«يتكافأ» في قوله -عليه السلام-: (لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصَّفَاتُ الْمُحَدَّثَاتُ وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِعُ وَالْبَدِيعُ...) ^(٢)، وقد جاء المتعاطفان «الصانع» و«المصنوع» مفردين، وتبع «المصنوع» «الصانع» في إعرابه، ف «الصانع» فاعل مرفوع^(٣) للفعل «يستوي»، وقد عطف جملة «يتكافأ المبتدع والبديع» على جملة «يستوي الصانع والمصنوع»، والجملة مؤكدة لفحوى الكلام السابق، وجاء البديع مفردا معطوفا على «المبتدع» المعطوف المفرد، و «المبتدع» فاعل للفعل «يتكافأ» مرفوع، ولذا جاء «البديع» مرفوعا تبعا له.

والإبداع هو إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء، فإذا استعمل في الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان وليس ذلك إلا الله^(٤) تعالى، والقرينة المقالية في العبارة الأولى هي المادة الاشتقاقية في الفعل «يستوي» أي «سوى» المتضمنة قرينة التضام الافتقاري إلى التعدد^(٥).

أما القرينة المقالية في العبارة الثانية فهي المبنى الصرفي للفعل «يتكافأ» أي «يتفاعل»، وهو مبنى متضمن قرينة التضام الافتقاري للتعدد أيضا.

وهنا قصد -عليه السلام- إلى تنزيه الباري عن الحدوث، فلو كان محدثا لجرت عليه صفات الأجسام المحدثّة، فلم يكن بينه وبين الأجسام المحدثّة فرق، فكان يستوي الصانع والمصنوع^(٦)، ويتكافأ وهذا أمر محال فالله تعالى موجود أوجد الكائنات، وقديم أحدث الموجودات.

ولهذه الدلالة في هذا الحرف نظائر أخر في النهج^(٧).

ثانيا: «الواو» تدل على الجمع بين المتعاطفين، والسياق يدل على الزمن المتعدد^(٨).

(1) ينظر: مغني اللبيب: ٣٩٣/١، همع الهوامع: ١٥٦/٣، شرح الأشموني: ٤١٨/٤-٤١٩.

(2) نهج البلاغة: ٨٧/١٣.

(3) قال الزملكاني: إن عطف المفرد على مثله يحصل مشاركة الثاني للأول في الإعراب ليعلم أنه مثل الأول في فاعليته أو مفعوليته أو حكم خاص من دون غيره. التبيان في علم البيان: الزملكاني: ١٢٩.

(4) ينظر: مفردات الفاظ القرآن الكريم: ١١٠-١١١.

(5) ينظر: الخلاصة النحوية: د. تمام حسان: ٨٠، أساليب العطف: ٥٤.

(6) ينظر: شرح النهج: ٨٨/١٣.

(7) ينظر: نهج البلاغة: ٢٨٨/١، ٦/٤، ٢٨٥/٧، ٤/٨، ٥-٤/٨، ١٤٧/٩، ١٨٣/٩، ٢٦١/١٠، ١١٧/١٥، ١٣١/١٧.

يمكن استعمال «الواو» بين متعاطفين متغايرين في الزمن، كما في استعمال «الفاء» و«ثم»، فـ «الواو» و«الفاء» و«ثم» تتفق في الدلالة على الجمع بين المتعاطفين إلا أنّ الواو لا تخلو من الدلالة الزمنية، ويترك للسياق مهمة تحديد ذلك بين المتعاطفين. إن دلالة المعطوف عليه في استعمال «الفاء» و«ثم» دائما هي إنه المتقدم في الزمان على معطوفه، في حين لا يمكننا أن نستدل من الواو على سبقه للمعطوف إذ إنها لا تدل على أي المتعاطفين سابق وأيها لاحق، فقد يربك المتكلم المتلقي عند تقديمه ما يشاء من المتعاطفين بالواو دون التقيّد بالنظر إلى ترتيبهما في الزمن.

ومن أمثلة ذلك قوله -عليه السلام-: (أَمْ هَذَا الَّذِي أُنشَأُ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَ شُغْفِ الْأَسْتَارِ؛ نُطْفَةَ دِهَاقًا، وَ عَلْقَةَ مِحَاقًا، وَ جَنِينًا وَ رَاضِعًا، وَ وِلِيدًا وَ يَافِعًا؛ ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا...) (٢)، إن العطف هنا من قبيل عطف المفردات، فقد عطف «شغف الأستار» على «ظلمات الأرحام»، فجاءت لفظة «شغف» مجرورة كما جاء المتنوع «ظلمات» مجرورا، لتقدم حرف الجر «في» عليه، وقد عطف «علقة»، و«جنينا»، و«راضعا»، و«وليدا»، و«يافعا» على «نطفة»، فجاءت كلها منصوبة تبعا للمتنوع «نطفة»، وهو حال مفرد منصوب.

وهنا لا تتجاوز دلالة «الواو» الجمع على الرغم من أن هذه المراحل جاءت مرتبة بحسب تسلسلها الطبيعي (٣) (*)، وأنها تقع على حقب زمنية قد تبدو متباعدة أيضا، فقد ذكر -عليه السلام- الإنسان من حين ابتداء وجوده إلى حين مماته، وقد أراد بهذا التسلسل الزمني لمراحل الخلق بيان عناية الله تعالى بهذا الكائن، وقدرته عليه، فقد جمع له صفات الكمال البدني ليزيد عليها فضلا بصفات الكمال المعنوي الذي تفيده «ثم» في عبارة «ثم منحه قلبا حافظا».

وقد ابتدأ -عليه السلام- كلامه مستقهما (٤)، أو عادلا عما وعظهم به، فكأنه يقول: بل أتلو عليكم نبأ هذا الإنسان الذي حاله هذه، إذ كان في ظلمات (٥) بدن الزوجين أي أنه صغير

(1) ينظر: الأشباه والنظائر : ١١٨/٢ .

(2) نهج البلاغة : ٢٦٩/٦ .

(3) ينظر: المصدر نفسه : ٢٧٠/٦ .

(*) وذلك فيما عدا شغف الأستار إذ إنها أسبق زمنا من ظلمات الأرحام .

(4) ذكر الشراح أن لـ «أم» هنا معنيين، وهما: أن تكون استفهامية على حقيقتها، كأنه قال: أعظمكم وأذكركم بحال الشيطان وإغوائه، والأخر الاضراب. ينظر: منهاج البراعة: الراوندي: ٣٤٣/١، شرح النهج: ٢٧٠/٦، مصباح السالكين: ٢٦١/٢، منهاج البراعة: الخوئي: ٢٦/٦، نهج البلاغة: الشيخ محمد عبده: ١٤٠/١، في ظلال نهج البلاغة: ١٧٠/٢، صفوة شروح نهج البلاغة: أركان التميمي : ١٧٩ .

(5) يمتاز كلامه -عليه السلام- بموافقته القرآن الكريم، قال تعالى ﴿يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ «سورة الزمر: ٦»، وكذلك يمتاز بالدقة، «و شغف الأستار» تعني الأغلفة الساترة، فالشغف: جمع شغاف، بفتح الشين، وأصله غلاف القلب... والدهاق: المملوءة، ويروى «دهاقا» من دفقت الماء أي صببته... وقال: «علقة محاقا»، أي ناقصة لم تتصور بعد بصورة الإنسانية وأتى بهذه

وحقير وجاهل، ثم راح يذكر مراحل نموه حتى يرى النور، ثم انتقله إلى مرحلة الشباب ليصل بهذا الكائن إلى نور المعرفة من بعد تلك الظلمات، بيد أن الإنسان لا يتعقل ولا يرعوي لاتباعه هواه واستكباره حتى يرد يانه، فالعطف بـ«الواو» هنا دل على التسلسل المنطقي لزمن نشوء الإنسان وتطوره، والذي منح «الواو» هذه الدلالة هو السياق الذي وردت فيه «الواو» عاطفة، ذلك بأن دلالة «الواو» ترد لمطلق الجمع كما عبر النحاة غير أن الذي يشخص الابتداء الزمني أو التأخر الزمني بين المعطوفات هو سياق الكلام ذاته لا «الواو» العاطفة.

نظيره قوله - ﷺ -: (عِبَادَ اللَّهِ! أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ... فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَرَزُ وَالْجَنَّةُ، وَ فِي غَدِ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ...) (1) فقد جاء الجار والمجرور «في اليوم» معترضين بين اسم «إن» «التقوى» وخبرها «الحرز» وذلك لعناية الإمام - ﷺ -، وتركيزه على فكرة الزمن ليبين معطيات «التقوى»، فقدم المتعاطفين - الجار والمجرور - على الخبر «الحرز» في الأولى، والجار والمجرور على «الطريق» في الثانية، إذ ينصح الإمام - ﷺ - بالتزام «تقوى الله»، فإنها المناعة والوقاية (2) والحرز في الدنيا (3)، فالاحتراز بها - اليوم - موصل إلى الجنة في الأخرى بل هي - التقوى - الطريق إليها في غد، ومن هنا انطلق الإمام - ﷺ - مخاطبا الناس مبتدأ بالنداء «عباد الله»، فذكرهم بعبوديتهم له تعالى، ثم أوصاهم بما يمثل طوق النجاة والسلامة للعبد، مؤكدا ذلك باستعمال الجملة الاسمية الدالة على الثبات، المؤكدة بـ«ان» ثم نراه يركز على عنصر الزمن ليصب المتعاطفين المتساوقين في مجرى واحد، ويصل بينهما في نهاية العبارة إلى خاتمة هذا الطريق الأبدي، وهي الجنة.

وقد أتى - ﷺ - بجناس بديع في قوله: «الجنة»، و«الجنة» بل يبدو أن المتعاطفين ككفتي ميزان في الحسن والاستواء، ونلاحظ كيف وازن بين التقوى التي تتضمن قطع الزائد والالتزام بما هو ضروري أي أخذ البلغة في الحياة الدنيا، فحذف حرف النداء لخلق تناسب بين الاقتصاد الذي دل عليه الحذف، والاقتصاد الذي في التقوى، ثم نرى كيف تحولت هذه التقوى الدنيوية إلى طريق أخروي، وهذا الطريق كما هو معلوم مستقيم، لأن صراط المتقين

الأوصاف تحقيرا للإنسان، ينظر: شرح النهج: ٢٧٠/٦، منهاج البراعة: الخوئي: ٢٦/٦، نهج البلاغة: د.صبحي الصالح: ١٣٢/١، لسان العرب: ٩٩/١٠ «شغف»، ٩٩/١٠ «دافق»، ١٠٦/١٠ «دهق».

(1) نهج البلاغة: ١١٥/١٣.

(2) ينظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون: ١٤١/١.

(3) وتعد في مركز الصدارة في تحقيق الأبعاد المرجوة لنجاح المنظمة الإنسانية. ينظر: السياسة الإدارية في فكر علي بن أبي طالب بين الأصالة والمعاصرة: ١٠٦.

مستقيم قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١)، والمستقيم هو أقصر خط بين نقطتين، فهو طريق

الحق حيث لا زيادة ولا تعقيد، فكأنه -ﷺ- يقول: إن سلوككم -أيها المخاطبون- الطريق القصد في الدنيا راغبين هو السبب في سلوككم الطريق القصد في الأخرى حيث لا قدرة لكم على رغبة أو اختيار؛ فنرى -هنا- تناسبا دقيقا بل عجيبا بين مفرداته وعباراته -ﷺ-، من جانب وبينها وبين دلالاتها من جانب آخر.

وله نظائر آخر في النهج^(٢).

ونلاحظ في المثال المتقدم ورود «اليوم» أولا، ثم «غدا» تاليا، وقد روعي في الكلام الأسبق زمنا، فاللفظتان: «اليوم»، و «غدا» كافتتان لفهم أن المعطوف عليه سابق في الزمان على المعطوف.

إن الأهمية التي رآها -ﷺ- في عنصر الزمن هي الباعث على تقديم «في اليوم» على «في غد» في المثال المتقدم، فللمتكلم حرية تقديم أي المعطوفين شاء، وقد يقدم المعطوف عليه ليضفي دلالة معينة عليه، يقول سيبويه: (كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم)^(٣)، وإنما يكون تقديم الكلم (في اللسان على حسب تقدم المعاني في الجنان)^(٤)، وتختلف العناية باختلاف المواطن، فقد يعنى المتكلم في موطن بأمر فيقدمه، وقد تكون العناية في موطن آخر بشيء غيره، فيقدم ذلك الشيء عليه^(٥).

ومما ورد في النهج دالا على التدرج من الأدنى إلى الأعلى قوله -ﷺ-: (وَإِعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ؛ فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ، فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا، فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشُّوْكَةِ نُصَيْبُهُ، وَالْعَثْرَةَ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءَ^(٦) تُحْرِفُهُ. فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابِقَيْنِ مِنْ نَارٍ؛ ضَجِيعَ حَجَرٍ وَ قَرِينِ شَيْطَانٍ!)^(٧)، وقد عطف هنا «العثرة»، و«الرمضاء»، وهي مفردات مجرورة على «الشوكة»، وهي مفردة مجرورة بحرف الجر «من».

(1) سورة الفاتحة : ٦ .

(2) ينظر: نهج البلاغة: ١٣٨/١، ٨٠/٧، ٢١٠/٩، ٢٠٢/١٠.

(3) الكتاب: ٣٤/١، فيقدمونه (استحسانا لا إيجابا). رصف المباني : ٤١٢ .

(4) نتائج الفكر : ٢٠٩ .

(5) ينظر : معاني النحو : ٢١٢/٣ .

(6)الرمضاء هي (شدة الحرّ ... وَرَمَضَ الرَّجُلُ يَرْمِضُ رَمَضًا إِذَا احْتَرَقَتْ قَدَمَاهُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ). لسان العرب: ١٦٠/٧ «رمض» .

(7) نهج البلاغة : ١٢٢/١٠، ينظر : ص١٠٤ من هذا البحث .

وهنا يبين -عليه السلام- ضعف قدرة الإنسان على تحمل نار الآخرة، ولهذا قال: «إرحموا نفوسكم» وجاء بأدلة من واقع حياتهم وتجاربهم، وهي الجزع من الإصابة بالشوكة، والعثرة المدمية، والرمضاء المحرقة.

فنجده -عليه السلام- قد استعمل «واو» العطف ليرتب ما يمكن أن يصاب به الإنسان في الدنيا من الأقل إلى الأكثر ألما ليرسم في ذهنه ارتفاع الألم تدريجيا حتى يمهد لذكر نار الآخرة التي تفوق كل ما يمكن أن يؤلم في الدنيا، لأنها نار فوق مستوى التصور البشري وفوق طاقته التحملية، ويبدو أن الإمام -عليه السلام- ابتغى من هذا التدرج وعظ الإنسان من أنه إن كان لا يقوى على بسائط الأمور، فكيف له أن يتحمل أقواها وأبلغها ألما!.

ومما دل على الترقى من الأدنى إلى الأعلى قوله -عليه السلام-: (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ... حَمْدًا يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ، وَ يَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ...، فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ؛ إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ؛ لَا تَأْخُذُكَ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ^(١))، وهنا أيضا يعطف مفردا على مفرد، فجاء المعطوف مجرورا تبعا للمعطوف عليه الذي ورد مضافا إليه، و«السنة» فاعل مرفوع، فجاء المعطوف عليه «نوم» المنفي بـ «لا» لزيادة تأكيد النفي مرفوعا^(٢) كذلك.

فالإمام -عليه السلام- يحمد الله ويبالغ في وصف الحمد وتعظيمه لقصور العقول عن إدراكه تعالى، فهو حي قيوم، مبرء من صفات الأجسام^(٣) وما يجري عليها من طوارق الضعف وال نصب، فلا تأخذه سنة ولا نوم، والسنة تعني (ابتداء النعاس في الرأس، فإذا خالط القلب صار نوما)^(٤)(*)، فكانت السنة بهذا (تسبق النوم)^(٥)، ولهذا التدرج سبب اقتضاه المقام ذلك بـ (أن مقتضى الحال هو تقديم السنة على النوم دون العكس وإن كان الكلام نفيا، لأن الأخذ بمعنى الغلبة، فالمناسب في الاستقصاء أن تنفي أولا غلبة الضعيف وهي السنة ثم تنفي غلبة القوي وهو النوم، دون العكس)^(٦)، وإلا لزم التكرار والزيادة^(٧).

(1) المصدر نفسه: ٢٢٢/٩ .

(2) ينظر: إعراب القرآن «الموسوم بملحة الإعراب في نخبة من سور الكتاب»: الشيخ محمد جعفر الكرباسي : ٢٧٤/٥-٢٧٥ .

(3) ينظر : شرح النهج: ٢٢٤/٩ .

(4) غريب القرآن : ١١٧ .

(*) وقيل إنها (شدة النعاس) . الكامل في اللغة والأدب : ١٤٨ .

(5) معاني النحو : ٢١٣/٣، التعبير القرآني: ٤١ .

(6) نفحات الإعجاز في رد الكتاب المسمى «حسن الإيجاز»: السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي: ٣٧ .

(7) ينظر: المصدر نفسه: ٣٧ .

ومن تقديم الأقل على الأكثر قوله -عليه السلام-: (مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ، وَ أَسْرَعَ الْأَيَّامِ فِي الشَّهْرِ، وَ أَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ، وَ أَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ!)^(١)، وقد سبق هذا القول قوله -عليه السلام-: (... فَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ)^(٢)، وابتداءً جملة «ما أسرع الساعات في اليوم...» ليؤكد معنى القرب في الجملة المتقدمة. فقد اظهر الإمام -عليه السلام- التعجب في قوله: «ما أسرع» من سرعة الساعات في اليوم ليؤكد مضمون القرب من الغد المظنون بَعْدَهُ، فأكد القرب بـ«إن» وبتخصيص القرب بتقديم «من اليوم»، ثم استأنف بالجملة التي تليها ليعيد صياغة المضمون نفسه مؤكداً المضمون السابق بصورة توضح هذا القرب فأوجز سرعة^(٣) مفردات الزمن المتحركة ضمن إطار «اليوم» الذي يقترب بسرعة عجيبة مذهلة من «الغد»، فعطف الجمل «أسرع الأيام في الشهر»، و «أسرع الشهور في السنة»، و «أسرع السنين في العمر» على «ما أسرع الساعات في اليوم»، والجمل المتعاطفة كلها لا محل لها من الإعراب تبعاً للمعطوف عليه.

ونلاحظ تنقل الإمام -عليه السلام- بين المفردات الزمنية من الأقل إلى الأكثر، فالساعات هي أجزاء اليوم، فإذا أسرع انقضى اليوم بسرعة، والايام هي أجزاء الشهر، فإذا أسرع الأيام انقضى الشهر بسرعة، والشهور هي أجزاء السنة، فإذا أسرع الشهور أنقضت السنة بسرعة، والسنين هي أجزاء عمر الإنسان، فإذا انقضت انقضى عمر الإنسان وانتهى سريعاً^(*)، فإذا كان عمر الإنسان ينتهي بهذه العجالة فعلا م يُعَوِّرُ الإنسان لربه، ويتعرض لأخذه^(٤)؟ لهذا كان في العطف بـ«الواو» إعانة على الوعظ والإرشاد على أن العمر مهما طال فإنه سريع الفوت، فعلى الإنسان أن يتزود منه للغد.

ونلاحظ أن الجمل المتعاطفة المتتالية سلسلة مترابطة أدت باجتماع مضامينها دلالة واحدة، وهي سرعة مجيء الغد وسرعة انقضاء عمر الإنسان. ولتقديم الأقل على الأكثر نظائر في النهج^(٥).

(1) نهج البلاغة: ٩٩/١٣ .

(2) المصدر نفسه : ٩٩/١٣ .

(3) ينظر: شرح النهج: ٩٩/١٣، قال ابن أبي الحديد: (وقد أوجز السرعة في الزمن). المصدر نفسه: ١٠٠/١٣ .
(*) ونرى يومنا الحاضر من أكبر مصاديق هذا الكلام فقوله -عليه السلام- أشد انطباقاً على يومنا من يومه -عليه السلام-، وربما قصد بكلامه زماننا هذا!.

(4) في قوله -عليه السلام-: (أعورتكم له فستركم ، وتعرضتم لأخذه فأمهلكم). شرح النهج: ٩٩/١٣، قال الشارح: أعور: انكشف وبدت عوراته، وهي المقاتل، تقول: أعور الفارس، إذا بدت مقاتله، وأعورك الصيد إذا أمكنك منه. ينظر: المصدر نفسه: ١٠٠/١٣، لسان العرب: ٦١٧/٤ «عور».

(5) ينظر: نهج البلاغة : ٣٣/١٠ ، ١١/١٣ ، ٩٩/١٣ ، ٧٠/١٨ ، ١٦٨/١٨ ، ٢٠١/١٨ .

ويكون لتقديم المتعاطفات بـ«الواو» أسبابا متعددة يقتضيها السياق، فقد يكون المقتضى السياقي متدرجا بحسب القدم والأولية في الوجود، فيترتب ذكر المعطوفات على هذا الأساس، من ذلك قوله -ﷺ-: (وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ)^(١)، فقد عطف المفرد «الإنس» على «الجن»، فجاء المعطوف عليه «الإنس» مجرورا تبعا للمعطوف «الجن»، والجن أسبق زمنا في الوجود من الإنس فناسب ذلك ذكرهم أولا، ثم عطف الإنس عليهم في ابتعائه تعالى الرسل إليهما، فكانت علة التقديم في العطف بـ«الواو» في هذا الموضع علة زمنية حيث قُدّم السابق على اللاحق.

وفي موضع آخر يقول -ﷺ-: (فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا، أَوْ لِيُدْفَعَ الْمَوْتَ سَبِيلًا؛ لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ الَّذِي سَخَّرَ لَهُ مَلِكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؛ مَعَ التُّبُوءِ وَالْعَظِيمِ الرَّزْفَةِ...)^(٢)، فنرى أنه -ﷺ- عطف «الإنس» على «الجن»، والمعطوف عليه «الجن» مضاف إليه مجرور، فتبعه المعطوف «الإنس» في حركته الإعرابية، وهنا يتبادر إلى الذهن وجهان لتقديم الجن، وهما:

١. إنه -ﷺ- استعمل التقديم لأسبقية الوجود الزمني للجن على وجود الإنس.
٢. إنه استعمل التقديم لأن اجتماع ملك الإنس والجن لم يحصل لغير سليمان، وإنما ضرب المثل به -ﷺ- لذلك^(٣)، فقدم ملك الجن اهتماما وعناية (وتقديم الجن في الذكر على الإنس ... لكون تسخيرهم ودخولهم تحت الطاعة عجيبا)^(٤)، ولأنهم مصدر الغرابة في الملك الذي تميز به النبي سليمان^(٥) -ﷺ- عن سائر الأنبياء، ونحسب أن هذا التوجيه هو الأنسب لمقام الحديث، والأوفق للدلالة العامة للنص، فالمراد هو بيان القدرة الإلهية في تسخير الجن لسليمان -ﷺ- وأنه على الرغم من هذا لم يخلد. وقد جاء الفعل المبني للمجهول لشدّ انتباه السامع إلى عملية التسخير، فهي حدث كبير، وللدلالة على عظمة المسخر، فتضفي هاتان الدالتان القوة والعظمة على المسخر له، فالقضية

(١) المصدر نفسه: ١١٣/١٠، وقال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ...﴾ سورة الأنعام: ١٣٠ .
(٢) نهج البلاغة: ٩٢/١٠ .
(٣) ينظر: شرح النهج: ٩٢/١٠ .
(٤) تفسير الميزان: ٣٥٣/١٥ .
(٥) ومما يؤيد ذلك نص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ فسخرنا له الريح ﴿سورة ص: ٣٥-٣٦﴾، قصص الأنبياء: أبو إسحاق أحمد النيسابوري: ٢٩٣ .

التي يراد تسليط الضوء فيها هي تسخير الجن والإنس له، ثم قدم الجار والمجرور «له» لتخصيص النبي - ﷺ - بهذا التسخير من غيره.

وقد اتخذ - ﷺ - من سعة ملك نبي الله سليمان - ﷺ - سبيلا للحث على التقوى، وحاجة الإنسان إليها، مستدلا على ذلك بفناء ملك سليمان - ﷺ -، وقد كان أقوى سلطان وُجِدَ على الأرض لشمولية حكمه على الملكين المذكورين مع النبوة وعظيم الزلفة عند الله تعالى، فكان أولى بدفعه لو كان يمكن دفعه، ولكنه لم يجد سبيلا إلى ذلك لذا لن يجده أحد بعده^(١)، وكان تقديم المعطوف بـ«الواو» في نسيج العبارة خير معين للوصول إلى الدلالة المبتغاة، وهي فناء كل شيء إلا وجهه تعالى.

وقد ورد هذان المتعاطفان أربع مرات^(٢) في النهج، قدم - ﷺ - فيها «الجن» على «الإنس» في ثلاث منها^(٣)، ليسوق لنا هذه الدلالة، في حين قدم في الرابعة «الإنس» على «الجان»، وقد جاء التقديم فيها مراعاة للفاصلة، وذلك في قوله - ﷺ - : (... وَ إِنَّهُ لِكُلِّ مَكَانٍ؛ وَ فِي كُلِّ حِينٍ وَ أَوَانٍ، وَ مَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَ جَانٍ)^(٤)، وهنا أيضا يعطف مفردا على مفرد، فجاء المعطوف تبعا للمعطوف عليه الذي جاء مضافا إليه مجرورا، ويريد بذلك أن الله تعالى محيط بكل شيء في كل زمان ومكان.

ونلاحظ في تقديمه - ﷺ - «الجن» على «الإنس» أن تعدد مواضع ورود مفرداته - ﷺ - لم يكن سببا في جعلها معان مكررة يمل منها السامع، فارتباطها بالسياق الكلامي في كل موضع من مواضع ورودها يفرض عليها أن تؤكد حقيقة ثابتة بوجه جديد، ففي كل موضع لها وجوب ودلالة لا يستقيم من دونها سياق الكلام. ولهذا التقديم نظائر آخر في النهج^(٥).

(1) ينظر : مصباح السالكين : ٣٨٩/٣ ، شرح النهج : ٩٢/١٠ .

(2) ينظر : نهج البلاغة : ٩٢/١٠ ، ١١٣/١٠ ، ١٧٠/١٠ ، وجاء العطف بـ «أو» في : ٨٨/١٠ .

(3) ينظر : المصدر نفسه : ٩٢/١٠ ، ١١٣/١٠ ، كذلك التقديم مع «أو» في : ٨٨/١٠ .

(4) المصدر نفسه : ١٧٠/١٠ .

(5) منه تقديم الليل على النهار أكثر من «١٦» مرة. ينظر: نهج البلاغة : ٧٤/٢ ، ١٤٥/٥ ، ٤١٩/٦ ، ٤٢٣/٦ ، ١٨٢/٩ ، ٢٥٢/٩ ، ٣٠١/٩ ، ٢٠٣/١٠ ، ٦٢/١١ ، ١٥٠/١١ ، ٥٦/١٣ ، ٨٠/١٣ ، ١٩٧/١٣ ، ٢١٣/١٣ ، ٦٢/١٦ ، ٩٣/١٦ ، ٨٩/١٧ ، ٧/١٩ .

ومنه تقديم السماء على الأرض في أكثر من «١٤» موضعا. ينظر: نهج البلاغة: ٣٠٤/٩ ، ٢٠١/٧ ، ٨٨/١٠ ، ١٢٣/١٠ ، ١٢٣/١٠ ، ٢٠٣/١٠ ، ١١٦/١٣ ، ١٣١/١٣ ، ١٥٢/١٣ ، ٨٦/١٦ ، ٢٥٢/٨ ، ٢٧٢/٨ ، ٢١٨/٩ ، ٢٢٢/٩ ، ٣٠١/٩ ، قال صاحب «الكشاف»: (لأن حق السماء أن تقدم على الأرض) الكشاف: ٧٩/٢، ينظر: معاني النحو: ٢١٥/٣، ويرى السهيلي أن التقديم هنا بالترتبة وبالفضل والشرف. ينظر: نتائج الفكر: ٢١٢ .

ومن تقديم الأهم قوله - العطف -: (فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ تَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ، فَلْيَفْعَلْ)^(١)، وهنا عطف - العطف - اسما على اسم، هما: لفظة «أموال» التي عطف على لفظة «دماء»، وهما ظاهران، وهذا العطف ضرب من أضرب عطف الأسماء، فالأسماء في عطفها بعضها على بعض تكون على أربعة أضرب: عطف ظاهر على ظاهر، وظاهر على مضمر، ومضمر على مضمر، ومضمر على ظاهر، فأما عطف الظاهر على الظاهر فهو على ضربين: أن تعطف مفردا على مفرد، مثل: جاءني زيدٌ وعمرو، وغايته اختصار العامل، واشتراك الثاني في تأثير العامل الأول، أما المضمر فهو نوعان: متصل ومنفصل، فالمنفصل حكمه حكم الظاهر يعطف ويعطف عليه، تقول: أنتَ وزيدٌ قائمان، وزيدٌ وأنتَ قائمان^(٢).

أما المضمر المتصل فلا يجوز العطف عليه إلا بعد تأكيده بضمير رفع مثله منفصل، كقوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٣)، أو بطول يقوم مقام التأكيد، كقوله تعالى: ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾^(٤)، أو يقع بعد حرف العطف «لا»، كقوله تعالى: ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾^(٥)^(٦)، وذلك (لأن المتصل المرفوع كالجاء مما اتصل به فلو عطف عليه كان على جزء الكلمة)^(٧).

و (ضمير النصب المتصل في العطف عليه كالظاهر)^(٨)، فجاز العطف عليه بلا فصل اتفاقا، لأنه ليس كالجاء من الفعل بخلاف ضمير الرفع^(٩)، (وأما ضمير الخفض فلا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض نحو قولك: مررتُ بكَ وبزيدٍ)^(١٠)، لاحتياجه إلى إعادة الجار^(١١)، ف(ضمير الخفض شديد الاتصال بما قبله، فينزل لذلك معه منزلة شيء واحد)^(١٢).

(1) نهج البلاغة : ٢٨/١٠ .

(2) ينظر : شرح المفصل : ابن يعيش : ٢٧٧/٢-٢٧٨، همع الهوامع : ١٨٨/٣ .

(3) سورة البقرة : ٣٥ .

(4) سورة يونس : ٧١ .

(5) سورة الأنعام : ١٤٨ .

(6) ينظر : شرح المفصل : ابن يعيش : ٢٧٩/٢-٢٨٠، شرح جمل الزجاجي : ابن عصفور : ٢٤٠/١-٢٤١ .

(7) حاشية الصبان : ١١٣/٣ .

(8) تسهيل الفوائد : ١٧٧ .

(9) ينظر : همع الهوامع : ١٨٩/٣ .

(10) شرح جمل الزجاجي : ابن عصفور : ٢٤٣/١ .

(11) ينظر : شرح المقدمة المحسبة : ٤٣٠/٢ .

(12) شرح جمل الزجاجي : ابن عصفور : ٢٤٣/١ .

إن دلالة عطف الاسم على الاسم هي اشتراكهما في الحال^(١).

وقد جاء عطف «أموال» المفردة على «دماء» المفردة المضافة، ولذا جاء الاسم المعطوف عليه مجرورا تبعا للمعطوف. وقد قدم -عليه السلام- نقاء الراحة من دماء المسلمين على نقائها من أموالهم وذلك لعظيم حرمة الدم قياسا إلى المال لذا قدم الأولى وعطف بـ«الواو» ليفيد الجمع بين المعطوفات مع لحاظ تأكيد الأهم والأكثر عناية. وله نظائر في النهج^(٢).

ومنه قوله -عليه السلام- لسائل سأله أن يصف له الرب مثل ما يراه عيانا: (فَانظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ... وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ، مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ، وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ أَيْمَةَ الْهُدَى أَثَرُهُ، فَكُلْ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ)^(٣)، وقد عطف هنا «لا في سنة النبي ... أثره» على صلة الموصول «ليس في الكتاب عليك فرضه»، فجاءت لا محل لها من الإعراب.

وقد قدم -عليه السلام- هنا الكتاب على السنة والأئمة تقديم رتبة، وبيّن للسائل أنه يستحيل عليه أن يعلم الله تعالى كما يعلم الشيء المرئي عيانا^(٤)، وأرشده بالأخذ بما دلّ عليه القرآن من صفته تعالى، فإن لم يجده في الكتاب ابتغاه من السنة ومن مذاهب أئمة الحق، فإن لم يجده فيها، فعليه أن يتنبه لحاله، لأن الشيطان قد كلفه علم مالم يكلفه الله علمه. ولهذا التقديم نظائر آخر في النهج^(٥).

نلاحظ فيما درسناه رعاية الإمام -عليه السلام- الفائقة للمقام الذي تتكون فيه المواقف الكلامية مستعينا على المخاطب بتأثير دلالة السياق اللغوي وسياق الموقف الملابس له من حيث التقديم

(1) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٥/٥ .

(2) ومن أمثلة ذلك تقديم المال على الولد، وغيره، ينظر: نهج البلاغة: ٣١٢/١، ١٦٥/٣، ٧٦/٩، ٢٠٢/١٠، ٨٠/١٣، ١٥١/١٣، ١٦٦/١٣، ٢٥٠/١٨، ويرى السهيلي أنه من تقديم السبب على المسبب. ينظر: نتائج الفكر: ٢١٢، وتقديمه -عليه السلام- اليتامى والمساكين على المؤمنين والمجاهدين. ينظر: المصدر نفسه: ١٦٧/١٦. ومنه تقديم الفروج والدماء على غيرها. ينظر: المصدر نفسه: ٢٦٣/٨. وغير ذلك من أسباب التقديم. ينظر: ٢٦٩/٦، ٢٧٥/٦، ١٠/٨١-٨٢، ٦٠/١١، ٨٧/١٧ .

(3) نهج البلاغة: ٤٠٣/٦ .

(4) ينظر: شرح النهج: ٤٠٥/٦ .

(5) كتقديم الخيل على الرجل. ينظر: نهج البلاغة: ١٣٦/١٣، ١٣٧/١٣، وتقديم الصلاة على غيرها إذ إنها خصت في القرآن بالذكر إظهارا لمرتبتها. ينظر: البرهان: ٢٣٥/٣، الإتيان: ٢١٣/٣، في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ «سورة طه: ١٠٧»، وفي قوله تعالى حكاية عن إبراهيم -عليه السلام-: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ «سورة الأنعام: ١٦٢»، ينظر: نهج البلاغة: ١١١/١٣، ٣٢/١٧، ٥١/١٧ .

والتأخير، وغير ذلك، مما عُني به النحاة، ودرس في ما عرف عندهم بـ«علم المعاني»^(١)، فكان استعماله للمعطوف استعمالاً دقيقاً بل كان استعماله -عليه السلام- للتابع -عموماً- دقيقاً إلى حد بعيد في سياق الكلام، (فكل كلمة مع صاحبها مقام)^(٢)، (ولكل مقام مقال)^(٣) في كلامه، ويمكننا القول -في عموم كلامه- أن أحداً ما لو أراد إبدال شيء منه بآخر لضعف الكلام عن القدرة على التعبير، وكان أقل جودة في ذلك الموضوع، ولربما أخطأ المبدل الطريق إلى الدلالة التي رام الإمام -عليه السلام- الوصول إليها في كلامه، إذ له -عليه السلام- السيطرة الكاملة على كلامه ينشره ويطويه كيفما شاء، ومتى ما شاء، ويتضح هذا أكثر في العطف لدقته، فالبلاغة -كما قيل- هي (معرفة الفصل من الوصل)^(٤)، وقد انتشر العطف في كل أجزاء النهج ومفاصله تقريباً، فله النسبة الكبرى من بين التوابع فيه، فهو الأكثر وروداً في كلامه -عليه السلام-.

ومما تقدم نصل إلى أن «واو» العطف لها دلالة موحدة عند النحاة، وهي دلالة الجمع المطلق غير أن الإمام -عليه السلام- قد استعملها بأنماط دلالية مختلفة على وفق ما يشخصه ويفرضه السياق، فدلالة «الواو» هي واحدة «الجمع» بيد أن السياق قد يلونها دلاليًا بحسب قرائنه وتأسيساً على هذه القرائن يمكن إجمال دلالات «واو» العطف في النهج على النحو الآتي :

١- دلالة الجمع المطلق .

٢- دلالة التسلسل الزمني من السابق إلى اللاحق.

٣- دلالة الترقي من الأهم ذكراً وعناية إلى الأدنى.

الفرع الثاني: عطف المترادفين: الترادف في اللغة هو ركوب أحد خلف آخر، فالردف هو (ما تبع الشيء.. وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف... وترادف الشيء: تبع بعضه بعضاً، والترادف: التتابع)^(٥).

أما الترادف في المصطلح اللغوي فهو: دلالة عدة كلمات مختلفة على المسمى الواحد أو المعنى الواحد دلالة واحدة^(٦)(*) .

(1) ينظر: أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى «بحث انترنيت» ، الإبداع اللفظي في القرآن الكريم -دراسة نقدية: «بحث انترنيت» .

(2) مفتاح العلوم : ٢٦٥ .

(3) مفتاح العلوم: ٢٦٥ ، ينظر : مختصر المعاني : ٢١ .

(4) البيان والتبيين : ٨٨/١ ، أساليب البيان في القرآن : ١١٤ ، ينظر : البلاغة والتطبيق : أحمد مطلوب و حسن البصير : ١٥٢ .

(5) لسان العرب : ٩/١١٤-١١٥ «ترادف» .

(6) ينظر: التعريفات: ٥٨، موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية : التهانوي: ٥٧٨/٣- ٥٧٩.

وقد أشار صاحب التاج نقلا عن الصاغاني «ت ٦٥٠هـ» إلى معنى الترادف المجازي -أي ترادف الألفاظ على المعنى الواحد أو المسمى الواحد- إذ ذكر أنّ المترادف هو أن تكون هناك أسماء لشيء واحد، وهي مولدة ومشتقة من تراكم الأشياء^(١).

وقد ذهبت جماعة من اللغويين والنحاة إلى وقوع الترادف بين عدد من الألفاظ^(٢)، ورأى الزركشي «ت ٧٩٤هـ» أن هذا إنما يتأتى عند اختلاف اللفظ، وإنما يحسّن بالواو، ويقصد منه التأكيد، ويكون في الجمل ويجيء في المفردات ويكثر فيها^(٣).

على حين مال آخرون إلى إنكار وجود ظاهرة الترادف في اللغة بالتماس الفروق الدقيقة بين معاني الألفاظ^(٤)، ومنهم ابن الأعرابي «ت ٢٣١هـ» الذي رأى أن (كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا، فلم نلزم العرب جهله. وقال : الأسماء كلها لعلّة، خصت العرب ما خصت منها، من العلل ما نعلمه، ومنها ما نجعله)^(٥)، فهو يرى أنّه لا بد من سبب لتعدد تسمية الشيء الواحد ويقول بالعلل والاعتبارات في إطلاق الألفاظ على المسميات. وهذه النظرة تؤدي إلى القول بالتباين والفروق بين الألفاظ المترادفة^(٦).

وقد ذكر الجاحظ أن القدامى كانوا يعنون به -أي الترادف- الشيء وصفته، والشيء وقريبه^(٧).

وممن أنكر الترادف أيضا ثعلب^(٨).

وشاطره في هذا الاتجاه ابن فارس -أيضا- إذ يقول: (ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: السيف والمهند والحسام، والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد هو السيف وما

(*) لم يتفق العلماء على تعريف واضح لمصطلح الترادف. ينظر : الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق : محمد نور الدين المنجد : ١٢٦ .

(1) ينظر : تاج العروس : ٣٣٥/٢٣ «ردف» .

(2) ينظر: الكتاب: ٢٤/١ ، ما اتفق لفظه واختلف معناه : المبرد: ٢ ، الأضداد: محمد بن القاسم الأنباري : ٧-٦ ، نقد النثر : قدامة بن جعفر : ٢٠ ، المزهر : ٤٠٠/١-٤٠١ .

(3) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤٧٢/٢ .

(4) ينظر: الفروق في اللغة: ٧٩، ٨٠، ٢٥٢، الصاحبى: ٩٦-٩٧، فصول في فقه العربية: رمضان عبد التواب: ٣٠٩-٣٢٤، ينظر: الخلاف في وقوع الترادف. الترادف في اللغة: حاكم مالك الزيادي: ١٩٥-٢٠٢.

(5) الأضداد: محمد بن القاسم الأنباري: ٧، ينظر: المزهر: ٣٩٩/١-٤٠٠ .

(6) ينظر: الترادف في اللغة: ٢١٠.

(7) البيان والتبيين: ٢٠/١ .

(8) ينظر: الفروق في اللغة: ١٢، المزهر: ٤٠٣/١.

بعده من الألقاب صفات ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى... وهو مذهب شيخنا أبي العباس^(١).

أما أبو هلال العسكري «ت ٣٩٥هـ» فقد قال مصرحا بإنكاره: (الشاهد على اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف بالإشارة إليه ثانية وثالثة، غير مفيدة، وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد. فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صوابا، فهذا يدل على أن كل إسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر وإلا لكان الثاني فضلا لا يحتاج)^(٢) إليه، فإن يكون اللفظان دالين على معنى واحد تكثيرا للغة بما لا فائدة فيه^(٣).

واستشهد بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾^(٤)، ونقل عن المبرد قوله: (الشرعة: ما ابتدئ من الطريق، والمنهاج: الطريق المستمر)^(٥)، وقال العسكري: (فعطف شرعة على منهاج لأن الشرعة لأول الشيء والمنهاج لمعظمه ومنتسعه)^(٦) مما يؤكد هذا الاختلاف بين الألفاظ ما روى عن ابن عباس من أن الشرعة هي الدين والمنهاج هو الطريق^(٧).

وذهب بعض المفسرين إلى أن (معنى الشريعة هو الطريقة، والدين كذلك طريقة متخذة لكن الظاهر من القرآن أنه يستعمل الشريعة في معنى أخص من الدين كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٨)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٩)، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأُمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾^(١٠)، فكانت الشريعة هي الطريقة

-
- (1) الصحابي : ٤١ .
 - (2) الفروق في اللغة : ١٠-١١ .
 - (3) المصدر نفسه : ١٢-١٣ .
 - (4) سورة المائدة : ٤٨ .
 - (5) الفروق في اللغة : ١٣ .
 - (6) المصدر نفسه: ١٣، ينظر: الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم: محمد الشايع: ٢٤٥-٢٤٨.
 - (7) ينظر: غريب القرآن في شعر العرب - سوالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس : ٣٠ .
 - (8) سورة آل عمران : ١٩ .
 - (9) سورة آل عمران : ٨٥ .

الممهدة لأمة من الأمم أو لنبي من الأنبياء الذين بعثوا بها كشريعة نوح وشريعة إبراهيم وشريعة موسى وشريعة عيسى وشريعة محمد ﷺ، والدين هو السنة والطريقة الإلهية العامة لجميع الأمم، فالشريعة تقبل النسخ دون الدين بمعناه الواسع^(٢)، وتأسيسا على هذا الاستقراء لوحظ أن المستفاد منها هو أن الشريعة أخص معنى من الدين^(٣)، وقد جاء هذا القول تعصيذا لما قاله أحد المتقدمين إذ يقول: «شَرَعَةٌ» شريعة ... «وَمُنْهَاجًا» وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه. وقيل: هذا دليل على أننا غير متعبدين بشرائع من قبلنا^(٤) إذن فالعلاقة بين المترادفين هي علاقة عموم وخصوص .

وقد ذكر المبرد قول الحطيئة:

(أَلَا حَبَّبْنَا هِنْدًا وَأَرْضًا بِهَا هِنْدٌ وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ)^(٥)

فقال فيه: (النأي: ما قل من البعد، والبعد، لا يقع إلا بما كثر)^(٦)، وقال أبو هلال العسكري: (وذلك أن النأي يكون لما ذهب عنك، إلى حيث بلغ وأدنى ذلك يقال له نأي، والبعد تحقيق التروح والذهاب إلى الموضع السحيق)^(٧)، وقد خطأ المبرد فكرة الترادف في قول الحطيئة «النأي والبعد»، فقال: (يعطف الشيء على الشيء، وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد، إذا كان في أحدهما خلاف للآخر، فأما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر خطأ)^(٨)، وعلق على قوله هذا أبو هلال العسكري، فقال: (والذي قاله المبرد ههنا في العطف يدل على أن جميع ما في القرآن وعن العرب من لفظين جاريتين مجرى ما ذكرنا من العقل واللب، والمعرفة، والعلم، والكسب، والعمل، والفعل، معطوفا أحدهما على الآخر، فإنما جاز هذا فيهما لما بينهما من الفروق في المعنى)^(٩).

وقد صرح الراغب الأصفهاني في كتابه «المفردات في غريب القرآن الكريم» عن إتباعه هذا الكتاب (بكتاب يبنى عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينهما من الفروق الغامضة، فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من

(1) سورة الجاثية : ١٨ .

(2) ينظر : تفسير الميزان : ٣٥٨/٥ .

(3) ينظر : المصدر نفسه: ٣٥٨/٥ .

(4) الكشف : ٦٤٠/١ .

(5) ديوان الحطيئة : ٣٩ .

(6) شرح القوائد السبع الطوال : ٢٠٢ .

(7) الفروق في اللغة : ١٤ .

(8) المصدر نفسه : ١٣ .

(9) الفروق في اللغة: ١٤ .

أخواته نحو ذكره القلب مرة والفؤاد مرة والصدر مرة... ونحو ذلك مما يعد، من لايحق الحق ويبطل الباطل أنه باب واحد فيقدر أنه إذا فسر الحمد لله بقوله: الشكر لله، ولاريب فيه بلا شك فيه، فقد فسر القرآن ووفاه التبيان^(١)، فيبدو واضحا أنه يعني بهذا الكلام ما وقع في القرآن الكريم من الألفاظ المترادفة، ونحن نوافقه الرأي في عدم ورود الترادف الكلي في القرآن، فلكل من اللفظين -المظنون ترادفهما- معنى خاصا بل إن اللفظة نفسها إذا تكررت في القرآن كان لها دلالة جديدة في النص القرآني، ف(كل مفردة متعددة المواضع، فهي مع ارتباطها بالسياق القرآني في كل موضع من مواضعها لا بد أن ترتبط بأفق جديد من آفاق العلم في القرآن وغير متكرر في المواضع الأخرى جميعا)^(٢) إذ إننا نجد أن (كل مفردة من هذه المفردات ذات موضع واحد خاص بها بين مواضع المفردات القرآنية جميعا، كما هي مرتبطة بالقرآن كله، في جملته الواحدة)^(٣)، فلكل مفردة منه عمل جديد، بكل موضع جديد، من حيث ربط كل مفردة في سياقها الواردة فيه بناء على ما يقصده المتكلم، فهو يستعمل المفردة بقصد خاص يكون هذا القصد الفارق بينه وبين أي مقصد يبتغيه من لفظة مرادفة أخرى في النص القرآني.

وهكذا يكون الأمر مع كل حرف أو كلمة أو جملة، تحتاج إليها في القرآن كله، وهذا من أعظم الحدود الفاصلة بين كلام الخالق وكلام المخلوقين^(٤). ولاشك في أن نص النهج يقترب من النص القرآني قريبا ليس في غيره من النصوص، وذلك لأن الإمام -عليه السلام- ينسج على منواله لذا عد كلامه (فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق)^(٥)، فليس من اليسير تحديد ما يريده الإمام -عليه السلام- (من حيث اللفظ أو المعنى إذ إن كلامه لا يتحدد بالزمان والمكان، بل هو عالمي وإنساني ما بقي الإنسان إنسانا في العالم)^(٦). ولم يقتصر النظر في الترادف على اللغة العربية فحسب بل شمل اللغات عموما، ف(إن أغلب الباحثين الأجانب يستبعدون كثيرا وقوع الترادف التام في اللغة، ويرونه في الألفاظ المتقاربة في الدلالة على حين يرى بعضهم أن الترادف التام واقع في

(1) مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٤ .

(2) القرآن القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر : محمد العفيفي : ١٠٢ .

(3) المصدر نفسه : ١٥ .

(4) ينظر : المصدر نفسه: ١٦ .

(5) شرح النهج : ٢٤/١ «مقدمة ابن أبي الحديد» .

(6) ينظر : في رحاب نهج البلاغة : مرتضى المطهري : ٢٥ .

اللغة ولكنه نادر الحدوث^(١)، لـ(أن من شروط تحقق وقوع الترادف الاتحاد في البيئة اللغوية والاتحاد في العصر، أي أن تكون الألفاظ المترادفة مقيدة بزمان ومكان معينين)^(٢)، فقال بعضهم أن الترادف التام حالة نادرة الوجود بدهاء فقد نجد إسمين يمكن التأكيد بسهولة على أنهما شيء واحد، ولكن من الصعب أن نثبت تساوي أي معنيين في الامتداد من حيث الزمان والمكان... فالكلمات التي يمكن أن توصف بأنها مترادفة هي تلك الكلمات التي يمكن أن تنوب إحداها عن الأخرى في أي نص لغوي، دون أقل تغيير في المعنى الفكري، و «المضمون العاطفي لهما»^(٣)، لذا فالترادف التام نادر الوقوع الى درجة كبيرة^(٤).

كذلك نظرت طائفة من المحدثين في مسألة الترادف فنفاها عدد منهم^(٥)، وقال بعضهم: إنه (في ظل مبدأ نسبية الدلالة لا يمكن أن تكون هناك كلمات تتفق في ضلال معانيها اتفاقاً كاملاً، ومن الممكن أن تتقارب الدلالات لا أكثر ولا أقل فالألفاظ المترادفة هي بهذا المعنى الألفاظ ذات الدلالات المتقاربة)^(٦). وقال الدكتور فهمي حجازي: (الترادف إنما هو حالة تعرض لألفاظ من اللغة خلال حياتها نتيجة تطورها الدلالي بفعل الاستعمال، ومن هنا جاز لنا الحكم بعدم أصالة الترادف في معظم الألفاظ، فحالة الترادف في الألفاظ ليست مسألة ثابتة دائمة على امتداد الزمان والمكان بل هي مسألة نسبية تتغير باختلاف الزمان والمكان وتبعاً لحقيقة التطور في الاستعمال)^(٧) إلا أن هذا لا يعني خلو العربية من الترادف، فهو أمر واقع لا محالة ولكن بقدر معقول كما هي الحال في لغات أخر^(٨)، ورأى أنه ينبغي تقييد الترادف بالزمان والمكان المعينين وضرورة ربطه ببيئة لغوية معينة لاقتران حدوثه بالظروف اللغوية عامة وبالتطور الدلالي خاصة. وهذا الأمر ما يعنى به المعجم اللغوي التاريخي الذي يؤرخ للألفاظ تبعاً لتطورها واستعمالها بحسب الزمان والمكان، وهو ما تفتقر إليه العربية في الوقت الحاضر)^(٩).

ولسنا بصدد القطع بهذا الأمر على الرغم من عدم ميلنا إلى القول بنفي وجود الترادف في اللغة ، فما يعيننا منها هو اختلاف النحاة واللغويين في هذه المسألة ، وعدم وجود معجم

(1) الترادف في اللغة : ٢٧٠.

(2) المصدر نفسه: ٢٩٠.

(3) ينظر : الترادف في اللغة : ٢٨٨.

(4) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ستيفن اولمان: ٩٧.

(5) ينظر: فرائد اللغة: هنريكوس لامنس: ٥/١، مميزات لغات العرب: حفي ناصف: ٣٦-٣٧.

(6) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة : فهمي حجازي : ٩٧-٩٨ .

(7) الترادف في اللغة: ١٨٧، ينظر : ٣٠٥-٣٠٦.

(8) ينظر : الترادف في اللغة: ٣٢١ .

(9) المصدر نفسه : ٢٢٢ .

لغوي تاريخي يساعدنا في حصر الألفاظ المترادفة في بيئة معينة وزمان معين لذا نعترف بصعوبة الوقوف على حقيقة معاني الألفاظ بدقة.

ومن الأمثلة الواردة في النهج على ذلك قوله -عليه السلام- : (الآن عباد الله، والخناق مهمل، والرؤخ مُرسل، في فينة الإرشاد، وراحة الأجساد، وباحة الاحتشاد، ومهل البقية، وأنف المشية، وإنظار الثوبة، وإنفساح الحوبة، قبل الضنك والمضيق، والرؤع والزهُوق، وقبل فُدوم الغائب المنتظر، وأخذة العزيز المُتَدِر)^(١)، وقد جاء المعطوف عليه «المضيق» مجرورا تبعا للمعطوف «الضنك»، و«الضنك» مضاف إلى «قبل» مجرور.

إن قوله -عليه السلام- : «الآن عباد الله» أي: إعملوا الآن في أيام المهلة والسلامة قبل الوقوع في الضنك والمضيق فلا تستطيعون العمل.

و«الضنك» هو (الضيق)^(٢)، والضيق: (ضد السعة)^(٣)، فيبدو اللفظان مترادفين إلى حد التساوي أول وهلة، وليس الحال كذلك (فالمعنى المركزي للكلمة له ظلال متفاوتة تتميز بخصوصيات دلالية دقيقة تظهر في السياقات)^(٤)، فقد جمع حرف العطف بين «الضنك» و«المضيق» بعد المدة التي تشملها لفظة «الآن» التي تقع قبل هذا «الضنك»، وهذا «المضيق»، والسياق هنا هو الذي يرسم حدود هذه الدلالة، فجاء تقديم لفظة «الآن» لبيان أهمية الأمر وأهمية اللحظة «الآن» في العمل، فطلب الإسراع في التوجه إليه انطلاقا من «الآن»، ثم جاء النداء محذوف الأداة للإشعار بهذه السرعة المبتغاة، فالحذف يشعرنا بحركة الزمن وسرعة اللحظة التي تنقل المخاطب إلى المدة الزمنية التالية، إذ تكون النقلة من المهلة إلى الهلاك، فقد نبه -عليه السلام- على العمل بقوله: «الآن والخناق مهمل»، و (تقديره: اعملوا الآن وأنتم مخلون متمكنون لم يعقد الحبل في أعناقكم، ولم تقبض أرواحكم)^(٥)، ويعني: بـ«الآن» أي في (زمان الحياة الدنيا)^(٦)، وهو زمان إرشاد النفوس الى سبيل الله فيما تبقى من الأعمار، وفي أول أوقات إرادة النفوس واختيارها لذلك الإرشاد^(٧).

وقد وردت في اللسان^(٨) معان عدة للفظ «الضنك»، فهي تعني:

- (1) نهج البلاغة : ٢٧٥/٦-٢٧٦ .
- (2) مجمل اللغة : ٣٩٦ «ضنك» .
- (3) المصدر نفسه : ٣٩٩ «ضيق» .
- (4) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : د. علي زوين : ١٣٧ .
- (5) شرح النهج : ٢٧٧/٦ .
- (6) مصباح السالكين : ٢٦٨/٢ .
- (7) ينظر: شرح النهج : ٢٧٧/٦ ، مصباح السالكين : ٢٦٩/٢ .
- (8) ينظر: لسان العرب : ٤٦٢/١٠ «ضنك»

- ١- الضعف في الجسم والرأي والعقل، فيعني هنا العجز وعدم القدرة عن العمل.
- ٢- نار جهنم، أو جهنم.
- ٣- عذاب القبر، وهو أكثر ما جاء في التفسير.
- ٤- الانقطاع، فالضنيك هو المقطوع.
- ٥- الازدحام، فـ(امرأة ضنك أي مكنتزة)، وهو من اجتماع اللحم في البدن بكثرة^(١).

في حين نجد أن المضيق يعني (ما ضاق من الأماكن والأمور)^(٢)، و(قال الفراء الضيق ما ضاق عنه صدرك)^(٣)، فإذا كانت ضنك تعني عذاب القبر فتكون ضنك شاملة لأنواع العذاب كلها في حين أن المضيق هو القبر نفسه، والضيق الذي فيه أو ضيق الصدر عنه هو نوع من أنواع العذاب، فتكون العلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص.

وربما عنى بلفظة «الهلاك» نار جهنم، وهي الغاية في أنواع العذاب وأسباب العجز عن العمل فمن ذا يستطيع العمل بعد ورود النار؟!، و عنى بـ «المضيق» ضيق القبر وقدم النار على القبر لأن الواو لا ترتب.

والانقطاع يمكن أن يرد في الموارد كلها، فعذاب القبر هو انقطاع عن العمل، وكذلك الضعف، ومثله نار جهنم.

وقد يكون «الضنك» يمثل صورة لحشر الناس يوم القيامة للحساب حيث يزدحم الخلق في شدة منقطعين عن العمل الدنيوي غير قادرين عليه، فاستعمل «الضنك» على صيغة مصدر «فعل» توكيدا لشدة الأمر وانعدام القدرة على توفير فسحة نافعة في ذاك الزحام، وبهذا يكون فحوى الكلام شدة الحساب، و «المضيق» هو القبر الذي يضيق على صاحبه، ونرجح هذا الوجه معنى لكلامه - الضنك -، ونلاحظ هنا اختلاف المعنيين، في دلالتهما على الضيق على الرغم من اتفاقهما في المعنى العام «المعجمي» إذ يقول بعضهم أن (الضنك أصله في اللغة الضيق والشدة)^(٤)، بيد أننا نقف على اختلاف اللفظيين في الأوجه الدلالية المذكورة كلها.

وهناك ملحظ آخر في هاتين اللفظتين نجده في تفسير بعضهم للمعيشة الضنك، يقول: إن (كل عيش من غير حلّ ضنك وإن كان واسعا) إذن فالضنك أعمق دلالة من الضيق فهو غاية الضيق، فإذا كان الضنك حشرا فمع زيادة عدد المحشورين واتساع مساحة الحشر يكون

(1) ينظر: المصدر نفسه : ٤٦٢/١٠ «ضنك» .

(2) المصدر نفسه : ٢٠٩/١٠ «ضيق» .

(3) المصدر نفسه : ٢٠٨/١٠ «ضيق» .

(4) لسان العرب: ٤٦٢/١٠ «ضنك» .

الضيق أعظم، وإن كان الضنك جهنما فمع زيادة سعة النار يكون الضنك أعظم في حين أن المضيق كلما زادت سعة المضيق «القبر» مثلا كان الضيق أقل وطأة، إذن فالضنك يكون مع السعة في حين أن الضيق لا يكون مع السعة، لذا قيل في وصف القبر «مضيق» وكذلك في وصف الفقر «ضيق».

وقد جمع بين اللفظين بـ«الواو» دلالة على اجتماع المصائب وتلاحقها الواحدة تلو الأخرى بعد انتهاء المدة التي نبه على أهميتها وضرورة الانتفاع منها، وهي «الآن»، وبهذا نجد ثمة خصوصية في معنى كل لفظة من الألفاظ التي يقال بترادفها على الرغم من إشراك اللفظين بالمعنى العام لهما، غير أن الاستعمال لا يعتمد على عموم المعنى للفظين، وإنما يعتمد إلى توظيف خصوصية الدلالة في السياق على وفق المبتغى.

ونظيره قوله -ﷺ-: (وَإِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ، وَيَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الاضْطِرَارِ، وَيَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ المَقْتِ وَالِإِبْغَاضِ...) (1)، وقد عطف «الإبغاض» على «المقت»، و«المقت» مضاف إليه مجرور، فتبعه في ذلك المعطوف.

جاء كلام الإمام -ﷺ- في صورة إخبار، ويريد به الأمر، أي ليفعل ذلك المؤمن فينظر بعين الاعتبار، ويأخذ منها قدر حاجته وضرورة بقائه، وليسمع حديثها بأذن المقت والبغض، فـ«المقت» هو (البغض) (2)، و«البغض» (خلاف الحب) (3)، وقد أكد -ﷺ- باستعمال «إنما» ما على المؤمن فعله، إذ ينبغي له أن ينظر معتبرا بصورة مستمرة، وهذه هي نظرة العاقل ومثله الأخذ منها بقدر الضرورة والحاجة، فعلى المؤمن اتخاذ الدنيا عدواً، وليأخذ حذره منها جهده وطاقته ليسمع حديثها استماع المبغض المحترز (4)، وهذا تنبيه للمؤمن على لزوم البعد عنها، ثم عطف «يسمع» على «ينظر» ليؤكد ما ينبغي للمؤمن عمله من الاحتراز بالزهد والتقوى وصيانة نفسه من مغريات الدنيا، ثم كلل هذه العبارات بأن يكون السماع بـ«المقت»، و«البغض» وبهذين المتعاطفين المفردين المجرورين بتبعية الثاني للأول وإضافة الأول لما قبله «أذن» أظهر -ﷺ- عظيم رغبته في مقتها، فإن المقت يشعرنا بذلك، ثم عطف عليه «الإبغاض» ليعرف المخاطب بهذه الشدة المبتغاة في التعامل مع مغريات الدنيا.

(1) نهج البلاغة : ٢٨٥/١٩ .

(2) مجمل اللغة : ٦٢٢ «مقت» .

(3) المصدر نفسه : ٥٧ «بغض» .

(4) ينظر : شرح النهج : ٢٨٦/١٩ .

فـ «البغضاء» هي ضد الحب بصورة عامة، و «البغض» هو (نفار النفس عن الشيء الذي ترغب فيه)^(١)، أما «المقت» فهو (البغض الشديد لمن تراه يتعاطى القبيح... قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٢)^(٣)، وقد يطلق «المقت» على العمل غير الصالح شديد الكراهة (وكان يسمى تزوج الرجل امرأة أبيه نكاح المقت)^(٤) وكانوا يطلقون على المولود من هذا الزواج بـ(المقتي)^(٥) لأنه عمل غير صالح، فيتضح من هذا أن المقت يدل على الأمر شديد القبح، والذي فيه محذور اجتماعي، وضرورة ابتعاد عنه أكثر من البغض، وهذا يدل على أن العطف بالواو عند الإمام -عليه السلام- قد جاء من باب عطف العام على الخاص، وذكر الخاص ابتداءً ليدل على أن أذن المؤمن يجب أن تبتعد وتكره كل محذور وفحشاء، لأن سماع الفحش عمل غير صالح، ثم عليها أن تكره هذا العمل وتبغضه عن وعي وإدراك لحقيقة الممقوت، إذ إن نظرة الماقت إلى الشيء الممقوت نظرة مدرك لما فيه من قبح، واستقباح الشيء أدعى للابتعاد عنه من كرهه والنفور منه، فكأنه -عليه السلام- أبان بـ «المقت» قبح سماع الفحشاء وشديد كراهيتها، وبالْبِغْضَاء كرهه هذا السماع والنفور منه، ثم جمع بينهما بحرف

-
- (1) مفردات الفاظ القرآن الكريم: ١٣٦ «بغض» .
 - (2) سورة النساء : ٢٢ .
 - (3) مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٧٧٢ «مقت» .
 - (4) المصدر نفسه : ٧٧٢ «مقت» .
 - (5) غريب القرآن : ١٧٥ .

العطف «الواو» للدلالة على لزوم كره المؤمن لها بكل أنواع الكره، بالنفور منها، وبالأشد منه ليكون كرها على كره فيشتمل القلب بغضها، فلا تجد منفذا إليه.

ونظيره قوله -عليه السلام- في الدنيا: (سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ، وَجَلْدُ الرَّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَ الْوَهْنِ؛ فَلَا يَغْرَتُكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا)^(١)، فقد عطف «الوهن» على «الضعف» وكلاهما مفرد، وقد جاء «الوهن» مجرورا تبعا لـ«الضعف»، ومعلوم أن فائدة العطف في المفردات هي إشراك الثاني في إعراب الأول^(٢).

إن «الجلد» هو (الصلابة والقوة)^(٣)، و «الضعف» (خلاف القوة)^(٤)، و«الوهن» هو «الضعف»^(٥)، قال أحد الشراح: (والوهن: الضعف نفسه، وإنما عطف للتأكيد)^(٦)، إلا أن هذا القول فيه نظر، ذلك بأن الإمام -عليه السلام- ينبه المخاطبين على مساوئ الدنيا، فسروورها غير خالص من الأذى فإن سرورها المتأتي من نفعها ولذتها مكرر بالحزن^(٧)، كما أن القوة فيها زائلة شيئا فشيئا حتى تصير إلى الوهن، ومن هنا عليه ألا يغتر بكثرة ما يُعجب فيها لزواله وانقطاعه وقلة ما يصحب الإنسان منها، فقوة الرجال الأشداء مصيرها إلى الضعف بالمرض أو الشيخوخة لذا ذكر -عليه السلام- ما يؤول إليه هذا الجلد، لأنه هو المسبب لهذا الاغترار، وقد يتعلق الوهن باستمراره وعدم زواله، فأراد -عليه السلام- بيان هذا الأمر للمخاطب، فجاء بالضعف أولا، ثم بالوهن ثانيًا لأنه أشد من الأول، ولهذا عطف الإمام -عليه السلام- الوهن بـ «الواو» على الضعف للترتيب الزمني، فضعف القوة يرد على الإنسان أولا، ثم يعقبه «الوهن» لأن الضعف لقوة الجسد عامة، وإذا ضعف البدن قد يكون من بعد ضعفه قوة، والوهن لا يكون إلا في العظم، وإذا وصل الأمر إلى عظم المرء كان هذا أشد ضعفا من غيره، وأدل ما ينص على هذا الفارق الدلالي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ

(1) نهج البلاغة: ١٠٥/٧ .

(2) ينظر : شرح المفصل: ابن يعيش: ٤/٥ ، همع الهوامع: ١٥٥/٣، رصف المباني: ٤١٠ .

(3) شرح النهج : ١٠٦/٧ ، وفي لسان العرب ورد أنه (القوة والشدة) : ١٢٥/٣ «جلد» .

(4) مفردات الفاظ القرآن الكريم : ٥٠٦ «ضعف» .

(5) ينظر : لسان العرب : ٤٥٣/١٣ «وهن» .

(6) شرح النهج : ١٠٦/٧ ، ينظر : لسان العرب : ٤٥٣/١٣ «وهن» .

(7) الحزن هو غلظ الهمّ. ينظر: الفروق في اللغة : ٢٦٠، ٢٦٢ .

مَنِي ﴿١﴾، فنجد أن الوهن مختص بالعظم وهو أشد الكبر وأبلغ درجات ضعف الإنسان إذ يصير

ضعف (من حيث الخلق) (٢).

فأراد الإمام -عليه السلام- أن يوضح للمخاطبين أن بعد الجلادة يرد الضعف على الجسد وبعد الضعف يأتي وهن العظم وهو أبلغ من الأول، ولما كانت «الواو» تدل على الترتيب الزمني كانت هنا دالة على أن هذا الجلد عرضة للنقص الذي سيعتري هذا البدن القوي ويزداد فيه التصاقا حتى يصل إلى درجة العجز «الوهن».

من هنا نجد أن الألفاظ المترادفة إذا عطفها الإمام -عليه السلام- بـ «الواو» بعضها على بعض لا تدل على الترادف تماما، فلا تساوي بينهما بالدلالة، وإنما يتباين اللفظان على وفق مراد الإمام -عليه السلام- والسياق الوارد فيه هذه الألفاظ ذلك بأن العطف يقتضي التغاير في العربية وهذا التباين في دلالة الألفاظ المترادفة إنما يدل على براعة الإمام -عليه السلام- في الاستعمال وقدرته الفائقة على التمييز بين خصوصيات المعاني على وفق المراد والمقصود. ولهذا نظائر أخر في النهج (٣).

عطف الجمل المترادفة

ورد في النهج عطف الجمل المترادفة في عدة مواضع منها قوله -عليه السلام-:
(وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالَّذِينَ الْمَشْهُورُ ... وَالنَّاسُ فِي فِتْنٍ إِنْجَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ ...
أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ) (٤)، وقد عطف جملة «وردوا مناهله» على «فسلكوا مسالكه» وكلا فعلي الجملتين ماض.

وقد أورد «فسلكوا مسالكه» بـ «وردوا مناهله»، ويرى بعض الباحثين أنهما في المعنى سواء، فكرر -عليه السلام- المعنى على طريق عطف الخبر المرادف له تأكيدا على سلوكهم مسالك الشيطان، ومناهله، وهذا مما يقرر طاعتهم له (٥). بيد أننا نحسب أن ثمة فارقا دلاليا بين الجملتين، فمن سلك طريق الشيطان هو الذي سار على ما سار عليه إبليس من الخطأ فاتبعه في عمل الرذيلة واجتراح الذنب والإضرار بالإنسان على حين أن ورود المنهل يعني أن الشيطان أوصله إلى النتيجة نفسها التي وصل إليها هو، وهي «العقاب»، فسلوك طريقه

(1) سورة مريم : ٤ .

(2) لسان العرب : ٤٥٣/١٣ «وهن».

(3) ينظر : نهج البلاغة : ٨٣/١ ، ٩١/١ ، ٢٧٦/٧ ، ٢٧٦/٧ ، ٢٧٦/٧ ، ٨٨/٩ ، ١١٤/١٥ ، ١٣٧/١٥ ، ١٣٧/١٥ .

(4) نهج البلاغة : ١٣٥/١ - ١٣٦ .

(5) أساليب التأكيد في نهج البلاغة -دراسة دلالية: ١١٠ .

يصل بالسالك إلى المنهل الذي سيشرّب منه، وهو العقاب يوم القيامة، فكأن الواو هنا جاءت لترتب العطف الزمني بين الجمل.

فعطف الإمام -عليه السلام- جملة «وردوا مناهله» على الجملة الأولى هو إخبار منه بنهاية أقوام أطاعوا الشيطان، وسلّكوا مسالكه، وكانت صحبتهم للشيطان هي سبب ورودهم مناهله في نهاية الأمر، ولو لم يأت بالجملة الثانية لما صار ورودهم موارد أمره مؤكداً، فإن سلوكهم مسالكه مدة من الزمن لا يعني ورودهم هذه النهاية حتماً، فقد يتوب الإنسان بعد العصيان ويعود إلى ربه بعد سلوكه مسالك الشيطان، فتحسن عاقبته بعمل ما من أعمال الخير، فالسلوك سير و الورد غاية ونهاية لهذا السلوك. وقد جمعت بينهما «الواو» لتقرير هذا الورد المؤكد لإيراده بصيغة الفعل الماضي «وردوا» بعد طاعتهم للشيطان وسلوكهم مسالك الشر.

ونظيره قوله -عليه السلام- في معرض افتخاره وإثبات فضيلته -عليه السلام- على سائر أصحابه :
(فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا... كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ، وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ)^(١)، وقد عطف هنا جملة «لا تزيله العواصف» على جملة «لا تحركه القواصف»، والقواصف من «القصف» وهو (الكسر)^(٢)، (يقال قصفَ الريحُ السفينةَ في البحر)^(٣) أي كسرتها (وريح قاصِفٍ وقاصِفةٍ: شديدة تكسر ما مرّت به من الشجر وغيره. وقوله تعالى: ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ

الرَّيْحِ﴾^(٤)؛ أي ريحا تقصف الأشياء تكسرها كما تقصف العيدان وغيرها)^(٥)، وهو شدة الصوت (ورعد قاصف شديد الصوت. قال أبو حنيفة: إذا بلغ الرعد الغاية في الشدة فهو القاصف، وقد قَصَفَ يَقْصِفُ قَصْفًا وَقَصِيفًا. وفي حديث موسى -علي نبينا وعليه الصلاة والسلام-، وضربه البحر: فانتهى إليه وله قصيف مخافة أن يضربه بعصاه، أي صوت هائل يشبه صوت الرعد؛ ومنه قولهم: رعد قاصف أي شديد مهلك لصوته... والقصفة: دفعة الخيل عند اللقاء. والقصفة: دفعة الناس وقضتهم وزحمتهم، وقصفة القوم: تدافعهم وازدحامهم. وفي الحديث... أنه صلى الله عليه وآله - قال: أنا والنبيون فرّاط لقاصفين، وذلك على باب الجنة؛ قال ابن الأثير: هم الذين يزدهمون حتى يقصف بعضهم بعضاً، من القصف الكسر والدفع الشديد،

(1) نهج البلاغة: ٢٨٤/٢.

(2) لسان العرب: ٢٨٣/٩ «قصف» .

(3) مجمل اللغة: ٥٥١ «قصف» .

(4) سورة الإسراء: ٦٩ .

(5) لسان العرب: ٢٨٣/٩ «قصف» .

لفرط الزحام؛ يريد أنهم يتقدمون الأمم إلى الجنة وهم على إثرهم بدارا متدافعين ومزدحمين^(١)، فالمعاني التي وردت في اللسان لفظة «قصف» هي :

١. الريح التي تكسر .

٢. الرعد شديد الصوت أو الذي بلغ الغاية في الشدة، أو أنه الشديد المهلك لصوته.

٣. دفعات الخيل عند اللقاء .

٤. دفعات الناس وزحمتهم، أو تدافعهم وازدحامهم حتى يقصف بعضهم بعضا، فهي الدفع

الشديد لفرط الزحام، وهذا يكون في الأمر العظيم، ومن هنا قال -عليه السلام-: «لا تحركه

القواصف» لأن من شأنها الإرعاب وزعزعة الشيء وتحريكه بالدفع والكسر إلا أنه

-عليه السلام- عَصِيَ على التحريك والكسر لثباته ورسوخه وصلابته كما الجبل، فلا تتال

منه الشدائد مهما بلغت شدتها.

أما قوله -عليه السلام-: «ولا تزيله العواصف» فنجد فيها أنه جعل الإزالة من شأن العواصف،

والعواصف هي الريح التي تحمل العصف، و(العصف: حطام النبت المتكسر منه)^(٢) لذا يقال:

(أعصفت الريح)^(٣) إذا نقلت هذا العصف من مكان إلى آخر (وأعصفت الريح إعصافا، وذلك

إذا هبّت فحملت العصف)^(٤) وأزالته، (وعصفت الريح تعصف عصفا وعصوفا، وهي ريح

عاصف وعاصفة... إذا اشتدت. وفي التنزيل: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾^(٥)، يعني الرياح (والريح

تعصف ما مرت عليه من جولان التراب تمضي به، وفي الحديث: كان إذا عصفت الريح أي

إذا اشتد هبوبها. وريح عاصف: شديد الهبوب. والمعصفت: الرياح التي تثير السحاب

والورق وعصف الزرع)^(٦)، فعصف الريح يحرك التراب بقوة ويزيله من موضعه إذ إنه ينقله

معه إلى حيث يمضي، كذلك إثارة الريح للسحاب والورق وعصف الزرع، فهي تنقل هذه

الأشياء إلى موضع آخر أي تزيلها عن مواضعها، ونقول: عصفت الحرب بالقوم إذا ذهبت

بهم^(٧)، أي أهلكتهم ونقلتهم بشدة بالموت من الحياة الدنيا إلى الأخرى.

(1) لسان العرب: ٢٨٣/٩-٢٨٤ «قصف» .

(2) مجمل اللغة : ٤٧٨ «عصف» .

(3) المصدر نفسه : ٤٧٨ «عصف» .

(4) المصدر نفسه: ٤٧٨ «عصف» .

(5) سورة المرسلات : ٢ .

(6) لسان العرب : ٢٤٨/٩ «عصف» .

(7) ينظر : مجمل اللغة : ٤٧٨ «عصف» .

والعصف أيضا هو السرعة (فنعامة عصوف: سريعة، وكذلك الناقة، وهي التي تعصف براكبها فتمضي به)^(١)، فهي سريعة في حركتها، فتقله نقلا سريعا من مكان إلى آخر، أي أنها تزيله من موضع إلى آخر، وبذا نصل إلى أن العصف تحريك للشيء بقوة وشدة وسرعة حتى تتم إزالته من موضع إلى آخر، فثمة فارقا بين الأمرين وهذا بين واضح.

وقد جاء -العصف- بالتحريك والكسر أولا، ثم أردفه بالإزالة ليفهم أنه ثابت مدى الدهر لا يقوى عليه شيء أبدا، وقد جمعت «الواو» بين عدم التحريك وعدم الإزالة في تدرج الشدائد والمحن من الأدنى إلى الأعلى لبيان قوة هذا الثبات إذ (يقولون: بعث الله عليه الريح العاصف والرعد القاصف)^(٢) أي أحاطت به الشدائد كلها صغيرها وكبيرها، وهذا هو ما أراد -العصف- قوله، فهو ثابت حين تجتمع عليه الشدائد وتحيط به أسباب الهلكة، كما يصمد الجبل ويظل شامخا عبر الدهور، فلا يتحرك من محله ولا ينقل البتة.

ولهذا نظائر في النهج^(٣).

وقد ذكرت إحدى الباحثات أن هذا العطف هو عطف مترادفين يفيد التوكيد^(٤)، ولانتمق معها في هذا فليس في ذلك ترادف، بل اللفظان مترادفان عموما والمعنى متباين على وفق قرائن السياق والخصوصية الدلالية لكل لفظة وإن اتحدت مع نظيرتها -رديفتها- في المعنى العام لها.

إن القاعدة النحوية تنص على أن العطف يقتضي المغايرة في الأصل، وأنه لا يصح عطف الشيء على نفسه، فاللفظتان المتعاطفتان في الأمثلة المتقدمة يظهر أنهما مترادفتان -متساويتان-، وقد أجاز الفراء عطف المترادفات إذ يقول: (إن العرب لتجمع الحرفين وإنهما لو احد إذا اختلف لفظاهما)^(٥).

وقد أجاز عدد من النحاة عطف المرادف على مرادفه، وخصوا الواو بهذا النوع من العطف دون سائر حروف العطف^(٦)، وقد استدلوا على جواز عطف المرادف على مرادفه

(1) لسان العرب : ٢٤٨/٩-٢٤٩ «عصف».

(2) مجمل اللغة : ٥٥١ «عصف» .

(3) ينظر: نهج البلاغة: ٩٨/١-٩٩، ١٢٣/١، ١٣٦/١، ١٣٦/١، ١٨٥/٢، ٢٨٤/٢، ٢٨٤/٢، ٣٠٠/٢، ٣٦٣/٦، ٨٠/١٣، ٨٩/١٣.

(4) ينظر: أساليب التأكيد في نهج البلاغة -دراسة دلالية: ١٠٩-١١٣.

(5) معاني القرآن: الفراء: ٣٧/١ ذكر ذلك في مجال قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ «سورة البقرة : ٥٣».

(6) مغني اللبيب: ابن هشام: ٦٧٠/١، همع الهوامع: ١٥٧/٣، حاشية الصبان: ٩٢/٣.

بالواو بطائفة من الشواهد القرآنية^(١)، والأحاديث النبوية^(٢) وأشعار العرب^(٣)، غير أننا نحسب أنه لا بدّ من وجود زيادة في المعنى في أحد المعطوفين، فلا بدّ من أن يقتضي مغايرة في المعنى تحصل بها فائدة، ولولا المغايرة والفائدة لأصبح استعمال العطف ضرباً من ضروب اللغو، وهذا محال أن يقع في النهج.

الفرع الثالث: اقتران «واو» العطف بـ «إمّا»^(٤)

وقد ترد «الواو» مقترنة بـ «إمّا» وذلك نحو قوله -ﷺ-: «كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ؛ إِمَّا رَغْبَةً وَ إِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينٍ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ...»^(٥)، إن اقتران «الواو» بـ «إمّا» أفاد ربط المعنى الأول بالثاني في حين أفادت «إمّا» التفصيل، فعملية دخول بني أمية في الدين مجملة غامضة والخطاب هنا لبني أمية، فجاء -ﷺ- بقوله: «إمّا رغبة وإمّا رهبة»، فوضح الأمر وحدده تفصيلاً، فإسلامهم كان تحت وطأة السيف، أو طمعا في معطيات الدنيا التي حازها المسلمون على حين قد حظي السابقون بالفوز لإسراعهم في ولوج باب الإسلام، فنالوا شرف الأولوية والسبق^(٦)، وكان -ﷺ- أولهم برسول الله ﷺ لحوقاً وأشدهم به لزوقاً، فورثه من بينهم^(٧).

ولهذا نظائر في النهج^(٨) (*).

الفرع الرابع: اقتران «واو» العطف بـ «لكن»^(٩)

من الشروط التي اشترطها النحاة في عطف «لكن» ما بعدها على ما قبلها عدم اقترانها بـ «الواو» ، فإذا اقترنت بها «الواو» لم تعد من حروف العطف^(١).

(1) ومنها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ «البقرة: ١٥٧»، وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ﴾ «سورة يوسف: ٥٦»، وقوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً﴾ «سورة طه: ١٠٧»، وقوله تعالى: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَنْزُرُ﴾ «سورة المدثر: ٢٨».

(2) ومنه قوله ﷺ: (ليليني منكم أولوا الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم). مغني اللبيب: ٣٩٥/١، وقد جاء الحديث الشريف في: صحيح مسلم: «الصلاة» ١٥٤/٤، سنن الترمذي: ٤٤٠/١-٤٤١.

(3) ومنها قول عنتره في معلقته:

حَيِّبَتْ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمَّ الْهَيْبِمِ

ينظر: معاني القرآن واعرابه: الزجاج: ٢/٢٠٣، شرح القصائد السبع الطوال: ٢٩٨، ديوان عنتره ومعلقته: ١٥٣.

(4) ينظر: مغني اللبيب: ٢/٣٠، الأشباه والنظائر: ١/١١٨.

(5) نهج البلاغة: ١١٧/١٥.

(6) ينظر: الأربعين في فضائل أمير المؤمنين: جمال الدين الهروي: ٣٦.

(7) ينظر: المستدرک على الصحيحين: الحاكم النيسابوري: ٣/١٣٦، بحث حول الولاية: محمد باقر الصدر: ٥٢-٥٥.

(8) ينظر: نهج البلاغة: ١/٣١٢، ١٦/٨٥، ١٧/٣٢، ١٧/١٤٠، ١٨/٣٤٧.

(* سادرس النظائر في القادم من هذا البحث.

(9) ينظر: الأشباه والنظائر: ٢/١١٩.

من ذلك قوله -عليه السلام- (٢): (... يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ؛ وَ لَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَ الشُّكْرِ) (٣)، وهنا نجد أن «الواو» قامت بوظيفتها في عطف الجملة الثانية على الأولى وربطت بينهما، وقد خرجت «لكن» من حروف العطف كما يرى جمهور النحاة، وهنا نفى الامام -عليه السلام- أن تكون الشهادة من مواطن الصبر، ولما نفى ما قيل «لكن» أثبتت «لكن» ما بعدها، وهو هذا المواطن من مواطن البشري والشكر.

ونلاحظ أن اقترانها «الواو» و «لكن» يعطينا عبارة متماسكة لأداء المعنى المطلوب، الذي يرغب المتكلم في التعبير عنه حيث استترك الإمام بـ «لكن» بعد «الواو»، فأفاد معنى جديدا لا يحصل من دون «لكن».

وله نظائر أخر تزيد على «٢٩» موضعا (٤).

الفرع الخامس: اقتران «واو» العطف بـ «لا» إن سبقت بنفي (٥)

وذلك نحو قوله -عليه السلام-: (مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْقَةِ؛ وَاللَّهُ لَا يُقَلِّتُ مِنْهُمْ عَشْرَةَ، وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشْرَةَ) (٦)، وهنا عطف «الواو» جملة «لا يهلك منكم عشرة» على جملة «لا يقلت منهم عشرة» ونلاحظ أنه -عليه السلام- جاء بـ «لا» الثانية ليفيد أن الفعلين منفيان عنهما في حال الاجتماع والافتراق، إذ لو لم تدخل «لا» لاحتمل أن المراد نفي الترتيب عند الاجتماع دون الافتراق (٧).

(1) ينظر: مغني اللبيب : ٥٦٣/١ .

(2) وذلك حين حيزت عنه -عليه السلام- الشهادة في يوم أحد، وشق ذلك عليه فقال له الرسول ﷺ: «أَبَشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ؟» فقال لي: «إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرَكَ إِذَا!» فأجابته -عليه السلام- «يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ لَيْسَ هَذَا ... الشُّكْرُ». ينظر : شرح النهج : ٢٠٥/٩ .

(3) نهج البلاغة : ٢٠٥/٩، قال ذلك حينما سأله رجل عن الفتنة، وهل سأل رسول الله ﷺ.

(4) ينظر : نهج البلاغة: ٢٩٨/١، ٧٥/٢، ٧٥/٢، ١٦٢/٢، ٣٢٢/٢، ٨٤/٩، ١٢٧/٦، ٧٠/٧، ١٠/١٠، ٣٠/١٠، ٦٤/١٠، ٢١١/١٠، ٥٥/١٣، ١١٤/١٥، ٢٠٥/١٦، ٢٨٦/١٦، ١٠٦/١٧، ٢٨/١٨، ٧١/١٨، ٢٥٠/١٨، ٢٤٨/١٨، ٢٧/١٩ .

(5) الأشباه والنظائر: ١١٩/٢، الواو في العربية -دراسة صوتية وصرفية ونحوية: سهيل نجمان حاجي العتيبي، كلية الآداب، جامعة بغداد، بإشراف: د. عبد الأمير الورد، «رسالة ماجستير»، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م : ١١٩ .

(6) نهج البلاغة : ٣/٥ .

(7) ينظر : الجنى الداني : ١٦١ ، همع الهوامع : ١٥٨/٣ ، الأشباه والنظائر : ١١٩/٢ ، دراسة في حروف المعاني الزائدة : ١١٩ .

و«النفطة» هي (الماء الصافي)^(١)، وعنى بها -العلامة- الفرات^(٢)، وقد نفى -العلامة- نجاة عدد كبير من الخوارج، فلا يفلت عشرة، وعطف الجملة التالية على الأولى لينفي هلاك عدد كبير من جيشه، فلا يهلك عشرة، وأكد كلامه -العلامة- بالقسم.

ونظيره قوله -العلامة-: (وَ قَدْ عَرَفَ حَقَّهَا*) رَجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ؛ وَلَا قُرَّةَ عَيْنٍ؛ مِنْ وُلْدٍ وَلَا مَالٍ...)^(٣)، وهنا عطف مفردات، فقد عطف «قرة عين» على الفاعل «زينة متاع» لذا جاء المعطوف عليه «قرة» مرفوعا، وهو مضاف إلى «عين»، وكذلك عطف «لا مال» على «ولد»، وقد جاء المتعاطفان مجرورين.

نجد في كلامه -العلامة- أن اقتران «الواو» بـ «لا» أفاد أن فعل الاشتغال بـ«زينة المتاع»، و«قرة العين» منفي عن رجال متصفين بالإيمان في حالة اجتماع المتعاطفين وافتراقهما، والذي أفاد ذلك هو اقتران «الواو» بـ «لا»، وكذلك قوله -العلامة- في بيان «قرة عين»، وهو قوله: «من ولد»، ثم عطف عليه «مال» بـ«الواو» المقترنة بـ«لا» للغرض المذكور نفسه، إذ بيّن بعطفه «مال» بـ«الواو» المقترنة بـ«لا» على «ولد» أن قرة عين الإنسان، وهي «الولد» و «المال» لا تشغلهم عن الصلاة في حال اجتماعهما، وفي حال افتراقهما أيضا.

وقد ذكر الإمام -العلامة- مكانة الصلاة وفضائلها وأمر بتعاهد أمرها، والمحافظة عليها، ثم ذكر أن رجالا وصفهم بالإيمان قد حالفهم التوفيق في معرفة حقها، فلم يشغلهم عنها شاغل من زينة الحياة الدنيا من ولد أو مال. وقد دل عطفه المنفي على المنفي على حسن عبادتهم واهتمامهم بأداء فرض الصلاة على أكمل وجه. ولهذا نظائر في النهج^(٤).

والنحاة يسمون «لا» هذه زائدة ويظهر مما سبق أنها ليست زائدة، إذ إنها تأتي لدلالة محددة وهي النفي في حالة اجتماع المتعاطفين وافتراقهما.

عطف الجمل^(١) بـ «الواو»

- (1) مجمل اللغة : ٦٥٢ «نطف» .
- (2) الفرات: هو النهر الذي وقعت بقربه وقعة النهروان، والكلام إخبار عن الغيوب، فقد قاله -العلامة- لما عزم على حرب الخوارج ، وقد تحقق الأمر كما ذكر -العلامة- . ينظر : الجمل وصفين والنهروان، صفة وقعة النهروان: ٤٣٨-٤٤٥ ، معجم البلدان: ياقوت الحموي: ١٩٥/٥، شرح النهج : ٤-٣/٥ .
- (*) أي الصلاة .
- (3) نهج البلاغة : ٢٠٢/١٠ .
- (4) ينظر : نهج البلاغة : ٢٦٥/١٠ ، ٨٩/١٦ ، ٩٠/١٦ ، ١٠٤/١٦ ، ١٠٥/١٦ .

إن (أكثر الكلام جمل، والجمل مركبة من مسند ومسند إليه فإن كان كلاهما إسما أو بمنزلة الاسم فالجمل اسمية، وإن كان المسند فعلا أو بمنزلة الفعل فالجمل فعلية)^(٢)، والجمل^(٣) إما أن تأتي مستقلة قائمة بنفسها لا تحتاج إلى كلمة تسبقها ولا إلى جملة تتقدمها، وإما أن تأتي غير مستقلة فتكون متممة لما تقدمها من كلمة أو جملة، والجمل التي تقع معطوفا عليه هي من النوع الثاني، فتأخذ حكم الجملة -المعطوف- نفسه في الاستقلال^(٤)، وذلك لأنها (تحل محل المفرد فتعرب بإعرابه)^(٥)، فإن كان للمعطوف محل من الإعراب كان لها محل من الإعراب^(٦)، وإن لم يكن له محل من الإعراب لم يكن لها محل منه^(٧).

وقد ورد في النهج عطف الجمل بـ«الواو»، وقد عطف «الواو» جملة اسمية على جملة اسمية، وكذلك جملة فعلية على جملة فعلية. وسأذكرهما فيما يأتي:

أولا: عطف جملة اسمية على جملة اسمية بـ«الواو»

ومما ورد في هذا العطف قوله -عليه السلام-: (الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة)^(٨)، وقد عطف -عليه السلام- جملة «الفقر في الوطن غربة» على جملة «الغنى في الغربة وطن»، ولما كانت الجملة -المعطوف- الابتدائية لا محل لها من الإعراب كانت الجملة -المعطوف عليه- لا محل لها من الإعراب أيضا، تأسيسا على عامل العطف.

ونلاحظ أنه -عليه السلام- قد جمع في المتعاطفين هنا المتضادات، فقد يجمع النسق صفات متضادة^(٩) في نسق من التقابل، فصد «الغنى» «الفقر»، وصد «الوطن» «غربة» فأحسن في المقابلة، وقد عكس المعنى بصورة تامة دلت على المعنى الذي يريد إيصاله من فضاة الفقر، وما يسببه من إحساس مؤلم في نفس الفقير من وحشة انقطاع ووحدة وضياح، فالغنى يحيل الناس إلى أصدقاء وإخوة بل عبيد للغنى، في حين يعاني صاحب الفقر الهجر والصد منهم.

(1) وهو الضرب الثاني من العطف. ينظر: المفصل: ٣٠٣، التبيان في علم البيان: الزملكاني: ١٣١.

(2) ينظر: تجديد النحو: شوقي ضيف: ٢٥٦.

(3) ذكرت في أقسام الجملة في العربية الجملة الاسمية والجملة الفعلية، ونعود هنا للحديث فيها تماما لها، واقتصرت عليهما فلم أذكر عطف الجملة الظرفية لقله وردها في النهج قياسا لما ذكرت من جمل اسمية و فعلية معطوفة على ما قبلها. ينظر: مغني اللبيب: ٧/٢، الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٥٧.

(4) ينظر: تجديد النحو: ٢٥٨، ٢٦٠.

(5) أقسام الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ١٩٥، ينظر: التبيان في علم البيان: الزملكاني: ١٣١.

(6) ينظر: أقسام الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ٢٠٠.

(7) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٥.

(8) نهج البلاغة: ١٩٠/١٨.

(9) ينظر: من بلاغة النظم العربي: عبد العزيز عبد المعطي: ١٥١/٢.

إن الصورتين(*) المذكورتين ثابتتان في الغنى والفقر بدلالة إسمية الجملتين، فنلاحظ هنا مجيء الجملة المعطوف عليه بعد الجملة المعطوف في صورتين متعاندتين تتساوقان في النص لتأتي ثمرة وصفهما في الدلالة التي أوضحها الإمام -عليه السلام- وهي مرارة الفقر وقدرته على تدمير النفس الإنسانية والفتك بها. وقد استعمل الإمام -عليه السلام- الجملة الإسمية للتعبير عن ثبات المعاني التي يعنى بإيصالها إلى المخاطبين.

ونظير هذه المقابلة في جملتين إسميتين متعاطفتين قوله -عليه السلام-: (غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ، وَ غَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيْمَانٌ)^(١)، فنجد هنا أن المعطوف وهو جملة «غيرة الرجل إيمان» لا محل له من الإعراب لأنه قد عطف على جملة ابتدائية لا محل لها من الإعراب، وهي جملة المعطوف «غيرة المرأة كفر».

وقد جعل غيرة المرأة ضد غيرة الرجل، وكذلك جعل الكفر ضد الإيمان (ولا بد أن يكون بينهما نوع ملائمة لأجله جاز عطف أحدهما على الآخر)^(٢)، و (إنما عُطِفَ أحدهما على الآخر باعتبار كونهما ضدين، والضد ملازم لضده، فهذا هو الذي سوغ العطف فيهما)^(٣)، فالكفر هو صفة غيرة المرأة، والإيمان هو صفة غيرة الرجل، وقد قدم غيرتها على غيرته، أي الجملة المعطوف على الجملة المعطوف عليه، لاهتمامه -عليه السلام- بمضمون الجملة الأولى إذ إن غيرة المرأة قد تؤدي بها إلى الشطط والخروج عن سنن الحق، بخلاف غيرة الرجل التي تعد من المحامد الرجولية له.

ونظير ذلك قوله -عليه السلام- في الدنيا: (الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيْزٌ حَتَّىٰ أَخْذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيْفٌ حَتَّىٰ أَخْذَ الْحَقَّ مِنْهُ)^(٤)، فقد عطف الجملة الإسمية «القوي عندي ضعيف» على الجملة الإسمية المتقدمة «الدليل عندي عزيز»، وهي جملة استأنف بها الكلام، فلا محل لها من الإعراب لذا جاءت الجملة -المعطوف عليه- لا محل لها من الإعراب.

(*) والفقير يتحمل ألم الصورتين: صورة فقره المخيفة المؤلمة وعدم قدرته، وصورة الغني المترف الآمن.

(1) نهج البلاغة : ٣١٢/١٨ .

(2) الطراز : ٢١٥/٣ .

(3) الطراز : ٢١٦/٣ .

(4) نهج البلاغة : ٢٨٤/٢ .

وأراد الإمام -عليه السلام- هنا بيان المنهج الذي يعمل به، فالإمام -عليه السلام- سيرته العدل بين الرعية، ومن العدل ردع الظالم ونصرة المظلوم وإرجاع حقه إليه؛ فاستعمل لأداء هذه الفكرة الجملة الإسمية، فالاسم يدل (على الاستقرار والثبوت)^(١).

وكذلك جاءت الألفاظ «الذليل»، و«عزیز»، و«القوي»، و«ضعيف» إسمية على صيغة مبالغة على زنة «فعل» فدللت على صفات لازمة^(٢)، وهي أقرب إلى معنى الصفة المشبهة بالإكثار من الذلة والمبالغة فيها تجعله كالصفة الراسخة في الإنسان^(٣)، ومثل ذلك يقال في: «عزیز» و«القوي» و«ضعيف» فالصفات مسوقة إلى تكثير الأفعال والمبالغة في معانيها وكان ورودها في الكلام لوصف الذلة والعزة، والقوة والضعف على سبيل الكثرة للدلالة على مدى الذلة التي بلغها الذليل، وأنه شديد بلغ الغاية، وكذلك مدى القوة في القوي ومدى العزة التي يرفع الإمام بها الذليل في «عزیز»، ومدى الضعف الذي يُصير القوي إليه «ضعيف»، وقد قدم الظرف «عندي» ليبين مدى أهمية هذا الأمر عنده أو أنه خص اتصاف الذليل بالعزة بنفسه -عليه السلام- وخص اتصاف القوي بالضعف عنده أيضاً، فهو -عليه السلام- يساوي بين الناس في حكمه، ويعمل على إعزاز صاحب الحق المظلوم، وإعادة حقه إليه بقهر القوي العزيز وإضعافه بانتزاعه حق المظلوم، فإذا انتزع من الظالم الحق يعيده إلى الحال التي كان عليها قبل أن يهتضمه الإمام، وبإعادة الحق إلى صاحبه يعود الضعيف إلى الحال التي كان عليها قبل ظلم الظالم، فيكون الإمام -عليه السلام- قد استوفى الحق وحققه في المجتمع.

فنلاحظ أن «الواو» ربطت أجزاء العبارة، وجاءت بثمرة هذا الربط بجمعها جملتين تصب دلالتيهما في حيز واحد هو أن الناس عنده سواسية، فهو عادل في الحكم ينصر المظلوم ويقف في وجه الظالم.

وقد ورد في النهج عطف جمل إسمية متتابعة في قوله -عليه السلام- في خطبة له في تنزيه الله سبحانه وتقديسه: (كُلُّ مُسَمَّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ... وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ غَيْرُ بَاطِنٍ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ)^(٤)، فقد عطف الجمل «كل عزيز غيره ذليل»، «كل قوي غيره ضعيف»، «كل مالك غيره مملوك»، «كل عالم غيره متعلم»، «كل ظاهر غيره غير باطن»، «كل باطن غيره غير ظاهر»، على «كل مسمى بالوحدة غيره قليل».

(1) البرهان في علوم القرآن : ٦٦/٤ .

(2) ينظر : الصاحبي : ٢٢٥ .

(3) ينظر : المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : ١٤٢/١ .

(4) نهج البلاغة : ١٥٣/٥ .

إن قوله -عليه السلام-: «كل مسمى بالوحدة غيره قليل» حقيقة ثابتة وذلك (لأن الواحد أقل العدد، ومعنى كونه واحدا يبين ذلك لأن معنى كونه واحدا، إما نفي الثاني في الإلهية أو كونه يستحيل عليها الانقسام، وعلى كلا التفسيرين يسلب عنها مفهوم القلة)^(١)، فهو (واحد لا ند له وواحد لا ضد له)^(٢) مطلقا (هذا إذا فسرنا كلامه على التفسير الحقيقي، وإن فسرناه على قاعدة البلاغة وصناعة الخطابة، كان ظاهرا، لأن الناس يستحقرون القليل لقلته، ويستعظمون الكثير لكثرتهم)^(٣).

إن المعنيين «قوة وحدته تعالى، وضعف وحدة غيره» من المعاني الثابتة في الواحد المطلق وفي وحدة غيره لإسمية الجملة، وهكذا الجمل المتعاطفات التالية لها تتسم بثبات معانيها، ففي قوله -عليه السلام-: «كل عزيز غيره ذليل» نجد أن غيره عرضة لقهر القضاء والقدر وأنه واقع تحت سلطة المطلق في عزته وهو الله تعالى، فعزته لا تشوبها ذلة لأنها عزة مطلقة، والإطلاق في عزته أمر أذل كل عزيز له، ولما دلت إسمية الجملة على ثبات الذلة في غيره تعالى أثبتت ثبات العزة له.

كذلك علم العالم غيره في قوله -عليه السلام-: «كل عالم غيره متعلم» هو أمر ناقص، فكل عالم غيره يحتاج إلى تعلم، وهو محتاج إلى علمه تعالى لأنه المعلم الأول الذي يفيض العلوم على النفوس^(٤).

أما قوله: «كل ظاهر غيره باطن، وكل باطن غيره ظاهر» فذلك لأن ظهوره تعالى لا يدرك بالحواس الظاهرة، بل بأمر آخر، أو أن كل ملك ظاهر على رعيته أو على خصومه وقاهر لهم، ليس بعالم ببواطنهم وليس مطلعاً على سرائرهم، والباري تعالى بخلاف ذلك^(٥). ولعطف الجملة الإسمية على الإسمية نظائر أخر في النهج^(٦).

ثانياً: عطف جملة فعلية على جملة فعلية^(*) بـ «الواو»

الجملة الفعلية (عبارة عن الفعل وفاعله كـ «قام زيد» والمبتدأ وخبره كـ «زيد قائم»، وما كان بمنزلة أحدهما نحو: «ضرب اللص»، و «أفانم الزيدان»، و «كان زيد قائماً» و

(1) شرح النهج: ١٥٥/٥، ينظر: خلاصة علم المنطق: عبد الهادي الفضلي: ٧٨-٨٠.

(2) الصحيفة السجادية: علي بن الحسين -H-: ٣٣٦.

(3) شرح النهج: ١٥٦/٥.

(4) ينظر: شرح النهج: ١٥٦/٥.

(5) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٧/٥.

(6) ينظر: نهج البلاغة: ٧٤/٢، ٢٣٨/٦، ٧٥/٨، ٩٥/٩، ١٧٥/٩، ١٣٢/٩، ١٦٤/٩، ٣٣٥/١٥، ٢٠٥/١٦، ٤٨/١٧، ٣٢٢/١٨، ٧/١٩، ٣١/١٩، ٢٢٤/١٩، ٢٥٧/١٩، ٢٣٢/١٩، ٢٤٥/١٩، ٢٤٥/١٩.

(*) تناولنا دراسة موجزة عن الجملة الفعلية فيما تقدم من البحث.

«ظننته قائماً»^(١)، فهذا النوع من الجمل (عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد كقولك: زيدٌ قائمٌ، أو لم يفد كقولك: إن يكرمني، فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه فتكون أعم من الكلام مطلقاً)^(٢)، وقد بُنيت على «الفعل» وهو ما دل على معنى وزمان، وذلك الزمان إما ماض وإما حاضر وإما مستقبل^(٣)، فهو أصل من أصول مباني الكلام المعروفة، وركن أساس من أركان الجملة العربية، بل في معظم لغات البشر^(٤).

إنَّ عطف جملة على جملة مثل: «قامَ زيدٌ وقعدَ عمرو»، هو ربط الجمل بعضها ببعض، واتصالها، والإيذان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية من الأولى، ويكون الرباط بينهما هو حرف العطف^(٥). فباتصالهما يكون الإخبار عنهما إخباراً واحداً^(٦).

وقد ورد عطف جملة فعلية على مثلها في النهج، وسأذكر منه ما يأتي^(*):

أ- عطف جملة فعلية فعلها ماض على أخرى فعلها ماض بـ«الواو».

ب- عطف جملة فعلية فعلها مضارع على أخرى فعلها مضارع بـ«الواو».

أ- عطف جملة فعلية فعلها ماض على أخرى فعلها ماض بـ « الواو »

إن دلالة عطف الفعل على الفعل هي اشتراكهما في الزمان^(٧).

ومما ورد في النهج من هذا العطف قوله -ﷺ-: (فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشَلُوا وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا)^(٨)، فقد جاء -ﷺ- بالجمل الفعلية المتتابعة «تطلعت حين تقبعوا»، و«نطقت حين تعتعوا»، و«مضيت بنور الله حين وقفوا...» معطوفة على جملة «فقمتم بالأمر حين فشلوا» وهذه الجملة لا محل لها من الإعراب، فتبعتهما الجمل المعطوفة في ذلك، فلا محل لها من الإعراب.

وهنا يذكر الإمام -ﷺ- مقاماته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد وفاة رسول الله ﷺ فقد نهض بالأمر حين فشل وتخاذل غيره، وإنه لم يفر من مواجهة الخطوب فيختبأ كما «تقبع» غيره متخفياً طلباً للسلامة، ولم يتردد في كلامه من عيٍّ أو حصرٍ أو

(1) مغني اللبيب : ٥/٢ .

(2) التعريفات : ١٠٦ .

(3) الأصول : ٤١/١ ، ينظر : أسرار العربية : ٣١٥ ، شرح المفصل : ابن يعيش : ٢٠٧/٤ .

(4) ينظر : من أسرار العربية : إبراهيم أنيس : ٢٠٧ .

(5) ينظر : المفصل : ١٢٤ .

(6) ينظر : شرح المفصل : ابن يعيش : ٢٧٨/٢ .

(*) وقد اقتصرنا على هذين العطفين طلباً للاختصار .

(7) ينظر : شرح المفصل : ابن يعيش : ٥/٥ .

(8) نهج البلاغة : ٢٨٤/٢ .

جبن!^(١) ويرى بعض الشراح أن معنى: (تطلعت أي تعقبت كلام الرسول صلى الله عليه وآله وأفعاله وما فاتني شيء من ذلك... وتقبعوا أي لم يتعقبوا الرسول صلى الله عليه وآله كما فعلت)^(٢).

وهذا يدل على أنه قد سار على سنة الرسول ﷺ نصا بنص دون خروج البتة، ونجده قد استعمل الفعل الماضي للتعبير عن أمور وقعت في الماضي (لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل، وكونه مقطوعا به)^(٣)، وقد استعمل «الواو» للربط بين هذه الجمل ليخبر المخاطبين بشيء وقع في الزمن الماضي، فقد قام هو بالأمر إذ فشل غيره، متبعا الرسول ﷺ وظاهرا بالمواجهة في هذا الإتيان، حين تخفى غيره، ناطقا بالحق حين حصر غيره لجبن أو إتيانها لمصلحته، ماضيا على نهج بصيرة من الله^(٤)، ويأتي العطف لدلالات، فالربط بين الجمل يعطينا صورة مترابطة واضحة المعالم فتتضح بالارتباط، وقد يشملها توكيد، فنجد الكلام ينمو وتتكاثر معانيه، ولكن خيوطه في النهاية تتلاقى عند نقطة واحدة^(٥)، وهي أنه صاحب الحق في أمر الخلافة فذكر فضائله التي ترفعه إلى رتبة السابقين^(٦) الفائزين، ويظهر من كلامه أنه قد تعرض إلى تكذيب فيما ينقل عن الرسول ﷺ^(٧)، فجاء بهذا الكلام ليبين حقيقة الأمر.

ومنه أيضا قوله -عليه السلام-: (زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ)^(٨)، فجملة «سقوه الغرور» والتالية لها «حصدوا الثبور» معطوفتان على «زرعوا الفجور»، والجملة -المعطوفة- لا محل لها من الإعراب، فتبعتها ما بعدها من جمل في الإعراب.

وقد جعل الإمام -عليه السلام- ما فعلوه من القبيح بمنزلة زرع زرعوه، ثم أنهم سقوا هذا الفجور الذي قد زرعوه، وقد وقعت الاستعارة في موقعها، لأن تماديهما هو الذي أوجب

(1) ينظر: شرح النهج: ٢/٢٨٥، قال الشيخ مغنية: فقد أشار -عليه السلام- إلى فضله ومنزلته في قوله: «فقمتم بالأمر» فقوله عام يشمل كل فضيلة ومنقبة للإمام -عليه السلام- انفرد بها كتيبته المعضلات والمشكلات حين سكت غيره جهلا. ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١/٢٥٨-٢٦١، عظمة الإمام علي: عرفات القصبي: ٢١

(2) في ظلال نهج البلاغة: ١/٤٥٧ .

(3) الكشف: ٣/٣٠٤ .

(4) ومضيه بنور الله، أي بنور الوحي، وبالمضي علمه به، كما هو في واقعه. ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١/٤٦١، عظمة الإمام علي: عرفات القصبي السعيد: ٢١ .

(5) ينظر: دلالات التراكيب دراسة بلاغية: ٢٩٥ .

(6) كالسبق إلى الإسلام، والمبيت على فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة، ومؤاخاة الرسول له، وأخذه عن النبي ﷺ علومه وأخلاقه، ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١/٤٥٨، المراجعات: ١٧١ .

(7) ينظر: شرح النهج: ٢/٢٨٦، مصباح السالكين: ٢/٩٦ .

(8) نهج البلاغة: ١/١٣٨ .

استمرارهم على القبائح التي فعلوها، فكان ذلك كما يسقى الزرع، ويربى بالماء ويُستحفظ، وكانت نتيجة ذلك الزرع والسقي حصاد الهلاك^(١).

فلاحظ أن ربط الجمل الماضوية المتتابعة بـ«الواو» منح النص صورة متكاملة إذ إننا نلاحظ كيف وظف الزمن بدقة، فالزراعة، ثم السقي الدال على النمو، ثم الحصاد، ومعلوم أن الزراعة تسبق السقي والنمو المؤدي إلى نضوج الشيء المزروع يحتاج إلى مدة من الزمن، ثم النضوج المؤدي إلى الحصاد، وهذا يفهم من معنى الأفعال في سياق النص، فاستعمل «الواو» هنا للدلالة على الترتيب الزمني بين الجمل المعطوفات ليوضح التسلسل المنطقي لوقوع الأشياء.

ونظيره قوله -ﷺ- : (أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَ قُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَ أَلْهَمَنَا وَ إِيَّاكُمْ الصَّبْرَ!)^(٢)، وهنا عطف جملة «ألهمنا وإياكم الصبر» على «أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق»، وهي مستأنفة لا محل لها من الإعراب، فجاءت الجملة التابعة لها لا محل لها من الإعراب. وهنا جاء الفعل الماضي في «أخذ»، وفي «ألهمنا» للدلالة على الدعاء، كأنه -ﷺ- يؤكد باستعماله الفعل الماضي رغبته في أخذ الله تعالى بجميع هذه القلوب المدعو لها إلى الحق، وإلهامه وإياهم جميعا الصبر، ولما كان الحق مرًا وصعبًا حمله عطف الجملة الثانية على الأولى ليربط بين طلبه الأخذ بالقلوب إلى الحق وبين إلهامهم الصبر. ولها نظائر في النهج^(٣).

ب- عطف جملة فعلية مضارعة على جملة فعلية مضارعة بـ«الواو»

مما ورد في النهج منها قوله -ﷺ- : (أَ وَ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُمْسُونَ وَ يُصْبِحُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى...)^(٤)، فقد عطف جملة «يصبحون» على جملة «يمسون»، وقد جاءت الجملة «المعطوف» في محل نصب حال من «أهل الدنيا»، والتقدير «ممسين»، والمعطوف عليه في محل نصب وتقدير الجملة «مصبحين».

(1) ينظر : شرح النهج : ١٣٩/١ .

(2) نهج البلاغة : ٣٣١/٩ .

(3) ينظر: نهج البلاغة: ١٥١/١، ٢٠٠/١، ٤/٦، ١٣٧/٧، ٢٠١/٧، ١١٤/٧، ١٨١/٧، ١٣٧/١٣، ١٥١/١٣، ١٧١/١٨ .

(4) المصدر نفسه: ٨٠/٧ .

وفي السؤال إنكار لما هم عليه من الغفلة وعدم الاعتبار من تصرف الدنيا بأهلها، وقد استعمل الفعل المضارع للدلالة على التجدد في الإسماء والإصباح ومع هذا التجدد تتغير الأحوال، وقد فصلها في تمام كلامه في العبارة^(١).

إن دلالة التجدد في الفعلين دلالة مستوحاة من صيغة المضارعة، وقد ربطت «الواو» بين الفعلين لتعطي دلالة متكاملة في حركة التجدد والتغير من المساء إلى الصباح ومن الصباح إلى المساء.

ومما ورد جملا فعلية مضارعية متعاطفة رده - عليه السلام - حين رُئِيَ عليه إزار خلق مرقوع، فقيل له في ذلك، فقال - عليه السلام - : إنه إزار (يَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ، وَ تَذَلُّ بِهِ النَّفْسُ، وَ يَقْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ)^(٢)، وهنا عطف جملة «تذل به النفس»، وجملة «يقتدي به المؤمنون» على جملة «يخشع له القلب»، والجمل كلها لا محل لها من الإعراب.

إن الخشوع في الفعل المضارع «يخشع» أمر حاضر مع لبس هذا الخلق البالي، فهو يلبس الخلق لأجل خشوع القلب وإذلال النفس المختصان بلبسه، وكذلك اقتداء المؤمنين بلبسه أي الاتصاف بسمة التواضع وعدم التكلف في الملبس بمعنى عدم الانصراف إلى ظواهر الأمور. ونجد أن صفات الخشوع والإذلال والاقتداء التي صيغت على الفعل المضارع قد جاءت هنا دالة على الاستمرار، وقد جاءت «الواو» بينها لتشارك هذه الجمل في معنى عام جامع لها، وهو الدلالة على مواساة الإمام لفقراء عصره بهذا الملبس، ودل أيضا على أن هناك عددا كبيرا من رعاياه في فقر وحاجة.

ونظيره قوله - عليه السلام - : (نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَ نَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَ نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَدْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ)^(٣)، وقد عطف جملة «نستعينه من أمرنا على ما يكون» على جملة «نحمده على ما كان» وكذلك الأخرى «نساله المعافاة في الأديان» على جملة «نحمده على ما كان» الابتدائية، و«الجملة الابتدائية» لا محل لها من الإعراب، وكذلك ما عطف عليها من جمل.

وقد ابتدأ الإمام - عليه السلام - كلامه بحمد الله تعالى على ما مضى، وجاء الحمد على ما مضى لأنه معلوما؛ ولما كان المستقبل غير معلوم جعل الاستعانة بإزائه، وقد تدرج في الكلام من الحمد إلى الاستعانة لينتهي بسؤاله السلامة في الأديان، ولقد ظرف

(1) ينظر : المصدر نفسه : ٧/٨٠-٨١ .

(2) المصدر نفسه : ١٨/٢٦٢ .

(3) نهج البلاغة : ٧/٨٠ .

وأبدع - العطف - في قوله: «ونسأله المعافاة في الأبدان، كما نسأله المعافاة في الأبدان»، وذلك أن للأبدان سقما وطبا وشفاء، كما أن للأبدان سقما وطبا^(١).

إن الحمد^(٢) - هنا - وطلب العون، وطلب المعافاة مستمرة عنده - العطف - طلبا للنجاة. ومنها أيضا قوله - العطف -: (الدَّهْرُ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ، وَ يُجَدِّدُ الْأَمَالَ، وَ يُقَرِّبُ الْمَنِيَّةَ، وَ يُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ)^(٣)، وقد جاءت «الواو» لتعطف الجمل الفعلية المضارعية المتتالية «يجدد الأمال»، و «يقرب المنية»، و «يباعد الأمنية» على جملة «يخلق الأبدان»، وهي جملة مبدوءة بالمضارع خبر المبتدأ، ويدل على الاستمرار وهكذا الجمل التالية المعطوفة عليها^(٤). وله نظائر آخر في النهج^(٥).

المطلب الثاني: دلالة العطف بـ «الفاء»

الفاء حرف من حروف العطف (تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو، غير أنها تجعل ذلك متنسقا بعضه في إثر بعض وذلك قولك: مررتُ بعمرو فزيد فخالدي)^(٦). فهي كالواو في الضم والاتساق إلا أنها ليست كالواو في مسألة الترتيب (ومما يدلك أيضا على أن الفاء ليست كالواو قولك: مررت بزيد وعمرو، ومررتُ بزيد فعمرو، تريد أن تعلم بالفاء أن الآخر مُرَّ به بعد الأول)^(٧)، (وأنه لا مهلة بينهما)^(٨)، فـ «الفاء» حرف عطف يشرك بين المتعاطفين في الإعراب والمعنى^(٩).

وهي تعطف مفردا على مفرد، وتعطف جملة على جملة^(١٠).

وبعد استقرار كلام العرب وجد أنها تفيد ثلاثة أمور:

- (1) ينظر: شرح النهج: ٨١/٧.
- (2) الفالحمد أمر واجب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «سورة الفاتحة: ١»، والاستعانة به لازمة للإنسان، وهي والحمد طرق عبادية ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ «سورة الفاتحة: ٥»، وطلب المعافاة في الأبدان هو السبيل للهداية ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ «سورة الفاتحة: ٦»، فهو ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ «سورة الفاتحة: ٧»، وعافيتهم من أمراض الدين، فهم ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ «سورة الفاتحة: ٧»، وذلك لأنك ﴿الرحمن الرحيم﴾ «سورة الفاتحة: ٣»، وهذا الدعاء مستمر مدة بقاء الإنسان، يردده كثيرا في صلاته المستمرة.
- (3) نهج البلاغة: ٢١٨/١٨.
- (4) منهاج البراعة: الخوئي: ١٢٠/٢١.
- (5) ينظر: نهج البلاغة: ٣٣٢/١، ١٠٣/٨، ٢١٥/٨، ٢١٠/٩، ١٣٧/٩، ٣٨/١١، ٣٩-٣٨/١١، ٥٥/١٣، ٣٠٩/١٣، ٢٤٥/٩، ٢٤٨/١٨، ٢٠٥/١٦.
- (6) الكتاب: ٣٠٤/٢.
- (7) المصدر نفسه: ٤٢/٣.
- (8) المصدر نفسه: ٢١٣/١.
- (9) ينظر: التوطئة: ١٨٥، الجني الداني: ٦١.
- (*) وسأنبه على ذلك خلال دراسة الدلالات.

الفرع الاول: دلالة الترتيب

وفي هذا المعنى يقول سيبويه: (ومن ذلك قولك: مررتُ بزَيْدٍ فعمرُو، ومررتُ برجلٍ فامرأةٌ، فالفاءُ أشركتَ بينهما في المرور، وجعلتَ الأولُ مبدوءاً به)^(١)، وقصد بذلك الترتيب المعنوي.

وقال المبرد: الفاء (توجب أن الثاني بعد الأول، وأن الأمر بينهما قريب، نحو قولك: رأيتُ زيدا، فعمرا ودخلتُ مكة فالمدينة)^(٢)، فلم تدل على الجمع المطلق (فهي تجيء لتقدم الأول واتصال الثاني فيه)^(٣)، وهي للترتيب إلا أنها توجب وجود الثاني بعد الأول بغير مهلة^(٤)، وقال الرضي: (اعلم أن الفاء تفيد الترتيب سواء كانت حرف عطف أو، لا)^(٥).
واختلف النحاة في إفادتها للترتيب^(٦)، فهي عند البصريين تفيد الترتيب في كل موضع^(٧)، فقد وجدوا أنها أفادت الترتيب والتعقيب عند سيبويه وإن لم يذكر هذين المصطلحين^(٨)، وذهب الفراء إلى أن الفاء لا ترتب بمنزلة الواو^(٩)، والصحيح مما ذكر أن الفاء استقر لها الترتيب عند النحاة^(١٠).

وذكر النحاة أن الترتيب بـ «الفاء» نوعان:

أولاً: الترتيب المعنوي : وهو أن يكون المعطوف بالفاء لاحقا للمعطوف في الزمان كما في: « قامَ زيدٌ فعمرُو »^(١١).

ومن ذلك قوله - ﷺ - : (... وَلَوِدِدْتُ أَنْ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ؛ قَوْمٌ وَاللَّهِ مَيَّامِينُ الرَّأْيِ، مَرَّاجِيحُ الْحِلْمِ، مَقُولٌ بِالْحَقِّ، مَثَارِيكُ لِلْبَعْغِيِّ، مَضُوا قُدُماً عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ، فَظَفَرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ ، وَالْكَرَامَةُ الْبَارِدَةُ)^(١٢)، فقد عطف الجملة الفعلية

(1) الكتاب: ٤٣٨/١.

(2) المقتضب: ١٠/١.

(3) الأصول: ٥٦/٢.

(4) ينظر: المقرب: ٢٥١، لباب الإعراب: الاسفراييني: ٣٩٧.

(5) شرح الرضي على الكافية: ٣١٢/٤.

(6) ينظر: شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٢٢٨/١.

(7) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٨/١، الجنى الداني: ٦١.

(8) ينظر: التوابع في كتاب سيبويه: ٦٨.

(9) ينظر: معاني القرآن: الفراء: ٣٧١/١، شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٢٢٨/١-٢٣٠.

(10) ينظر: شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٢٣٠/١.

(11) مغني اللبيب: ٣٢٤/١.

(12) نهج البلاغة: ٢٧٧/٧.

الماضوية(*) «ظَفَرُوا» على الجملة الفعلية الماضوية «مَضَوْا» والجملة المعطوف عليها واقعة في محل رفع خبر خامس لـ«مَضَوْا»، فتبعتها الجملة المعطوف في تقدير الرفع المحلي. وهنا نجد مهلة زمنية بين ظَفَرَ مباركي الآراء، ومضِيَّهم على الطريقة، وسلوكهم لمحبة الله، وكما هو معلوم أنهم لبثوا في مضِيَّهم زمناً، ثم انتقلوا بالموت إلى الأخرى فكان الفوز بالثواب الدائم والنعيم المقيم، وقد أفادت «الفاء» هنا فضلاً عن ربط الجملتين وعطف الثانية على الأولى الترتيب والتعقيب إذ إن حدث الماضي هو أسبق من الظفر، وكذلك دلت «الفاء» على التعقيب والاتصال الزمني؛ بين الماضي والظفر، على الرغم من أن مدة الماضي طويلة في حد ذاتها، إلا أنها تعد مدة قصيرة بالنسبة إلى ذلك السياق كما في قولهم: «تزوج فلان فولد له»، فقد استعملت «الفاء» هنا لأن المتكلم أراد الإفادة أن الزواج والولادة لم يكن بينهما إلا مدة الحمل، فكان الماضي حتى الوصول إلى العقبى الدائمة لم يكن بينهما إلا الانتقال بالموت.

ونظيره قوله - ﷺ -: (وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ ، فَهُوَ كَأَنَّ مِمَّنْ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزْوَاً)^(١)، وقد جاء هنا عطف الجملة الفعلية الماضوية «مات» على الجملة المتقدمة «من قرأ القرآن»، والموت قد يكون عقب قراءة القرآن أو بعد مدة زمنية إلا أن قوله في الجملة المعطوفة على «مات»، وهي «دخل النار» يمتد زمنها مدة طويلة وذلك لأن دخول النار لا يكون بعد الموت بصورة مباشرة بل يكون بعد مدة يقضيها الإنسان في القبر، وهي ما تسمى بـ«حياة البرزخ»^(٢)، ثم يكون يوم الحساب الذي يحكم فيه على الإنسان بدخول الجنة أو النار، وقد جاء الموت عقب القراءة ليدل على التعقيب والاتصال الزمني، وكذلك نجد التعقيب والاتصال الزمني في دخول النار عقب الموت إذ إنه نظر إلى قصر المدة الزمنية بالنسبة إلى سياق المقام، فقد أراد أن الموت ودخول النار لم يكن بينهما إلا مدة حياة البرزخ. وهنا استعمل الإمام - ﷺ - الجمل الماضوية ليظهر الأمر غير الحاصل «وهو الاستقبال» في صورة الحاصل «وهو الماضي»^(٣)، ثم جاء بسبب دخوله النار مع قراءة القرآن، وهو اتخاذ آيات الله هزواً. وللتعقيب الزمني نظائر أخر في النهج^(٤).

(*) إذ (لا يخلو المعطوف بالفاء من أن يكون مفرداً، أو جملة). الجنى الداني: ٦٤.

(1) نهج البلاغة : ٥٢/١٩ .

(2) نجده في قوله تعالى ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. «المؤمنون: ١٠٠». ينظر: منازل الآخرة: عباس القمي: ٥٠.

(3) أي تخيل إظهار غير الحاصل في صورة الحاصل قياساً بالجملة الماضوية الواقعة في شرط وجزاء «إن»، و«إذا». ينظر : جواهر البلاغة «ط١٢» : ١٦٥ .

(4) ينظر : نهج البلاغة : ١٢٧/٦ ، ٢٥٥/٦ ، ٢٦٨/٦ ، ٢٠١/٧ ، ٢٥١/٧ .

ثانياً: الترتيب اللفظي والذكري: وتفيد فيه («الفاء» العاطفة للجمل: كون المذكور بعدها، كلاماً مرتباً على ما قبلها في الذكر، لا أن مضمونها عقب مضمون ما قبلها في الزمان)^(١).

ومما ورد في النهج دالاً على هذا المعنى قوله -عليه السلام-: (أَفْهَذِهِ تُؤْثِرُونَ؛ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرُصُونَ! فَبُنِيتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهَمْهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا!)^(٢)(*)، ونلاحظ هنا أن الإمام -عليه السلام- عطف جملة إنشائية على جملة إنشائية أخرى، كما نلاحظ ترتب ما بعدها على ما قبلها، (فإن ذكر ذم الشيء أو مدحه يصح بعد جري ذكره)^(٣).

يستفهم -عليه السلام- السامعين على سبيل التقرير لهم عن إثارةهم للدنيا واطمئنانهم إليها وحرصهم عليها، فهي بنس الدار لمن اعتقد بصحتها، وأنها مقصودة بالذات، فالركون إليها بذلك الاعتبار مذموم في حق الإنسان^(٤)، فنلاحظ أن سياق الجملة المعطوفة والمعطوف عليها سياق واحد دال على الذم والتقرير معا.

ومنه عطف المفصل على المجمع، لأن موضع ذكر التفصيل يكون بعد الإجمال، ومن ذلك قوله -عليه السلام-: (وَ قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَ قَلَّلَهَا... وَ خَلَقَ الْأَجَالَ فَأَطَالَهَا وَ قَصَّرَهَا، وَ قَدَّمَهَا وَ أَخَّرَهَا، وَ وَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا)^(٥)، وقد عطف جملة «كثرها وقللها» على جملة «قدر الأرزاق»، والجملة المعطوف لا محل لها من الإعراب، فتبعها الأخرى.

واستعمل الأفعال الماضية في الجملتين المتعاطفتين للدلالة على وقوع هذه الأحداث في زمن مضى، وقد ترتب «تكثر الأرزاق»، و«تقللها» على تقديرها، وكذلك ترتبت إطالة الأجال، و«تقصيرها» و«تقديمها» و«تأخيرها» على خلقها.

وقد أجمل -عليه السلام- ذكر تقدير الله تعالى أرزاق عبده وتقسيمه لها إجمالاً، ثم فصل ذلك التقدير بالتفصيل والتكثير، فالانتقال من المجمع المبهم إلى المفصل المبين هو الأسلوب الذي استعمله الإمام -عليه السلام- ليشد انتباه المتلقي، ويزيده تشويقاً إلى معرفة المراد من وراء هذا المجمع، ثم أتى التفصيل فوضح هذا المجمع مضيفاً إليه ثبات دلالة ذلك المعنى في ذهن المتلقي بعد معرفته .

(1) شرح الرضي على الكافية : ٣١٣/٤ .

(2) نهج البلاغة : ٢٢٧/٧ .

(*) ولم أعتز الا على هذا المثال في النهج.

(3) شرح الرضي على الكافية: ٣١٣/٤ ، ينظر : حاشية الصبان: ٩٣/٣ .

(4) ينظر: مصباح السالكين : ٨٨/٣ .

(5) نهج البلاغة : ٢١/٧ .

وكذلك في عطف جملة «أطالها وقصرها» على «خلق الأجال» نلاحظ عملية انتقاء دقيقة للحروف العاطفة في عملية ربط الجملتين «أطالها وقصرها»، و«خلق الأجال» بحرف «الواو»، فقد ربط تقدير الأرزاق والتي تعني الحياة وبين الأجال الموصولة بالموت بالحرف الدال على الجمع «الواو» إذ جمع بين بُلغة الحياة وقوامها ومدتها، فالأجال الموصولة بالموت يتوقف طولها وقصرها على الأرزاق، فلو انقطعت الأرزاق لوصلت الأجال بالموت وانتهت الأجال بانقضاء الأرزاق، ودل استعمال «الواو» على أنه تعالى الفاعل لكل هذه الأمور العظيمة الجامع لها، فبين إجمال وتفصيل، وربط وجمع جاءت الفكرة غاية في التناسق، عظيمة التوافق.

ف نجد الإجمال في خلق الأجال يبيث في نفس المتلقي التلهف والرغبة في معرفة هذا المجمل المبهم، فيرد التفصيل موضحا وكاشفا لتتم به فائدة المعنى، وكانت إطالة الأجال وتقصيرها، وتقديمها وتأخيرها من الدلائل على قدرته تعالى، فبعد إكرامه بني آدم -عليه السلام- بالنعم ابتلاهم بنقاوت هذه الأمور التي فصلت المجمل المبهم، وأبانت قصد المتكلم بيانا يقضي على تردد المعنى في ذهن المتلقي.

ونظيره قوله -عليه السلام-: (...أَمَا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خَلْقِهِ، فَقَالَ: أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ...)⁽¹⁾، وقد جاءت جملة «طعن عليه» معطوفة على «تعصب»، ثم عطف عليها جملة «طعن»، وقد عمل حرف العطف «الفاء» على الربط بين جملتي: «طعن»، و«قال».

وقد جاء قول إبليس مفصلا وموضحا للإجمال الوارد في تعصبه وطعنه على آدم -عليه السلام-، فأبان الإمام -عليه السلام- مضمون تعصبه وطعنه على آدم -عليه السلام-، وقد جاءت «الفاء» في «فقال» للدلالة على هذا التفصيل، فحقيقة الأمر أن هذا القول هو فحوى هذا التعصب والطعن الذي نقل لنا روايته الإمام -عليه السلام- فذكره مبهما أولا لأن الإبهام مظنة التشويق، وهو الأمر الذي يبعث المتلقي على السعي لمعرفة المراد من الكلام، فإذا ذكره -عليه السلام- بالتفصيل ثانيا جاء بكلام غاية في الإيضاح والكشف عما يريد التعبير عنه بدقة وإيضاح عال، فكان تعصب إبليس يثير تساؤلا في نفوس السامعين عن كنه هذا التعصب وسببه، فجاء بالتفصيل إجابة عن هذا المعنى، لأن ذكر المعنى مرتان يزيده قوة وثباتا في ذهن المتلقي. ولهذا نظائر أخر في النهج⁽²⁾.

(1) نهج البلاغة : ١٦٦/١٣ .

(2) ينظر : المصدر نفسه : ١٨٩/٢ - ١٩٠ ، ٨٠/٧ ، ١٦٦/١٣ ، ٣٤٦/١٨ .

مما سبق نجد أن «الفاء» قد خرجت في الأمثلة السابقة عن دلالة الترتيب الزمني وأدت دلالة أخرى يقتضيها السياق إذ لا يمكن القول أن المعطوف هنا لاحق في الزمان للمعطوف عليه، وبفهم من السياق القرينة المقالية أو الحالية التي تعين المتلقي على فهم دلالة «الفاء». فحين تفهم من السياق قرينة التفصيل بعد الإجمال، تأتي الفاء بعد الإجمال لتربطه بما جاء تفصيلاً له.

فقد ذكر - عليه السلام - تعصب إبليس وطعنه مجملاً، ثم فصله بمجيء قول إبليس نفسه، وربط بين الإجمال والتفصيل بـ «الفاء».

وقد جاء أسلوب الذم - في العبارة المتقدمة - بعد ذكر الدنيا^(١)، وهذا هو ما يقتضيه الترتيب السياقي، فرتبة الذم إنما تحسن في السياق إذا جاءت بعد ذكر الشيء المذموم، فقد دل استعمال «الفاء» هنا على رتبة سياقية لا زمنية.

من هنا نقول: إن دلالة «الفاء» لا تتوقف عند حدود دلالتها على الترتيب والتعقيب، وإنما قد تتصرف إلى دلالات أخر بحسب السياق الذي ترد فيه كضرورة ذكر المذموم على الذم، أو إيضاح المبهم بعد تقديم إبهامه أولاً، فهاتان الداللتان لا تدخلان ضمن الدلالة الترتيبية للفاء، فنفهم بهذا أن الفاء لها حرية في الاستعمال من قبل المتكلم على وفق حاجته وداعي السياق لتلك الدلالة.

الفرع الثاني: دلالة التعقيب

إن «فاء» العطف تفيد دلالة الترتيب الزمني مع التعقيب، فـ (من شأنها أن يكون المعنى الذي اشترك فيه المعطوف والمعطوف عليه حاصلًا للمعطوف بعد حصوله للمعطوف عليه بلا مهلة فصل، ويكون حصوله للثاني عقب حصوله للأول. نحو قولك: زيدٌ أتيتك فمحدثك، أي يحصل الحديث من قبله بعد إتيانه بلا فصل، ولا يجوز أن يكون الحديث الذي أخبرت به عنه حصل قبل الإتيان، ولا في الحال التي حصل فيها الإتيان)^(٢).

فإن عبارة: «قام زيدٌ فعمرو» تدل (على أن قيام عمرو بعد زيد بلا مهلة)^(٣). كذلك دلالة دخول الكوفة بعد دخول البصرة في قولهم: «دخلتُ البصرة فالكوفة»، فالداخل في البصرة لم يشتغل بشيء غير أسباب دخول الكوفة^(٤).

(1) ينظر : شرح النهج: ٢٢٧ .

(2) شرح أبيات سبويه: السيرافي: ١٠١/١ .

(3) الجنى الداني: ٦١ .

(4) ينظر: الغرة المخفية: ابن الخباز: ٣٨٤/١ .

وقد قيل: أن (تعقيب كل شيء بحسبه، فإذا قلت: دخلتُ مصرَ فمكة، أفادت التعقيب على الوجه الذي يمكن)^(١).

وقال ابن هشام: نفي الفاء (التعقيب، وهو في كل شيء بحسبه، ألا ترى أنه يقال: «تزوج فلان فولد له»، إذا لم يكن بينهما إلا مدة الحمل، وإن كانت متطاوله، و«دخلت البصرة فيبغداد»، إذا لم تقم في البصرة ولا بين البلدين، وقال الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً﴾^(٢)(٣).

ومما ورد في النهج دالا على التعقيب قوله -عليه السلام- في صفة إرسال النبي ﷺ: (أرسله بأمره صادعاً، وبذكره ناطقاً، فأدى أميناً، ومضى رشيداً...) ^(٤)، فقد عطف الجملة «أدى أميناً»، وفعلها ماض على جملة «أرسله بأمره صادعاً» للدلالة على أحداث وقعت في الزمن الماضي، وعطف الجملتين بـ «الفاء» مما أفاد هنا الترتيب مع التعقيب، أي الاتصال الزمني بين الإرسال والأداء .

والإمام -عليه السلام- في معرض الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة، وقد ذكر ذلك بعد أن استعان بالله تعالى على رعاية حقوقه، وكان الشهادة بوحدانيته، ثم الشهادة بإرساله النبي ﷺ من جنسها بل من أهمها، وقد ذكر فضيلة النبي ﷺ حين أرسله تعالى بأمره صادعاً، وهي استعارة للرسول ووجهها أنه شق بأمر الله عصا الشرك، وتحدى قلوب المشركين، فأخرج ما كان فيها من الكفر والجهل ونطق بذكره تعالى فأودعها إياه^(٥)، فكان صادعاً بأمره (أي مظهراً ومجاهراً للمشركين)^(٦)، فأدى واجبه أميناً عليه، ثم قبضه تعالى (مرشداً له إلى حضرة قدسه ومنازل الأبرار من ملائكته)^(٧).

ومنه قوله -عليه السلام-: (يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ: كُنْ فَيَكُونُ)^(٨)، وقد عطف الفعل المضارع «يكون» على فعل الأمر «كن» (إشارة إلى وجوده، ودل على اللزوم وعدم التأخر والتراخي

(1) الجنى الداني : ٦١ .

(2) سورة الحج : ٦٣ .

(3) مغني اللبيب : ٣٢٦/١ ، ينظر : حاشية الدسوقي على مغني اللبيب : ١٧٣/١ .

(4) نهج البلاغة : ٨٤/٧ .

(5) ينظر : مصباح السالكين : ٧/٣ .

(6) شرح النهج : ٨٥/٧ .

(7) مصباح السالكين : ٧/٣ .

(8) نهج البلاغة : ٨٢/١٣ .

بالفاء المقتضية للتعقيب بلا مهلة^(١)، وهذا يدل على عظمة قدرته، وسرعة خضوع الأشياء له سبحانه.

ونظيره قوله -عليه السلام-: (دليلها*) مكيث الكلام، بطيء القيام، سريع إذا قام، فإذا أنتم أنتم له رقابكم، وأسرتم إليه بأصابعكم؛ جاءه الموت فذهب به^(٢)، عطف الإمام -عليه السلام- جملة «ذهب به»، وفعلها ماض على جملة «جاءه الموت»، والفعل ماض أيضا، ودلالة الفعلين «مستقبلية» لوقوع الجملتين المتعاطفتين جزاءً لـ «إذا الشرطية» أي سيجيئه الموت وسيذهب به إذا أطعتموه .

وقد جاءت «الفاء» لتدل على سرعة ذهاب الموت بالدليل حين مجيئه، ولو أن «ثم» استعملت هنا ما أدت هذه الدلالة البيانية الدقيقة.

وقد عنى الإمام -عليه السلام- بالدليل نفسه المقدسة، ومكيث الكلام: (أي رزين غير عجول)^(٣)، كناية عن ترويه وتثبته في أقواله وما يشير به ويحكم، فإذا نهض جدّ وبالغ، ويذكر أنهم حين يخضعون لطاعته، وينقادون لأمره، ويعظمونه يتوفاه الله^(٤).

يرسم الإمام -عليه السلام- صورة مستقبلية له تتعاقب أجزاءها، فبعد أن يجتمع عليه الناس، يجيئه الموت، فيذهب به، والحرف الذي استعمله -عليه السلام- للربط بين الأمرين هو «الفاء» للدلالة على التعقيب، والزمن الفاصل بين الأمرين قد يبدو طويلا إذا نُظر إليه خارج السياق، ولكن السياق العلوي يجعله قصيرا، كأنه سيقع في لحظة خاطفة، وهذه إشارة إلى قصر المدة، وسرعة الذهاب، ولا تصلح «ثم» في هذا الموضع لأن التراخي هو الدلالة الأصلية لـ «ثم» في حين أن التعقيب هو الدلالة الأصلية لـ «فاء» العطف.

كما نجد عدم صلاح مجيء «الواو» بدلا من «الفاء» في قوله -عليه السلام- في صفة المتقين: (أرادتهم الدنيا فلم يُريدوها، وأسرهم فقدوا أنفسهم منها)^(٥)، وهنا عطف الجملة الفعلية «فدوا أنفسهم منها» ذات الفعل الماضي على الجملة «أسرهم»، وهي فعلية فعلها ماض أيضا.

فالدنيا تلقي بشباكها على الجميع، وللدلالة على حصول أمر أسر الدنيا للمتقي شأنه شأن الآخرين، وثبات هذا المتقي وتخلصه من هذا الأسر بسرعة تقديمه لـ «الفداء»، ونجاته من أسرها عطف الجملتين بـ «الفاء»، يقول أحد الشراح في هذا الصدد: (وأما الفدية فلما لم يكن

(1) مصباح السالكين : ١٧٢/٤ .

(*) يقصد دليل راية الحق .

(2) نهج البلاغة : ٨٤/٧ .

(3) مجمل اللغة : ٦٢٣ «مكت» .

(4) ينظر : شرح النهج : ٨٥/٧ ، مصباح السالكين : ٧/٣ .

(5) نهج البلاغة : ١٣٣/١٠ .

إلا بعد الأسر لا جرم عطفها بالفاء^(١)، فدل على أن زهدهم في الدنيا هو زهد حقيقي، واستعار لفظ الأسر لانهماك الإنسان في الدنيا والاستمتاع بها، فكأنها قد أخذت بلبّهِ ووقع في قيد أسرها، فجاء الترك والإعراض طاعة لله بالفدية إعراضا عن الدنيا، وكانت مواظبة الإنسان على طاعته تعالى بديلا عن ذلك الاستمتاع^(٢).

وقد جمعت «الفاء» بين حالتين من الشعور مر بهما الإنسان للوصول إلى مصاف الأتقياء، كما أن «الفاء» قد أفادت السببية أيضا.

إن دلالة التعقيب لا تفارق «فاء» العطف في الكثير من المواضع بيد أن هذه الدلالة دلالة نسبية يحددها السياق، وقد تخرج عن حدود هذه الدلالة كما أشرنا سابقا. ولهذا نظائر أخر في النهج^(٣).

الفرع الثالث: دلالة السببية

إن العلاقة السياقية الناشئة من الربط بـ «فاء» العطف تقوم على معنى الجمع والتشريك، في حين تقوم العلاقة الناشئة من الربط بـ «فاء» السببية على معنى العلية، وهو صادر أساسا عن معنى الشرط.

وقد قرر النحاة أن دلالة السببية لا يمكن أن تؤدبها «فاء» العطف في حالة عطف المفرد غير الصفة، نحو: قام زيدٌ فعمر^(٤)، أما حين تستعمل «الفاء» في عطف الجمل أو الصفات فإنها تدل على السببية غالبا^(٥).

ومن أمثلة «الفاء» العاطفة، الدالة في الوقت نفسه على السببية في النهج قوله -عليه السلام-: (وَ نَادَاهَا (*) بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ، فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا^(٦)...) (٧) فعطف جملة «التحمت عرا أشراجها»، وفعلها ماض على جملة «ناداها بعد إذ هي دخان»، وفعلها ماض أيضا للدلالة على أحداث قد تمت في زمن مضى، فالتحام عرا الأشراج -هنا- جاء نتيجة النداء الإلهي وتلبية له، وكانت «الفاء» هي الحرف المناسب للربط بين العبارتين للدلالة على عطف الثانية على الأولى، وكونها مسببة عنها.

(1) مصباح السالكين : ٤١٧/٣ .

(2) ينظر: المصدر نفسه: ٤١٧/٣ .

(3) ينظر: نهج البلاغة: ٢٢٨/١، ٢٨٤/٢، ٢٤٠/٣، ٥٤/٤، ١٤٦/٦، ٧٠/٧، ١٥٢/١٣، ١٣/١٧، ٢٦٥/١٨ .

(4) الجنى الداني: ٦٤ .

(5) ينظر: التسهيل : ١٧٥، الجنى الداني : ٦٤ ، حاشية الصبان: ٩٣/٣ .

(*) أي السماء .

(6) الأشراج مفردة «شرح»، و (الشرح: العرى... والشرجان: الفرقتان). مجمل اللغة : ٣٦٦ «شرح».

(7) نهج البلاغة : ٤١٩/٦ .

وأشار -عليه السلام- في النداء إلى قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إِنِّي نَادِيكِ فَاحْتَبِي﴾^(١)

طائعين^(١)، وقد كان ذلك في بداية خلق الكون الذي أوجد في محيطه الإنسان حين كانت السماء دخاناً، فالتحمت عرا أشراجها، وقد صور انضمام أجزائها، بانضمام طرفا العيبة بتشريح عراها، (وهو على الحقيقة كناية عن سرعة الإبداع)^(٢)، والسرعة التي ذكرها الشارح تفهم من سياق الكلام فضلا عما لـ «الفاء» من دلالة على قصر المدة، فقد أفادت دلالة التعقيب إذ لا نجد مهلة بين المعطوفين ليتم المعنى الذي أراده -عليه السلام- من تعظيم قدرة الله تعالى في خلق الخلق وابتداعه، والسرعة الدالة على هذه القدرة، وخضوع المخلوقات واستجابتها لإرادته لذا جاءت «الفاء» حرفا مناسبا ليؤدي هذه الدلالات جميعا.

ونظيره قوله -عليه السلام-: (وَ حَذَرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا، وَ نَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا)^(٣)؛ فَأَضَلَّ وَ أَرْدَى، وَ وَعَدَّ قَمِيًّا... حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قُرَيْبَتَهُ... أَنْكَرَ مَا زَيْنَ...^(٤)، فقد عطف -عليه السلام- الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي «أضل» على الجملة الفعلية «نفذ في الصدور نجيا»، وفعلها ماض أيضا ليربط بين الضلالة ونفاذ العدو -أي الشيطان-، وأن هذا النفاذ في الصدور وهذا النفث في الأذان هما سبب إضلاله الإنسان وإردائه إياه في المهالك.

أراد -عليه السلام- حث الناس على التقوى وتخويفهم من غضب الله تعالى الذي أقام الحجج على بني آدم وحذرهم من الشيطان الموصوف بالعداوة والنفوذ في الصدور بخفاء، فكأنه يسري فيها مسرى الدم في العروق، لهذا استعمل «الفاء» للدلالة على سرعة إضلاله للإنسان، فهو يوسوس له ويضله ويرديه سريعا، فلا يترك للإنسان مجالا للتفكير أو التردد لأنه شديد الإصرار، سريع العمل، وهذا يدل على شدة عداوته للإنسان، فهو العدو الذي ينفث خدعه وأباطيله نجوى، وأكد هذا المعنى -عليه السلام- في قوله: «في الأذان»، فكأنه يقول: أنه يهمس همسا، واستعمل لفظ النفث للدلالة على وقع هذه النجوى في النفوس، فكأنه ساحر أو حية تنفث سمها، فتثقل حركة فريستها، ثم تقضي عليها، وهو وصف دقيق لقوله تعالى في الاستعاذة منه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُّوسِّسُ فِي صُدُورِ

(1) سورة فصلت : ١٠ .

(2) شرح النهج : ٤٢١/٦ .

(3) والنجي: الذي يساره، فـ«النجوى» هو (السر بين اثنين). مجمل اللغة : ٦٣٩ «نجو».

(4) نهج البلاغة : ٢٦٨/٦ .

النَّاسِ ﴿١﴾ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿١﴾، ولم يذكر -عليه السلام- «المفعول به» في «أضل»، و «أردى»، و «وعد»، و «مئى»، فدل على الإطلاق لبيان قدرة هذا العدو وتمكنه من الإيقاع بعبيد الله تعالى بسعة تشمل الناس جميعا، فهو يضل ويردي، ويعد أي إنسان من دون استثناء مما يدل على سعة عمله وإصراره على إضلال جميع الناس، لذا على الناس جميعا أن يكونوا منه على حذر.

وقد أبان الإمام -عليه السلام- للمخاطبين مقدرته بـ «الفاء» للدلالة على سرعة الإضلال لذا لزم أن يكونوا حذرين منه في جميع الأوقات .

ونظيره قوله -عليه السلام- في التحذير من الدنيا: (دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلَالُهَا بِحَرَامِهَا) ^(٢)، وقد عطف جملة «خلط حلالها بحرامها»، وهي جملة فعلية فعلها ماض على جملة «هانت على ربها»، وهي جملة فعلية فعلها «ماض».

وقد جاء بفعل مفرغ من الزمن «هانت» للدلالة على الإطلاق والاستمرارية في هوان الدنيا على الله تعالى، ثم عطف عليها جملة فعلية «خلط حلالها بحرامها»، وفعلها «ماض» مفرغ من الزمن، فدل على الإطلاق والاستمرارية في عملية خلط الحلال بالحرام فيها، فناسب الجملة المعطوف عليه الجملة المتقدمة -المعطوف-، وأفادت «الفاء» السببية، إذ إن صفة هوان الدنيا على الله تعالى كانت سببا في خلطه حلالها بحرامها.

وذهب أحد الشراح إلى القول بأن الإمام -عليه السلام- (مراده تفضيل الدار الآتية على هذه الحاضرة، فإن تلك صفو كلها وخير كلها، وهذه مشوبة، والكدر والشر فيها أغلب من الصفو والخير) ^(٣).

ونظيره أيضا قوله -عليه السلام- في الحث على لزوم التقوى والتحذير من يوم القيامة: (تَوَلُّوا * بِكُمْ إِلَى الْأَكْنَانِ ^(٤) الدَّعَةَ ...؛ فِي يَوْمٍ تَشَخَّصُ ^(٥) فِيهِ الْأَبْصَارُ ... وَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ؛ فَتَرْهَقُ كُلُّ مُهَجَّةٍ ... ^(٦))، فقد عطف الجملة الفعلية المضارعة ^(٧) «ترهق كل مهجة» على الجملة المضارعة

(1) سورة الناس : ١، ٢، ٣، ٤، ٥ .

(2) نهج البلاغة : ٢٤٦/٧ .

(3) شرح النهج : ٢٤٧/٧ .

(*) أي ترجع .

(4) الأكنان : جمع كن وهو الستر ، والدعة : الراحة. شرح النهج : ١٧٥/١٠ .

(5) وتشخص الأبصار : تبقى مفتوحة لاتطرف. شرح النهج : ١٧٥/١٠ .

(6) نهج البلاغة : ١٧١/١٠ .

(7) ينظر : نظائر عطف الجملة المضارعية على مثلها في نهج البلاغة : ٣١٢/٢ ، ٢٧١/٩ ، ١٧١/١٠ ،

٣٠٣/١٣ ، ١٣/١٧ ، ١٨/١٩ .

«ينفخ في الصور» بـ «الفاء» ذلك بأن النفخ في الصور يكون السبب في زهوق عموم الأنفس ولما أراد -عليه السلام- الحديث على أمر يقع في المستقبل جاء بالفعل المضارع ليصف ذلك اليوم الشديد وما فيه من أهوال، فكأنه يصور لنا بصيغة الفعل المضارع صورة ذلك المشهد عيانا.

ولهذا نظائر آخر في النهج^(١).

نصل مما تقدم الى أن «الفاء» تدل على العطف والترتيب بلا مهلة، وقد تدل على السببية أحيانا، ودلالاتها على التعقيب هي الدلالة الغالبة غير أنها قد تخرج عن هذه الدلالة لتدل على التعقيب، أو على تفصيل المجرى، أو تقوم بمهمة الربط بين معنيين لتتم العبارة وتخلق من معاني المتعاطفات معنى واحدا متكاملا.

المطلب الثالث : «ثم»

حرف عطف يشرك بين الأول والثاني في الإعراب والمعنى^(٢)، و(يشرك في الحكم، ويفيد الترتيب بمهلة، فإذا قلت: قام زيدٌ ثم عمرو، أدنت بأن الثاني بعد الأول بمهلة)^(٣).

وقد ذهب سيوييه وجمهور البصريين إلى أن «ثم» تدل على التشريك مع الترتيب والتراخي في الزمان، قال سيوييه: (ومن ذلك^(**): مررتُ برجلٍ ثم امرأةً، فالمرور ههنا مروران، وجعلتُ ثم الأول مبدوءاً به، وأشركت بينهما في الجر)^(٤).

وقال : (ومنه^(*): مررتُ برجلٍ راكبٍ ثم ذاهبٍ، فبين أن الذهاب بعده، وأن بينهما مهلة، وجعله غير متصل به، فصيره على حدة)^(٥)، فهي (مثل الفاء، إلا أنها أشد تراخيا، تقول: ضربت زيدا ثم عمرا، وأتيت البيتَ ثم المسجد)^(٦).

فقد لوحظ فيها زيادة المبنى على «فاء» العطف، فصارت أطول منها مهلة، فهي حرف يفيد الترتيب كالفاء مع المهلة والتراخي لأنها أكثر حروفا منها^(٧)، و(تفيد عند سيوييه

(1) ينظر : نهج البلاغة: ٢٢٨/١ ، ١٨٥/٢ ، ٣٢٢/٢ ، ٨٥/٢ ، ٤١٩/٦ ، ٤٢٣/٦ ، ٤٢٤/٦ ، ٢٦٨/٦ ، ٣٦٣/٦ ، ٢٠١/٧ ، ٢١٧/٧ ، ٢٤٦/٧ ، ٧٤/٩ ، ١٥٢/١٣ ، ٦/١٤ ، ٢٦٩/١٦ ، ٢٥١/١٧ ، ٥٢/١٨ ، ١٥٧/١٩ ، ٢٥٩/١٩ .

(2) ينظر: التوطئة: ١٨٥، التوابع في كتاب سيوييه: ٦٨ .

(3) الجنى الداني : ٤٢٦ .

(**) يقصد باب ما أشرك بين الإسمين .

(4) الكتاب : ٤٣٨/١ .

(*) يقصد باب النعت .

(5) الكتاب : ٤٢٩/١ .

(6) المقتضب : ١٠/١ .

(7) جواهر الأدب : ٢١٦ .

الترتيب مع التراخي وإن لم يذكر هذين المصطلحين^(١)، وقد ذكر غيره من النحاة أنها في العطف للترتيب مع التراخي زمانا أو مرتبة^(٢).

وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿١٠﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾^(٣) فإن إقبار الإنسان بعد موته يكون من غير مهلة، فجاءت الفاء لتدل على ذلك، وأما نشره فلا يكون إلا بعد مدة طويلة وذلك في يوم القيامة، لذا جاءت «ثم» للدلالة على ذلك التراخي.

وقد وردت «ثم» في النهج بعدة دلالات، منها:

الفرع الأول: دلالة التشريك مع الترتيب والتراخي

ومما جاء في النهج، وفيه أفادت «ثم» العطف مع التراخي قوله -عليه السلام-: (أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْتَشَأُ الْمَرْعِيُّ ... وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ...؛ تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمَّكَ جَنِينًا لَا تُحِيرُ دُعَاءً، وَ لَا تَسْمَعُ نِدَاءً. ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقْرَعٍ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا؛ وَلَمْ تُعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا)^(٤)، وقد عطفت جملة «أخرجت من مقرك...»، وهي جملة فعلية فعلها ماض مبني للمجهول «أخرجت» على جملة «ووضعت في قرار مكين»، وهي جملة فعلية فعلها ماض مبني للمجهول، وقد استعمل الفعل الماضي مفرغا من الزمن للدلالة على أن الوضع والإخراج أمران ثابتان في نشأة الإنسان مستمران في كل مولود منه، فقد أخرج الإمام -عليه السلام- هذين الفعلين من دلالة المضي إلى الإطلاق في الزمن.

وجاء بالفعلين «ووضعت» و«أخرجت» مبنيين للمجهول، لأن المراد هنا الحدث^(٥) نفسه، فكان الاهتمام به^(٦)، فالأب سبب لوجود الجنين أما العمليات المتلاحقة المذكورة في كلامه -عليه السلام- فكلها من الله تعالى^(٧)، بل إننا نلمح تعدد الواضع في غياب الفاعل، فالله تعالى واضع لهذا الجنين بمشيئته كما أن الأب واضع آخر له بالسببية، فهو تعالى السبب الأول، والأب هو السبب الثاني، وهنا نجد أنه -عليه السلام- استعمل «ثم» لبيان قدرة الله تعالى وعظيم إحسانه إلى الإنسان^(٨)، وقد جاء وضع هذا المخلوق في «القرار» أي (المستقر، والمراد:

(1) التوابع في كتاب سيبويه : ٦٩ .

(2) ينظر: المقتضب: ١٠/١، شرح الرضي على الكافية: ٣١٧/٤، حاشية الصبان: ٩٥/٣، أسرار العربية: ٣٠٤.

(3) سورة عبس : ٢١ ، ٢٢ .

(4) نهج البلاغة : ٢٥٧/٩ .

(5) ينظر : الإعجاز البياني للقرآن : ٢٤٢ ، الجملة الفعلية في نهج البلاغة -دراسة دلالية: ٥٠ .

(6) المبني للمجهول في التعبير القرآني -دراسة نحوية دلالية: ١٣ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(7) ينظر : العقائد الإسلامية : محمد الحسيني الشيرازي : ٣٥ .

(*) ينبه الإمام -عليه السلام- المخاطبين على تقلب الإنسان في حالاته وأطوار خلقته ليتوصل في هذه المقدمة إلى وجود خالق لهذا المخلوق هداه إلى جميع حاجاته.

الرحم)^(١) أولاً، وجاء إخراجها من قراره - وهو الترتيب الطبيعي في خلق الإنسان - ثانياً متراخياً زمنياً عن زمن وضعه، وذلك لأن مدة الحمل طويلة في حد ذاتها، ويعضد ذلك السياق إذ إنه جاء للتبنيه على تقلب الإنسان في حالاته منذ وضعه ضئيلاً إلى استتاره جنيناً، فحركته في موضعه معتمداً اعتماداً كاملاً ما يوجد به رحم أمه، وهو في تلك الحال لا يحتاج إلى استعمال عينيه في رؤية ولا أذنيه في سماع، ولا إلى فمه في غذاء غير قادر على رد الجواب، وسماع النداء، ثم تحدث النقلة التي تمثل له صدمة، وهي رؤيته داراً مجهولة، دنيا لم يرها من قبل، ولا يعرف طرق الانتفاع فيها، فهي عالم واسع مملوء بالأحداث، فيبدأ باستعمال عينيه وأذنيه، ثم فمه في عملية الغذاء، فأجهزة السمع والبصر والذوق والشم بكل تلك السعة والتعقيد لم يخلق شيء منها لمدة العيش داخل الرحم، وإنما خلقت للحياة بعد تلك المرحلة^(٢) إذ بها يتم الحس الظاهر^(٣)، وهنا تأتي «ثم» لتقف حاجزاً بين هذين العالمين: عالم رحم الأم، وعالم دار الدنيا، فمثلت «ثم» الحرف الأجود لبيان التراخي الحاصل في الزمان بين الوضع في ظلمة القرار، والإخراج من هذا القرار.

إن النظر الفاحص في هذا المثال يبين لنا أننا لا نجد التراخي في الزمان فحسب، بل نجد التراخي في المكان^(*) أيضاً، ونرى كيف ربطت «ثم» بين المعنيين المتضادين: مقره وهو رحم للبدن، ثم الدنيا و(الدنيا رحم للروح)^(٤)، والمقر الدار المألوفة التي ينتفع بها من غير جهد عن طريق غيره، أما دار الدنيا فهي التي لا يعرف سبل منافعها، ثم يهتدي إلى سبل الانتفاع فيها بنفسه.

ومنه قوله - ﷺ -: (...وَمِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ، وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ لَا مَالًا حَمَلٌ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ)^(٥)، وقد عطف هنا الجملة الفعلية «يخرج إلى الله تعالى»، وفعلها مضارع «يخرج» على الجملة الفعلية «يجمع ما لا يأكل»، وفعلها مضارع أيضاً «يجمع»، والجملة المعطوفة في محل رفع لأنها عطف على ما محله الرفع، فالجملة المعطوفة عليه في محل رفع خبر لـ «أن».

(1)الكشاف: ١٧٨/٣.

(2)ينظر: العدل الإلهي: مرتضى المطهري: ٢٢٧.

(3)ينظر: المنطق: محمد رضا المظفر: ٢٧٣/٣.

(*) (فقد يلمح في «ثم» تراخي المكان في بعض العبارات وإن لم نجد ما يعزز هذا القول عند النحاة - فضلاً عن التراخي في الزمان.

(4)العدل الإلهي: مرتضى المطهري: ٢٢٦.

(5)نهج البلاغة: ٢٥١/٧.

فالإمام - عليه السلام - يرى إكثار الإنسان واجتهاده في جمع مال ينتفع به جمعا مستمرا - والاستمرار يولد الإرهاق-، وبناء ما لا يسكنه بناء متجددا متعددا من أسباب التعب بل العذاب حين ينتهي الأجل، ويخرج من الدنيا مجردا مما جمع وبنى غير منتفع به في الدنيا، ومحاسبا عليه في الآخرة، فيكون من أسباب عذابه في الدنيا ومن أسباب حسرته عند الخروج منها، ونلاحظ أن دلالة «ثم» هي الأنسب في هذا الموضوع إذ إننا نجد تراخيا في المدة بين الجمع والبناء في الدنيا، وعملية الخروج منها، ونرى الترتيب الحاصل هنا، فالعملان وقعا في الحياة الدنيا، ثم جاء الخروج خاتمة لهما، والخروج من الدنيا للقاء الله يعني الموت، وهو نهاية حياة الإنسان الدنيوية وخاتمة لأعماله، وكذلك نلاحظ أن «ثم» أشركت بين الجملتين المتعاطفتين في الحكم، فجملة «يجمع ما...» في محل رفع خبر «أن»، وحين عطفت «ثم» جملة «يخرج إلى الله» عليها صح أن تعرب في محل رفع، ولوقوع هذه الأفعال «يجمع»، و «يبني»، و «يخرج» في حيز «أن» جاءت مؤكدة الوقوع.

ومنها -أيضا- قوله في صفة خلق آدم -عليه السلام-: إن الله تعالى قد سن تربة بالماء،... فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةَ ذَاتِ أَحْضَاءٍ، وَوُضُوعٍ وَأَعْضَاءٍ، وَفُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَّصَتْ، لَوْقَتٍ مَعْدُودٍ، وَأَجَلٍ مَعْلُومٍ. ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَنَمَّأَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَدْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفَكَرَّ يَبْصُرُفُ بِهَا^(١) (*). فقد عطف الجملة الفعلية «نفخ فيها من روحه»، وفعلها ماض «نفخ» على الجملة الفعلية «أجمدها حتى استمسكت»، وفعلها ماض «أجمد»، وهي تفيد الإشراك في الحكم، والأفعال الماضية تدل على أن الأحداث وقعت في زمن مضى وانتهى، وقد جاءت «ثم» للدلالة على التراخي في الزمان بين الحدثين حدث الإجماد الذي تحولت به التربة المسنونة إلى صلصال وحدث النفخ الذي تحول فيه الجماد إلى كائن حي، ونحن هنا نستعين بدلالة حرف العطف نفسه، ويعيننا السياق على القول بتراخي الزمن وذلك في قوله -عليه السلام-: «لوقت معدود، وأجل معلوم»، فهناك زمن هو مدة هذا الوقت المعدود الذي ينتهي بالأجل المعلوم. ونلاحظ أن النفخ أمر لاحق بإجماد الصورة المجبولة، ف«ثم» تفيد الترتيب أيضا.

(1) شرح النهج : ٩٦/١ .

(*) وقد شرح معانيها ابن ابي الحديد ، فقال : وسنها بالماء ، أي ملسها ، فجبل منها ، أي خلق . والأحشاء : الجوانب ، جمع جنو . وأصلدها : جعلها صلدا ، أي صلبا متينا . وصلصت : يبست ، وهو الصلصال . ينظر : شرح النهج : ٩٧/١ ، لسان العرب : ٢٢٤/١٣ «سنن» ، ٩٨/١١ «جبل» ، ٢٠٤/١٤ «حنا» ، ٢٥٦/٣ «صلد» ، ٣٨٢/١١ «صلصل» .

ونظيره ما قال في وصيته لابنه الحسن -عليه السلام-: (فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ (**)) مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ، فَإِنَّكَ أَوْلُ مَا خُلِّقْتَ بِهِ جَاهِلًا ثُمَّ عَلَّمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، وَتِيحِيرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصْرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ!)^(١)، وهنا عطف في الأولى الفعل «عَلَّمْتَ» على الجملة الإسمية «فإنك أول ما خلقت به جاهلاً» وعطف الجملة الفعلية المضارعة «تبصره» على جملة «ما أكثر ما تجهل من الأمر»، وقد أشركت «ثم» بين المتعاطفين في كليهما، وربطت بينهما في المعنى، فالجهل سابق على المعرفة، والمعرفة تعقب الجهل، فبين بداية خلق الإنسان صغيراً جاهلاً وتعلمه العلم مهلة طويلة عبّر عنها بـ «ثم»، بعدها أورد ذلك بقوله -عليه السلام- ان كثيراً مما تجهله، وتعاني الحيرة العظيمة فيه -ودل على عظمة الحيرة وشدتها مجيء الفعل «تحير» على زنة «تفعل»- يأتيك فيه العلم والبصر لاحقاً، ونفهم من وجود «ثم» الثانية أن جهل الإنسان كثيراً من الأمور، وحيرة رأيه فيها، وضلال بصره، مستمر معه، ومتجدد في كل وقت لاستعماله -عليه السلام- الأفعال المضارعة «تجهل»، و«تحير»، و«يضل»، ويأتي الإبصار بعد ذلك في صورة متجددة -أيضاً-، فمحدودية فكر الإنسان تمنعه من معرفة كل المجاهيل من حوله، وإن ما يعرفه منها لا يأتيه دفعة واحدة بل يأتي أبعاضاً، وبحسب درجات الإبصار لديه يحصل التجدد المعرفي، وقد أفادنا الحرف «ثم» ارتباط الإبصار بالأمر المجهول، الذي يتحير فيه الفكر، ويضل فيه العقل، وهو يبحث عن كنهه، وان إدراك حقائق المجهولات المحيرة يستدعي زمناً طويلاً هو مدة هذه الحيرة، وهذا الضلال، وقد أفادت «ثم» أن الإبصار يأتي لاحقاً عقيب الجهل إلا أنه أكد هذا المعنى في قوله: «بعد ذلك»^(٢).

وله نظائر آخر في النهج^(٣).

الفرع الثاني: دلالة الترتيب بلا مهلة

قد تقع «ثم» موقع «الفاء» في إفادة الترتيب بلا مهلة، ويحدث العكس أحياناً، فقد تقع «الفاء» موقع «ثم» في إفادته بمهلة.

(**) من أسرار القدر .

(1) نهج البلاغة : ٧٤/١٦ .

(2) يقول -عليه السلام- في معرض نصيحته الخالدة: (فإن أشكل عليك شيء من أسرار القدر، وخفي عليك وجه الحكمة فيه، فلا تتوهم خلوه عن حكمة بل احمله على جهالتك به). مصباح السالكين: ٢١/٥، ينظر: شرح النهج: ٧٥/١٦ .

(3) ينظر: نهج البلاغة: ٨٣/١، ٩١/١، ١٠٢/١، ١٠٢/١، ٢٠٣/١، ٤٢٣/٦، ٤٣٨/٦، ٢٠٠/٧، ٢٠١/٧، ٢٠١/٧-٢٠٢/٧، ٢٢٧/٧، ١٢/٨، ٣٠١/٨، ١٣٧/٩، ٢٦٨/٩، ١٩٤/١٠، ١٩٤/١٠، ٣٨/١١، ٩٣/١١، ٩٣/١١، ٥١/١١، ١٥١/١٥، ١٥٢/١٥، ٧٠/١٦، ١٦٨/١٦، ٩١/١٣، ٩١/١٣، ٢٧١/١٨.

ومنه قوله -ﷺ- في صفة رجل هو من أبغض الخلائق إلى الله تعالى: (فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ؛ هَيَأُ لَهَا حَشْوًا رَئًا مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ)^(١)، فقد عطف -ﷺ- الجملة الفعلية «قطع به»، وفعلها ماض على الجملة الفعلية «هيأ لها حشوا...» وفعلها ماض أيضا، فأشركتهما في الحكم، وقد جاءت دلالة الفعلية هنا مستقبلية لوقوع أحدهما في جواب الشرط، والآخر في جملة معطوفة على الجملة التي قبلها.

فهذا الرجل (سَمَاءُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا...)^(٢) لجهلهم وليس هو بالعالم، فإن عرضت عليه مشكلة تبتغي لحلها عقلا وعلما ودراية، يهيء لها كلاما غير نافع، فيقطع به، ونرى أن «ثم» في هذا الموضع جاءت للترتيب بين الحدثين، إذ إن التهيئة لا تقع في مدة طويلة عند الجهلاء لضعف قدراتهم عن النظر، وتقصيرهم في استقصاء الأمور، والقطع بالأمر يأتي بصورة مباشرة بعد التهيئة من دون ترو.

ونظيره قوله -ﷺ- في موضعه من رسول الله ﷺ: (وَكَانَ يَمْضَعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُقْمِنِيهِ)^(٣)، فقد عطف الجملة الفعلية «يُقْمِنِيهِ»، وفعلها مضارع «يُلمع» على الجملة الفعلية «يَمْضَعُ الشَّيْءَ»، وفعلها المضارع «يَمْضَعُ»، وهنا يريد -ﷺ- بيان قوة الارتباط برسول الله ﷺ ووثاقة هذه الصلة بينهما، فعاد إلى الماضي، ليبين أن الرسول ﷺ كان يَمْضَعُ الشَّيْءَ القاسي من الطعام مضغاً متجسداً، فإذا اطمان لليوننته أقمعه للإمام -ﷺ-، ويتجدد منه الإلقام مع تجدد المضغ، فبين -ﷺ- مدى قربيه من الرسول ﷺ وحب الرسول له، فإذا كان ﷺ احتضنه صغيراً، وأطعمه بنفسه الشريفة بعد إلانة الطعام له حرصاً عليه حتى اكتمل رجلاً أي بناه جسداً وروحاً فمن يكون من الرجال أقرب للرسول ﷺ منه، ونحن نلاحظ أنه ليس هناك مدة زمنية طويلة في عملية المضغ، ولا من مدة أو فاصل بين عملية المضغ والإلقام، فـ«ثم» هنا أدت دلالة «الفاء» في السياق.

ولهذا نظائر آخر في النهج^(٤).

الفرع الثالث: دلالة «ثم» على البعد المعنوي

وردت «ثم» في عدد من المواضع من النهج، وليس في السياق قرينة تفهم منها دلالتها على الترتيب والتراخي في الزمان، وكذلك وردت في النص القرآني في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ

(1) المصدر نفسه : ٢٨٣/١ .

(2) المصدر نفسه : ٢٨٣/١ .

(3) نهج البلاغة: ١٩٧/١٣ .

(4) ينظر: نهج البلاغة: ٢٠٣/١، ٢٨٣/١، ٣/٦، ١٧٦/٦، ١٩٩/٦، ٢٧٠/٦، ٢١/٧، ٢٠١/٧، ١٨٠-١٧٩/١٣، ٢٤٥/٢٨٥، ١١/٢٠١، ٧/٧، ٣٤٦/١٨، ١٥٢/١٥، ١٥١/١٥، ٢٧/١٤، ١٩٧/١٣.

مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ^(١)، فالمقصود بـ«النفس الواحدة»

نفس آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، والمقصود بـ«زوجها» حواء، ومعلوم أن خلق حواء كان قبل خلق الذرية، فكان فهم دلالة «ثم» في هذه الآية من مواضع الاختلاف عند النحاة، وقد ذهب عدد منهم في محاولة إلى موافقة القاعدة البصرية القائلة بدلالة «ثم» على الترتيب والتراخي في الزمان مطلقاً في عرض آرائهم^(٢).

في حين لم يقل الكوفيون بدلالة «ثم» على الترتيب والتراخي في الزمان مطلقاً وعدم التزامهم بذلك جعلهم أكثر رعاية وفهما من غيرهم لدور السياق في فهم الدلالة الزمنية، وتحديدها في هذا العطف. ففي تفسير هذه الآية قال الفراء: (إن العرب إذا أخبرت عن رجل بفعلين ردوا^(*) الآخر بثم إذا كان هو الآخر في المعنى، وربما جعلوا «ثم» فيما معناه التقديم، ويجعلون «ثم» من خبر المتكلم. من ذلك أن تقول: قد بلغني ما صنعتَ يومكَ هذا، ثم ما صنعتَ أمسَ أعجب، فهذا نسق من خبر المتكلم، وتقول: قد أعطيتك اليومَ شيئاً، ثم الذي أعطيتكَ أمسَ أكثر، فهذا من ذلك)^(٣).

إن ما قاله بعض النحاة من ورود «ثم» للدلالة على الترتيب في الإخبار، هو ما عرف عند النحاة فيما بعد بالترتيب الذكري، أو الدلالة على التدرج في درجة الارتقاء^(٤). ويرى قطرب أن «ثم» في هذه الآية بمنزلة الواو لا ترتب^(٥)، فهي لا تفيد الترتيب الزمني^(٦).

وذهب الزمخشري إلى أن «ثم» في الآية الكريمة تدل على التراخي في الحال والمنزلة، ويظهر أن هذا القول هو الأقرب إلى معنى الآية، قال: (فإن قلت: ما وجه قوله:

-
- (1) سورة الزمر : ٦ .
 - (2) ينظر : الكشاف : ١١٣/٤-١١٤، في مجال آية «٦» : سورة الزمر، مغني اللبيب : ٢٣٠/١-٢٣١، حاشية الصبان : ٩٥/٣، الجنى الداني : ٤٢٦-٤٢٧ .
 - (*) سبقت الإشارة إلى أن الكوفيين يستعملون كلمة «الرد» بمعنى العطف، فقوله «ردوا» هنا بمعنى: عطفوا. ينظر: ص ٢١٨ من هذا البحث .
 - (3) معاني القرآن : الفراء : ٤١٥/٢ .
 - (4) نقل ابن قاسم المرادي عن ابن عصفور قوله: ما ذكره الفراء من أن المقصود بـ«ثم» ترتيب الإخبار، لا ترتيب الشيء بنفسه. ينظر: الجنى الداني : ٤٠٧، وقال المالقي: (والصحيح مذهب البصريين). رصف المباني : ١٧٤، وقد أخذ به الرضي. شرح الرضي على الكافية : ٣١٧/٤، وقد جعله البلاغيون من قوانينهم -أيضاً-. ينظر: البرهان الكاشف : ٢٦٧-٢٧٦، شروح التلخيص : ٢١٨/٣-٢٢٠ .
 - (5) ينظر: الجنى الداني : ٤٢٦ .
 - (6) ينظر: همع الهوامع : ١٦٤/٣ .

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(١) وما يعطيه من معنى التراخي؟ قلت: هما آيتان من جملة الآيات التي

عددها، دالا على وحدانيته وقدرته: تشعيب هذا الخلق الفائت للحرص من نفس آدم، وخلق حواء من قصيراه، إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرة، والأخرى لم تجر بها العادة، ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل، فكانت أدخل في كونها آية، وأجلب لعجب السامع، فعطفها بـ «ثم» على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية، وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية، فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود^(٢)، وندقق معه إلى حد بعيد في قوله أن العطف دال على التراخي في الحال والمنزلة بيد أننا نباينه في مسألة خلق حواء من قصيرى آدم -عليهما السلام- ونرى أنها خلقت من جنس «آدم» -عليه السلام- نفسه، فهي مخلوقة من فضلة طينه^(٣) -عليه السلام-، وهنا المتعاطفان هما: خلق البشر من نفس آدم، وخلق حواء من فاضل طينه، فأما خلق البشر فهو عادة مستمرة -تدخل ضمن الأمور الطبيعية-، وأما خلق حواء بهذه الكيفية فلم تجر به العادة، فإذا كانت الدلالة الأصل في «ثم» هي تراخي الحدوث بين المتعاطفين في الزمان، فقد استعيرت هنا للدلالة على التراخي بينهما في المرتبة، فكأنه شبه التباعد بين المعطوف والمعطوف عليه في المرتبة بالتراخي ما بينهما في الزمان، ولذا عبر عنه الرضي بـ(فرع التراخي ومجازه)^(٤).

ومن ذلك قول الشاعر:

(فَكَمْ نَزَلَتْ بِي مِنْ أُمُورٍ مُهِمَّةٍ خَذَلْتُمْ عَلَيْهَا، ثُمَّ لَمْ أَنْخَسِعْ)^(٥)

ونلاحظ هنا مجيء «ثم» للدلالة على البعد المعنوي بين أمرين: خذلانهم على الأمور المهمة التي نزلت بالشاعر، وصبره وجلده عليها.

ومما ورد في النهج دالا على هذا المعنى قوله -عليه السلام-: (اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ... فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا الْكُفُوفَ عَنِ نُصْرَتِكَ... فَإِنَّا نَسْتَشْهَدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَاوَاتِكَ. ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَهُ بَعْدَ الْمُعْنَى عَنْ نُصْرِهِ وَالْأَخْذُ لَهُ بِذَنْبِهِ)^(٦)، فقد عطف الجملة الاسمية «أنت بعده المعني عن نصره» على الجملة الإسمية «فإننا نستشهدك عليه...». وقد جاء هنا بـ «ثم» ليظهر التفاوت والتباين أو البعد المعنوي

(1) سورة الزمر: ٦.

(2) الكشف: ٤/١١٣-١١٤، ينظر: مغني اللبيب: ١/٢٣١، أساليب العطف: ١٦٠.

(3) تفسير الميزان: ٤/١٥١.

(4) شرح الرضي على الكافية: ٤/٣١٦.

(5) ديوان الأحوص الأنصاري: ١٥٥.

(6) نهج البلاغة: ٦٠/١١.

بين خذلان عباده تعالى، ونكوصهم أي إجمامهم وتأخرهم عن نصرته^(١)، مع إقامة الحجة لنفسه -عليه السلام- أمامه تعالى بطلبه الشهادة عليهم، وإغناؤه تعالى عن نصر أولئك الناكسين المبطنين.

والإمام -عليه السلام- يتوعد من استنصرهم فقعدها عن نصره، ويستشهد الله عليهم، وقدم الاستشهاد بربه مخاطبا إياه ببناء «أكبر الشاهدين شهادة»^(*) على خذلان هؤلاء الذين استنصرهم وإبائهم النهوض معه، ولما أراد الثبات على طلبه كانت الجملة المستعملة جملة إسمية عززها بالتوكيد بـ «إن»، ثم اشهد -عليه السلام- جميع عباده في السماوات والأرض مبتدأ بالأقرب إليه «الأرض» على الخاذلين أيضا، ثم يخلص إلى استنصار الله في وحدته بأنك أنت بعد ذلك المغني لعبدك عن نصره المتخاذل ومعونته، وبنصرك وإعزازك لوليك، ومعاقبة المتخلف عنه بذنبه.

ويلحظ أن «ثم» تستعمل في هذا التركيب للدلالة على الجمع والبعد المعنوي معا، في حين لو استبدلت «ثم» بـ «الواو» لما كانت الدلالة فيها إلا على أن هذين الأمرين يقعان من المتحدث عنه، لأن دلالة «الواو» هي مطلق الجمع بين المتعاطفين، لذا قال الزمكاني: (إن المقصود بـ «ثم» في ذلك التنبيه على ما بين الأمرين من التباعد المعنوي، ولولا ذلك لقلت: الواو أقعد بمعنى الاجتماع نفيا وإثباتا، ولكن كما قصد إلى هذا المعنى كانت «ثم» أقعد منها)^(٢)

وللتباين المعنوي نظائر في النهج^(٣).

وقد لاحظنا أن دلالة «ثم» على البعد المعنوي في النهج تنفرع إلى دالتين متميزتين،

هما:

أولا: دلالة الاستبعاد.

ثانيا: دلالة التدرج في درجة الارتقاء .

وسنبينهما في الآتي:

أولا: دلالة الاستبعاد: أي أن حدوث المعطوف مستبعد في العقل والعرف بعد حدوث المعطوف عليه، وذلك لعدم مناسبته مضمون ما بعد «ثم» عن مضمون ما قبلها.

(1) ينظر: مجمل اللغة: ٦٦٣ «نكص»، شرح النهج: ٦٠/١١ .

(*) والتقديم هنا دال على الرتبة .

(2) البرهان الكاشف: ٢٧٦ .

(3) ينظر: نهج البلاغة: ٢٩١/٧، ١٩١/١٠، ٢٦٤/١٩ .

ومنه قوله -عليه السلام- في ملك بني أمية: (... لَتُنْخَمَّهَا أُمِيَّةٌ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُنْفَضُ التُّخَامَةُ، ثُمَّ لَا تَدُوقُهَا وَلَا تَنْطَعُمُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا، مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ!)^(١) وقد عطف الجملة الفعلية «لا تذوقها»، وفعلها مضارع منفي بـ«لا» على الجملة الفعلية «لتنخمنها أمية من بعدي...» وفعلها مضارع أيضا، وقد ابتدأ الجملة المعطوف عليه بالقسم ليؤكد قوله بخروج الملك عن بني أمية. إن المقصود بـ«ثم» في قوله -عليه السلام- التنبيه على ما بين الأمرين من التباعد المعنوي، وهما زوال ملك بني أمية من بعده، وعود الأمر لهم ثانية.

وبيبين الإمام -عليه السلام- أن تطعمهم بطعمها أمر مستبعد بصورة مؤبدة مع تخمهم لها أي زوال أمرهم وخروج الملك من أيديهم.

ونظيره قوله -عليه السلام-: (وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَوِدُ حَتَّى تُحْضِرَهَا عَامَةٌ النَّاسِ؛ مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ؛ وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا؛ ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ)^(٢)، وقد عطف جملة «ليس للشاهد أن يرجع» على الجملة الإسمية «أهلها يحكمون على من غاب عنها»، وقد دلت إسمية الجملة على ثبات حكم أهلها، وإن الحكم يحدث في حال الانعقاد أي في اللحظة التي يحضر فيها الشهود -المبايعون- الذين أسماهم بـ «أهل الامامة»، وبذلك يستبعد الإمام -عليه السلام- رجوع الشاهد، واختيار الغائب مع انعقاد الإمامة وحكم أهلها في حينها، وقد جاءت «ثم» للتنبيه على هذا التباعد.

ونظيره قوله في وصيته للسبطين -عليهما السلام- لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: (لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ فَيُؤَلَّى عَلَيْكُمْ أَشْرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ)^(٣) وقد عطف الجملة الفعلية «تدعون»، وفعلها مضارع على «يؤلى عليكم أشراكم»^(٤) وفعلها مضارع مبني للمجهول، ودلالة حذف فاعله هي الترهيب^(٥)، والاهتمام بالحدث نفسه^(٦)، ونلاحظ في الفعل «تدعون» استمرار الدعاء مع استمرار عدم الإجابة في قوله: «فلا يستجاب لكم»، وفي «يؤلى» نلمس المبالغة في زنة «فعل»، والتجدد في هذه الولاية بصورة مستمرة قهرية تفهم من «يؤلى»، وهذا يعين في ظهور عملية «الاستبعاد» ظهورا واضحا .

(1) المصدر نفسه : ٢١٨/٩ .

(2) نهج البلاغة: ٣٢٨/٩ .

(3) المصدر نفسه : ٦-٥/١٧ .

(4) منهم بني أمية. ينظر: الإمام علي بن أبي طالب: عبد الفتاح عبد المقصود: ٣٦-٣٧.

(5) ينظر: المبني للمجهول في التعبير القرآني -دراسة نحوية دلالية: ٥١ .

(6) المبني للمجهول في التعبير القرآني: ٢٦، ٢٧ .

ونظيره قوله -ﷺ-: (وَ اللَّهُ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ الدَّمِ، يَسْمَعُ النَّاعِي؛ وَ يَحْضُرُ الْبَاكِي، ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ)^(١)، وقد عطف الجملة الفعلية «لا يعتبر» على الجملة الفعلية «يسمع الناعي».

يقسم الإمام -عليه السلام- نافيا عن نفسه التشبه بمستمع اللدم⁽¹⁾، مستبعدا عدم الاعتبار بعد سماعه مقتل اتباعه وحضوره الباكين عليهم، والا يكون عنده من التغيير والانكار مقررا الاستعداد لحرب عدوه، والا ينتظره حتى يوافيه.

ولهذه الدلالة نظائر أخر في النهج⁽²⁾.

ثانيا: دلالة التدرج في درجة الارتقاء : وذلك بأن تكون مرتبة المعطوف أعلى من المعطوف عليه أو أدنى منه، فتدل «ثم» على التباعد في الرتبة تنزيلا لهذا التباعد منزلة التباعد في الزمان، وهذا يعني أن المعنى الأصلي، وهو التراخي في الزمان يتحول هنا إلى ارتقاء أو انحطاط في الرتبة أو المنزلة، فيكون التدرج تصاعديا أو تنازليا والحكم في ذلك السياق، فإذا كانت دلالة الاستبعاد في «ثم» تعني بُعدا معنويا بين متناقضين لا يجتمعان، فإن دلالة التدرج في درجة الارتقاء بعد معنوي بين متفاضلين، وهذا فرق واضح بين الدالتين، ويمكن أن تقسم دلالة التدرج على قسمين:

أ- الدلالة على أن المعطوف أعلى في المرتبة من المعطوف عليه: وتقوم هذه الدلالة من قرائن السياق.

ومن ذلك قوله -عليه السلام-: (وَ بَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُمَهَا، وَ مَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُمَهَا، ثُمَّ تَدَاكَلْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَلَّ الْإِبِلِ الْهَيْمِ عَلَى حَيَاضِهَا يَوْمَ وَرْدِهَا)⁽³⁾، فقد عطف جملة «تداكلكم علي تداك الإبل»، وفعلها ماض على الجملة الفعلية «بسطتم يدي فكففتها»، وفعلها ماض أيضا.

وجاءت الأفعال «بسطتم»، و«مددتم»، و«قبضت»، و«تداكلكم» ماضية للدلالة على أحداث وقعت في الزمن الماضي .

وقد دلت «ثم» هنا على التفاوت بين حال مدهم يده الشريفة لبياعوه، وتداكهم عليه، وعنى بقوله -عليه السلام- ازدحامهم الشديد وتكالبهم وتجمهرهم عليه.

إن استعماله -عليه السلام- «ثم» جاء لبيان أن ازدحام القوم على بيعته أعلى في الرتبة من بسطهم ليده -عليه السلام- ومدها لأن البيعة لأي شخص تتم ببسط اليد، فإذا كان المبيع هو الذي يبسطها دل على رغبته في البيعة، وإصراره عليها، فإذا تدفق المبيعون على المختار للخلافة يزاحم بعضهم بعضا (حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَ سَقَطَ الرَّدَاءُ، وَ وَطِئَ الضَّعِيفُ، وَ بَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِنَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنْ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَ هَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَ تَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وَ حَسَرَتْ إِلَيْهَا

(1) مستمع اللدم كناية عن الضبع؛ تسمع وقع الحجر بباب جحرها من يد الصائد فتتخذل وتكف جوارحها إليها حتى يدخل عليها فيربطها. ينظر: شرح النهج: ١٠٩/٩ - ١١٠.

(2) ينظر: نهج البلاغة: ٢٦٩/٦، ٢٨٥/٧، ٢٩١/٧، ٩٥/٩، ١٠٩/٩، ٢٩٥/٩، ٣٢٥/١٨.

(3) المصدر نفسه: ٣/١٣.

الكِغَابُ^(١)، علمنا أنها بيعة شعبية عامة، ودل الفعل «تداكتم» على رتبة أعلى، وكلامه -عليه السلام- في الاحتجاج على من خالفه من أهل البغي فذكر حال الناس في بيعتهم له وكيفية الدالة على شدة حرصهم عليه واجتماعهم عن رضى واختيار على تسليم الأمر إليه، وشبه ازدحامهم عليه بازدحام الإبل العطاش يوم ورودها على الحياض^(٢) فليس لهم أن ينكثوا أو يغدروا إذ بالغوا في البيعة، وتهافتوا عليها بالإجماع.

ومنه قوله -عليه السلام-: (أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَ شُعْفِ الْأَسْنَانِ؛ نُطْقَهُ دِهَاقًا، وَ عَقْلَهُ مَحَاقًا، وَ جَبِينًا وَ رَاضِعًا، وَ وِلِيدًا وَ يَافِعًا؛ ثُمَّ مَحَّحَهُ قَلْبًا حَافِظًا، وَ لِسَانًا لَافِظًا، وَ بَصْرًا لَاحِظًا...) ^(٣)، وقد عطف الجملة الفعلية «منحه قلبا حافظا»، وفعلها «منحه» ماض على الجملة الإسمية «هذا الذي أنشأه».

وهنا نجد الإمام -عليه السلام- يجمع بين بداية نشأة الإنسان في أطوارها المختلفة بـ«الواو» لأنه لا يريد بيان التدرج في هذه الأطوار، وإنما ذكرها مرتبة متعاقبة ليبين عناية الله به في هذه الحالات، فهو تعالى الجامع لكل هذه التغيرات وهذا النمو في نشأة الإنسان. من هنا جاءت «ثم» لتدل على تباين المنزلتين منزلة النمو حتى الكمال في الجانب الحيوي من الإنسان، ومنزلة الكمال المعنوي في ملكات الإنسان وقدراته العقلية والآلات المؤدية إليها متمثلة بالقلب الحافظ واللسان اللافظ والبصر اللاخط، فقد (ذكر الحفظ للقلب واللفظ للسان واللفظ للبصر بياناً لفوائدها والغاية من تلك الفوائد ومقصودها، هي أن يفهم الإنسان معتبرا فيستكمل الفضائل النفسانية)^(٤).

وقد استعمل الجملة الإسمية للدلالة على ثبوت نشأة الإنسان في الظلمات المتعاقبة، واستعمل اسم الإشارة «هذا» للدلالة على حقارة هذا الكائن وصغره^(*)، فإذا كان هو ذلك الكائن الضئيل في تلك الظلمات، في تلك الكيفيات، والناشئ في تلك المواضع الحقيرة من الأبدان، فأى كائن حقير هو؟! واستعمل -عليه السلام- في الجملة «المعطوفة» فعلا ماضيا مطلقا من الزمن إذ إنه -عليه السلام- لم يرد إنساناً بعينه في الإنشاء، والمنح أمر كان مع ما مضى من بني الإنسان ومع الموجودين في الزمن الحاضر، ويكون مع من يخلق ويتم مروره بهذه المراحل -غالبا- في المستقبل أي أن الزمن مطلق في هذا الفعل أيضا.

(1) نهج البلاغة: ٣/١٣ .

(2) مصباح السالكين : ٩٩/٤ .

(3) نهج البلاغة : ٢٦٩/٦ ، و ينظر : ص٢٢٦ من هذا البحث .

(4) مصباح السالكين : ٢٦٩/٢ .

(*) وقد وضح الإمام -عليه السلام- مدى حقارة هذا الكائن كما أوضح عظيم من الله تعالى عليه ليبين مدى تقصير الإنسان في أداء شكر نعمه تعالى وكفرانه تلك النعم .

ونظيره قوله -ﷺ- : (وَبِاللّٰهِ لَوْ اٰمَنَّا لَوْ اٰمَنَّا قُلُوْبُكُمْ اٰمِيَاً، وَ سَاَلْتُ عِيُوْنَكُمْ - مِنْ رَغْبَةٍ اِلَيْهِ اَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ - دَمًا ، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا - مَا الدُّنْيَا بِاَقِيَّةٍ - مَا جَزَتْ اَعْمَالُكُمْ- وَلَوْ لَمْ تُبْفِقُوا شَيْئًا مِنْ جُهْدِكُمْ - اَنْعَمَ عَلَيَّكُمْ الْعِظَامَ ، وَهَدَاهُ اِيَّاكُمْ لِاِيْمَانٍ)^(١)، وقد عطف الجملة الفعلية «عمرتم في الدنيا...»، وفعلها ماض مبني للمجهول على جملة «انمائت قلوبكم انميثا»، وفعلها ماض أيضا، ودلالة الفعلين مستقبلية لوقوعهما في شرط «لو» أي «تتمات»، وكذلك الفعل المعطوف أي «تعمرون».

ف نجد أنه -ﷺ- قد نفى قدرة المخاطبين على أداء حق الله تعالى، وشكره على ما أنعم عليهم من نعم عظيمة، ثم خص بالذكر نعمة هدايتهم للإيمان من بين تلك النعم لأنها أفضل النعم على الإطلاق، وأكد هذا النفي بالقسم البار، مفترضا بـ«لو» اعمالا تقع من المخاطبين هي الغاية في أداء الحقوق، والجزاء على الإنعام، وهي ذوبان^(٢) القلوب، وسيلان العيون من رغبة في قربه تعالى أو رغبة في جنته أو ذوبانها رهبة من غضبه أو عذابه عز وجل، وهذا أقصى ما يمكن للإنسان فعله، وقد أراد بسيلان العيون بكاءها بكاء شديدا يذهب بروعتها ونورها، فكان جمال العين و نور البصر قد سالا كما سال الدمع، ونلحظ شدة البكاء وكثرته لامتزاجه بالدماء، والبكاء الشديد المؤلم هو نتيجة حب كبير أو خشية عظيمة، أو هما معا، واعترافا بعظمة هذه النعم، واستحقاقها لشكر الله عليهم، فلو عمل المخاطبون كل هذه الأعمال لما جزت أعمالهم أنعامه عليهم وهدايته لهم.

وبعد ذلك عطف التعمير في الدنيا بـ«ثم» على ذوبان القلوب وسيلان العيون أي لو كان منكم تلك الأعمال مستمرة مدة بقاء الدنيا، ولو لم تألوا جهدا ما جزت تلك النعم الجليلة، والهداية إليه تعالى بل لا تقوى على جزاء أيسرها، وهل فيها يسير؟!.

وقد أفادت «ثم» هنا تراخي التعمير في الدنيا على الحال التي وصفها، وهي انميثات القلوب، وسيلان العيون دما من رغبة أو رهبة وتباينها عن هذه الحال التي ذكرها من غير تعمير لأنها -أي حال انميثات القلوب، وسيلان العيون- مع التعمير مدة بقاء الدنيا، وبذل أقصى طاقة، تعد أعلى منها من غير تعمير - وأفضل منها في المنزلة.

ومنه أيضا- قوله -ﷺ- : (الْعَمَلُ الْعَمَلُ، ثُمَّ النَّهْيَةُ النَّهْيَةُ، وَ اَلْاِسْتِقَامَةُ اَلْاِسْتِقَامَةُ، ثُمَّ الصَّبْرُ الصَّبْرُ، وَ اَلْوَرَعُ اَلْوَرَعُ!)^(٣)، فقد عطف «النهاية النهاية» على «العمل العمل» كما

(1) نهج البلاغة : ٣٣٢/٣ .

(2) ينظر : شرح النهج : ٣٣٢/٣ .

(3) نهج البلاغة : ٢٤/١٠، ينظر : ص ١٥٣ من هذا البحث، لم اجد لها الا نظيرا واحدا. ينظر : المصدر نفسه

. ١١٢/٨ .

عطف «الصبر الصبر» على «الاستقامة الاستقامة»، و «العمل» الأولى منصوبة على الإغراء، والثانية للتوكيد، و «النهاية» الأولى منصوبة على الإغراء والأخرى جاءت للتوكيد، و «الاستقامة»، و «الصبر»، و «الورع» كذلك.

وهنا يدعو الإمام -عليه السلام- الناس إلى لزوم العمل، بعدها جاء بـ«ثم» للدلالة على تراخي العاقبة والخاتمة، والتي عبر عنها بـ«النهاية» عن لزوم العمل في المرتبة ويعني ذلك أن منزلة النهاية مباينة لمنزلة العمل نفسه لأنها أعلى منه و أفضل وذلك لأن الشأن كله في الحال التي ينتهي إليها الإنسان أي أنه يوصيهم بمراعاة الخاتمة والإحسان فيها.

ثم عطف على النهاية الاستقامة في علو الرتبة أي أدوا الفرائض، ثم جاء بـ«ثم» للدلالة على أفضلية ملازمة الصبر والورع على العمل والعاقبة والاستقامة جميعا .

ومما تقدم نجد أن «الواو»، و«الفاء» لا تؤيدان الدلالة المبتغاة كما تفعل «ثم»، والعربي يتوصل إلى ذلك بحسه اللغوي السليم، ومما تطلب فيه السياق استعمال «ثم» ما نقله رجل من بني مجاشع قال: (جاء الحسن في دم كان فينا، فخطب، فأجابه رجل فقال: قد تركت ذلك لله ولوجوهكم، فقال الحسن: لا تقل هكذا بل قل: لله ثم لوجوهكم، وأجرك الله)⁽¹⁾.

وقد يستعمل الإمام -عليه السلام- «ثم» للدلالة على علو مرتبة المعطوف عليه على سبيل التوكيد، وذلك أن يكرر الأول بلفظه، فيتفق المعطوف والمعطوف عليه في اللفظ، كقوله -عليه السلام-: (فَأَقْسِمُ ثُمَّ أَقسِمُ، لِنَنخَمَهَا أُمِيَّةً مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلقِظُ النَّخَامَةَ، ثُمَّ لَا تُدَوِّفُهَا وَلَا تَتَطَعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا)⁽²⁾، و «ثم» هنا دالة على أن الجملة المعطوفة أبلغ من الجملة المعطوف عليها وأشد⁽³⁾.

فالتكرار بالعطف إنما هو لتأكيد هذا القسم المناسب تأكيده لتأكيد وقوعه عند الإمام -عليه السلام- (وبيان ذلك أن أصل «ثم» هي لإفادة التراخي والبعد الزماني، وقد استعير للتراخي والبعد المعنوي، بمعنى أن المعطوف قد يكون مرتبته أعلى أو أدنى مما قبله، فتستعمل فيه تنزيلا للتفاوت في الرتبة منزلة التفاوت في الزمان)⁽⁴⁾.

ب- الدلالة على أن المعطوف أدنى في المرتبة من المعطوف عليه، أي أن دلالة «ثم» هنا للتفاوت.

(1)البيان والتبيين : ٢٦١/١ .

(2)نهج البلاغة: ٢١٨/٩ .

(3)ينظر: هذه الدلالة في تفسير الكشاف في حديثه على «سورة المدثر: ٢٠، سورة النبأ: ٥، سورة التكاثر: ٤٠»: ٦٤٩/٤ ، ٦٨٤/٤ ، ٧٩٢/٤ .

(4)مواهب الفتاح «ضمن شروح التلخيص»: ابن يعقوب المغربي: ٢١٨-٢١٩ .

ومما ورد في النهج دالا على ذلك قوله -عليه السلام- : (إِنَّ أَوَّلَ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ، الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ بِأَسْنِنِكُمْ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ...) (١)، فقد عطف هنا الجار والمجرور «بأسنتكم» على الجار والمجرور «بأيديكم»، وقد عطف الجار والمجرور «بقلوبكم» على «بأسنتكم» .

إن ما ذكره -عليه السلام- هي مراتب الجهاد، وقد ذكر أنهم سيغلبون عليها الواحدة تلو الأخرى، ويبدو لنا أنه -عليه السلام- لم يستعمل «ثم» هنا لتؤدي دلالة التراخي في الزمان، وإنما وجهها السياق وجهة دلالية أخرى، فأدت دلالة الترتيب التنازلي بين مراتب المتعاطفات، أي أن المعطوف أدنى في المرتبة من المعطوف عليه، فالبعد بين الجهاد بالأيدي والجهاد بالألسن بعد معنوي لا يعد زمنيا، وكذلك البعد بين الجهاد بالألسن وجهاد القلوب، فتكون المرتبة الأخيرة هي أدنى مرتبة يصل إليها المسلم إذ يفقد صبره و إيمانه فيغلب على قلبه، وحين يصل الأمر لهذا الحد، يخبر -عليه السلام- بورود محن وبلايا تقطع الإنسان عن حقائق الإيمان وتبعده عن ربه، فالإنسان حين يبدأ بالتنازل عن جانب من جوانب قوته تبدأ الجوانب الأخر بالانهيار تباعا، فسكوتهم حين انثرح منهم الجهاد بالأيدي، أوصلهم إلى الحال الثانية، ثم الثالثة، فالعملية أشبه بإحراق الحطب إذ يبدأ قويا، ثم يصير جمرا ليفقد طاقته ويتحول إلى رماد في آخر الأمر. وما كان للعبارة أن تكون بهذا المستوى الدلالي لولا وجود «ثم» فيها.

وقد تصلح العبارة للدلالة على البعد الزمني (*) إلا أننا نرجح الوجه الأول.

ولهذه الدلالة نظائر آخر في النهج (٢).

ونلاحظ أن القرينة السياقية هي التي تعين المتلقي على فهم دلالة «ثم» في معناها على

الترتيب التنازلي بين المتعاطفين .

نصل مما تقدم إلى أن «ثم» صالحة لأداء جملة من الدلالات هي:

١- دلالة التراخي في الزمان . وهي دلالتها الأصل في النحو العربي .

٢- دلالة الاستبعاد .

٣- دلالة التدرج في الرتبة تدرجا تصاعديا أو تنازليا .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الموضوع هو أن حروف العطف «حتى» (٣)، و«لكن» (٤)،

و«بل» (١) لم ترد في النهج دالة على العطف البتة، فـ«حتى» و«لكن» قد وردا غير دالين على

(١) نهج البلاغة : ٣١٢/١٩ .

(*) فقد يحتاج التعبير الاجتماعي إلى مدة زمنية .

(٢) ينظر نهج البلاغة : ٢٧٠/٦ ، ٢٧٩/٩ ، ٢٠٣/١٠ .

(٣) ينظر: مغني اللبيب: ٢٥١/٢-٢٥٢، أوضح المسالك: ٤٤/٣-٤٦، شرح للمحة البدرية: ٢٤٩/٢.

(٤) ينظر : شرح عمدة الحافظ: ٦٣٢ ، المقرب : ٢٥٥ ، مغني اللبيب : ٥٦٢/١ - ٥٦٣ .

العطف، على حين أن «بل» وردت دالة على الإضراب دون العطف في النهج، وبهذا لا وجود لدلالة العطف بهذه الحروف الثلاثة في النهج.

المبحث الثاني: الحروف التي تشترك المعطوف مع المعطوف عليه لفظا وحكما

ودلالاتها أحد المتعاطفين، وهي «أو، وأم، وإما»^(١)(*) .

المطلب الأول: «أو»

هي حرف عطف^(٢) يفيد الإشراك بين المتعاطفين في عمل العامل ويثبت نسبة العامل إلى أحد المتعاطفين دون الآخر^(٣)، وقد ذكر ابن هشام أن المتقدمين قالوا: إنها موضوعة للدلالة على أحد الشئيين أو الأشياء^(٤)، و يتضح ذلك من قول سيبويه (ومن ذلك (**)) قولك: مررت برجل أو امرأة، فـ«أو» أشركت بينهما في الجر، وأثبتت المرور لأحدهما دون الآخر، وسوت بينهما في الدعوى^(٥)، وقال أيضا: (تقول: ألقيت زيدا أو عمرا أو خالدا؟ و عندك زيد أو خالد أو عمرو؟ كأنك، قلت: عندك أحد من هؤلاء؟)^(٦) لأنها (...يثبت بها بعض الأشياء)^(٧)، بل يرى أنها في الوقت نفسه تسوي بين المتعاطفين في الدعوى إلا أن النحاة المتقدمين ممن جاء بعده اكتفوا بدلالة «أو» على أحد الشئيين أو الأشياء^(٨).

وذكر المبرد أن «أو» ذاتها تؤدي ثلاثة معان متفرعة عن الدلالة على أحد الشئيين، فقال: (وحقها أن تكون في الشك واليقين لأحد الشئيين، ثم يتسع بها الباب، فيدخلها المعنى الذي في الواو من الإشراك... فأما الذي يكون فيه لأحد الأمرين يقينا أو شكاً فقولك: ضربت زيدا أو عمرا، علمت أن الضرب قد وقع بأحدهما، وذهب عنك أيهما هو؟ وكذلك: جاءني زيد أو أخوك. فأما اليقين فقولك: إيت زيدا أو عمرا، أي: قد جعلتك في ذلك مخيرا. وكذلك: لأعطين زيدا أو عمرا درهما. لم تتس شيئا، ولكنك جعلت نفسك فيه مخيرة، والباب الذي يتسع فيه قولك: أتت زيدا أو عمرا أو خالدا؛ لم ترد: أتت واحدا من هؤلاء، ولكنك أردت: إذا أتيت فأتت هذا الضرب من الناس)^(٩).

- (1) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ١٦/٥ .
- (*) إن أكثر النحويين على أن «أو»، و«أم» يشركان في اللفظ لا في المعنى، والصحيح أنهما يشركان لفظا ومعنى مالم يقتضيا إضرابا. ينظر: شرح الأشموني: ٤١٧/٤، حاشية الصبان: ٩٠/٣ .
- (2) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٤٩/٤، مغني اللبيب: ١٣١/١، حاشية الصبان: ٩٠/٣ .
- (3) ينظر: التوابع في كتاب سيبويه: ٦٩، ينظر: الكتاب: ٤٣٨/١ .
- (4) ينظر: مغني اللبيب: ١٤٣/١ .
- (**) يقصد باب ما أشرك بين الإسمين في الحرف الجار.
- (5) الكتاب: ٤٣٨/١ .
- (6) المصدر نفسه: ١٧٩/٣ .
- (7) المصدر نفسه: ١٦٩/٣ .
- (8) ينظر: معاني الحروف: ٨٠، الأصول: ٥٦/٢، ٧٧، منازل الحروف «ضمن رسائل في النحو واللغة»: الرماني: ٧٤، المصباح في علم النحو: المطرزي: ١١٠ .
- (9) المقتضب: ٣٠١/٣، ينظر: الأصول: ٥٦/٢، الجنى الداني: ٢٢٨ .

ومذهب الجمهور أنها تشرك في الإعراب لا في المعنى؛ إذ في قولنا: «قام زيد أو عمرو» يكون الفعل واقعا من أحدهما^(١)، وقال آخرون: بإشراكهما في الإعراب والمعنى، إذ إن ما بعدها مشارك لما قبلها في المعنى الذي جيء بها لأجله، ففي قولنا: «قام زيد أو عمرو»، يكون كل من الشخصين مشكوكا في قيامه، واتفق جمهور النحاة المتأخرين على أن «أو» تؤدي خمس دلالات فحسب^(٢)، لخصها الرضي مقسماً معاني «أو» على الخبر والطلب فقال: إن لـ«أو» إذا كان في الخبر ثلاثة معان: الشك والإبهام والتفصيل، وإذا كان في الأمر، فله معنيان: التخيير والإباحة.

فالشك: إذا أخبرت عن أحد الشئيين، ولا تعرفه بعينه، والإبهام إذا عرفته بعينه، وتقصد أن تبهم الأمر على المخاطب، والتفصيل إذا لم تشك ولم تقصد الإبهام على السامع، وينبغي أن تعرف أن جواز الجمع بين الأمرين في نحو: تعلم إما الفقه أو النحو، لم يفهم من «إما» و«أو»، بل ليست إلا لأحد الشئيين في كل موضع، وإنما استفيدت الإباحة مما قبل العاطفة وما بعدها معاً، لأن تعلم العلم خير، وزيادة الخير خير^(٣).

ومن النحاة من كان يعبر عن دلالة الإبهام «بالتشكيك»، كابن هشام في «شرح شذور الذهب»^(٤).

وإذا كان أغلب النحاة المتأخرين ينسب الدلالات المختلفة لـ«أو» نفسها فإن بعضهم فرق بين دلالاتها ودلالات السياق، فقال: (فدلالة «أو» و«إما» في الإباحة والتخيير، والشك والإبهام والتفصيل على معنى أحد الشئيين أو الأشياء على السواء، وهذه المعاني تعرض في الكلام لا من قبل «أو»، و«إما» بل من قبل أشياء آخر، فالشك من قبل جهل المتكلم وعدم قصده إلى التفصيل أو الإبهام، والتفصيل من حيث قصده إلى ذلك، والإباحة، من حيث كون الجمع يحصل به فضيلة، والتخيير من حيث لا يحصل به ذلك)^(٥)، وقال آخر: (ذهب قوم إلى أن «أو» موضوعة لقدر مشترك بين المعاني الخمسة المتقدمة، وهو أنها موضوعة لأحد الشئيين أو الأشياء، وإنما فهمت هذه المعاني من القرائن)^(٦)، وقال ابن هشام بعد جمعه المعاني المنسوبة لـ«أو»: (التحقيق أن «أو» موضوعة لأحد الشئيين أو الأشياء، وهو الذي يقوله المتقدمون، وقد تخرج إلى معنى «بل»، والى معنى «الواو». وأما بقية المعاني فمستفادة

(1) ينظر: الجنى الداني: ٢٢٧.

(2) ينظر: المقرب: ٢٥٢، رصف المباني: ١٣١-١٣٢، تسهيل الفوائد: ١٧٦.

(3) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٢٢/٤-٣٢٣.

(4) ينظر: شرح شذور الذهب: ٤٤٥.

(5) شرح الرضي على الكافية: ٣٢٣/٤.

(6) الجنى الداني: ٢٣١.

من غيرها^(١)، لذا ينبغي للمتصدي لدراسة اللغة أن يفرق بين المعنى الوظيفي الذي تؤديه الأداة بنفسها، والمعاني الدلالية التي يحددها السياق من خلال القرائن.

إن «أو» تختلف عن «الواو» في أن الثانية تقيم شركة بين المتعاطفين في الحكم وتثبتها لهما جميعاً، نحو: «جاء محمدٌ وعليٌّ»، في حين أن «أو» لا تقيم شركة بين المتعاطفين في الحكم، بل تثبته لأحدهما، من غير أن تعين ذلك الواحد، فهي تقوم بعملية التسوية بينهما في استقلال كل واحد منهما بالحكم، وذلك بجعل كل واحد من المتعاطفين صالحاً للاستقلال بالحكم من دون أن تحدده، ولتلك الخصيصة صلت «أو» للاستعمال في كل سياق فيه خفاء وغموض في الحكم، كالشك والإبهام والتخيير والإباحة.

إن الدلالة التي ذكرها سيبويه والتي لم يعن بها النحاة - دلالة مهمة لـ «أو»، وهي إشراك «أو» بين المتعاطفين في الإعراب، وإثباتها الحدث الذي اشتركا فيه لأحدهما دون الآخر، وتسويتها بينهما في الدعوى^(٢)، ويظهر مما تقدم من أقوال النحاة أنهم لم يلتفتوا إلى ما في قول سيبويه من إشارة إلى دلالة «أو» في التسوية بين المتعاطفين أو المتعاطفات، ويظهر أن لهذه الإشارة أثر عند صاحب الكشاف في بعض كلامه، ففي مجال تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَنْهُمْ

كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٨﴾ صَمُّكُمْ عُمِّي فَمَنْ

لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴿٣٧﴾

فظاهر الأمر أنه تنبه لها من بين النحاة، ويلحظ اهتمامه بهذه الإشارة في عرضه لرأيه في مجال تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمُهُمْ أَمَّا أَوْ كَهُورًا﴾^(٤) إذ يقول: إن «أو» في أصلها لتساوي

شيئين فصاعداً في الشك، ثم اتسع فيها، فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين تريد أنهما سجان في استصواب أن يجالسا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمُهُمْ

أَمَّا أَوْ كَهُورًا﴾^(٥)، أي الإثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما، فكذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ

(1) مغني اللبيب: ١٤٣/١ .

(2) ينظر: الكتاب: ٤٤٠/١ .

(3) سورة البقرة: ١٧-١٩ .

(4) سورة الانسان: ٢٤ .

(5) السورة الانسان: ٢٤ .

كَصَيْبٍ^(١) معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين، وأن القصتين سواء في

استقلال كل واحد منهما بوجه التمثيل، فبأيهما مثلتها فانت مصيب، وان مثلتها بهما جميعا
فكذلك^(٢).

فيظهر واضحا من قوله أن «أو» تصلح للدلالة على التسوية، ونحن نعلم أن التسوية تقتضي شيئين فصاعدا، و«أو» لأحد الشئيين أو الأشياء، ولكن «أو» فيما يظهر تثبت الحكم لأحد المتعاطفين وتترك هذا الواحد مبهم التعيين، وهي بهذا الأمر تسوي بين المتعاطفين، وتجعل كل واحد منهما صالحا للاستقلال بالحكم.

قال صاحب «الأزھية»: (فإن قلت: سواءً عليّ قمتَ أو قعدتَ، بغير استفهام، لم تعطف إلا بـ«أو»؛ لأنها بتأويل الجزاء، تريد: إن قمتَ أو قعدتَ فهما سواءً)^(٣)، فـ«أو» هنا) بتقدير حرف الشرط^(٤).

وقد أعرب عبارة «سواء عليّ قمتَ أو قعدتَ» بقوله: إن «سواء» خبر مبتدأ محذوف، تقديره: الأمران سواء عليّ، وبعدها بين المتكلم الأمرين بقوله: أقمتَ أم قعدتَ، فيكون التقدير: إن قمتَ وإن قعدتَ فالأمران سواء عليّ، فالجملة الإسمية «الأمران سواء عليّ» دالة على جواب الشرط^(٥).

ونجد في مادة الفعل «استوى» قرينة التضام الافتقاري إلى التعدد في الزمن الواحد، بالعطف، أو بالثنائية، أو بالجمع^(٦)، لذا لا يصح الاختصار على المعطوف عليه وحده.

وإن التسوية في تركيب «أو» تأتي حين يكون غرض المتكلم تعليقها أي التسوية- بين المعطوف والمعطوف عليه بحكم، قال سيبويه: (وتقول: لأضربنه ذهب أو مكث، كأنه قال: لأضربنه ذاهبا أو ماكثا، ولأضربنه إن ذهب أو مكث)^(٧).

(1) سورة البقرة : ١٩ .

(2) الكشاف: ٨١/١، ينظر: التبيان في علم البيان: الزملاكاني: ١٣٥ .

(3) الأزھية في علم الحروف : ١٤٧ .

(4) شرح الرضي على الكافية: ٣٣٦/٤ .

(5) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٣٣٣/٤ ، حاشية الصبان : ٩٩/٣ .

(6) العطف كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ «المائدة : ١٠٠»، والثنائية كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ «فاطر: ١٢»، والجمع كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ «التوبة: ١٩».

(7) الكتاب : ١٨٥/٣ .

فقد جاءت عبارة «ذهب أو مكث» فضلة بعد تمام الكلام. قال الفراء: (وأما الذي على الشرط مما لا يجوز رفعه فقولُه: إضرب أخاك ظلماً أو مسيئاً، تريد: إضربه في ظلمه وفي إساءته، ولا يجوز ههنا الرفع في حاله؛ لأنهما متعلقان بالشرط)^(١).

ويظهر مما تقدم أن دلالة «أو» حيثما استعملت هي التسوية بين المتعاطفين والمقام هو الذي يوجه دلالتها هذه إلى معاني الشك أو الإبهام أو التخيير أو الإباحة أو غير ذلك، ولا تعارض بين المعنى الوظيفي لـ«أو» -التسوية- والمعاني الدلالية المستفادة من المقام في تراكيبها، وأن الكلام يبدأ ويمضي فيها على اليقين فما أن يصل المتكلم لـ«أو» وما بعدها، فيتحول كلامه عند المتلقي إلى الشك، قال سيبويه: (ومن المبدل أيضاً قولك: مررتُ برجلٍ أو امرأةٍ، إنما ابتدأ بيقين، ثم جعل مكانه شكاً أبدله منه، فصار الأول والآخر الادعاء فيهما سواء)^(٢) فيبدو واضحاً أن معنى «أو» الوظيفي هو التسوية، وهو يفهم من «أو» نفسها أما المعنى الدلالي فيفهم من السياق الذي ترد فيه «أو» بأسره .

وسأتناول «أو» بالدراسة من نواح ثلاث :

الفرع الأول : دلالة «أو» في عطفها (مفرداً على مفرد، وجملة على جملة).^(٣)

أولاً : دلالة «أو» في عطفها مفرداً على مفرد

قد وردت «أو» عاطفة مفرداً على مفرد، كما في قوله -عليه السلام-: (لِكُلِّ امْرِئٍ عَاقِبَةٌ حُلُوَّةٌ أَوْ مُرَّةٌ)^(٤)، فقد عطف «أو» لفظة «مرة»، وهي مفردة على لفظة «حلوة» المفردة أيضاً، وقد أعربت «مرة» بالرفع تبعاً للمعطوف «حلوة» الواقع صفة مرفوعة للمبتدأ المؤخر «عاقبة». وقد وردت «أو» هنا لتفصيل هذه الـ«عاقبة» التي قيدت الصفة إطلاقها، و«أو» هنا تسوي بين نوعي العاقبتين في شمولهما كل إنسان، أي أن المعنى: لكل إنسان إحدى العاقبتين أكان هذه أو تلك. إن «أو» لم تحدد في النص أي العاقبتين راجحة، فهذا أمر مبهم ليس للإمام -عليه السلام- في صدد الحديث عنه، إذ إن لكل امرئ عمله الخاص به الذي قد يحسن أو يقبح، إنما أراد إيضاح العاقبة المذكورة، وهي مبهمة، فألحقها ببيان وتفصيل بنوعيتها، وهما: العاقبة السعيدة، والعاقبة المحزنة المؤلمة وشتان ما بين العاقبتين .

(1) معاني القرآن: الفراء: ١/١٩٤ .

(2) الكتاب : ١/٤٤٠ .

(3) ينظر: رصف المباني: ١٣١ .

(4) نهج البلاغة : ١٨/٣٦١ .

ونظيره قوله -عليه السلام-: (الثناء بأكثر من الاستحقاق مَلَقٌ، وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الإِسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ)^(١)، وقد عطف «أو» لفظه «حسد» على لفظه «عي»، والأخيرة هي خبر مرفوع للمبتدأ «التقصير» لذا جاء المعطوف عليه مرفوعاً.

وقد وصف الإمام -عليه السلام- الزيادة على الاستحقاق في الثناء على المثني عليه بالملق، ثم ذكر النقصان في الثناء، وقد جاءت «أو» لتفصيل عملية «التقصير» في عملية الثناء، وسوت بين الـ«عي» والـ«حسد» في حقيقة وجود هذا التقصير في نفس المقصر في الثناء الذي استحقه المثني عليه، فجاءت لتفصل هذا التقصير، فيكون المعنى: إن التقصير عن استحقاق الثناء سببه أحد الشئيين. هذا أو ذلك ! .

ونظيره أيضاً قوله -عليه السلام- في وصف الله تعالى: (عَظَمَ أَنْ تُثَبِّتَ رَبُّوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ)^(٢)، وقد عطف هنا لفظه «بصر» على المضاف إليه «قلب» المجرور، فجاء المعطوف عليه مجروراً تبعاً للمعطوف.

فساوى إثبات ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر في حكم العظم، ويمكن أن يقال في معناها: عظم أحد الشئيين. أكان هذا أو ذلك. وله نظائر في النهج^(٣).

ثانياً: دلالة «أو» في عطفها جملة على جملة

وردت «أو» عاطفة جملة على جملة في النهج، ويمكننا دراستها على النحو الآتي:

أ- دلالة «أو» في عطفها جملة فعلية فعلها ماض على جملة فعلية فعلها ماض

ومنه قوله -عليه السلام-: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ)^(٤)، فقد عطف «أو» الجملة الفعلية «رأى جوراً»، وفعلها «رأى» ماض على جملة «رأى حقاً فأعان عليه»، وفعلها «رأى» ماض، وقد وقعت في محل رفع صفة للكرة «رجلاً» فتبعها الجملة المعطوف عليه في محل الرفع.

وتتضح دلالة «أو» على التسوية، في كلامه -عليه السلام- ف «أو» هنا تسوي بين الصفتين في حكم الدعاء «رحم الله» أي أن المعنى: رحم الله رجلاً يتصف بإحدى الصفتين، أكانت هذه أو تلك.

(1) نهج البلاغة: ٢٦٢/١٩ .

(2) المصدر نفسه: ٧٧/١٦ .

(3) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٥/٥، ٣١/٧، ٣١/١٠، ٦٧/١٠، ٨٨/١٠، ٥/١٣، ١٣٨/١٥، ١١١/١٧، ٨٤/٢٠، ٦٣/٢٠، ٣٤٦-٣٤٧/١٨، ٢٢/١٨، ١٥١/١٧ .

(4) المصدر نفسه: ٨/١١ .

وقد خصص كل من الصفتين المتعاطفتين الـ«رجل» النكرة المبهم المطلوب له الرحمة، وجاءتا قيدياً يحد من إطلاقه، وجاء العطف بينهما بـ «أو» لتفصيل هذه النكرة فنتضح صورته في أذهان المخاطبين.

ونظيره قوله -عليه السلام-: (وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَةً أَوْ كَرِهَةً إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عِلْماً بَادِيًا...) (1)، وقد عطف «أو» هنا الجملة الفعلية «كرهه»، وفعلها «كره» ماض على الجملة الفعلية «رضيه»، وفعلها «رضي» ماض، وقد جاءت الجملة المعطوف في محل رفع صفة لـ«شيء»، فتبعتها الجملة المعطوف عليها في الرفع المحلي.

وقد نفى -عليه السلام- ترك الله تعالى شيئاً من غير إيضاحه والدلالة عليه، وجاءت لفظة «شيء» هنا نكرة مبهمة، فأفادت العموم، فأتبعها بجملة الصفة، فخصصت هذا العموم، ثم عطف عليها الجملة الأخرى بـ«أو» التي دلت على تفصيل هذا الشيء. فقد سوت «أو» بين الصفتين في حكم النفي «لم يترك» أي أن المعنى: لم يترك أحد الشئيين. أكان هذا أو ذلك.

ومنه قوله -عليه السلام- في كتاب له كتبه للأشتر النخعي رحمه الله - (...فَأَمْلِكُ هَوَاكَ، وَشَحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشَّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ) (2)، وقد عطف «أو» هنا الجملة الفعلية «كرهت»، وفعلها «كره» ماض على الجملة الفعلية «أحبت»، وفعلها «أحب» ماض أيضاً، والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وكذلك ما عطف عليها لا محل له من الإعراب.

وقد أمر الإمام -عليه السلام- عامله أن يسيطر على هواه، وأن يشح بنفسه عما لا يحل له، ولما نهاه عن الشح عاد (وفسر له الشح ما هو؟ فقال: أن تتصف منها فيما أحبت وكرهت، أي لا تمكنها من الاسترسال في الشهوات، وكن أميراً عليها، ومسيطرًا وقامعاً لها من التهور والانهماك) (3) فضلاً عن أن يكون مهيمناً عليها فيما تكره نفسه من صلاة وصوم وغيرهما من العبادات الشرعية ومن الواجبات العقلية (4).

وقد ساوت «أو» بين الحب والكره في الإنصاف من النفس، ودلالة «أو» هنا هي التفصيل لهذا الشح المأمور به.

(1) نهج البلاغة: ١١٥/١٠ .

(2) المصدر نفسه: ٣١/١٧ .

(3) شرح النهج: ٣١/١٧ - ٣٢ .

(4) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢/١٧ .

وللجملة الفعلية الماضية المعطوفة بـ«أو» نظائر قليلة في النهج (١) .

ب- دلالة «أو» في عطفها جملة فعلية مضارعة معطوفة بـ«أو» على جملة فعلية مضارعة.

منه قوله -عليه السلام-: (وَ اللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَنْفَلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ؛ ثُمَّ لَا يَنْقَلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا...) (٢)،

وقد عطف «أو» جملة «لينقلن»، وهي جملة فعلية فعلها «ينقل» مضارع على جملة جواب القسم «لتفعلن»، وهي جملة فعلية فعلها «تفعلوا» مضارع.

فبعد أن أمر الإمام -عليه السلام- المخاطبين بطاعة الله تعالى هددهم مؤكدا هذا التهديد بالقسم إن لم يفعلوا ذلك ينقل الله تعالى الإسلام أي الخلافة عنهم (٣)، وقد جاء كلا من الجواب وما عطف عليه مؤكدا بـ«اللام» المرحقة، و«نون» التوكيد الثقيلة، فإذا وقع الشرط يقع المشروط، ونجد أن «أو» قامت بالتسوية بين جواب القسم وما عطف عليه في حكم القسم، والمعنى: والله ليحدث أحد هذين الحدثين. أكان هذا أو ذاك.

ونظيره قوله -عليه السلام- في وصف الله تعالى: (وَ لَا أَنْ الْأَشْيَاءَ تُحْوِيهِ؛ فَنَقَلَهُ أَوْ تُهْوِيهِ، أَوْ أَنْ شَيْئًا يَحْمِلُهُ فَيَمِيلُهُ أَوْ يُعَدِّلُهُ) (٤)، ونلاحظ أن الإمام -عليه السلام- قد عطف بـ «أو» الجملة الفعلية «تهويه»، وفعلها «تهوي» مضارع على «نقله»، وهي جملة فعلية فعلها محل «نقل» مضارع أيضا، والأخيرة معطوفة بـ«الفاء» على جملة «تحويه» الواقعة خبرا في رفع لـ«أن»، فالجملة التي تليها «نقله» في محل رفع أيضا تبعا لـ«تحويه»، وجملة «تهويه» في محل رفع تبعا لـ«نقله».

ثم جاءت بعدها الجملة المعطوفة «أو أن شيئا يحمله فيميله أو يعدله»، وهي جملة إسمية معطوفة على الجملة التي تقدمتها «ولا أن الأشياء تحويه...»، وقد عطف «أو» هنا جملة إسمية مؤكدة بـ«أن» على نظيرتها، وجاء خبرها جملة فعلية «يحملة» في محل رفع، وقد عطف عليها بـ«الفاء» جملتين فعليتين فعليهما: «يميل»، و«يعدل» مضارعين، وقد تبعت الأولى الخبر في محل الرفع، والثانية المعطوفة بـ«أو» تبعت المتقدمة لها في محل الرفع.

وقد جاءت «أو» لتساوي بين حدثين هما إقلال الأشياء له تعالى وإهوائها له، وهما عمليتي الاحتواء في «تحويه»، فساوت «أو» بينهما في حكم النفي، فيكون المعنى: لا تحويه الأشياء. أكان هذا أو ذاك. وقد دلت «الفاء» العاطفة وكذلك «أو» على التفصيل، وكذلك ساوت «أو» بين الحدثين في العبارة الأخرى، فقد ساوت بين حدث الإمالة وحدث التعديل،

(1) ينظر: نهج البلاغة: ٢٦٠/٦، ٣٩/١١، ١٧٧/١١، ٢٧/١٤، ٧٠/١٦، ٨٧/١٦.

(2) المصدر نفسه: ٢٩٥/٩.

(3) ينظر: شرح النهج: ٢٩٦/٩.

(4) نهج البلاغة: ٨١/١٣-٨٢.

وهما تفصيل الخبر المجرى «يحمله» في حكم النفي، فيكون المعنى، ولا شيء يحمله. أكان هذا أو ذاك. وقد دلت «الفاء»، وكذلك «أو» على تفصيل الإجمال في «يحمله». وقد وردت الجملة الفعلية المضارعية معطوفة بـ «أو» على نظيرتها في عدد من المواضع في النهج (١).

ج: دلالة «أو» في عطفها جملة إسمية على جملة إسمية

كذلك وردت الجملة الإسمية المعطوفة بـ «أو» على نظيرتها في النهج. ومنه قوله -عليه السلام-: (فَتَدَاكُرُوا عَلَيَّ تَدَاكُرَ الْإِبِلِ الْهَيْمِ ... حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ) (٢)، فقد عطف «أو» الجملة الإسمية «بعضهم قاتل بعض لدي» على الجملة الإسمية «أنهم قاتلي» الواقعة في محل نصب خبري «ظن» فجاءت الجملة المعطوف في محل نصب تبعاً للمعطوف.

وقد ساوت «أو» بين الجملتين المتعاطفتين في حكم «ظننت»، فيكون المعنى: حتى ظننت أحد هذين الظنين: أكان هذا أم ذاك.

ودلالة العطف هنا تفصيل مجمل الظن، وبيان ما أبهم فيه، من مراد الظن.

إن نظائره في النهج قليلة جداً (٣).

ثالثاً: دلالة «أو» في جملة الشرط

أ: جاءت «أو» في جملة الشرط بعد «إن» في عدة مواضع، ومما جاء على هذا النمط قوله -عليه السلام-: (اللَّهُمَّ إِنَّ فَهَيْتَ (٤) عَنْ مَسْأَلَتِي، أَوْ عَمِيْتُ (٥) عَنْ طَلِبَتِي، فَذُلْنِي عَلَى مَصَالِحِي، وَخُذْ بَقَلْبِي إِلَى مَرَأْسِدِي... (٦))، وقد عطف «أو» الجملة الفعلية «عميت عن طلبتي» على الجملة الفعلية «فهيت عن مسألتي»، وفعلها ماض، والحكم في هذه العبارة «اللهم دلني على مصالح»، والتسوية هنا بين حالة الفهاة عن المسألة وحالة العمى عن الطلبة أي أن الإمام يسوي بين الحالين في تفصيل حكم الدلالة على مصالحه، والأخذ بقلبه إلى مرأشده.

فهي تسوي بين المتعاطفين في الحكم، وكذلك تثبت الحكم لأحدهما دون أن تعين ذلك

الواحد، فكل واحد منهما صالح لأن يستقل بالحكم، فيمكن أن يقال:

- اللهم إن فهيت عن مسألتي، فدلني على مصالح.

(1) ينظر: نهج البلاغة: ٢٧٥/٩، ١١٥/١٠، ٢٣٨/١١، ١٤٨/١٦.

(2) المصدر نفسه: ٦/٤.

(3) ينظر: المصدر نفسه: ٨١-٨٢، ١٣/١٥، ١٤٨/١٥.

(4) فهيت (أي: عيبت). لسان العرب: ٥٢٥/١٣ «فهي».

(5) يروى: «أو عمهت» بالهاء والميم المكسورة، والعمه: التحير والتردد. شرح النهج: ٢٦٨/١١.

(6) نهج البلاغة: ٢٦٧/١١.

- اللهم إن عميت عن طلبتي، فدلني على مصالحي.

والإمام -عليه السلام- يطلب من الله تعالى أن يدلّه على مصالحي ويهدي قلبه حين يعيى عن حاجته وحين يعمى عن طلبته، فالإنسان إما أن يكون عارفاً بمسألته قادراً عليها، وإما أن يقع في معرفتها مع العجز عنها أو الجهل بها وهنا يطلب -عليه السلام- منه تعالى أن يدلّه على مصالحي ويأخذ بقلبه إلى مرآشده في حالتي ضعف القدرة وانعدامها، لتساويهما في عدم قدرة الإنسان على الإنجاز.

إننا نجد في كلامه -عليه السلام- تسوية بين فرضين لتعليقهما بحكم، وهذا المعنى يفهم عند جعل التسوية بـ «أو» في جملة الشرط، وجعل الجزاء حكماً تتعلق به هذه التسوية، فالمتعاطفان يكونان معا وحدة حكمية واحدة، فلا يكون جزاء إلا بتحققهما معا^(١). وقد أفادت «أو» هنا المساواة بين الفرضين في الدعاء، فالإنسان قاصر عن إدراك مصالحي، فقد يعيى فيها، أو قد يعمى عنها بالكلية لذا فهو بحاجة في كل تلك الأحوال إلى دلالة الله تعالى له وتوجيهه إلى مصالحي.

ونظيره قوله -عليه السلام-: (وَ اللَّهُ لَأَنْ أَيْبَتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهِّدًا، أَوْ أُجِرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفِّدًا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَ رَسُولَهُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ...) ^(٢)، فقد عطف -عليه السلام- الجملة الفعلية «أجر في الأغلال مصفدا»، وفعلها مضارع على الجملة الفعلية «أبيت على حسك السعدان مسهدا»، وفعلها مضارع أيضا. يسوي بـ «أو» بين الحالين: بين البيات على حسك السعدان في تلك الحال المؤلمة، وجره في الأغلال، وهي صورة من صور العذاب في التفضيل على لقيا الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، ويكون المعنى: أنه لا يظلم عبدا كائنا ما كان حاله -عليه السلام- فاستعمل «أو» للدلالة على اتفاق الحالين في الألم والقسوة والشعور بالأذى والإذلال.

وله نظائر آخر في النهج ^(٣).

ب - وجاءت «أو» في جملة الشرط بعد «لو» في عدة مواضع، منها قوله -عليه السلام-: (قَلُّوا مَثَلْتُمْ بِعَقْلِكُمْ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكُمْ ... لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ^(٤) قُلُوبٍ، وَ أَقْدَاءَ عِيُونَ...^(٥)) ^(١)، فقد عطف -عليه السلام- جملة «كشفت عنهم محجوب الغطاء لك» على جملة الشرط «مثلتهم بعقلك».

(1) النحر الوصفي: د. محمد صلاح الدين مصطفى: ١٩٥/١.

(2) نهج البلاغة: ٢٤٥/١١.

(3) ينظر: المصدر نفسه: ٣١٢/١، ٢٤٥/١١، ٣٥/١٤، ٥٧/١٦، ٦٩/١٧، ١٠٦/١٧، ١١١/١٧.

(4) والأشجان: جمع شجن، وهو الحزن، والأقضاء: جمع قذى، وهو ما يسقط في العين فيؤذيها. شرح النهج:

. ٦٣/١١

وقامت «أو» بالتسوية بين حالين: حال تمثيلهم بالعقل، وحال انكشاف محجوب الغطاء عنهم، فيكون معنى ما جاء في كلامه -عليه السلام- : أمتلتهم بعقلك أم كشف عنهم محجوب الغطاء لك ترى أشجان قلوب وأفذاء عيون، ويكون المعنى: ترى أشجان قلوبهم وأفذاء عيونهم كائنا ما كانت حالك معهم.

والإمام -عليه السلام- هنا يصف حال الموتى وما يصيرون إليه من تمزق أشلاء وبلى أجساد إلى ان تنتهي بهم إلى التحول إلى شيء آخر، وانهم يكونون على هذه الحال سواء أتخيلت ما يجري عليهم -أيها المخاطب- تصورا بعقلك أم أن رأيت حالهم على وجه الحقيقة، فكلاهما سواء.

ولها نظائر آخر في النهج^(٢).

ج : وجاءت «أو» بعد «إذا» في مواضع منها قوله -عليه السلام- في إحدى خطبه: (وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةَ وَالْيَهُأَ، أَوْ أَحْجَفَ الْوَالِي بَرَعِيَّتِهِ؛ إِخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ...) (٣)، وقد عطف «أو» الجملة الفعلية «أجحف الوالي برعيته»، وفعلها ماض على الجملة الفعلية «غلبت الرعية واليهما»، وفعلها ماض، ودلالة الفعلين في الجملتين مستقبلية.

وقد سوت «أو» هنا بين غلبت الرعية واليهما وإجحف الوالي برعيته في اختلاف الكلمة وظهور الجور.

وقد وردت في مواضع قليلة جدا^(٤).

رابعاً: دلالة «أو» في عطفها للجمل المستفهم عنها

ترد «أو» عاطفة لجملة مستفهم عنها على جملة مستفهم عنها أيضاً، ولهذا شواهد في النهج منها قوله -عليه السلام-: (وَ هَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانَ، أَوْ جَنَائِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ جَانَ!) (٥)، وقد عطف هنا «جنائية من غير جان»، وهي جملة مستفهم عنها على «بناء من غير بان»، وهي جملة مستفهم عنها، وجاءت «أو» هنا لتسوي بينهما في حكم الاستفهام «هل يكون»، أي أن المعنى: هل يكون أحد الشئيين، أكان هذا أو ذاك!.

(1) نهج البلاغة : ١٥١/١١ .

(2) ينظر: نهج البلاغة: ٣٣٢/٣، ٣٣٢/٣، ٦٧/١٠، ٢٠٣/١٠، ١٥١/١١.

(3) نهج البلاغة: ٩٢/١١ .

(4) ينظر: المصدر نفسه: ٨٩/١٥، ٩٢/١٥.

(5) المصدر نفسه : ٥٦/١٣ .

ومنه أيضا قوله -الطبري-: (أ تَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِبًا، أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا!)^(١)، وقد عطف هنا الفعل المضارع «تكون»، وهو مستفهم عنه على المصدر المؤول «أن تكون» المستفهم عنه أيضا، وجاءت «أو» هنا لتسوي بين الحدثين في حكم الاستفهام «أتخاف» أي أن المعنى: أتخاف أحد الشيئين، أكان هذا أو ذلك.

وله نظائر في النهج^(٢).

وقد وقعت في أنماط أخر.

- وجاءت عاطفة جملة الصلة في مواضع قليلة^(٣).

- وجاءت عاطفة فعل أمر على فعل أمر في موضعين^(٤).

- وجاءت عاطفة فعلا مضارعا على مصدر مؤول من «أن» والفعل في عدد من المواضع، أو مصدرا صريحا على مصدر مؤول^(٥).

- أو مصدرا مؤولا من «أن» والمضارع على مصدر مؤول من «أن» والمضارع^(٦).

- وجاءت عاطفة في أسلوب قصر بعد «إلا» في عدد من المواضع^(٧).

- وجاءت عاطفة جارا ومجرورا على اسم مجرور بالحرف في عدد من المواضع^(٨).

- وجاءت عاطفة جارا ومجرورا على جار ومجرور في مواضع أخر^(٩).

الفرع الثاني: الدلالات التي تفيد التسوية بـ «أو» في النهج

فيما يأتي إيضاح لأهم الدلالات التي قصد النهج بيانها من خلال توظيف معنى التسوية

الكامن في «أو»:

اولا: دلالة التقسيم أو تفصيل الإجمال.

(1) المصدر نفسه: ٢٢٦/٩.

(2) والاستفهام يخرج للاستنكار في معظمها. ينظر: المصدر نفسه: ٢٦٠/٦، ٢٢٧/٧، ٢٢٧/٧، ٢٤٤/٨، ٢٧٥/٩، ٧/١١، ٥٦/١٣، ٨٤/٢٠.

(3) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٣/١، ٢٣/٧، ٣١/١٧.

(4) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٤/٣، ١٠٩/١١.

(5) ينظر: نهج البلاغة: ١٥١/١، ٣٩٨/٦، ٢٦٣/٨، ٢٢٦/٩، ٥١/١١، ٨٤/١١، ٨٤/١١، ٩٢/١١، ١٥٢/١١، ٢٣٩/١١، ١٥١/١٥، ٢٨٦/١٦، ٢٢/١٨، ٥٤/١٨، ٥٤/٢٠.

(6) ينظر: المصدر نفسه: ٨٤/١١، ٦٦/١٦، ١٠٥/١٦.

(7) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٧/٣، ٣٣٢/٣، ٦/٤، ٤٥/٧، ٢٤٤/٨.

(8) ينظر: المصدر نفسه: ١١٤/١، ١١٦/١، ١١٧/١، ٢٥١/١، ٣١٢/١، ٣٠٧/٢، ٣٣٢/٣، ١٤٥/٥، ١٤٥/٥، ١٩٩/٦، ٢٨٧/٦، ٢٩٨/٦، ٣٩٨/٦، ٢٣/٧، ٢١٥/٨، ١٥٨/٩، ٢٧١/٩، ٢٧٣/٩، ٦٧/١٠، ١٠٢/١١، ١٥٢/١١، ٢٣٩/١١، ١٥٥/١٣، ٣٥/١٤، ٨٩/١٥، ٨٩/١٥، ١٠٤/١٥.

١٠٦/١٧، ١٨١/١٥، ١٥١/١٥.

(9) ينظر: المصدر نفسه: ٦٧/١٠، ٨٥/١٦، ٢٨٦/١٦، ٣٤/١٨.

إن دلالة التقسيم أو التفريق أو التفصيل^(١) من دلالات «أو» التي تأتي من حيث قصد المتكلم إليها^(٢)، فإن معنى «أو» الوظيفي، وهو التسوية بين متعاطفيها في صلاحية كل منهما للاستقلال بالحكم، جعل «أو» صالحة للاستعمال في التراكيب الدالة على التقسيم^(٣)، فقوانا: «الكلمة إسم أو فعل أو حرف» يعني يستوي الاسم والفعل والحرف في الدخول في قسمة الكلمة؛ وذلك لأن استعمالها في سياق التقسيم يجعل الأقسام متساوية في صلاحية كل منها للاستقلال بحكم المقسم.

ومن أمثلة التفصيل قوله -عليه السلام- في صفة العارفين: (قَلَوْ مَثَلْتُهُمْ لِعَقَلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةَ، وَ مَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةَ، وَ قَدْ نَشَرُوا دَوَابِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَ فَرَعُوا لِمَحَاسِبِهِ أَنْفُسَهُمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَ كَبِيرَةٍ؛ أَمَرُوا بِهَا فَفَصَّرُوا عَنْهَا، أَوْ نُهَوَّا عَنْهَا فَفَرَطُوا فِيهَا ... لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى...) (٤) فقد عطف «أو» هنا جملة «نهوا عنها» على جملة «أمروا بها» حيث ذكر الإمام -عليه السلام- ما يحاسب العارفون عليه أنفسهم، وهو كل صغيرة وكبيرة، وقد جمع بين المتضادين وأضاف المعطوف إلى لفظة «كل» للدلالة على شمول محاسبتهم أنفسهم على كل ما يصدر منهم، وأن هذه المحاسبة شديدة، ولما ذكر «صغيرة وكبيرة» كانت هذه الصغائر والكبائر مبهمة مجملة، فجاء بالجملتين المتعاطفتين بـ«أو» «أمروا بها ففصروا عنها»، و«نهوا عنها ففرطوا فيها» لتفصيل هذا الإجمال، وإيضاح هذا الإبهام.

ونظيره قوله -عليه السلام-: (فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ، مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى، وَ قَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَ سَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ؛ وَ مَنْ يَكُونُ لِلنَّارِ فِي النَّارِ حَطْبًا أَوْ فِي الْجَنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا) (٥)، فقد عطف هنا «أنثى» على «ذكر»، و«جميل» على «قبيح»، و«بخيل» على «سخي»، و«سعيد» على «شقي»، وفي «الجنان للنبيين مرافقا» على «لنار حطبا».

فنجد أن الموصول «ما» قد لحقته الصلة «في الأرحام»، فقال: «ما في الأرحام» غير أن هذه الصلة مبهمة، فلم تذهب بالغموض الذي في الموصول، فهي هنا مع موصولها غامضة مجملة؛ إذ لم يطرأ على الموصول ما يزيل إبهامه بالوضوح، وذلك أمر وارد في الموصول الإسمي حيث يأتي الموصول مجملا في الخطاب فتفصله الصلة^(٦).

(1) ينظر: الجنى الداني: ٢٢٨-٢٢٩، مغني اللبيب: ١٣٨/١-١٤٠.

(2) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٢٣/٤.

(3) ينظر: مغني اللبيب: ١٣٨/١.

(4) نهج البلاغة: ١٧٧/١١.

(5) المصدر نفسه: ٢١٥/٨.

(6) ينظر: دلالة الإجمال في «الاسم الموصول». الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني: ٩٠-١٠٤.

وقد استعمل -الْعَفْفُ- «ما»، وهي جملة شديد الدلالة على الإبهام، وقد فصلها -الْعَفْفُ- بالمتعاطفات بعدها، وهي: «ذكر أو أنثى»، و«قبيح أو جميل»، و«سخي أو بخيل»، و«شقي أو سعيد»، و«من يكون للنار حطبا أو في الجنان للنبیین مرافقا».

وجاء ذلك في معرض تبيينه -الْعَفْفُ- علم الغيب لبعضهم، وأنه -علم الغيب- ما لا يقدر عليه إنسان، إذ إن علم الإنسان يرتبط بالتعلم من ذي علم.

وقد عزز -الْعَفْفُ- العطف بـ«أو» بالعطف بـ«الواو» التي جمعت نشأة الإنسان في الرحم، ثم انتقاله إلى الدنيا، ذكرا صفاته المتعاقبة وصولا إلى نهاية المطاف، وهي إما النار أو انحيازه إلى الجنة مع النبيين .

وقد جاء الجمع بـ«الواو» ومجموع التفاصيل لبيان شمول علمه تعالى وإحاطته بكل هذه الدقائق والتفاصيل وقدرته على الإحاطة بها جميعا .

ونلاحظ سمة دلالية في حرف العطف «أو»، وهي أنه قد عطف المتضادات جميعا، فالذكر جنسه مضاد لجنس الأنثى، والقبيح ضد الجميل، والشقي لا بدّ من أن يكون ضد السعيد، ويبدو أن عطف المتضادات ههنا في النص قد جاء لإظهار دلالة الشمولية لجميع الأجناس والصفات بلا استثناءات أو تخصيص، ليدخل في علم الله تعالى كل ما في الأرحام مهما اختلف جنسه أو تباينت صفاته.

ونظيره قوله -الْعَفْفُ-: (إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ ... أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا -وَأَنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ، وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ- أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَأَقِيًّا رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَنْبُ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ، أَوْ يَعْرِ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ؛ أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بَدْعَةٍ فِي دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ)⁽¹⁾، ففي قوله -الْعَفْفُ- نجد عدم انتفاع الإنسان بخروجه من الدنيا ولقائه الله تعالى بخصلة مما ذكر من الخصال، ونجد «هذه الخصال» أمرا مبهما فصله الكلام الذي بعده، فدلالة «أو» هنا هي تفصيل هذا المجمال وإيضاحه، والنفس حينما تسمع المبهم تتشوق لسماع المبين لأن الإيضاح بعد الإبهام إنما يعتمد إلى استعماله لضرب من المبالغة فإذا جاء به في الكلام فإنما يفعل ذلك لتفخيم أمر المبهم وإعظامه لأنه هو الذي يطرق السمع أولا⁽²⁾.

وقد شدّ -الْعَفْفُ- السامع إلى الأمر وعظمه في نفسه، فكان الأمر أكثر تهيبا وتشويقا لمعرفة المراد من غيره.

(1) نهج البلاغة : ١٦٠/٩ .

(2) المثل السائر : ٢٤/٢ .

وأراد الإمام -عليه السلام- في قوله أن من الأمور الثابتة المنصوص عليها أن العبد يكون من أهل النار إذا ارتكب ذنباً من الذنوب المفصلة في كلامه -عليه السلام-، وهي: الإشراف بالله تعالى، أو قتل النفس بغير الحق لشفاء الغيظ، أو قذف غيره بأمر قد فعله هو، أو يسعى لبلوغ حاجة من الناس بإظهار بدعة في دينه، أو يكون منافقاً تجتمع فيه صفات الكذب والخيانة. وقد وجدت أن دلالة التفصيل هي الغالبة على العطف بـ«أو» في النهج، فلها نظائر أكثر^(١) من سواها فيه.

ثانياً : دلالة التخيير

إن هذه الدلالة يجب أن تقع بعد الطلب، وقبل ما يمتنع فيه الجمع^(٢)، نحو قولهم: «كل سمكا أو اشرب لبنا»، و«تزوج هنداً أو اختها» أي أفعل أحد الأمرين. ولا نجد في كلامه -عليه السلام- من دلالة «التخيير» أكثر من مواضع «ثلاث»: الأول: قوله -عليه السلام-: (قَدْ اسْتَطَعْمُوكُمُ الْقِتَالَ، فَأَقْرُوا عَلَى مَذَلَّةٍ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ، أَوْ رَوْا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرَوْا مِنَ الْمَاءِ...) (٣).

فقد عطف جملة «رووا السيوف من الدماء»، وفعلها «رووا» فعل أمر على جملة «أقروا على مذلة...»، وفعلها «أقروا» فعل أمر. وهنا سوت «أو» بين الفعلين في طلب الحدث، فقد سوت بين إقرار المذلة، وتأخير المحلة من جهة، وتروية السيوف من الدماء في الاختيار من جهة أخرى، أي إيهما في منزلة واحدة عند المتكلم، فالتسوية هي المعنى الوظيفي الذي تؤديه «أو» (وأما بقية المعاني فمستفاد من غيرها)^(٤) أي أنه متروك لقرائن السياق الحالية والمقالية.

وقد أكد جملة «استطعموكم القتال» بـ«قد» لتحقيق الأمر، فلا بد من رد ما على هذا الاستطعام، فخيرهم -عليه السلام- بين الأمرين، وهنا لا يمكن للمخاطبين أن يجمعوا بين الأمرين لتناقضهما، فلا بد من اختيارهم أحد الشئيين .

وقد قال ذلك -عليه السلام- حين غلب معاوية وأصحابه على شريعة الفرات، واشتد العطش بجيشه -عليه السلام-، فخيرهم بين الثبات على الذل وتأخر المرتبة والمنزلة^(٥) وبين القتال وانتزاع حقوقهم وحفظ كرامتهم ليحثهم على القتال.

(1) ينظر: نهج البلاغة: ٢٠٩/٩، ١١٥/١٠، ٥١/١١، ٣٥/١٤، ١٣٨/١٥، ١٦٣/١٥، ٧٤/١٦، ٨٥/١٦.

(2) ينظر: الكتاب: ١٨٤/٣، حروف المعاني: الزجاجي: ٥١، معاني الحروف: ٧٧، للمع: ١٧٥، المخصص: ٥٤/١٤.

(3) نهج البلاغة: ٢٤٤/٣ .

(4) مغني اللبيب : ١٤٣/١ .

(5) ينظر : شرح النهج : ٢٤٥/٣ .

أما الموضوع الثاني فهو قوله -عليه السلام- في دعائه: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ عَلَى فُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي؛ وَ أَكْفَنُوا إِنَائِي، وَ أَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَ فِي الْحَقِّ أَنْ تُنَمَّعَهُ، فَاصْبِرْ مَعْمُومًا أَوْ مُتٌ مُتَأَسِّفًا)⁽¹⁾، وقد عطف «أو» الجملة الإنشائية «مت متأسفا»، وفعلها «مت» فعل أمر على «إصبر مغموما»، وهي جملة إنشائية فعلها «إصبر» فعل أمر، وقد جاءت «أو» للتسوية بين الفعلين في طلب الحدوث، أي اختر أحد الأمرين؛ الصبر مغموما أو الموت حزنا.

فقولهم هذا هو ما جعل الإمام -عليه السلام- يتظلم ويتألم، ويطلب الاستعانة من الله تعالى والانتقام له من قريش .

وهنا نلاحظ اختلاف «أو» التي للتسوية عن «أو» التي للتخيير من جهة أن طرفي التسوية بينهما اطراد التباين أو التقابل، وليس ذلك الاطراد بين طرفي التخيير⁽²⁾. ولا نجد في النهج دلالات ثلاث : «الإبهام»، و«الشك»، و«الإباحة»، وقد يكون موقعه خليفة للمسلمين، وإماما للناس، ومعلما لهم، وقائدا عسكريا سببا في ذلك، إذ لا يحتاج إلى هذه المعاني في خطابه إلا قليلا .

ثالثاً: دلالة «أو» في رفع توهم رجحان أحد المتعاطفين على الآخر تحسن التسوية إذا كان المتلقي يعتقد رجحان أحد المتعاطفين على الآخر، لأن الأساس في معنى التسوية هو جعل المتعاطفين في منزلة واحدة، لا يعلو أحدهما على الآخر، من ذلك قوله -عليه السلام-: (... وَ تَلَفَّتِ الْإِسْتِعَاثَةَ بِنُصْرَةِ الْحَقِّدَةِ وَ الْأَقْرَبَاءِ، وَ الْأَعَزَّةِ وَ الْفُرْتَاءِ، فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقْرَابُ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ...)⁽³⁾، فليس المقصود مـــــــن كـــــــلام الإمام -عليه السلام- السؤال عن أحدهما وأيهما معين وناصر للمتلفت، وإنما هو خبر جاء في صيغة السؤال الاستكاري، فالعبارة تسوي في إنكار دفع الأقارب، ونفع النواحب في إعانة ونصرة المحتضر.

وقد استعملت التسوية هنا بين المتعاطفين لأن الإمام -عليه السلام- أراد بيان هذه القضية، فقد أنزل المتلقي بمنزلة المتوهم أن أحدهما ناصر أو معين، فسوت العبارة بينهما في عدم النصرة والنفع .

(1) نهج البلاغة : ١٠٩/١١

(2) ينظر: البيان في روائع القرآن: ١٧٨/٢ .

(3) نهج البلاغة : ٢٦٠/٦ .

ونظيره قوله -عليه السلام-: (...وَاللَّهِ مَا أَبَالِي؛ دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ) (١)، فليس المقصود هنا أحدهما، وإنما المعنى: سواء علي الأمران: أدخلت إلى الموت أم خرج هو إلي، ومعنى هذا أن طائفة من المنافقين كانت تتوهم خشيتهم من دخوله إلى الموت حين تريت في لقاء العدو، فقال ذلك -عليه السلام- ليسوي بينهما، فقد (أقسم أنه لا يبالي أتعرض هو للموت حتى يموت، أم جاءه الموت ابتداء من غير أن يتعرض له) (٢)، وهذا يدل دلالة واضحة على عظم شجاعته وقوة قلبه وعمق إيمانه إلى الحد الذي تتساوى عنده جميع الأمور لأن غايتها جميعا هي الموت الذي لا يخشاه.

ولهذه الدلالة نظائر أخر في النهج (٣).

رابعاً : دلالة «أو» على بيان شمول الحكم

يستعمل النهج التسوية بـ «أو» في عدد من المواضع لبيان أن الحكم يشمل كل الأحوال، فيجري الحكم على أحوال قد يتوهم المتلقي خروجها عن ذلك الحكم، ثم يسوي بين تلك الأحوال بـ«أو».

من ذلك قوله -عليه السلام- : (...بِمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ؛ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ، وَ الْأَرْضِينَ الْمَدْحُورَةَ، وَ الْجِبَالَ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةَ ... وَ لَوْ اِمْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ، أَوْ عَرَضٌ، أَوْ قُوَّةٌ، أَوْ عِزٌّ، لَأَمْتَنَعَنَ؛ وَ لَكِنْ أَشْفَقَنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ) (٤)، فالإمام -عليه السلام- يقول: إن شيئاً ما لا يستطيع الامتناع منه وفي كل الأحوال، ومهما تكن الظروف، وذكر -عليه السلام- أسباب القوة والامتناع، وهي: «الطول، والعرض، والقوة، والعز»، وقد سوى بينها بـ«أو»، فيكون المعنى أنها لا تمتنع من الله مهما تكن الأحوال، لأن قدرته تعالى شاملة لكل شيء، فأفادت «أو» العموم لذا أشفقن من العقوبة.

وهنا يذكر -عليه السلام- رفض السموات والأرضين والجبال حمل الأمانة لتقلها وعظم شأنها، وقيام الإنسان الضعيف بذلك لجهله، قال بعضهم: (إن أداء الأمانة هو العقد الذي يلزم الوفاء به، والأمانة ثقيلة المحمل لأن حاملها معرض لخطر عظيم، فهي بالغة من الثقل وصعوبة المحمل ما لو أنها عرضت على السموات والأرض والجبال لامتنتعت من حملها) (٥).

(1) نهج البلاغة: ١٢/٤ .

(2) شرح النهج : ١٢/٤ .

(3) ينظر: نهج البلاغة: ٦/٤ ، ٢٧٥/٦ ، ٢٢٧/٧ ، ١٦٠/٩ ، ١٠٩/١١ ، ٢٤٥/١١ ، ٣٥/١٤ .

(4) المصدر نفسه : ٢٠٣/١٠ .

(5) ينظر : شرح النهج: ٢١٠/١٠ .

ونظيره قوله -عليه السلام-: (...بَلْ لَمْ تَخُلْ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ؛ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ...) (1)، يريد -عليه السلام- تنبيه المخاطب على لطف الله تعالى به، فيقول: إنكم لم تخلوا من لطفه تعالى مهما تكن حالكم.

فالله سبحانه وتعالى يغمر الإنسان بكرمه بصورة مستمرة دائمة فلا يخل الإنسان من أطافه لحظة ولو بمقدار إطباق جفن على جفن، فهو تعالى يجدد النعم، ويغفر السيئات، ويصرف البليات العظيمة، فبين ديمومة هذا اللطف واستمراره، وعضد هذا باستعماله الأفعال المضارعة «يحدثها»، و«يسترها»، و«يصرفها» لـ إذا يعجب الإمام -عليه السلام- من جرأة الإنسان على معصية الله تعالى، ومن كرمه تعالى وحلمه على الإنسان، فيكون المعنى: إنكم لا تخلون على أي حال من الأحوال من لطفه وكرمه، فـ «أو» أفادت شمول الأحوال واستغراقها جميعا في لطفه، فهو لطيف على الدوام، وفي جميع الأحوال والظروف.

ولهذا نظائر آخر في النهج (2).

خامساً: دلالة «أو» على التسوية بين فرضين لتعليقهما بحكم (*)

قلنا فيما تقدم: إن هذا المعنى يفهم عند جعل التسوية بـ «أو» في جملة الشرط، وجعل الجزاء حكما تتعلق به هذه التسوية، ومن ذلك قوله -عليه السلام-: (...وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَبْهَةً أَوْ مَخِيلَةً، فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ...) (3)، فقد عطف «أو» هنا المفرد «مخيلة» على المفرد «أبهة» الواقع مفعولا به منصوبا للفعل «أحدث».

وقد سوت «أو» بين الـ«مخيلة» و الـ«أبهة» في الحكم، وأثبتت الحكم لأحدهما من دون أن تعين ذلك الواحد.

يوجه الإمام -عليه السلام- أحد أمرائه، ويعلمه الأساليب القيادية في الحكم وكيفية السيطرة على النفس، فيقول: إذا أحدثت لك الإمرة أحد هذين: الـ«أبهة» أو الـ«عظمة» فانظر عظمة ملك الله تعالى، فهو المالك لكل شيء، فالنظر إلى سلطان الرب يشعر المخاطب بضالة سلطانه «سلطان العبد»، فـ (مهما تعاضمت قدراته وقابلياته فإنه ينبغي أن ينظر لعظمة الخالق القدير

(1) نهج البلاغة : ٢٣٩/١١ .

(2) ينظر : المصدر نفسه : ٣٩٨/٦ ، ٢٨٣/٨ ، ٢٣٩/١١ ، ٣٤/١٧ .

(*) ذكرت هذه الدلالة في حديثي عن وقوع «أو» في تركيب «إن» الشرطية .

(3) نهج البلاغة : ٣٣/١٧ .

عز وجل حتى لا يعزب عنه رشده وعقله ويتواضع إجلالاً لله^(١) تعالى، وأكد عدم مساماة الله تعالى في عظمته وجبروته، فمن شأنه تعالى أن يذل كل جبار ويهينه^(٢).
ولهذا نظائر في النهج^(٣).

المطلب الثاني : «أم»

إن ما لحظه بعض النحاة من اجتماع حروف «أو»، و«أم»، و«إما» في مجال دلالي واحد، وهو الدلالة على أحد الشئيين^(٤)، أمر يدل على قدرة النحاة على فهم هذه المعاني النحوية الدقيقة .

وقد ذكرت المصادر أن «أم» تكون متصلة ومنقطعة^(٥)، و«أم» المتصلة عاطفة على رأي الجمهور^(٦)، فهي حرف عطف يشرك المعطوف مع المعطوف عليه مطلقاً، أي لفظاً وحكما مالم يقتض إضراباً^(٧). وذهب ابن هشام إلى أنها تشرك في الإعراب دون الحكم^(٨)، وقد فرقوا بين المتصلة والمنقطعة^(٩) بأن قالوا:

١- «أم» المتصلة: هي التي يكون ما قبلها وما بعدها لا يستغني احدهما عن الآخر لأنهما مفردان تحقيقاً أو تقديرًا، وهي منحصرة في نوعين:

الأول: «أم» المعادلة لهزمة التسوية نحو قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (١٠) (١١).

لَهُمْ (١٠) (١١).

-
- (1) السياسة الإدارية في فكر الإمام علي بن أبي طالب بين الأصالة والمعاصرة : ٢٢-٢٣ .
 - (2) ينظر: المصدر نفسه : ٢٣ .
 - (3) ينظر: نهج البلاغة : ٩٢/١ ، ٣٣٢/٣ ، ١٠١/١١ ، ١٥١/١١ ، ٢٦٨/١١ ، ١٠٦/١٧ .
 - (4) ينظر: شرح المفصل: ١٦/٥ ، شرح الرضي على الكافية: ٣٢١/٤ ، حاشية الصبان: ٩٠/٣ ، المصباح في علم النحو: ١١٠ .
 - (5) ينظر: الكتاب: ١٦٩/٣ ، حروف المعاني: ٤٨ ، معاني الحروف: ٧٠ ، جواهر الأدب: ١٠٣-١٠٤ ، المقرب : ٢٥٢ ، أوضح المسالك : ٤٦/٣ .
 - (6) ينظر: المقرب : ٢٥٣ ، تسهيل الفوائد : ١٧٦ ، الجنى الداني : ٢٢٥ .
 - (7) ينظر : تسهيل الفوائد : ١٧٤ ، حاشية الصبان: ٩٠/٣ .
 - (8) ينظر : شرح اللحة البدرية : ٢٥١/٢ .
 - (9) ينظر : شرح المقدمة المحسبة : ٢٦١/١ ، المفصل : ٣٠٥ ، المقرب : ٢٥٣ ، النكت في تفسير كتاب سيبويه: الأعم الشنتمري : ٧٩٧/٣ .
 - (10) سورة المنافقون : ٦ .
 - (11) ينظر : شرح الرضي على الكافية: ٤٢٩/٤ .

الثاني: «أم» التي تتقدم عليها همزة يطلب بها و بـ«أم» ما يطلب بـ«أي» وجوابها أحد الشئيين أو الأثنياء^(١)، أي أن جوابها يكون بالتعيين^(٢)، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى والبَصِيرُ أمْ هَلْ تَسَوَّى الظُّلُمَاتُ والنُّورُ﴾^(٣)، وسميت بـ«المتصلة» (لاتصال مابعدها بما قبلها وكونه كلاما واحدا)^(٤)، و(لأن ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر، وتسمى أيضا معادلة؛ لمعادلتها للهمزة في إفادة التسوية في النوع الأول، والاستفهام في النوع الثاني)^(٥).

ونقل عن ابن مالك قوله: و«أم» المعتمد عليها في العطف هي المتصلة، وهي تعطف المفردات والجمل^(٦).

وأما حالتها الثانية أي المنقطعة فتأتي مسبوقة بالخبر المحض، أو بهمزة لغير الاستفهام، أو بغير الهمزة^(٧).

الفرع الأول : أم المتصلة

وسندرس «أم» المتصلة من خلال دلالتها على النحو الآتي :

أولاً : دلالة التسوية

إن المعنى الوظيفي الذي يؤديه هذا الحرف في التركيب هو معنى التسوية، فـ«أم» هنا معادلة لهمزة التسوية، ولهذا سماها الرضي بـ(أم التسوية)^(٨).

ونجد في قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أمْ صَبَّرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾^(٩) تلازما بين همزة

التسوية و«أم» عند إرادة التعبير عن معنى التسوية، فلا تستعمل همزة التسوية إلا مع «أم» فلا يصح استعمالها مع «أو».

وقد لمح معنى الشرط فيها بعض النحاة، فقال: (وإنما أفادت الهمزة فائدة «إن»

الشرطية، لأن «إن» تستعمل في الأمر المفروض وقوعه، المجهول في الأغلب ... وكذا

(1) ينظر: الأصول: ٥٨/٢، شرح المفصل: ابن يعيش: ١٦/٥، شرح الرضي على الكافية : ٣٣٠/٤ .

(2) ينظر : معاني الحروف : ٧٠ .

(3) سورة الرعد : ١٦ .

(4) شرح المفصل: ابن يعيش : ١٧/٥ .

(5) مغني اللبيب : ٩٠/١ .

(6) ينظر: توضيح المقاصد «ط»: ٢٠٧/٣، أسرار النحو: ٢٩٠ .

(7) ينظر: مغني اللبيب: ٩٦/١-٩٧، معاني القرآن: الأخفش: ٣٧٢/٢ .

(8) شرح الرضي على الكافية: ٣٣٣/٤ .

(9) سورة إبراهيم : ٢١ .

حرف الاستفهام يستعمل فيما لم يتيقن حصوله، فجاز قيامها مقامها، فجردت عن معنى الاستفهام^(١).

ولهذا ذكر علماء المعاني أن الاستفهام هنا لفظي لا معنوي^(٢)، فهو خبر لا إنشاء، ومعلوم أن التسوية في همزة التسوية معنى لا نجده في الهمزة نفسها إذا جاءت منفردة بلا تسوية، وكلمة «سواء» المتقدمة على الاستفهام هي التي تفيد هذا المعنى، وتأتي «أم» معادلة للهمزة، ونجد اتضاح التسوية هنا عند العلماء، فلا نجد اختلافاً- فيما اطلعت عليه - فيها، في حين لا نجد اتفاقاً بين العلماء على غير كلمة «سواء» لأداء هذا المعنى، فلعل طائفة منهم فهمت معنى التسوية بعد «ليت شعري، ولا أدري، ولا أبالي»^(٣). في حين يفهم من كلام بعضهم عدم رضاه بإرادة التسوية من كلمة أخرى غير كلمة «سواء»^(٤). حقا إننا نلمح الاستفهام في العبارة إلا أن دلالة السياق العامة هي التسوية بين المتعاطفين، وهو الأمر الذي يرد في ذهن المخاطب، ولا يطرأ في ذهنه قصد الإجابة عن السؤال أو انتظار الإجابة بحال من الأحوال. وقد نجد العبارة مشوبة بمعنى آخر من المعاني كالتحقير أو الإبهام مثلا^(٥).

وقد وردت «أم» التسوية على صورتين في النهج :

أ- دلالة «أم» في عطف فعل على فعل

منها قوله - عليه السلام - في وصفه متصد للحكم بين الأمة، وليس لذلك بأهل حين تنزل به إحدى المشكلات ويقطع فيها برأيه : (...فَهُوَ مِنْ لُبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ، لَا يَذْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ)^(٥)*)، وقد عطف الفعل الماضي «أخطأ» على «أصاب»، وهو فعل ماضٍ أيضاً. وتظهر عملية تساوي المتعاطفين أو إظهار تساويهما في عدم الدراية إذ ليس المطلوب هنا تعيين أحد المتعاطفين، وإنما المطلوب هو إضافة دلالة الكلمة المتقدمة «لا أدري» إليهما لبيان تساويهما في عملية عدم الدراية أي تساوي عملية إصابة الحكم وعملية الخطأ فيه في عدم دراية مدعي العلم هذا

(1) شرح الرضي على الكافية: ٣٣٥/٤ .

(2) ينظر: عروس الأفرح «ضمن شروح التلخيص»: ٢٤٧/٢ .

(3) ينظر: حروف المعاني: ٤٨، التبيان: العكبري : ٢٢/١، شرح الرضي على الكافية: ٣٢٩/٤، ٣٣٣، ٣٣٧ .

(4) ينظر : مغني اللبيب : ٩٠-٩٢ .

(*) سنين ذلك في موضعه من هذا البحث .

(5) نهج البلاغة : ٢٨٣/١ .

(*) ولم يرد له نظير في النهج.

للدلالة على جهله وتحقيره إذ لا ينطق عن علم، وقد قال الرسول ﷺ: (لا خير في العيش إلا لمستمع واع أو عالم ناطق)^(١) عن علم ووعي.

ب- دلالة «أم» في عطف جار ومجرور على جار ومجرور نحو قوله -ﷺ- في عبادة الشيطان: (فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ، لَا يُدْرَى أَمْ مِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الآخِرَةِ، عَنْ كِبَرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ)^(٢)، فقد عطف «أم» هنا الجار و المجرور «من سني الآخرة» على الجار و المجرور «من سني الدنيا» قصدا لإبهام مبلغ عبادته لان عبادة إبليس بلغت مدة طويلة من الزمن، (ولما رأى أمير المؤمنين عليه السلام هذا المبلغ عظيما جدا علم أن أذهان السامعين لا تحتمله، فلذلك أبهم القول عليهم، وقال: «لا يدري امن سني الدنيا أم من سني الآخرة»^(٣)، فـ(يفهم من تقديره عليه السلام تلك المدة بستة آلاف سنة لا يدري من أي السنين هي انه سمع فيه نسا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجملا ولم يفسره له، أو انه سمعه وعلم تفصيله لكنه لم يفصله للناس، بل أبهم القول عليهم في تعيينه لعلمه أن تعيين سني الآخرة مما يستعظمونه ولا يحتمله أذهانهم)^(٤)، إن «لا أدري» المتقدمة على المتعاطفين المذكورين أخرجتهما من طلب الإجابة إلى التساوي بينهما في عدم الدراية قصدا للإبهام، والتعمية لبيان عظمة المدة التي عبد بها الشيطان ربه، ومع هذا فانه عصاه، فعاقبه سبحانه على فعلته.

ثانياً : دلالة «أم» على طلب التعيين^(٥).

وأما حال «أم» حين تسبقها همزة الاستفهام، فيقول سيوييه في نحو: «أزيد عندك أم عمرو؟»، و«أزيدا لقيت أم بشرا؟»: (فأنت الآن مدع أن عنده احدهما؛ لأنك إذا قلت: أيهما عندك؟ وأيهما لقيت؟ فأنت مدع إن المسئول قد لقي احدهما، أو أن عنده احدهما، إلا أن علمك قد استوى فيهما، لا تدري أيهما هو)^(٦).

(1) النوادر : ضياء الدين الراوندي: ١٣٢ .

(2) نهج البلاغة : ١٣١/١٣ ، وقد ورد له نظير واحد. ينظر: المصدر نفسه: ٦٢/١٨ .

(3) شرح النهج : ١٣ / ١٣٤ .

(4) مصباح السالكين : ٤ / ٢٤٧ .

(5) وقد ذكر احد الباحثين أن هذه الدلالة هي دلالة «أم» المركزية ، وان «دلالة التسوية»، و « دلالة الإضراب» معنيان هامشيان لـ«أم». ينظر: معاني الأحرف الثنائية و الثلاثية بين القرآن الكريم ودواوين شعراء المعلقات السبع : ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ .

(6) الكتاب: ١/١٦٩ .

وقال ابن السراج : (وإنما استوت التسوية والاستفهام، لأنك إذا قلت مستفهما أزيد عندك أم عمرو؟ فهما في جهلك لهما مستويان)^(١)، فالعطف بـ«أم» كما قال السهيلي: (إذا أردت المعادلة بين أمرين متساويين، إما على جهة الاستفهام وإما على جهة التقرير أو التوبيخ)^(٢). و«أم» المتصلة لا تدخل إلا على الاستفهام، وقد تمثل وجها حقيقيا لأسلوب الاستفهام في اللغة العربية؛ إذ يطلب بها الفهم ممن يتوقع انه يعرف الجواب^(٣).

إن «أم» المتصلة بهمزة الاستفهام صالحة للمعادلة بين المضارعين، كما هي صالحة للمعادلة بين الماضيين إذ لا معنى للشرط في تركيبهما. وقد أجاز جمهور النحاة عطف الجملة الإسمية على الجملة الفعلية وبالعكس مطلقا، ونقل ابن جني عن أبي علي الفارسي جواز ذلك بـ«الواو» خاصة وذهب النحاة إلى منعه مطلقا^(٤).

ولكن علماء المعاني يرون التناسب بين الجملتين فـ(من محسنات الوصل تناسب الجملتين في الإسمية والفعلية، وفي المضي والمضارعة، إلا لمانع، كما إذا أريد بإحدهما التجدد وبالأخرى الثبوت، كما إذا كان زيد وعمرو قاعدين، ثم قام زيد دون عمرو، وقلت: قام زيد وعمرو قاعد)^(٥)، فأجازوا عطف الفعلية على الإسمية أو العكس لمقتضى يدعو إليه، فالأصل عدم العطف لكن الضرورة تجعل بها العطف ممكنا .

وقد ورد عطف الجملة على الجملة في النهج على النحو الآتي:

أ- دلالة «أم» في عطف جملة ماضوية على ماضوية

من ذلك ما نجده في كلام له -عليه السلام- لرجل من أصحابه أرسله ليستعلم أحوال قوم من جنده قد هموا باللحاق بالخوارج، فلما عاد إليه الرجل قال -عليه السلام- له: (أ أمنوا ففطنوا)^(٦)، أم جَبَنُوا ففطنوا! فقال الرجل: بل ظعنوا^(٧) يا أمير المؤمنين^(٨)، فقد عطف هنا جملة «جنبوا فظعنوا» على جملة «أمنوا ففطنوا»، واشتمل كلامه -عليه السلام- (على السؤال عن ظعنهم وإقامتهم وعلتتهما

(1) الأصول : ٥٨/٢ .

(2) نتائج الفكر : ٢٠٥ .

(3) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ٣٥٢-٣٥٣ .

(4) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٢٨/١، مغني اللبيب: ١٣٨/٢، شرح الأشموني: ٦٤٨/٤ .

(5) الايضاح: القزويني: ١٢١-١٢٢ .

(6) القطن بالمكان الإقامة به والتوطن فيه. ينظر: لسان العرب: ٣٤٣/١٣ «قطن» .

(7) الظعن هو (الشخوص) أي السير. ينظر: شرح النهج: ٢٣٣/٩، لسان العرب: ٢٧٠/١٣-٢٧١. «ظعن» .

(8) نهج البلاغة: ٧٤/١٠، ولم نعثر له الا على نظير واحد. ينظر: ٢٣٣/٩ .

وهما الأمن والجبن^(١)، والإقامة والظعن أمران متغايران لاختلاف سببهما، وهما الفعالان المتعاطفان «أمنوا» و«جنبوا».

ولما كان السؤال عن أحد الشئيين أجابه الرجل بتعيين أحدهما «بل ظعنوا»، واستعمل «بل» ليدل على القطع بهذا الأمر، وأن الإجابة مؤكدة لا شبهة فيها. ولم يرد في النهج عطف المضارع على المضارع بـ «أم» المتصلة .
ب- دلالة «أم» في عطف مفرد على مفرد

ومنه قوله -عليه السلام-: (... يَا نَوْفُ، أَرَأَيْدُ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ؟ قُلْتُ: بَلْ رَامِقٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ...) ^(٢)، فقد عطف «أم» المفرد «رامق» على المفرد «راقد»، وهو خبر مقدم مرفوع لذا جاء المعطوف «رامق» مرفوعا.

وهنا الإمام -عليه السلام- لا يعرف إن كان صاحبه راقدا أم رامقا ^(٣)، فقد استوى الأمران في انعدام العلم عنده -عليه السلام-، قال الرماني: (واصل ألف الاستفهام التسوية؛ لأنك إنما تستفهم لتستوي أنت ومن تستفهمه في العلم) ^(٤) بنقل ما يعلمه إلى علمك، فيقع التساوي، والإجابة تكون بالتعيين، ولذا كانت الإجابة بأحد المتعاطفين.

ج- دلالة «أم» في عطف جار ومجرور على جار ومجرور
ومنه روايته -عليه السلام- حديثا دار بينه وبين رسول الله ﷺ عن الفتنة والقوم المفتنين إجابة على سؤال سألته إياه رجل عن الفتنة، قال: (... قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أَنْزَلَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ أَمْ بِمَنْزِلَةٍ، رَدَّةٌ أَمْ بِمَنْزِلَةٍ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ) ^(٥)، فقد عطف هنا الجار والمجرور «بمنزلة فتنة» على «بمنزلة ردة» لاستواء المتعاطفين في انعدام العلم عند السائل وطلبه للفهم، وكانت الإجابة في تعيين أحد المتعاطفين «بمنزلة فتنة» أي أنزلهم بمنزلة فتنة.

وقد أجمل الإمام -عليه السلام- سؤاله في قوله: «بأي المنازل أنزلهم؟ ...»، ثم فصله في قوله: «بمنزلة ردة أم بمنزلة فتنة؟» ليبين شدة اهتمامه بمعرفة حكم هؤلاء المفتنين للنبي ﷺ، فيجيبه النبي جوابا مفصلا واضحا يحسم الأمر، وقد استعمل حرف «أي» في السؤال لأنه

(1) مصباح السالكين : ٣٨٠/٣ .

(2) نهج البلاغة: ٢٦٥/١٨ . ولم نعثر له الا على نظير واحد. ينظر: ٢٤٥/١١ .

(3) رامق: بمعنى مستيقظ يرمق السماء والنجوم ببصره. ينظر: شرح النهج : ٢٦٦/١٨ .

(4) معاني الحروف: ٧٠، ينظر : الأصول : ٥٨/٢ .

(5) نهج البلاغة : ٢٠٥/٩ .

(البعض من كل - وهو وإن كان لا يختص ببعض دون بعض - ولكن يصلح لكل منها على طريق البديل، وعلى ما يقدر بعضاً من الجملة...، ولشدة إبهامه لزمته الإضافة)^(١). وجاءت هنا «أم» معينا في تفصيل هذه الأبعاض، ليحدد النبي ﷺ بعضاً منها، فتتضح المسألة.

ويلحظ قلة ورود «أم» التعينية في النهج^(*).

د- دلالة «أم» في عطفها جملة إسمية على ما قبلها

ورد ذلك في قوله -ﷺ-: (أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَ شَغَفِ الْأَسْتَارِ؛ نُطْفَةً دِهَاقًا، وَ عَلْفَةً مِحَاقًا، وَ جَنِينًا وَ رَاضِعًا، وَ وِلِيدًا وَ يَافِعًا؛ ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا...)^(٢).

وقد ذكر الشراح أن لـ«أم» هذه معنيان:

١- أن تكون استفهامية على حقيقتها كأنه قال: أعظمك وأذكركم بحال الشيطان وإغوائه، وتستعمل الاستفهامية في الكلام للمعادلة بين المتعاطفين في الاستفهام، فتكون الإجابة بتعيين أحدهما، لذا قال بعضهم: (وتقدير الكلام فيه فليُنظر في ذلك. أم في هذا الذي خلقه الله على سبيل الإنشاء والابتداء في ظلمات ثلاث)^(٣).

٢- ويجوز أن تكون منقطعة، فيقول -عادلا عما وعظهم به- بل أتلوا عليكم نبأ هذا الإنسان الذي حاله كذا^(٤).

وذكر ابن ميثم أن (أم للاستفهام. وهو استفهام في معرض التقرير للإنسان وأمره باعتبار حال نفسه، ودلالة خلقته على جزئيات نعم الله عليه مع كفرانه لها. وكان أم معادلة لهزمة الاستفهام قبلها، والتقدير أليس فيما أظهره الله لكم من عجائب مصنوعاته عبرة)^(٥)، وقد رد عليه الخوئي، فقال: (لا يخفى ما في ذكره من الإغلاق والإبهام بل عدم خلوه من الفساد، إذ لم يُفهم من كلامه أن «أم» متصلة أم منفصلة، فإن قوله: «أم» للاستفهام مع قوله: وكان «أم» معادلة لهزمة الاستفهام يفيد كون «أم» متصلة إلا أنه ينافيه قوله هو استفهام في معرض

(1) ألفاظ الشمول والعموم : ٤٠ .

(*) وقد استعملنا أمثلة معدودة مكررة في النهج ، لقوة دلالتها في المواضع جميعها حيناً وقلة ورود عدد من حروف العطف في النهج حيناً آخر، فضلاً عن أداء هذه الأمثلة لدلالات معينة في كل حرف لا تتوافر في غيرها، ونرى أن ذلك يحسن في التوابع لبيان تعاضد دلالاتها في خدمة النص .

(2) نهج البلاغة: ٦/٢٦٩ ينظر: ص: ٢٨٦، ٢٢٦، وله نظير في النهج. ينظر: نهج البلاغة: ١٨/٣٢٥.

(3) منهاج البراعة : الراوندي : ١/ ٣٤٣ .

(4) ينظر: هامش ص ٢٢٧ من هذا البحث، المباحث النحوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد «ت ٦٥٦هـ»: سجاد عباس حمزة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، بإشراف: أ.م.د. محمد عبد الزهرة الشريفي، «رسالة ماجستير»، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م : ٣٢٠-٣٢١.

(5) مصباح السالكين: ٢/٢٦١.

التفريع لأن «أم» المتصلة لا بد أن تقع بعد همزة التسوية ونحو قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ

تُنذِرْتَهُمْ﴾^(١) أو بعد همزة الاستفهام التي يطلب بها «وبأم» التعيين مثل أزيد عندك «أم» عمرو،

ولا بد أن يكون الاستفهام على حقيقة لتكون معادلة لها في إفادة الاستفهام كمعادلتها لهمزة التسوية في افادة التسوية ولذلك أيضا سميت متصلة لاتصالها بالهمزة حتى صارا في افادة الاستفهام بمنزلة كلمة واحدة، ألا ترى أنهما جميعا بمعنى «أي» وينافيه أيضا قوله والتقدير أليس فيما أظهره بظهوره في كون الاستفهام للإنكار التوبيخي وإن جعل «أم» منفصلة فلا يحتاج إلى المعادل الذي ذكره، فالأولى ما ذكره الشارح المعتزلي وإن كان هو أيضا لا يخلو عن شيء^(٢)، واعتراضه في محله، إذ إن قول الشارح البحراني «ابن ميثم» ملبس لا يتضح للمتلقي.

ثم قال الشارح الخوئي: (والتحقيق عندي هو أن «أم» يجوز جعلها متصلة مسبوقه بهمزة الاستفهام أي أذكركم وأعظكم بما ذكرته وشرحته لكم أم أذكركم بهذا الذي حاله كذا وكذا، ويجوز جعلها منفصلة مسبوقه بالهمزة للاستفهام الإنكاري الإبطالي، والتقدير أليس فيما ذكرته تذكرة للمتذكر وتبصرة للمتبصر، بل في هذا الإنسان الذي حاله فلان فيكون من قبيل قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَاطُونَ بِهَا﴾^(٣)^(٤)، وهذا الرأي أجود الآراء المذكورة

الفرع الثاني : دلالة «أم» على الإضراب

وهذه الدلالة هي ما تقوم به «أم» المنقطعة، وسميت منقطعة لأنها انقطعت مما قبلها خبرا كان أو استفهاما لوقوعها بين جملتين ليستا في تقدير مفردين بل كل منهما مستقل بفائدته، ولا يكون قبلها إحدى الهمزتين^(٥). فهي التي لا تتقدم عليها همزة التسوية، ولا همزة مغنية عن «أي»^(٦).

(1)سورة البقرة: ٦.

(2)منهاج البراعة:الخوئي: ٢٦/٦.

(3)سورة الأعراف : ١٩٥ .

(4)منهاج البراعة: الخوئي: ٢٦/٦. وقال هذا كله مبني على عدم كون الخطبة منقطعة وأن لا يكون قبل قوله-

الخطبة- أم هذا حذف أو أسقاط من السيد يعني الرضي- وإلا فمعرفة حال «أم» موقوفة على الاطلاع

والعنور بتمام الخطبة هذا. المصدر نفسه: الخوئي: ٢٦/٦ .

(5)ينظر: الكتاب: ١٧٢/٣-١٧٣، المقتضب: ٢٨٨/٣ .

(6)ينظر: شرح ابن عقيل : ٢٣١/٢.

ونجد اختلافا بين النحاة في تحديد المعنى الوظيفي الذي تؤديه «أم» هذه، فسيبويه يجعلها في بعض استعمالاتها بمنزلة «لابل» للتحول من شيء إلى شيء، وذلك في نحو: «أما أنتَ بعمرؤ؟ أم ما أنتَ بشر؟» وفي نحو: «أم هل تقول؟»^(١).

وذهب الكسائي وهشام إلى أنها بمنزلة «بل» وما بعدها مثل ما قبلها؛ فإذا قلت: «قامَ زيدٌ أم عمرو» فالمعنى: بل قامَ عمرو، وإذا قلت: «هل قامَ زيدٌ أم عمرو؟»، فالمعنى بل هل قام عمرو؟^(٢)، وجعلها الفراء بمنزلة «بل» في بعض آيات القرآن الكريم^(٣)، وكذلك جعلها ابن السراج^(٤).

وممن جعل «أم» المنقطعة بمعنى «بل» وهمزة الاستفهام أبو البركات الأنباري في كتابه «أسرار العربية»^(٥)، وابن معطٍ في «الفصول الخمسون»^(٦)، وابن يعيش في «شرح المفصل»^(٧)، وابن عصفور في «المقرب»^(٨).

وقد رأى عدد من النحاة أن «أم» صالحة لأن تكون بمعنى «بل» والهمزة معا في بعض استعمالاتها، وبمعنى «بل» وحدها في استعمالات آخر كالرمانى في «معاني الحروف»^(٩)، والرضي في «شرح الكافية»^(١٠)، والمالقي في «رصف المباني»^(١١)، وابن هشام في «مغني اللبيب»^(١٢)، و «شرح شذور الذهب»^(١٣).

وقد ذهب السهيلي إلى أن «أم» التي وردت في القرآن الكريم قد وردت على أصلها الأول من المعادلة إذ ينبغي ألا تكون «أم» المنقطعة فيه^(١٤). وتابعه في رأيه ابن القيم «ت ٧٥١هـ» في كتابه «بدائع الفوائد»^(١٥).

ويظهر من هذا أن الدرس النحوي لم يستقر على تحديد المعنى الوظيفي الذي تؤديه

«أم» المنقطعة في الكلام.

(1) الكتاب: ٤٩١/١-٤٩٢.

(2) ينظر: توضيح المقاصد «ط٢»: ٢٠٤/٣، مع الهوامع: ١٦٩/٣.

(3) ينظر: معاني القرآن: الفراء: ٧٢/١، ٢٩٩/٢.

(4) ينظر: الأصول: ٥٩/٢.

(5) ينظر: أسرار العربية: ٣٠٥-٣٠٦.

(6) ينظر: الفصول الخمسون: ٢٣٧.

(7) ينظر: شرح المفصل: ١٧/٥.

(8) ينظر: المقرب: ٢٥٣.

(9) ينظر: معاني الحروف: ٧٠.

(10) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٣٠/٢-٣٣١.

(11) ينظر: رصف المباني: ٩٥.

(12) ينظر: مغني اللبيب: ٩٧/١.

(13) ينظر: شرح شذور الذهب: ٤٤٧.

(14) ينظر: نتائج الفكر: ٢٠٥-٢٠٦.

(15) ينظر: بدائع الفوائد: ٢٠٥/١-٢٠٩.

وسندرس دلالة «أم» من ناحيتين:

اولا : من حيث ما قبلها

ثانيا: من حيث ما بعدها

اولا: دلالة «أم» من حيث ما قبلها، وهي على النحو الآتي

أ- دلالة «أم» المنقطعة بعد استفهام بالهمزة

منه قوله-عليه السلام:-(مَتَى أَشْفِي غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ ! أَحِينَ أُعْجِزُ عَنِ الْإِنْتِقَامِ فَيُقَالُ لِي : لَوْ صَبَرْتَ ! أَمْ حِينٌ أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لِي : لَوْ عَفَوْتَ!)^(١)، فقد ربط الظرف «حين أقدر» بالظرف «حين أعجز».

ف نجد أن الإمام-عليه السلام- رجل لا سبيل له إلى شفاء غيظه عند غضبه في الحينين: حين العجز، وحين القدرة، فهو كاظم لغيظه محاصر بين زمن العجز حيناً، وزمن القدرة حيناً آخر، فلا يجد متنفساً لغضبه. وهنا عبر-عليه السلام- عما يعانیه مستعملاً «أم» لهذا الغرض، و(قد استفهم عن وقت جواز شفاء الغيظ استفهام انكار لوجوده في معرض التفسير عن هذه الرذيلة)^(٢)(*)، ونلاحظ أن وقع «لو عفوت» حين القدرة أعظم عليه من «لو صبرت» حين العجز، وقد بين-عليه السلام- أن الشفاء حين القدرة مع «لو عفوت» أبعد منا لا منه حين العجز مع «لو صبرت»، فكان إضرابه وانتقاله بـ«أم» إلى ما هو أهم وأجدر بالذكر، فالغيظ مؤلم كالداء، والعجز يحبس هذا الغيظ في نفس المغيظ، فلا يقدر المغيظ على شيء، وفي ذلك مشقة بالغة عليه، فحينما يمتلك القدرة، ويقال له: «اعف» فإن هذا الأمر أصعب عليه وأشد إيلاماً لامتلاكه القدرة.

ونظيره قوله-عليه السلام:-(أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ! أَمْ بَعْدِيدِ الْهَلْكِ يَتَكَاثَرُونَ!)^(٣)، وقد ربط

«بعديد الهلكى» بقوله : «بمصارع آبائهم» بـ«أم».

وهنا يذكر الإمام-عليه السلام- افتخارهم بمصارع الأب والقبيلة^(٤) أي افتخارهم بهم (حيث قتلوا)^(٥) منكرًا وموبخًا لهم، وإن عملية استنكار الإمام هنا ناشئة من كون المصارع تدل على الهلاك والسكون، فهي أمر ماض غير ذي بال، يستحق العظة في حين أن القوم تعاملوا معه

(1) نهج البلاغة: ١٢/١٩ .

(2) مصباح السالكين : ٣٤٤/٥ .

(*) لا ينفي الإمام-عليه السلام- وجود الغيظ -وما غيظه إلا الله تعالى- وإنما وضح كظمه للغيظ في الحالين، فالإمام في معرض الشكوى مما يلقاه من مصاعب وآلام.

(3) نهج البلاغة: ١٤٥/١١ .

(4) ينظر: مصباح السالكين : ٦٠/٤ .

(5) لسان العرب : ١٩٧/٨ «صرع».

على أنه مصدر قوة لهم وافتخار حاضر ومتجدد بدلالة الفعل المضارع «يفخرون»، ثم أضرب بـ«أم» وانتقل إلى ما هو أهم وأجدر بالذكر، وهو المكاثرة بالماضين من قومهم الذين هم بعد الموت أبعد الناس عنهم⁽¹⁾، ومكاثرتهم أيضا أمر حاضر متمم بالتجدد، وقد وصفهم بالهلکی لبيان حقيقة أمرهم، فإذا كان الهلاك هو انعدام وجودهم في هذه الحياة فبأي شيء يتكاثر هؤلاء القوم!.

ويلحظ أن وجود «أم» المنقطعة يأتي للتنبيه على وجود علاقة سياقية بين ما قبلها وما بعدها، وهو ما ذكرناه، ويبدو أيضا أن هناك تقاربا في المعنى بين ما قبلها وما بعدها، وكأنه -عليه السلام- يؤكد المعنى المذكور في ما قبلها بالصد عنه وإبداء ما هو أجل منه، فقبلها موجود وواقع غير أن الإمام يصد عنه ويذكر ما هو أفضع وأجل.

ب- دلالة «أم» المنقطعة بعد استفهام بغير الهمزة

نحو استفهامه بـ«هل» في قوله -عليه السلام- واصفا عجز الإنسان عن رؤية ملك الموت - (هَلْ يُحَسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا، أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَقَّى أَحَدًا!)⁽²⁾، وقد ربط بـ«أم» جملة «هل تراه ...»، وفعلها «تري» فعل مضارع بجملة «هل يحس به ...»، وفعلها «يحس» فعل مضارع، فقد أنكر -عليه السلام- قدرة الإنسان على الشعور بدخول ملك الموت منزلا، فالإحساس به حين دخوله أمر مستحيل، ثم أضرب عن هذا منتقلا إلى ما هو أشد وأعظم ليؤكد مقالته، وهو أن أحدا ما لا يمكنه رؤية الملك في أثناء وجوده بصورة فعلية وقيامه بعمله، وانعدام رؤيته في هذه الحال أشد وأعظم في عدم القدرة على وصفه ليكون الإنسان في محل العجز المطلق عن صفة الرب الذي خلق هذا المخلوق الخفي.

وقد ذكر -عليه السلام- هذا الكلام في (معرض التوحيد والتنزيه لله تعالى عن اطلاع العقول البشرية على كنه وصفه فقدم التنبيه بالاستفهام على سبيل الإنكار عن الإحساس به في دخوله منازل المتوفين ... ونبه باستنكار الإحساس به على أنه ليس بجسم)⁽³⁾.

(1) ينظر : مصباح السالكين : ٦٠/٤ .

(2) نهج البلاغة : ٢٣٧/٧ .

(3) مصباح السالكين : ٩٠/٣ .

ونظيره قوله -عليه السلام- لرجل ذم الدنيا : (مَتَى اسْتَهْوَتْكَ، أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ!)^(١)، وهنا يستبعد الإمام -عليه السلام- ذم الزمان للدنيا مع اغتراره بها، فقوله -عليه السلام- (توبيخ على الاغترار بها ودمها مع ذلك وكذب دعواه أنها ذات الجريمة عليه باستفهامه عن وقت استهوائها له استفهام منكر لذلك وموبخ عليه)^(٢)، فبعد أن استفهم عن وقت استهوائها له عاد واضرب عن ذلك منتقلا إلى وقت تغيرها به، فانتقل بذلك إلى ما هو أجدر وأهم في اسقاطه -عليه السلام- لدعوى التجرّم المزعومة وإثبات الاختيار للإنسان في ما يعرض له^(٣).
ولها نظائر قليلة في النهج^(٤).

ثانياً : دلالة «أم» المنقطعة من حيث ما بعدها

أ- دلالة «أم» المنقطعة وبعدها جملة فعلية ماضية

ومنه قوله -عليه السلام- لطلحة والزبير: (أ لَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمْ فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُمْ عَنْهُ! أَمْ أَيُّ قَسَمٍ اسْتَأْتَرْتُمْ عَلَيْنَا بِهِ! أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعْتُمْ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعَفْتُمْ عَنْهُ، أَمْ جَهَلْتُمْ، أَمْ أَخْطَأْتُمْ بَابَهُ!)^(٥)، فقد جاء بعد «أم» الفعل الماضي «ضعفت»، وبعد «أم» الثانية الفعل الماضي «جهلته»، وبعد «أم» الثالثة «أخطأت بابه»، وهو استفهام عن الحق الذي نقما تركه، وأشار إلى وجوه الحق وجهاته... والاستفهام في الأقسام كلها استفهام إنكار لها ومستند منعه وإنكاره لها ظاهر^(٦).

وهنا نلاحظ الإضراب الانتقالي في قوله -عليه السلام- إلى ما هو أجدر وأهم بالذكر، الضعف عن الحق المرفوع إليه، ثم الجهل به، ثم الخطأ في بابه، واستعمل الأفعال الماضية للدلالة على أنها أحداث وقعت في زمن ماض. وقد جاء بـ«أم» مسبوقة بـ«أي» ومتلوة بـ«أي» ليد (ذكر وجوه العتاب والاسترداد، وهي أقسام... أما دفعهما عن حقهما فمنعهما عنه، سواء صار إليه عليه السلام أو إلى غيره، أو لم يصر إلى أحد، بل بقي بحاله في بيت المال.

(1) نهج البلاغة : ٣٢٥/١٨ .

(2) مصباح السالكين : ٣١٤/٥ .

(*) نلاحظ هنا أنه -عليه السلام- يمدح الدنيا في هذا الكلام في حين أنه يذمها في معظم كلامه ، قال ابن أبي الحديد في ذلك: إن هذا الكلام جاء (لمدح الدنيا، وهو ينبئ عن اقتداره -عليه السلام- على ما يريد من المعاني، لأن كلامه كله في ذم الدنيا، وهو الآن يمدحها ، وهو صادق في ذلك، وفي هذا). شرح النهج: ٣٢٦/١٨ .

(3) وذلك في ماتقدم من قوله -عليه السلام-: (أ تَقْنَتِنُ بِهَا ثُمَّ تَدْمُهَا! أَنْتَ الْمُتَجَرَّمُ عَلَيْهَا أَمْ هِيَ الْمُتَجَرَّمَةُ عَلَيْكَ!) نهج البلاغة: ٣٢٥/١٨ .

(4) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٥/٦ ، ٧/١١ .

(5) نهج البلاغة: ٧/١١ .

(6) مصباح السالكين : ١١/٤ .

وأما القسم الثاني فهو أن يأخذ حقهما لنفسه، وبين القسمين فرق ظاهر، والثاني أفحش من الأول^(١)، و (جهل الحكم أن يكون الله تعالى قد حكم بحرمة شيء، فأحلّه الإمام أو المفتي، وكونه يخطئ بابه، هو أن يصيب في الحكم ويخطئ في الاستدلال عليه)^(٢).

ب- دلالة «أم» المنقطعة وبعدها جملة فعلية مضارعية

ومنه قوله -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: (يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا إِلَيْكَ عَيِّي، أَيْ تَعَرَّضْتُ، أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتُ!)^(٣)، هنا نرى أن الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع جاءت بعد «أم»، وقد تقدم «الجار والمجرور» في كليهما على الفعلين إذ إن المستفهم عنه هو الجار والمجرور (واستفهامه استنكار لذلك منها واستحقار واستبعاد لموافقته إياها على ما تريد)^(٤).

وقد ذكر أحد الشراح: أن (أم هذه متصلة عديلة همزة الاستفهام)^(٥)، ولا نتفق معه في ذلك، فمعنى الاستنكار يدل على خروج معناها إلى الإضراب.

وقد نظر إلى الدنيا بصورة امرأة عرضت نفسها عليه^(٦)، ثم انتقل إلى ما هو أهم، وهو تزينها وتعرضها له ليراها^(٧)، وهو -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لا يستنكر تعرضها أو تشوفها إلى غيره بدلالة تقديم الجار والمجرور «بي»، و«الي» في العبارتين وإنما هو -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يستنكر تعرضها وتشوفها له هو بنفسه، فإن علمه بحقيقتها، وقوة يقينه هو الداعي إلى طلبه منها التتحي مستنكرا منها هذا العمل، ونلاحظ أن ما بعد «أم» قريب في معناه مما قبلها، فنلمح فيه توكيدا لما قبله.

وله نظائر قليلة جدا في النهج^(٨).

ج- دلالة «أم» المنقطعة وبعدها «جار ومجرور»

منه قوله -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بعد أن استفهم مستنكرا ذم رجل للدنيا: (مَتَى اسْتَهْوَيْتَكَ، أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ! أَمْ بِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبُلَى، أَمْ بِمَصَاحِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى!)^(٩)، ونلاحظ أن «أم» تأتي في هذا الضرب من الاستفهام للتببيه على وجود علاقة سياقية بين ما قبلها وما بعدها، فنلاحظ أنه ذكر مصارع الآباء الدالة على هلاكهم، ثم انتقل إلى ما هو أهم وأجدر

(1) شرح النهج : ٩-٨/١١ .

(2) المصدر نفسه : ٩/١١ .

(3) نهج البلاغة : ٢٢٤/١٨ ، ينظر : ص ١٦٥ من هذا البحث .

(4) مصباح السالكين : ٢٧٦/٥ .

(5) هو قول الراوندي في منهاج البراعة : ٢٩٧/٣ .

(6) ينظر : لسان العرب : ١٨٤/٧ «عرض» .

(7) ينظر : المصدر نفسه : ١٨٥/٩ «شوف»، مصباح السالكين : ٢٧٦-٢٧٧/٥ .

(8) ينظر : نهج البلاغة : ٢٧٧/٧ ، ١٤٥/١١ .

(9) المصدر نفسه : ٣٢٥/١٨ .

بالذكر منها، وهي مضاجع الأمهات، وبين أنها ضجعة الموت والهلاك من خلال قوله: «تحت الثرى»، وكانه -عليه السلام- يقول: إن الرجال قد تفنهم الصراعات والحروب، فقدم الرجال، ثم انتقل إلى النساء، فقال: «مضاجع... تحت الثرى» لأن النساء لسن من أهل الحرب، وعلى الرغم من ملازمتهن المنازل فهن هالكات أيضا.

فكانه -عليه السلام- أراد انتقلن من مضجع فوق الثرى إلى مضجع تحت الثرى، حيث انتزع الموت حياة هذه الأجساد، فصارت ضجعتها سكونا مستمرا لا يقظة معه، فإذا كانت الدنيا تزخر بعبر الموت والفناء فمتى اغترت الإنسان، وبم اغترته، وهو يرى مصرع أبيه ومضجع أمه!.

وربما قصد بالانتقال إلى الأم أنها الأقرب إلى الإنسان أي أنك كنت جزءا منها، وقد صار أصلك تحت الثرى، والجمع في «الآباء»، و «الأمهات» إشارة إلى فناء السلالات البشرية جيلا بعد جيل، وهذا أدعى إلى أن يتعظ الإنسان ويعتبر، فكلامه -عليه السلام- (توبيخ على الاغترار بها وضمها مع ذلك... وأكد ذلك باستفهام أن ذلك الغرور له منها بأي شيء كان أمن مصارع الآباء أم بمضاجع الأمهات وذلك على وجه استهزاء منه والتنبيه له على ما يوجب النفرة منها وعدم الاغترار بها من سوء صنيعها بأهلها حتى كأنها قاصدة لذلك التنبيه والتفكير عنها)⁽¹⁾، فنلاحظ أن «أم» تأتي في سياق استفهام مؤكد لاستفهام متقدم عليه تقع «أم» في سياقه.

ويبدو لنا أن الاستعمال الغالب لـ«أم» المنقطعة في النهج من خلال الأمثلة المتقدمة- أنها جاءت في سياق الجدل أو المنزل منزلة الجدل والقصد من هذا الجدل إقناع عقل المخاطب بالحجج والبراهين وتوضيح الحق له وتثبيت قلبه بالإيمان واليقين، ويستعمل هذا الأمر في الوعظ غالبا.

نصل مما تقدم إلى أن معنى «أم» المنقطعة الوظيفي هو أنها حرف استفهام يؤدي ما تؤديه همزة الاستفهام من معنى، وزيادة على ذلك تقوم بالربط المؤدي لمعنى الإضراب عما قبلها، والانتقال إلى ما هو أهم وأجدر بالذكر⁽²⁾، وأن «أو»، و «أم» قد وردتا حرفي عطف في النهج .

(1) مصباح السالكين : ٣١٤/٥ .

(2) ينظر : الكشاف : ١٩٦/٣ .

أما «إما» فهي حرف مختلف فيه فقد عدها طائفة من النحاة حرف عطف^(١)، في حين لم يعدها آخرون منها^(٢)، وذلك تخلصاً من دخول عاطف على عاطف^(٣)، لأن حروف العطف لا يدخل بعضها على بعض، فإن وجد ذلك في الكلام فقد أخرج أحدهما من حروف النسق^(٤) لئلا يلزم اجتماع حرفي عطف فيكون أحدهما لغواً^(٥)، لذلك رأى عبد القاهر الجرجاني أن عدها في حروف العطف سهو ظاهر^(٦)، فهي حرف يأتي لتفصيل ما قبله^(٧)، وبهذا نرجح أنها ليست عاطفة.

المبحث الثالث: دلالة الحروف التي تشرك المتعاطفين في اللفظ لا في الحكم، وهي: «لا، و بل، ولكن»^(٨)

قال ابن الحاجب: (لا، وبل، ولكن، لأحدهما معينا)^(٩).

ويرى سيبويه في هذا الشأن: أن «لا»، و «بل»، و «لكن» أخوات في أن المعطوف بها مخالف للمعطوف عليه، فـ«لا» تنفي ما وجب للأول، كقولك: «جاءني زيدٌ لا عمرو»، و «بل» للإضراب عن الأول منفيًا أو موجبا، كقولك: «جاءني زيدٌ بل عمرو»، و «ما جاءني بكرٌ بل خالدٌ»، و «لكن» إذا عطف بها مفرد على مثله، كانت للاستدراك بعد النفي خاصة، كقولك: «ما رأيتُ زيداَ لكن عمرا»، وأما في عطف الجملتين فنظيره «بل»، تقول: «جاءني زيدٌ لكن عمرو لم يجيء»، و «ما جاءني زيدٌ لكن عمرو قد جاء»^(١٠).

إن مهمة العطف هي التشريك في الحكم، أي اشتراك كل من المعطوف والمعطوف عليه في الحكم اللفظي «في جميع أدوات العطف» والمعنوي في بعضها دون البعض الآخر^(١١)، وتعد هذه الحروف من وسائل التخصيص الذي يطلق عليه علماء المعاني مع هذه الحروف إسم القصر^(١٢).

- (1) ينظر: الحلل في إصلاح الخلل: ١١٩.
- (2) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٠، أسرار العربية: ٣٠٦، التوطئة: ١٨٨، تسهيل الفوائد: ١٧٤، شرح الرضي على الكافية: ٣٢٨/٤.
- (3) ينظر: شرح عمدة الحافظ: ٦٠٧، المقرب: ٢٥١.
- (4) ينظر: الحلل في إصلاح الخلل: ١١٩.
- (5) الكواكب الدرية: ٩٨/٢.
- (6) المقتصد: ٩٤٤/٢-٩٤٥.
- (7) ينظر: شرح الأشموني: ٤/٩٥، حاشية الصبان: ٣/١٣٠.
- (8) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٣٨/٤-٣٤٢، شرح اللحة البدرية: ٢/٢٥١، حاشية الصبان: ٣/٩٠.
- (9) الكافية لابن الحاجب «متن شرح الرضي على الكافية»: ٣٣٨/٤.
- (10) ينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ٥/٢٥.
- (11) النحو الوصفي: ١/١٩٣.
- (12) ينظر: علم المعاني: د. عبد العزيز عتيق: ١٦٠-١٦٢، البلاغة الاصطلاحية: ٢٥١، ٣٤٣، البلاغة العربية في ثوبها الجديد: د. بكرى شيخ امين: ١/١٨٢.

مطلب: دلالة «لا» العاطفة

«لا» حرف من حروف العطف يعمل على إخراج الثاني مما دخل فيه الأول، تقول: مررتُ برجلٍ لا امرأةٍ فقد أشركت بينهما «لا» في الباء وأحقت المرور للأول وفصلت بينهما عند من التبسا عليه، فلم يدر بأيهما مررت، وضربتُ زيداً لا عمراً، وجاعني زيدٌ لا عمرو^(١)، فلم يدر أيهما المضروب وإيهما الجائي، فهي تشرك بين المتعاطفين في الإعراب دون المعنى^(٢).

ولم يشترط سبويه أي شرط لعملها، في حين ذكر غيره من النحاة أن للعطف فيها ثلاثة شروط^(٣).

١- أن يكون المعطوف بها مفرداً لا جملة، نحو: ضربتُ زيداً لا عمراً، ومررتُ برجلٍ لا امرأة^(٤).

وقد أجاز طائفة من العلماء عطفها الجمل نحو: زيدٌ يقومُ لا يقعد^(٥).

٢- أن تسبق بإثبات أو أمرافاقاً^(٦)، أي أن يسبقها كلام موجب لا منفي، ولا يعطف بـ«لا» بعد نفي ولا نهي^(٧)، قال ابن يعيش: لأن «لا» (إخراج الثاني مما دخل فيه الأول، والأول لم يدخل في شيء)^(٨) من الثاني، فلا يكون قبلها نفي لئلا يفسد معناها، إذ هي للنفي^(٩).

٣- ألا يصدق أحد متعاطفيها على الآخر^(١٠)، وذلك ما عبرت عنه طائفة من النحاة بتعاند متعاطفيها^(١١)، فيجوز على رأي طائفة منهم قول: جاعني رجلٌ لا امرأة، وجاعني عالمٌ لا جاهلٌ في حين لا يجوز: جاعني رجلٌ لا زيداً، أو لا عاقل^(١٢).

واتفق النحويون على العطف بها فيما عدا الماضي^(١)، واختلفوا في العطف بها بعد الماضي في نحو: قام زيدٌ لا عمرو، فأجاز ذلك جل النحويين، ومنهم من منع ذلك وذهب إليه

(1) ينظر: الكتاب: ٤٣٩/١، المقتضب: ١١/١، الأصول: ٥٧/٢، المقرب: ٢٥٥.

(2) ينظر: الأمالي الشجرية: ٢٢٧/٢، شرح المحة البدرية: ٢٥١/٢.

(3) التوابع في كتاب سبويه: ٢٥٨.

(4) شرح الرضي على الكافية: ٣٧٨/٢، أوضح المسالك: ٥٧/٣، دراسات في الأدوات النحوية: مصطفى النحاس: ٧٤.

(5) ينظر: الكتاب: ٤٣٩/١، المقتضب: ١١/١، الأصول: ٦١/٢، نتائج الفكر: ٢٠٢.

(6) ينظر: التوطئة: ١٨٥، شرح عمدة الحافظ: ٦٣٣، شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٢٣٩/١، المقرب: ٢٥٥.

(7) ينظر: الأمالي الشجرية: ٢٢٧/٢، شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٢٣٩/١.

(8) شرح المفصل: ابن يعيش: ٢٥/٥.

(9) رصف المباني: ٢٥٨.

(10) ينظر: التدريب في تمثيل التقريب: أبو حيان الأندلسي: ١٩٠، أوضح المسالك: ٥٧/٣، مغني اللبيب: ٤٦٩/١.

(11) ينظر: مغني اللبيب: ٤٦٩/١، الأشباه والنظائر: ١٤٣/٤.

(12) ينظر: حروف المعاني: ٣١، شرح التصريح: ١٧٩/٢، همع الهوامع: ١٨٤/٣.

أبو القاسم الزجاجي^(٢). وقوله مردود بما ذكره السيد البطلبوسي «ت ٥٢١هـ» في كتاب «الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل»^(٣)، وشواهد العربية إذ عطف بـ«لا» بعد الماضي^(٤).

ثم زاد بعضهم هذه الشروط فاشتراط: ألا تقترن بعاطف^(٥)، فلا يجوز دخول حرف العطف على مثله؛ إذ من المحال عطف العاطف^(٦).

فإذا دخلت عليها الواو، نحو: قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾^(٧)، تجردت «لا» للنفي واستبدت «الواو» بالعطف^(٨)، لأن «لا» (تختص بالنفي)^(٩) أصلاً.

كما اشترطوا أيضاً: ألا يكون مدخولها صفة لسابق أو خبراً أو حالاً^(١٠)، فإذا صلح لشيء من هذا خرجت «لا» عن العطف، ووجب تكرارها^(١١). وذلك نحو قوله تعالى ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ﴾^(١٢)، وزيد لا كاتب ولا شاعر، وجاء زيد لا ضاحكا ولا باكيا^(١٣).

وقد نتبعت مواضع «لا» في النهج، فلاحظت أنها قد وقعت عاطفة في مواضع ضئيلة.

وإذا تبين لنا ضآلة ورودها في النهج فليس هذا ببعيد عن طبيعة الاستعمال اللغوي لهذا الحرف ونسوق على ذلك القرآن الكريم شاهداً إذ إن السيوطي ذكر في الإتيان ان «لا»

(1) ينظر: الأصول : ٦١/٢ ، الأزهية : ١٥٩ ، المقتصد : ٩٤٥/٢ ، رصف المباني: ٢٥٨.

(2) ينظر: حروف المعاني : ٣١ ، شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٢٤٠/١ ، مغني اللبيب: ٤٦٩/١ ، اوضح المسالك: ٥٧/٣.

(3) ينظر: الحلل في إصلاح الخلل : ١٢١-١٢٢ .

(4) ينظر: الخصائص: ١٩١/٣ ، الحلل في إصلاح الخلل: ١٢٢-١٢٣ ، شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٢٤٠/١ .

(5) ينظر: الأزهية: ١٦٠ ، الأمالي الشجرية : ٢٢٧/٢ .

(6) ينظر: الأصول : ٦٠/٢ ، الأزهية: ١٦٠ ، شرح المفصل : ابن يعيش : ٢٦/٥ .

(7) سورة الطارق : ١٠ .

(8) شرح المفصل : ابن يعيش : ٢٦/٥ .

(9) مدخل الطالبين إلى فهم كلام المعربين: علي بن محمد بن محمد القريشي: ٨٧ .

(10) ينظر: شرح التصريح: ١٥١/٢ ، عدة السالك إلى توضيح أوضاع المسالك: محمد محي الدين عبد الحميد: ٣٨٨/٣ .

(11) ينظر: شرح التصريح: ١٨٠/٢ ، حاشية الخصري: ٦٥/٢ ، ينظر: شروط العطف بـ«لا». عطف النسق في العربية: عبد العزيز علي مطلق الدليمي، كلية الآداب، جامعة بغداد، بإشراف: أ.د. حسام سعيد النعيمي «رسالة ماجستير»، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م: ٥٧-٥٩ .

(12) سورة البقرة: ٦٨ .

(13) ينظر: شرح التصريح: ١٨٠/٢ ، حاشية الخصري: ٦٥/٢ .

العاطفة لم تقع فيه^(١)، وقد تابعه في ذلك بعض الباحثين المحدثين^(٢)، والنهج يوافق في ذلك القرآن الكريم .

وينبغي لنا هنا أن نذكر شيئاً، وهو أن هذا الحرف «لا» هو من أقدم أدوات النفي في العربية، وقد افترض برجستراسر وجودها في اللغة السامية الأم، ودلالاتها الأصل هي النفي^(٣)، وهو نفي صريح، وهذه الدلالة لا تفارقها حيثما استعملت، وقد قال الأبيدي^(٤): (لا يعطف بلا إلا بشرط هو أن يكون الكلام قبلها يتضمن بمفهوم الخطاب نفي الفعل عما بعدها، فيكون الأول لا يتناول الثاني، نحو قوله: جاءني رجلٌ لا امرأة، وجاءني عالمٌ لا جاهلٌ، ولو قلت: مررتُ برجلٍ لا عاقلٍ لم يجز، لأنه ليس في مفهوم الكلام الأول ما ينفي الفعل عن الثاني، وهي لا تدخل إلا لتأكيد النفي، فإذا أردت ذلك المعنى جئت بغير فتقول: مررتُ برجلٍ غيرَ عاقلٍ... لأن مفهوم الخطاب اقتضى في قولك قام رجل نفي المرأة فدخلت «لا» للتصريح بما اقتضاه المفهوم، وكذلك في قامَ زيدٌ لا عمرو، وأما قامَ رجلٌ لا زيدٌ فلم يقتض المفهوم نفي زيد فلذلك لم يجز العطف «بلا»^(٥).

فـ «لا» يصلح استعمالها عند إرادة المتكلم قلب الحكم إلى نقيضه^(٦)، أو إلى ما هو في حكم نقيضه، فالعربية توظف دلالة النفي الكامنة في «لا» في مجال العطف عندما يريد المتكلم تأكيد قلب حكم يعتقده المخاطب بعد إثبات ما ينقضه.

ونجد ما يوافق هذا في كتاب سيبويه، فقد ذكر أن المراد في نحو: «مررتُ برجلٍ راعٍ لا ساجدٍ» هو إخراج الشك أو لتأكيد العلم فيهما^(٧).

وقد قصر عبد القاهر الجرجاني العطف بـ«لا» على ما سمي فيما بعد بقصر القلب، قال: (ثم اعلم إن قولنا في «لا» العاطفة: أنها تنفي عن الثاني ما وجب للأول، ليس المراد به أنها تنفي عن الثاني أن يكون قد شارك الأول في الفعل، بل أنها تنفي أن يكون الفعل الذي قلت إنه كان من الأول، قد كان من الثاني دون الأول)^(٨).

(1) الإتيان: ٢٧٠/٢.

(2) دراسات لأسلوب القرآن الكريم: القسم الأول: ٥٦٤/٢ .

(3) ينظر: التطور النحوي للغة العربية: برجستراسر: ١١٠ .

(4) الأبيدي هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحيم الخشني، نحوي أندلسي، «ت ٦٨٠هـ» . ينظر: بغية الوعاة: ١٩٩/٢.

(5) في بحث «نبيل العلا في العطف بـ(لا)» لتقي الدين السبكي «ضمن الأشباه والنظائر للسيوطي»: ١٤٤/٤ - ١٤٥.

(6) ينظر: شرح الأشموني: ٥٢٤/٤.

(7) ينظر: الكتاب: ٢١٣/١ .

(8) دلائل الإعجاز: ٢٢٠.

ويرى بعضهم أن العطف أقوى الطرق في الدلالة على القصر للتصريح فيه بالإثبات والنفي، ويليه النفي والاستثناء، ثم إتما، ثم التقديم^(١).

ومما ورد في النهج عطفاً بـ«لا» قوله-عليه السلام:- (فَأِنَّهُ وَاللَّهِ الْجَدُّ لَا اللَّعِبُ، وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعُ دَاعِيَهُ؛ وَأَعْجَلَ حَادِيَهُ)^(٢)، فقد عطف «لا» الأولى «اللعب» على «الجد»، و«الجد» خبر «إن» مرفوع، كما عطف «لا» الثانية «الكذب» على «الحق»، وعطف «الواو» «الحق لا الكذب» على «الجد لا اللعب».

فقد أنزلهم-عليه السلام- منزلة المعتقد بأن الأمر لعب، وهنا أراد تأكيد قلب حكم يعتقدده المخاطبين، أي كأنهم حكموا أنه لعب فأتى كلامه-عليه السلام- تأكيداً لقلب هذا الحكم بعد إثبات ما ينقضه، ونفهم من هذا الإثبات ضمناً نفي ما اعتقده المخاطبون من حكم، فقد نفى في قوله «لا» اللعب المفهوم ضمناً من الجزء الأول، ورد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب^(٣).

والضمير في «إنه» للأمر والشأن الذي خاض معهم في ذكره ووعظهم بنزوله، ثم أوضحه بعد إجماله، فقال: إنه الموت الذي دعا فأسمع وحدا فأعجل^(٤)، وهذا الضمير لا تستعمله العربية إلا في مواضع التفضيم والتعظيم^(٥)، فداعي الموت هذا الأمر العظيم مسمع طرائده، وسائقه يسوقها بسرعة ليوردها موارد الهلكة، ومع سرعة السياقة يكون العنف وانقضاء المدة حيث لا ينفع المقصر الندم.

ومنه قوله-عليه السلام:- (وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَنًا، وَقَدَرَهُ مَقَامًا لَا ظِعْنَآ...) ^(٦)، فقد عطف-عليه السلام- «ظعننا» على «مقاما»، ولذا تبعه في حركته الإعرابية، وهي «النصب». ويرى ابن أبي الحديد أنه تعالى لما امتن على عباده بأن جعل الليل لهم ليسكنوا فيه كره أن يخالفوا ذلك^(٧).

فقد نفت «لا» أن يكون جعل الله تعالى وتقديره «أول الليل» ظعننا، أي وقتاً للحركة والتنقل بعد أن أثبت أنه للمقام والراحة.

(1) وهو رأي الشيخ عبد المتعال الصعيدي في «البلاغة العالية». ينظر: الجملة الفعلية -منفية واستفهامية ومؤكدة: د. زين كامل الخويسكي: ٢٥١/٢.

(2) نهج البلاغة: ٢٦٩/٨.

(3) ينظر: التلخيص في علوم البلاغة: القزويني: ٧٣، شرح التلخيص في علوم البلاغة: محمد هاشم دويدري: ٣٩، علم المعاني: درويش الجندي: ١١٦.

(4) ينظر: شرح النهج: ٢٦٩/٨، في ظلال نهج البلاغة: ١٨٨/٣.

(5) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٥٣، شرح المفصل: ابن يعيش: ٣٣٥/٢.

(6) نهج البلاغة: ٩٢/١٥.

(7) ينظر: شرح النهج: ٩٣/١٥.

وقد أراد -عليه السلام- تأكيد قلب حكم يعتقد المخاطب، وهو أن يكون الله تعالى قد جعل
وقدر أول الليل طعنا أي جعله للحركة والتنقل. وقد أكد ذلك بعد أن أثبت ما ينقضه، وهو أنه
للمقام والراحة.

إن «لا» العاطفة قليلة جدا في النهج⁽¹⁾.

خلاصة القول ان حروف العطف تربط بين المفردات أو الجمل بواسطة أحد حروف
العطف، فتتحقق وحدتها الدلالية بهذا الربط، بل ان لحروف العطف أهمية بالغة في ربط
العبارات بعضها ببعض، وإحداث تماسك في الكلام، ففائدته في عطف المفردات هي إشراك
الثاني في حكم إعراب الأول، أما فائدته في عطف الجمل فهي الاتساق، ونصل مما تقدم إلى
انها تقوم بأداء معان ودلالات مختلفة، ويظهر في أدائها لهذه الدلالات أن بعضها أصلح من
بعضها الآخر في التعبير عن معان يعينها المتحدث.

وقد رأينا أن هناك فرقا بين المعنى الوظيفي الذي يؤديه حرف العطف والمعنى الدلالي
الذي يفهم من معنى العطف كله، وإن تفاعل القرائن في السياق يعطينا المعنى الوظيفي، فلا
نجد المعنى الدلالي في الحقيقة إلا المعنى الوظيفي.

ورأينا أن الحروف تأتي (لمعان متعددة، وهذا غير غريب أو مستغرب لأن من طبيعة
مفردات أي لغة أن يتعدد معناها الوظيفي)⁽²⁾.

وإن دلالة «الواو» هي الجمع المطلق، ولا ترتب في استعمالها وقد يتقدم أحد
المتعاطفين على الآخر لدواع بلاغية، منها: تقديم الأهم أو الأعلى رتبة، أو الأسبق زمنا في
الوجود.

وظهر أن الترتيب الذكري في «فاء» العطف من الظواهر السياقية، إذ إنه يدل على
رتبة سياقية لا زمنية .

وقد عنيت بإبراز دلالة «ثم» على البعد المعنوي، وظهر لنا أن «أو» حينما استعملت
تؤدي معنى التسوية بين متعاطفيها، وأن «أم» المنقطعة أداة تستعمل لربط تركيب الاستفهام
بما قبله، وضعتها اللغة العربية لتؤدي معنى الانتقال إلى ما هو أهم وأجدر بالذكر.

وترد «إما» في النهج للتفصيل غالبا، وإنها وفقا لشروط عدد من النحاة ليست من
حروف العطف .

(1) ينظر: نهج البلاغة : ١٥٦/١٦ ، ٢٥٤ .

(2) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها : ١٦٣

وظهر أن «حتى»، و «لكن»، و «بل» لم ترد عاطفة في النهج، وقد كان ورود «لا» حرف عطف ضئيلا في النهج، وهي بذلك تتوافق مع طبيعة الاستعمال اللغوي في القرآن الكريم، حيث لم تقع «لا» العاطفة فيه، وكان استعمال الإمام -عليه السلام- لها عندما يريد قلب حكم يعتقد المخاطب أو ينزله منزلة المعتقد به بعد إثبات ما ينقضه، وأن العطف هو سبيل من سبل الدلالة على القصد في نهج البلاغة.

الخاتمة واهم النتائج

لقد تطلب هذا الجهد العلمي السير في النهج من أوله الى آخره بعمل دؤوب مضني، وتصفح مستمر في المصادر التخصصية على تباين اجناسها المعرفية بغية الظفر بالمراد، فوجدت ان ما وضعه النحاة من قواعد وضوابط خاصة بهذه التوابع قد جاءت مطابقة في الأغلب للتوابع الواردة في تلك النصوص، على حين جاءت بعض الشواهد التطبيقية مناقضة لبعض تلك القواعد النظرية حيناً وموجهة وبانية لها في إطار جديد حيناً آخر بما يدعو الى القطع تارة والترجيح بالرأي تارة أخرى حتى انتهى السعي بالباحثة بمئه تعالى الى جملة من النتائج يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

١- وجدت الباحثة ان «النعته»، و«الصفة» مصطلحان بمعنى واحد، فهما مترادفان، وقد استعملت المصطلحين في دراستي هذه لدلالة كل واحد منهما مع ترجيحي لجعل «النعته» مصطلحاً مختصاً بالتابع؛ وذلك لشمول مصطلح «الصفة» على النعته التابع والحال والتمييز وغيرها من الصفات، لهذا نؤثر تسمية «النعته» على «الصفة» لخصوصيته المناسبة لدلالة التابع.

٢- تتبعت الباحثة لفظتي «النعته» و«الصفة» في النهج فاتضح ان لفظة «النعته» لم ترد في النهج إلا في موردين فقط في حين وردت لفظ «وصف» ومشتقاتها أكثر من ستين مرة.

٣- ان النعته من حيث الدلالة مكمل لما قبله، ولا يمكن القول بزيادته في النص، فبه تتم الفائدة ويكتمل المراد وقد لا يستغنى عنه في الكلام البتة، ففيه بيان الغامض من الألفاظ وإيضاح المبهم منها وانكشاف دلالة المتبوع وتكاملها .

٤- يرد النعته بدلالات عدة وقد توافق علماء النحو فيما نصوا عليه في مدوناتهم منها مع ما ورد في النهج، فالنعته يأتي بعد النكرة لتخصيص المنعوت وتمييزه من غيره، ويأتي بعد المعرفة ليكشف عن ماهية المنعوت ويحدده، فإذا كان معلوماً للمخاطب ولا يشترك معه في النعته غيره كان مدحاً إن وضَّح صفة حسنة في المنعوت، وذمّاً إن بيّن صفة سيئة فيه، واتضح ان ورود دلالات التخصيص والتوضيح والتوكيد أكثر من ورود دلالة المدح، اما دلالة الذم فلم أجد لها إلا لفظين فقط ربما صح وقوعهما نعته إذا عدّ كل ما يوصف به الشيطان ذمّاً لانه سيد العصاة والمتمردين على وجه الاطلاق؛ ولان الله تعالى قد وسمه بالذم فلا يمدح مطلقاً، فإن لم يكن اللفظان دالين على الذم فإن نهج البلاغة خلّو من الذم بالشرط الذي ذكر في اغلب كتب النحاة.

٥- قد تمكنت الباحثة من الوقوف على ما عرف في النحو بـ «النعته السببي» وخلصت الى انه يمثل نمطا وصفيا لا يختلف عما عرف بـ «النعته الحقيقي»؛ اذ هو يتعلق بما بعده ليكون هو وما بعده نعته للمنوعات على وجه التحقيق، وان الإمام -عليه السلام- قد استعمل نعوتها سببيه متتابعة اظهر فيها قدرة عالية لهذا النوع على نقل صورة ما وتقريبها بالوصف الى واقعها الحي مبينا روعة هذا النوع من النعته، كذلك دل استعماله في النعته فضلا عن وروده في القرآن الكريم وشيوعه في شعر ما قبل الاسلام على خروج هذا النمط الوصفي عن دائرة الشواهد النحوية الى الاستعمال اللغوي في كلام العرب.

٦- تمكنت الباحثة من الوقوف عند اهم سمات النعته وأبرزها عند النحويين، وقد كشفت هذه السمات من خلال سياقات نهج البلاغة، فبينت ان سمة المطابقة التي تضمنت مظاهر نحوية كالإعراب، والتعريف والتذكير، والتأنيث، والافراد والتثنية والجمع، قد وافقتها في الغالب قاعدة النحاة القائلة: بان النعته وفق منوعته.

٧- وجدت الباحثة ان النهج يصف جمع التكسير غير العاقل بنوعيه بالنعته المفرد بطريق المخالفة، محاكيا بذلك اساليب العرب وطريقتهم في التعبير بانهم يعاملون العاقل معاملة المفرد المؤنث أو ينزلونه منزلته.

٨- لقد درست الباحثة عددا من النعوت التي تأتي مذكورة ومؤنثة، فظهر لها ان الإمام -عليه السلام- يذكر اللفظ ويؤنثه لمقاصد دلالية دقيقة فلفظة «الريح» مثلا حينما يعنها بـ «العاصف» لها دلالة تختلف عنها فيما لو نعنها بـ «العاصفة» وقد استدللت طائفة من النحاة القدامى بـ «العاصف» على العصف في الزمن الماضي، كما استدلوا بـ «العاصفة» على العصف المستقبلي، على حين قد أخرجناها من دلالة الزمان اذ اظهر البحث ان اللغة العربية عامة والتعبير القرآني وسياقات النهج خاصة تصف الريح بـ «العاصفة» حينما تريد دلالة وصف الريح بالقوة والشدة، وفي الأغلب هي ريح تنقل المعصوف به من مكان الى آخر، وقد تتلون هذه الريح بالمنفعة، في حين انها تصف الريح بـ «العاصف» وذلك اذا كان المبتغى وصف الريح بالشدة العظيمة، وانها ريح مهلكة أو مظنة هلاك، وبذلك اختلفت دلالتيهما، ولا نجد للزمن أثرا في دلالتيهما؛ اذ ان العاصفة المؤنثة دالة على القوة والعاصف المذكر دالة على قوة اكبر وخشونة في طبيعة الريح.

٩- توضح من خلال هذه الدراسة ان علماء النحو قد جعلوا سمة الاشتقاق في النعته شرطا في الوصف اعتقادا منهم ان الاشتقاق أدل في الوصف من الجمود، بيد أني توصلت

من خلال سياقات النهج الى ان النعت قد ورد مشتقا كما ورد جامدا، فنؤسس على هذا انه ينبغي الاكتفاء بكون الوصف أو النعت دالا على معنى في متبوعه مشتقا أو غير مشتق، فلا موجب لتكلف تأويل النعوت الجامدة بالمشتق ما دامت تؤدي وظيفة النعت في الكلام، وبهذا يمكننا ان ننوسع فنقول: ان النعت يأتي مشتقا في الغالب كما يأتي جامدا دون الحاجة الى تأويل له بالمشتق.

١٠- وجدت الباحثة ان النحاة قد اختلفوا في وقوع المصدر نعتا، وعلى الرغم من اعتراف غالبية النحاة بكثرتة في الكلام العربي وفي مقدمته النص القرآني فانهم قصرُوا النعت على المشتق، وقد ورد في النهج في عدد من المواضع التي اتضح من خلالها ان النعت بالمصدر أمرٌ سائغ فصيح؛ بل يبدو ان النعت به ابلغ وأقوى في أداء الغرض أو القصد فيما لو أُولِّ بالمشتق.

١١- لقد تضمنت الدراسة عرضا لنعوت أخر كالنعت بـ «غير» و«مثل» و«الموصول» و«اسم الإشارة»، وقد وقفت على دلالاتها في التركيب.

١٢- لقد ظهر لدى الباحثة ان النهج قد اتخذ اساليب متعددة متنوعة يجري عليها النعت فقد جاء النعت بالمفرد في مواضع كثيرة منه، وقد تعددت الصيغ وتنوعت في المفرد؛ اذ استعمل النهج: صيغة اسم الفاعل، وصيغة اسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغة المبالغة، واسم التفضيل، وظهر من نص النهج ان النعت يأتي جملة أيضا وقد وردت الجملة الاسمية فيه للدلالة على الثبوت، اما الجملة الفعلية فقد وردت للدلالة على التجدد والحدوث، واتضح من سياقات النهج ان التعبير بالجملة الوصفية الاسمية أكد من التعبير بالجملة الوصفية الفعلية، كما ورد النعت جملة شرطية، وشبه جملة بنوعها الزمانية والمكانية.

وظهر ان النعت بالجملة الشرطية ينطوي على مقدرة كبيرة على التصوير ورسم المضمون بطريقة التزامية ما بين الشرط وجوابه وفي هذا تتحق دلالة تصويرية أوسع مما لو اقتصر المتكلم على جملة واحدة لاداء دلالة النعت.

١٣- وجدت الباحثة ان من الجمل الخبرية ما ترد للدلالة على الإنشاء في المعنى في سياقات النهج، بيد ان هذا قليل اذا ما قيس على الاصل، وهو دلالة الجملة الخبرية على الخبر، ورصدت الباحثة ان من أدوات النفي ما يخرج الافعال من دلالتها الزمنية الاصل التي قال بها النحاة، فتدل على عدم وجود الزمن احيانا أي تدل على الزمن المطلق وذلك بمعينة قرائن السياق التي ترد فيه .

١٤ - اظهر البحث أن الاستغناء عن الرابط في جملة النعت قليل، واننا نجد امثلة ذلك في القرآن الكريم، وفي الشعر العربي، ويظهر من استعمال الامام -عليه السلام- للجملة النعتية محذوفة العائد فضلا عن ورودها عند الشعراء انها ليست مختصة بالقرآن وحده بل هي موجودة في الخطاب العربي، فلا مسوغ لتقييد هذه الظاهرة بالنص القرآني حصرا.

١٥ - توصلت الباحثة الى ان الإمام -عليه السلام- قد يحذف النعت أو المنعوت في كلامه إن دل على المحذوف دليل إلا ان حذف النعت يسير جدا في عموم النهج.

١٦ - ورد التوكيد في النهج وقد شمل التوكيد اللفظي والمعنوي معا، والتوكيد اللفظي هو تكرار اللفظ وإعادة له، في حين ان التوكيد المعنوي هو تكرير الأول بمعناه، وقد انتهت الباحثة الى ان التوكيد اللفظي أوسع استعمالا في النهج من نظيره المعنوي وقد قسم التوكيد اللفظي في البحث على وفق التكرير الى : تأكيد «الاسم»، و«الضمير»، و«الحرف»، و«اسم الفعل»، و«الجملة الفعلية»، ولم يرد اسم الفعل إلا في موضعين، اما «الحرف» فلم يرد إلا مرة وكذا الحال لـ«الجملة الفعلية»، على حين كان الاسم هو الأكثر ورودا من غيره على وجه الاطلاق، في حين اقتصر التوكيد المعنوي على لفظي «كل» و«عين» فحسب .

وقد توصلت الباحثة الى ان للتوكيد اثره في تقوية المعاني ورعاية الانسجام مع المواقف التي تقتضي ذلك في كلام الامام -عليه السلام-، وقد جاء التوكيد التابع في النهج في صور شتى بغاية الاقناع والبيان، وقد يخرج الى معان مجازية وقد دلت على تلك المعاني في خضم عملها، وقد بينت فائدة ما يسمى بـ«الحروف الزائدة» في التأكيد اذ لا تعتقد الباحثة بخلوها من الفوائد وإلا عُدَّتْ عبثا، ولا يجري ذلك في كلام الفصحاء ولا سيما في كلام الإمام -عليه السلام-.

١٧ - بسطت الباحثة القول في البديل فظهر ان الأغلب في البديل ان يكون جامدا ومن القليل ان يكون مشتقا، وإذا أمكن إعراب المشتق شيئا آخر يصلح له كان أولى، وقد انتهت الباحثة الى تأييد جمهور النحاة في ان اقسام البديل من حيث المعنى ثلاثة وهي: «بديل كل من كل»، و«بديل اشتمال»، و«بديل مباين : غلط، نسيان، إضراب»، وقد اظهر البحث ان «بديل كل من كل» يفيد تفصيل الإجمال وإيضاح المبهم من وجهة نظر دلالية، وقد يأتي تقييدا للماهية المطلقة فيعمل على تشخيص تلك الماهية، وان «بديل بعض من كل» يعد من باب تخصيص العام اما «بديل الاشتمال» فهو مفصل للنسبة التي اشتملت على جملة محتملات غير معينة، ودلالات «بديل كل من كل» في النهج هي: «دلالة التوضيح»، وهي السمة الوظيفية الأساس في البديل عموما، ودلالة (المدح أو الذم) وهي ان يأتي احد الطرفين:

البديل أو المبدل منه متصفا بصفة دالة على المدح أو الذم، و«دلالة التفصيل» وفيها يأتي البديل بعد الإجمال والإبهام لتفصيله وإيضاحه، و«دلالة التفخيم»، و«دلالة التوكيد».

١٨- قد اظهر البحث مخالفة ابن مالك للنحاة في تسمية «بديل كل من كل» فيسميه «البديل المطابق» أو «بديل المطابقة» واستدل على ذلك بوقوعه في اسم الله تعالى، وقد توصل البحث الى ان «بديل كل من كل» لا يحتاج الى رابط يربطه بالمتبوع، والأكثر في «بديل بعض من كل» انه يشتمل على رابط يربطه بالمتبوع واهم تلك الروابط هو الضمير، وإن كان الرابط الضمير وجب ان يطابق المتبوع في الأفراد والتذكير وفرعيهما، ويجوز -على قلة- الاستغناء عن هذا الضمير في حالات معينة، اما الضمير في «بديل الاشتمال» فهو اما مذكور أو مقدر، في حين ان «بديل التفصيل» وهو نوع من بديل كل من كل لا يحتاج الى رابط، واتضح لدى الباحثة ان «البديل المباين» لا يكون في القرآن الكريم ولا في فصيح كلام الشعراء إلا قليلا، ولا وجود له في سياقات النهج البتة، ويجوز إبدال الجملة من الجملة ولا يشترط في بديل الجملة ان تشتمل على ضمير.

١٩- وصلت الباحثة الى ان البديل ينطوي على معنى التوكيد ومعنى الصفة ويجمع بين الفائدتين والفرق بين البديل والتوكيد واضح في ان الغرض من البديل ان يكون مقصودا في الحكم، اما التوكيد فيحصل تبعا وضمنا، اما الفرق بين الصفة والبديل فهو ان الصفة تبع لما قبلها في الإعراب والتعريف والتكثير، وهذا ما لا يجب في البديل فقد تُبدل نكرة من معرفة وقد يحدث العكس أحيانا، كذلك الصفة لا يكون متبوعها فعلا أو حرفا بخلاف البديل فمتبوعه يكون فعلا أو حرفا.

٢٠- أظهرت الباحثة ان الفرق بين النعت والتوكيد والبديل؛ ان النعت والتوكيد ليسا مقصودين بالحكم، وانما هما مكملان للمتبوع بوجه من الوجوه، اما البديل فهو المقصود بالحكم.

٢١- وقد اظهر البحث ان الفرق بين عطف البيان والنعت عند النحاة هو ان عطف البيان يكشف عن المتبوع بنفسه اما النعت فيكشفه ببيان معنى فيه، وتوصلت الباحثة الى ان عطف البيان لا تربطه بعطف النسق إلا صلة اشتراكهما في ظاهرة المطابقة في العلاقة الإعرابية، وهي ظاهرة لفظية بحتة، اما من حيث الدلالة فلا صلة لاحدهما بالآخر.

٢٢- انتهت الباحثة الى ان الشروط التي وضعها النحاة لعطف البيان كلها محل نظر وتأمل؛ لان هناك ما يخالفها عند غيرهم من النحاة والمفسرين فهي ليست محل إجماع عمومي.

٢٣- تميل الباحثة الى التوحيد بين عطف البيان والبدل وهو قول يؤيده جمهور النحاة الذين أجازوا ان يكون عطف البيان بدلا إلا في بعض المواضع، ولم تجد الباحثة المواضع التي ذكرت في النهج شاهدا قويا على وجود عطف البيان مستقلا عن البديل؛ وعليه فلا داعي لذكر عطف البيان في النهج، فليس هناك ما يقطع بوجوده فيه وإذا كان علماء النحو يفرقون بين عطف البيان والبديل بان المقصود في عطف البيان هو الأول وفي البديل هو الثاني؛ نقول فما الدليل الذي يقطع بان الإمام علي -عليه السلام- أراد في هذا مكان الأول وأراد في الموضوع الآخر الثاني حتى نقول بان الأول عطف بيان وان الثاني بدل، من هنا نصل الى قناعة بان عطف البيان والبديل يمكن ان ينظر إليهما على انهما موضوع واحد.

٢٤- قد أظهرت الباحثة ان مصطلح عطف البيان مصطلح بصري خالص، يقابله عند الكوفيين مصطلح «الترجمة»، و«التفسير»، ولم يكن الكوفيون يفرقون بين «عطف البيان»، و«البديل».

٢٥- درست الباحثة مفهوم العطف ومفهوم النسق، واستنتجت ان الكوفيين قد اكثروا من استعمال مصطلح «النسق»، فقيل : انه مصطلح كوفي النشأة اذ لم يرد في كتاب سيبويه والأرجح انه من مصطلحات الخليل، اما مصطلح «العطف» فقد كان مصطلحا بصريا خالصا.

٢٦- ذكرت الباحثة اختلاف النحاة في عدد حروف العطف ورجحت انها تسعة حروف معززة ذلك بالأدلة والشواهد في موضعه، وتحدثت عن معاني حروف العطف واستعمالاتها حرفا حرفا ووظفتها في ربط مفاصل الجملة، أو ربط الجمل فيما بينها، فضلا عن هذا الربط فان حروف العطف تقوم بالدلالة على معنى إضافي يضيفه على هذا النوع من التبعية، فبعض حروف العطف أصلح من بعضها الآخر في التعبير عن معان يعنيه المتحدث.

٢٧- اكتشفت الباحثة ان الدلالات المختلفة للتوابع تجعل من الصعوبة وضع تعريف جامع مانع للتوابع يعتمد على المعنى والوظيفة وانما جمع النحاة التوابع الخمسة في باب واحد على اساس مسألة لفظية بحتة؛ هي المطابقة في العلامة الإعرابية، وعلى هذا فالتبعية قرينة لفظية، وليست قرينة معنوية، وان عطف النسق يختلف عن سائر التوابع بان المتعاطفين يفتقران الى أداة، وان المعطوف عليه ليس فيه بيان المعطوف، وبان العطف بينهما يقتضي المغايرة.

٢٨- وضحت الباحثة الفرق بين المعنى الوظيفي الذي يؤديه حرف العطف، والمعنى الدلالي الذي يفهم من تركيب العطف كله، كما بينت ان المعنى الدلالي ما هو إلا المعنى الوظيفي بعد تفاعله مع السياق.

٢٩- استنتجت الباحثة ان المعنى الوظيفي لـ«الواو»- حيث ما استعملت- هو مطلق الجمع، اما دلالة التركيب على الزمن أو الترتيب بين المتعاطفين فلا تفهم إلا من خلال السياق.

٣٠- توصلت الباحثة الى ان الإمام -عليه السلام- قدم المعطوف عليه على المعطوف في العطف بـ «الواو» لأسباب متنوعة منها: كونه الأهم، أو الأعلى رتبة، أو انه الأسبق وجودا.

٣١- بسطت الباحثة القول في عطف المترادفين فتبين ان الألفاظ المتعاطفة عند الإمام -عليه السلام- لا تدل على الترادف تماما فلا تساوي بينهما في الدلالة، فاللفظان مترادفان في المنظور اللغوي عموما والمعنى متباين على وفق قرائن السياق والخصوصية الدلالية في استعمال كل لفظة في سياقات النهج، وان اتحدت مع نظيرتها رديفتها في المعنى العام لها.

٣٢- وقد خلص البحث الى ان دلالة الترتيب هي المحور الذي تدور حوله الفاء حيث ما استعملت سواء كانت للعطف أم لغيره.

٣٣- استنتجت الباحثة ان الترتيب الذكري في فاء العطف ظاهرة سياقية أي انه دال على رتبة سياقية لا زمنية، وتوصلت الى ان التعقيب الذي تؤديه «الفاء» والتراخي الذي تؤديه «ثم»، هما دالتان نسبيتان يحكمهما السياق من خلال قرائنه المقالية والحالية، وقد تقع «ثم» موقع «الفاء» في افادة الترتيب بلا مهلة، ويحدث العكس احيانا فقد تقع «الفاء» موقع «ثم» في افادته بمهلة.

٣٤- قد اهتمت الدراسة ببيان دلالة «ثم» على البعد المعنوي في النهج، فاتضح ان دلالة «ثم» على البعد المعنوي في النهج تنفرع الى دالتين متميزتين هما: دلالة الاستبعاد، ودلالة التدرج في درجة الارتقاء تدرجا تصاعديا أو تنازليا، ودلالة الاستبعاد تعني بعدا معنويا بين متناقضين، اما دلالة التدرج في درجة الارتقاء فيعني بعدا معنويا بين متفاضلين، وهذا فرق واضح بين الدالتين.

٣٥- توصلت الباحثة الى ان «أو» حيثما استعملت تؤدي معنى التسوية بين متعاطفيها، وهذه النتيجة تخالف ما نصت عليه كتب النحو من القول بدلالاتها على احد الشئيين أو الأشياء، اما الدلالة على الشك أو التخيير أو الإباحة أو غير هذا من الدلالات التي ذكرها النحاة، فهي معان دلالية للتركيب تفهم من السياق التي ترد فيه «أو» بأسره.

٣٦- استنتجت الباحثة ان اهم المعاني الدلالية التي تفيدها تراكيب «أو» في النهج هي: دلالة التقسيم أو تفصيل الإجمال، ودلالة التخيير كما وردت فيه دلالات أخر، وهي: رفع توهم رجحان احد المتعاطفين على الآخر، وبيان شمول الحكم، والتسوية بين فرضيتين لتعليقهما بحكم، وكل هذه المعاني الدلالية للتراكيب صادرة عن المعنى الوظيفي الذي تؤديه «أو» وهو التسوية، ولا نجد في النهج دلالات ثلاث: «الإبهام»، و«الشك»، و«الإباحة»، وقد يكون موقعه خليفة للمسلمين واماما للناس ومعلما لهم وقائدا عسكريا سببا في ذلك، اذ لا يحتاج الى هذه المعاني في خطابه اقليلاً.

٣٧- وردت «أم» بنوعها المتصلة والمنفصلة في النهج، كما وردت للتسوية.

٣٨- وقد أظهرت الباحثة ان الاستفهام في همزة التسوية معنى لا يفهم من الهمزة اذا جاءت منفردة بلا تسوية فكلمة «سواء» المتقدمة عليها هي التي تفيد هذا المعنى، فتفهم التسوية من دلالة السياق العامة وقد تأتي العبارة مشوبة بمعنى آخر من المعاني كالتحقير أو الإبهام.

٣٩- اتضح لدى الباحثة ان معنى «أم» الوظيفي هو انها حرف استفهام يؤدي ما تؤديه همزة الاستفهام من معنى، وزيادة على ذلك تقوم بالربط المؤدي لمعنى الإضراب عما قبلها والانتقال الى ما هو اهم وأجدر بالذكر.

٤٠- بينت الباحثة مسألة الاختلاف في «إما» أهي من حروف العطف أم لا؟ واختارت الباحثة انها حرف دال على التفصيل وليست من حروف العطف.

٤١- اظهر البحث ان «حتى» و«بل» و«لكن» لم ترد حروفا عاطفة في النهج البتة.

٤٢- استنتجت الباحثة ان الإمام -عليه السلام- يستعمل العطف بـ «لا» عندما يريد تأكيد قلب حكم يعتقده المخاطب بعد إثبات ما ينقضه.

٤٣- اظهر البحث ان العطف أقوى الطرق في الدلالة على القصر للتصريح فيه بالإثبات والنفي.

وتوصي الباحثة :

ان يعنى الباحثون بدراسة ظواهر النهج الأخر لما فيها من مادة « لغوية ، نحوية ، دلالية» ثرة ، وأن يدرس نهج البلاغة في ضوء منهج تكاملي، لأن دراسته وفهمه تملك المهتمين بهذا الشأن قدرة عالية في فهم النص الخطابي للنهج، فضلا عن فهم كتاب الله المقدس «القرآن الكريم»، فالنهج يمثل حلقة وصل بين اللغة البشرية المتميزة، ولغة السماء المعجزة - ضمن إطار اللغة نفسها-؛ فلغته فوق لغة الارض لغة متفردة لا تدانى.

مصادر البحث ومراجعته

اولا : القرآن الكريم .

ثانيا : الكتب المطبوعة.

- الآراء الراقية الحديثة في تيسير قواعد اللغة العربية وبيان اسرارها: محمد كاظم صادق المالكي ,مطبعة الاداب -النجف ,ط ١, ١٣٧٨هـ .

- ابن الحاجب النحوي آثاره ومذهبه: طارق عبد عون الجنابي ،مطبعة اسعد،بغداد،١٩٧٤م.

- الإتيقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي«ت٩١١هـ» ، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع،صيدا- بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الاحكام من ايات القرآن التشريعية : عبد القادر عبد الرحمن السعدي ،منشورات الخلود ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم: شمس الدين محمد بن احمد البشاري المقدسي«ت٣٧٥هـ»، بريل -لیدن، ١٩٠٩م.

- الاحكام في اصول الاحكام : سيف الدين ابو الحسن علي بن محمد الأمدي «ت٦١٣هـ»،حققه احد الأفاضل ،الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

- احياء النحو: ابراهيم مصطفى، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- اخلاق الحرب عند الامام علي -عليه السلام- :محمد عيدان العبادي ، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

- ادب الكاتب: ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة «ت٢٧٦هـ»، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٣، ١٩٥٨م.

- الأربعين في فضائل الامام امير المؤمنين -عليه السلام- :الأمير جمال الدين المحدث الهروي«ت٩٣٠هـ»، تح : محمد حسن زبري القايني ، د.ت .

- إرتشاف الضرب من لسان العرب :ابو حيان الاندلسي «ت٧٤٥هـ» ، تحقيق وشرح ودراسة:د. رجب عثمان محمد ، مراجعة د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١، ١٤١٨هـ - ١٨٩٨م .

- ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول: محمد بن علي بن قاسم العيادي الشافعي على شرح جلال الدين محمد بن احمد المحلي بن عبد الله الجويني الشافعي «ت ٤٧٨هـ»، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.
- اساس البلاغة: جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري «ت ٥٣٨هـ»، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- الأساليب الإنشائية في النحو العربي: عبد السلام محمد هارون، مطبعة الخانجي ط ١٩٧٩، ٢م .
- أساليب البيان في القرآن : سيد جعفر الحسيني ، مؤسسة الطباعة والنشر ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، طهران ، ط ١، ١٤١٣هـ .
- أساليب التأكيد في اللغة العربية : الياس ديب ،دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ، ط ١، ١٩٨٤م .
- أساليب التوكيد في القرآن الكريم: عبد الرحمن المطردي،الدار الجماهيرية،ليبيا، ط ١، ١٩٨٦م.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : د.قيس إسماعيل الأوسي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،جامعة بغداد ،بيت الحكمة ، ١٩٨٨م .
- أساليب العطف في القرآن الكريم: د.مصطفى حميدة،دار نوبار،القاهرة، ط ١، ١٩٩٩م.
- اسباب النزول : ابو الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري «ت ٤٦٨هـ» ، بيروت - لبنان ، ١٣٦٢هـ .
- الاستغناء في احكام الاستثناء: شهاب الدين القرافي «ت ٦٨٢هـ»، تح: د. طه محسن، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- اسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم : د. شلتاغ عبود ،المحجة البيضاء ، دار الرسول الأكرم ،بيروت - لبنان ، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- اسرار العربية : ابو البركات عبد الرحمن بن محمد بن ابي سعيد الانباري «ت ٥٧٧هـ»، تح : محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق ، د.ت .
- أسرار النحو : شمس الدين احمد بن سليمان المعروف بـ«ابن كمال باشا» ،تح : د. احمد حسن حامد ، منشورات دار الفكر - عمان ، د.ت .
- اسلوب التوكيد في القرآن الكريم : د. محمد حسين ابو الفتوح ، مكتبة لبنان - بيروت، ط ١، ١٩٩٥م .

- الاشباه والنظائر في النحو : السيوطي, راجعه وقدم له د.فايز ترحيني , دار الكتاب العربي
ط ١ , ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- أشتات مجتمعات في اللغة والأدب : عباس محمود العقاد , دار المعارف , مصر , ط ٥ ,
١٩٨٢ م .
- اشتقاق اسماء الله : ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي «ت٣٣٧هـ», تح: د.عبد
الحسين المبارك, مطبعة النعمان, النجف, ١٩٧٤م .
- الاصابة في تمييز الصحابة : احمد بن علي بن حجر ابو الفضل العسقلاني الشافعي
«ت٨٥٢هـ», طبعة مكتبة المثنى ببغداد «نسخة مصورة» عن طبعة مطبعة السعادة,
مصر, ط ١, ١٣٢٨هـ.
- الاصمعيات : أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي «ت٢١٦هـ», عني بتصحيحه
وترتيبه : وليم بن الورد البروسي , مراجعة لجنة احياء التراث العربي , منشورات دار
الأفاق الجديدة , بيروت, د.ت .
- اصول البلاغة : علي فقيهي , منشورات المبعث , ايران , ١٣٨٢ هـ .
- اصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة : د. محمد حسين علي الصغير ,
دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد- العراق, د.ت .
- الاصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: د. تمام حسان, دار الشؤون الثقافية
العامة - العراق, الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر, طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية
العامة, بغداد, ١٩٨٨ .
- اصول الفقه: محمد الخضري, المكتبة التجارية الكبرى, مطبعة الاستقامة, ط ٣,
١٣٥٨هـ-١٩٨٣م.
- اصول الفقه الإسلامي : ا.د. محمد مصطفى شلبي , الدار الجامعية للطباعة والنشر ,بيروت
ط ٤ , ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- اصول الفقه الإسلامي في نسيجه الجديد : د.مصطفى إبراهيم الزلمي , مطبعة دار الحكمة
للطباعة والنشر , بغداد , ١٤١٢هـ-١٩٩١م .
- الأصول في النحو: أبو بكر بن السراج البغدادي «ت٣١٦هـ», تح: د.عبد الحسين الفتلي,
مطبعة سلمان الاعظمي- بغداد , ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م , ج «١», ج «٢».

- الأضداد : محمد بن القاسم الأنباري «ت ٣٢٨هـ» , تح : محمد ابو الفضل ابراهيم , دائرة المطبوعات والنشر, الكويت , ١٩٦٠ م .
- الأضداد في اللغة : محمد حسين آل ياسين , ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب , مطبعة المعارف- بغداد , ط ١ , ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م .
- الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق -دراسة قرآنية لغوية وبيانية : د. عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطيء», مكتبة الدراسات القرآنية , مطابع دار المعارف , القاهرة , ط ٢ , د.ت .
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : ابو عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه «ت ٢٧٠هـ» , دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع, مطبعة منير-بغداد , د.ت .
- إعراب الجمل واشباه الجمل : د. فخر الدين قباوة , دار القلم العربي , حلب - سورية, ط ٥, ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م .
- الإعراب عن قواعد الاعراب : ابو محمد بن عبد الله بن يوسف بن هاشم المصري الأنصاري الشهير بـ«ابن هشام» «ت ٧٦١هـ», تقديم وتحقيق : سيد عبد الرحمن العبيدي, دار الفكر, ط ١, ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠ م .
- إعراب القرآن : أبو جعفر احمد بن محمد النحاس «ت ٣٣٨هـ» , تح : د. زهير غازي زاهد , عالم الكتب- مكتبة النهضة العربية , ط ٢ , ١٩٨٥ م
- اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج , تحقيق ودراسة: ابراهيم الابياري, المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة لشؤون المطابع الأميرية , القاهرة, ١٩٦٣ م, ج «١» .
- الاعلام: خير الدين الزركلي, دار العلم , بيروت, ط ٤ , ١٩٧٩ م .
- اعيان الشيعة: محسن الامين, حققه واخرجه السيد حسن الامين, دار التعارف للمطبوعات- توزيع مؤسسة التاريخ العربي, بيروت, ط ٥, ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م «مج ١٣»
- ألفاظ الشمول والعموم : ابو علي المرزوقي «ت ٤٤١هـ» , تح : د. خليل ابراهيم العطية , دار الجيل , بيروت , ط ١ , ١٤١٣هـ - ١٩٩٤ م .
- الالفاظ الكتابية : عبد الرحمن بن عيسى الهمداني , دار الكتب العلمية , بيروت - لبنان , ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م .
- الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل -محاضرات الاستاذ الشيخ جعفر السبحاني: الشيخ حسن محمد مكي العاملي , مؤسسة الامام الصادق -عليه السلام-, ط ٦, ١٤٢٦هـ .

- ألفية الأثاري «كفاية الغلام في اعراب الكلام» : زين الدين شعبان بن محمد القريشي
الأثاري «ت ٨٢٨هـ»، تح: د.زهير زاهد و آ. هلال ناجي, مكتبة النهضة ,عالم الكتاب ,
بيروت , ط ١ , ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ألفية ابن مالك : محمد بن عبد الله بن مالك الاندلسي ,مراجعة د. صباح عباس السالم,
مكتبة النهضة - بغداد ,د.ت.
- الامالي الشجرية : ضياء الدين ابو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسن
المعروف بـ«ابن الشجري» «ت ٥٤٢هـ» ,دار المعرفة للطباعة والنشر,
بيروت - لبنان ,د.ت.
- الامالي النحوية: ابن الحاجب , تح : هادي حسن حمودي ,عالم مكتبة النهضة العربية , ط ١,
١٩٨٥م .
- الامام علي بن ابي طالب: عبد الفتاح عبد المقصود, مطبعة الحرية, منشورات مكتبة
العرفان, بيروت, د.ت.
- الامام المهدي في القرآن والسنة : سعيد ابو معاش, مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية
المقدسة, ط ١, ١٤٢٢هـ .
- الامثال: الاصمعي, جمع نصوصه وحققها وقدم لها : د. محمد جبار المعبيد ,دار الشؤون
الثقافية العامة ,بغداد , ٢٠٠٠م .
- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي , مؤسسة البعثة للطباعة
والنشر والتوزيع - بيروت , ط ١, ١٤١٣هـ .
- الانباء بما في كلمات القرآن من اضواء , الشيخ محمد جعفر الكرباسي, مطبعة الاداب-
النجف الاشرف ,د.ت. القسم الثالث .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة: علي بن يوسف القفطي «ت ٦٢٤ هـ» , تح: محمد ابو الفضل
ابراهيم, المكتبة العصرية, بيروت, ٢٠٠٤م .
- الانذار باختلاف الامة: السيد حسين الحسيني الزرباطي, مطبعة إسماعيليان , الناشر دار
التفسير «إسماعيليان» , إيران- قم , ط ١, ١٤٢٢هـ .
- الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين : كمال الدين ابو البركات
عبد الرحمن بن محمد بن ابي سعيد الانباري «ت ٥٧٧هـ» ,دار الجيل ,د.ت.

- اوضح المسالك الى الفية ابن مالك : ابن هشام الانصاري , المصري , تح : محمد محيي الدين عبد الحميد , دار الندوة الجديدة , بيروت- لبنان , ط ٦ , ١٩٨٠م , ج «٢» , دار احياء التراث العربي, بيروت- لبنان , ط ٥ , ١٩٦٦ , ج «٣» .
- الإيضاح في شرح المفصل : ابو عمرو عثمان بن عمرو بن الحاجب «ت٦٤٦هـ» , تح : د.موسى بناي العليبي , مطبعة العاني , بغداد , ١٩٨٢م.
- الإيضاح في علل النحو : ابو القاسم الزجاجي , تح: د. مازن المبارك , دار النفائس , بيروت , ط ٢ , ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- الإيضاح لمختصر تلخيص المفتاح: جلال الدين ابو عبد الله محمد بن سعد الدين ابي محمد عبد الرحمن القزويني «ت ٧٣٩ هـ» , مطبعة محمد علي صبيح و اولاده , مصر , د.ت.
- بحار الأنوار : العلامة المجلسي , مؤسسة الوفاء , بيروت- لبنان , ١٤٠٤هـ.
- بحث حول الإمام المهدي : محمد باقر الصدر , دار التعارف للمطبوعات , ط ٦ , ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- البحث النحوي عند الاصوليين: د.مصطفى جمال الدين, منشورات وزارة الثقافة والاعلام دار الرشيد للنشر , ١٩٨٠م.
- البداءة في علمي النحو والصرف : محمد التقي الحسيني الجلاي , منشورات مطبعة النعمان , النجف , ط ٢ , ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- بدائع الفوائد: ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الدمشقي المشتهر بـ«ابن قيم الجوزية» «ت ٧٥١هـ» , عني بتصحيحه والتعليق عليه ادارة الطباعة المنيرية , دار الكتاب العربي , بيروت - لبنان , د.ت.
- البديل في : «الجملة العربية - القرآن الكريم» : د. حسن محمد حسن , دار المعرفة الجامعة , الاسكندرية , ط ١ , ١٩٨٩.
- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي «ت ٧٩٤هـ» , تح : محمد ابو الفضل ابراهيم , المكتبة العصرية - صيدا , بيروت , د.ت.
- البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن : كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني «ت ٦٥١هـ» تح : د.خديجة الحديثي ود. احمد مطلوب , مطبعة العاني - بغداد , ط ١ , ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- البلاغة الاصطلاحية : د. عبدة عبد العزيز قلقيلة : العربي , مطابع الدجوي , القاهرة , عابدين , دار احتمال , ١٩٨٦م.

- البلاغة تطور وتاريخ : د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٦، د.ت.
- البلاغة العربية في ثوبها الجديد: د. بكرى شيخ امين، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط ٣، ١٩٩٠م.
- بلاغة العطف في القرآن الكريم -دراسة اسلوبية : د. عفت الشرقاوي ، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٨١م.
- البلاغة و التطبيق: د. احمد مطلوب ود. حسن البصير ، جامعة الموصل ، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٨٦م .
- البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث: ابو البركات الانباري حققه وقدم له وعلق عليه : د. رمضان عبد التواب، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٠م .
- بلغة النحاه في شرح الفائقة للشيخ عباس كاشف الغطاء: اية الله العظمى الشيخ هادي كاشف الغطاء ، د.ت.
- البهجة المرضية : جلال الدين السيوطي على الفية ابن مالك بتعليقة مصطفى الحسيني الدشني ، الناشر مكتبة المعد والفيروز ابادي ، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان ، مطبعة مهران ، قم - ايران ، د.ت.
- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: الشيخ محمد التقي الشوشترى، دار امير كبير ، طهران ، ط ١، ١٣٧٦هـ .
- البيان في روائع القرآن -دراسة لغوية واسلوبية للنص القرآني: د. تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠٠٠م .
- البيان في غريب اعراب القرآن : ابو البركات بن الانباري ، تح: د. عبد الحميد طه مراجعة مصطفى السقا ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
- البيان والتبيين ابو عثمان عمر بن بحر الجاحظ «ت ٢٥٥هـ»، تح عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة ط ٥، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع راجعته لجنة فنية من وزارة الارشاد والانباء ، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م .
- تاريخ الادب العربي- ادب صدر الاسلام ، نقد وتحليل: السيد جعفر باقر الحسيني، مطبعة مهر، دار الاعتصام، ط ١، ١٤١٦هـ.

- تاريخ الطبري «تاريخ الرسل والملوك»: ابو جعفر محمد بن جرير الطبري «ت ٣١٠هـ»، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٦٨م.
- تاريخ عمر بن العاص: حسن ابراهيم حسن، المعارف، مصر، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.
- تاملات في النص القرآني: أ. د. عبد الامير كاظم زاهد، مؤسسة القضاء للطباعة والنشر المحدودة، العراق - النجف الاشرف، د. ت.
- تاويل مشكل القران: ابن قتيبة، تح: احمد صقر، القاهرة، ١٩٧٣م.
- التاويل النحوي في القران الكريم: د. عبد الفتاح احمد الحموز، مكتبه الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- التبيان في اعراب القرآن: ابو البقاء محب الدين عبد الله بن ابي عبد الله الحسين العكبري «ت ٦١٦هـ»، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. ت.
- التبيان في تفسير القرآن: ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي «ت ٤٦٠هـ»، تح: احمد حبيب قصير العاملي، مطبعة قم، مكتبة الاعلام الاسلامي، ط ١، ١٣٧٩هـ.
- التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن: ابن الزمكاني «ت ٦٥١هـ»، تح: د. احمد مطلوب و د. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
- التبيان في علم المعاني والبدع والبيان: شرف الدين حسين بن محمد الطيبي «ت ٧٤٣هـ»، تحقيق وتقديم: د. هادي عطية مطر الهلالي، عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- تجديد النحو: د. شوقي ضيف، مؤسسة البلاغ، لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب: ابو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بـ «الاعلم الشنتمري»، «ت ٤٧٦هـ»، حققه وعلق عليه: د. زهير عبد المحسن سلطان، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، العراق - بغداد، ط ١ - ١٩٩٢م.
- التحفة السنية بشرح المقدمة الاجرومية: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د. ت.
- التدريب في تمثيل التقريب: ابو حيان الاندلسي، دراسة وتحقيق: نهاد فليح حسن، مطبعة الارشاد - بغداد، ١٩٨٧م.

- الترادف في القرآن بين النظرية والتطبيق : محمد نور الدين المنجد , دار الفكر المعاصر- لبنان , دار الفكر -سورية , ط ١ , ١٤١٧هـ - ١٩٧٧م .
- الترادف في اللغة:حاكم مالك الزيايدي,دار الحرية للطباعة,بغداد,١٩٨٠م.
- التراكيب اللغوية في العربية-دراسة وصفية تطبيقية:د.هادي نهر,١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م
- التربية الدينية -دراسة منهجية لأصول العقيدة الاسلامية: عبد الهادي الفضلي , دار التعارف للمطبوعات, بيروت - لبنان ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- تقريب المقرب في النحو -دراسة وتعليق: محمد جاسم الدليمي، بيروت-لبنان، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- التوابع في كتاب سيبويه:د.عدنان محمد سلمان، دار الحكمة للطباعة والنشر , ١٩٩١م.
- التوابع من خلال القرآن الكريم - الانماط والدلالات : د. هادي نهر , مركز عبادي للدراسات والنشر , صنعاء الجمهورية اليمنية , ط ١ : ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م .
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد , حققه وقدم له :محمد كامل بركات , دار الكتاب العربي للطباعة والنشر , القاهرة , ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- تصريف الاسماء : محمد الطنطاوي , الجامع الازهر , مطبعة وادي الملوك , ط ٣ , ١٩٤٦م .
- التصور اللغوي عند الاصوليين : احمد عبد الغفار ,شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع, ط ١ , ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- التطبيق الصرفي : د. عبده الراجحي, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت, ١٩٧٣م .
- التطور النحوي للغة العربية: برجشتراسر , تح: د. رمضان عبد التواب, مطبعة المنجد, مكتبة الخانجي, دار الرفاعي , ١٩٨٢م .
- التعبير القرآني: د.فاضل صالح السامرائي, جمعية عمال المطابع التعاونية، دار عمار، عمان، ط ٥، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني «ت ٨١٦هـ»، مكتبة لبنان , بيروت-لبنان , ١٩٧٨م .
- التفسير البياني للقرآن الكريم : د. عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطيء»، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٧٣م .

- تفسير البيضاوي المسمى بـ « انوار التنزيل و اسرار التاويل » ، مكتبة الدراسات الادبية ، مطابع دار المعارف - مصر ، ١٩٦٢ .
- تفسير الثعالبي المسمى بـ « الجواهر الحسان في تفسير القران » : عبد الرحمن بن مخلوف «ت١٦٢هـ» ، تح: مصطفى مسلم محمد، مؤسسة الاعلمي للطباعة - بيروت ، ط١، ١٤٠٢م
- التفسير القيم: ابن القيم «ت٧٥١هـ»، جمعه: محمد اويس الندوي، وحققه : محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، مكة المكرمة، ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م.
- التفسير الكبير: الرازي، المطبعة المصرية- بولاق، ١٢٨٩هـ .
- تفسير النصوص في الفقه الاسلامي: د. محمد اديب صالح، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٤م.
- التكامل في الاسلام: احمد امين دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت- لبنان، د.ت .
- التكملة: ابو علي الفارسي «ت ٣٣٧ هـ»، تحقيق ودراسة: د. كاظم بحر المرجان، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل ، ١٩٨١م- ١٤٠١هـ.
- تلخيص الخطابة: ابن رشد «ت ٥٩٥ هـ»، تح : محمد سليم سالم ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
- التلخيص في علوم البلاغة : جلال الدين القزويني الخطيب، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، د.ت.
- تمام فصيح الكلام ضمن «رسائل في النحو واللغة»: ابن فارس، حققها وشرحها وعلق عليها: د. مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكوني، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، دار الجمهورية، بغداد، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.
- تهذيب اللغة : ابو منصور محمد بن احمد الازهري «ت ٣٧٠هـ»، تح: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك: الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي «ت٧٤٩هـ» ، تح : عبد الرحمن علي سليمان، القاهرة، مكتبة الكليات الازهرية ، ط١ = ١٩٧٦، ط٢ = ١٩٧٩م.

- التوضيح والتسهيل لشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: محمود احمد المكاوي
وعبد الحميد شبانة عوض، مطبعة النهضة الجديدة، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ط ١،
١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- التوطئة: ابو علي الشلوبين «ت ٦٤٥هـ» ، دراسه وتحقيق: يوسف احمد المطوع ، دار
التراث العربي للطبع والنشر ، القاهرة .
- تولي الامام -وحدة التعيين وتعددية الاجتهاد: شهاب الدين الحسيني، المطبعة: محمد مركز
الغدير للدراسات الاسلامية ، ط ١ ، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م .
- جامع البيان في تأويل آي القرآن: ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتوثيق
وتخريج : محمد حميد الله وآخرون ، دمشق - سوريا ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- جامع الدروس العربية: الشيخ مصطفى الغلاييني، دار احياء التراث العربي ، بيروت -
لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م .
- الجامع الصحيح وهو «سنن الترمذي»: ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة
«ت ٢٩٧هـ»، تحقيق وشرح: احمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١،
١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- الجامع الصغير في النحو: ابن هشام الانصاري ، تح : احمد محمود الهرميل ، مطبعة دار
التالق ، مصر ، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م .
- الجامع الكبير من صناعة المنظوم في الكلام المنثور، ضياء الدين ابن
الاثير «ت ٦٣٧هـ»، تح : مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبعة المجمع العراقي، ١٣٧٥هـ-
١٩٥٦م .
- الجامع لاحكام القرآن: ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي «ت ٦٧١هـ»،
اعتنى به وصححه الشيخ هشام سمير البخاري، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان،
ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- الجمل: عبد القاهر الجرجاني «ت ٤٧١هـ»، حققه وقدم له : علي حيدر، دمشق،
١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- الجملة الشرطية عند النحاة العرب : ابو اوس ابراهيم الشمسسان، تقديم : أ. د محمود
فهيمي حجازي، مطابع الدجوي - عابدين ، ط ١ ، ١٤٠١هـ -١٩٨١م.
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها : د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ، عمان : ط ١ ،
١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م .

- الجملة الفعلية منفية واستفهامية ومؤكدة-دراسة تطبيقية على شعر المتنبي: د. زين كامل الخويسكي، الناشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.
- الجملة الوصفية في النحو العربي: د. شعبان صلاح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤ م.
- الجمل في النحو: الخليل بن احمد الفراهيدي «ت ١٧٥هـ» بتح: د. فخر الدين قباوة، ط ٥، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥.
- الجمل في النحو: ابو القاسم الزجاجي، حققه وقدم له: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة- بيروت، دار الامل - الاردن، ط ٤، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.
- الجمل وصفين والنهران: ابو مخنف لوط بن يحيى الازدي الكوفي «ت ١٥٧هـ»، جمعه وحققه: حسن حميد السنيد، مؤسسة دار الاسلام، مطبعة الصدر: ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.
- جمهرة اللغة: ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي «ت ٣٢١هـ»، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م، ج «١».
- جمهورية أفلاطون: نقلها إلى العربية حنا خباز، دار العلم، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٨٠ م.
- الجموع في اللغة العربية: د. باكرة رفيق حلمي، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، مطبعة الاديب البغدادية، ١٩٧٢ م.
- الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي، تح: فخر الدين قباوة و أ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م.
- الجهاد: السيد محمد باقر الحكيم: مطبعة بهمن - قم المقدسة، الامام الحسين عليه السلام للطباعة والنشر والتبليغ، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.
- الجهاد الانساني في الاسلام: عبد الصاحب الشاكري، مطابع افريقيا الشرق، دار النشر والاستشارات التكنولوجية المحدودة، ط ١، ١٤٢٣ - ٢٠٠٢ م.
- جواهر الادب في معرفة كلام العرب: علاء الدين بن علي الاربلي «ت ٦٣١هـ»، قدم له العلامة السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرساني، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، ط ٢، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠ م.

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع: السيد المرحوم احمد الهاشمي ط ١٠، ط ١٢، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
- الجوهر الثمين : السيد عبدالله شبر «ت ١٢٤٢ هـ»، مطبعة الكويت - مكتبة الالفين ، ط ١، ١٤٠٧ هـ .
- الجيم: ابو عمرو الشيباني، ترتيب وتحقيق: عادل عبد الجبار الشاطي- مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، ٢٠٠٣ م.
- حاشية الخضري على ابن عقيل: محمد الخضري «ت ١٢٨٧ هـ»، مطبعة دار احياء كتب العربية، د.ت.
- حاشية الشيخ مصطفى محمد عرفة الدسوقي، منشورات الرضي ومنشورات زاهدي، قم- ايران، مح «١-٢» .
- حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك: علي بن محمد الصبان «ت ١٢٠٦ هـ»، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت.
- حاشية الملوي على شرح المكودي على الفية ابن مالك: احمد بن عبد الفتاح بن يوسف المجيري، الشافعي، القاهري، الازهري، الشهير بالملوي «شهاب الدين» «ت ١١٨١ هـ»، د.ت.
- الحجة في القراءات السبع : ابن خالويه، تحقيق وشرح: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق-بيروت، ١٩٧١ م.
- حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة: الشيخ ابو الحسن محمد بن الحسين بن الحسن البيهقي «قطب الدين الكيزري» «فرغ منه ٥٧٦ هـ»، مؤسسة نهج البلاغة ونشر عطار، قم، ط ١، ١٣٧٥ هـ .
- الحدود المعجم الموضوعي للمصطلحات الكلامية: قطب الدين ابو جعفر محمد بن الحسن النيسابوري المقرئ من اعلام القرن السادس، تحقيق: د. محمود يزدي مطلق «فاضل»، باشراف الاستاذ جعفر السبحاني، مؤسسة الامام الصادق - عليه السلام - للتحقيق والتأليف، مطبعة مهر، قم المقدسة- ايران، ط ١، ١٤١٤ هـ.
- الحدود النحوية ضمن «رسائل في النحو واللغة»: الرماني، حققها وشرحها وعلق عليها: د. مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكوني، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، دار الجمهورية، بغداد، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م.

- الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين: هادي عطية الهلالي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- حروف المعاني: ابو القاسم الزجاجي، تح: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الامل، الاردن، ط ١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- حسن الصنيع في المعاني والبيان والبديع: محمد البسيوني البياني، المطبعة المحمودية التجارية مصر، د.ت.
- الحمل على الجوار: د.عبد الفتاح احمد الحموز، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- خزنة الادب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي «ت ١٠٩٣هـ»، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، د. ت.
- الخصائص: ابو الفتح عثمان بن جني«ت ٣٩٢هـ»، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، دار الكتب المصرية، بيروت -لبنان، د.ت.
- الخلاصة النحوية: د.تمام حسان، مطبعة أمون، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٥م.
- دراسات في الادوات النحوية: د.مصطفى النحاس، شركة الربيعات للنشر والتوزيع، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- دراسات في علم اللغة: د.كمال البشر ،دار المعارف، ١٩٦٩م«القسم الثاني».
- دراسات في قواعد اللغة العربية: عبد المهدي مطر، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، ج ٣، ١٣٨٥هـ.
- دراسات لاسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عزيمة، دار الحديث، القاهرة، د.ت.
- دراسة في حروف المعاني الزائدة : عباس محمد السامرائي ،ط ١، ١٩٧٨ م .
- دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء: المختار احمد ديرة، دار قتيبية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-دمشق، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- الدرر الباهرة من الاصداف الطاهرة: الشيخ ابو عبد الله محمد بن الشيخ جمال الدين مكّي العملي النبطي الجزيني الملقب بـ«الشهيد الاول»«ت ٧٨٦هـ»، تح: داود صابري، مؤسسة طبع ونشر الاستانة الرضوية المقدسة، ١٣٦٥هـ.
- دروس في البلاغة: معين رفيق العملي، المركز العالمي للدراسات الاسلامية، قم، ١٤٢٥هـ.

- دروس في كتب النحو: د.عبد الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، ١٩٧٥م.
- دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني، حققه وقدم له: د.محمد رضوان الداية و د.فايز الداية، مكتبة سعد الدين، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- دلالات التراكييب دراسة بلاغية: د.محمد محمد ابو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- دلالة الاعراب عند النحاة القدماء: د. بتول قاسم ناصر ، طباعة ونشر الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ط١، ١٩٩٢م.
- الدلالة الزمنية في الجملة العربية: د.علي جابر المنصوري، مطبعة الجامعة -بغداد، ط١، ١٩٨٤م.
- دور الكلمة في اللغة: ستيفن اولمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه: د. كما محمد بشر، المطبعة العثمانية، الناشر: مكتبة الشباب، ط٣، ١٩٧٢م.
- الدين الاسلامي -بحث في الاصول والمبادئ: السيد حسن السيد علي القبانجي النجفي: تحقيق ومراجعة مؤسسة احياء التراث الشيعي، المطبعة ريتون منشورات بقية العترة، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ديوان الادب: ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي، تح: احمد مختار عمر، مراجعة د. ابراهيم انيس، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ديوان الاعشى الكبير: ميمون بن قيس، حققه وقدم له المحامي فوزي عطوي، المطبعة التعاونية اللبنانية، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت-لبنان، ١٩٦٨م.
- ديوان امرئ القيس: تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٤، دار المعارف، ذخائر العرب، الناشر دار المعارف، طبع بمطابع دار المعارف.د.ت.
- ديوان الحطيئة من رواية ابي حبيب عن ابن الاعرابي وابي عمر الشيباني: شرح ابي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- ديوان العجاج: رواية عبد الملك بن قريب، تح: الحفيظ السطلي، مكتبة اطلس، دمشق، د.ت.
- ديوان عنتره، ومعلقاته، قام بتحقيقه شرحا وتقييما وتحديثا: أ.خليل شرف الدين، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٧م.

- رأي في بعض الاصول اللغوية والنحوية: عباس حسن، مطبعة العالم العربي، القاهرة، ١٣٧١هـ - ١٩٥١م.
- الرد على النحاة: ابن مضاء القرطبي، تح: د. شوقي ضيف، دار الكتاب العربي، القاهرة. د. د.
- رسالة الحقوق: الامام علي بن الحسين -H-، مكتبة الامام الحسن العامة، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني: احمد بن عبد النور المالقي «ت٧٠٢هـ»، تح: احمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- الزاهر في معاني كلمات الناس: ابو بكر محمد بن القاسم الانباري، تح: حاتم صالح الضامن، الجمهورية العراقية - وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد، ١٩٧٩م.
- سر صناعة الاعراب: ابو الفتح عثمان ابن جني، دراسة وتحقيق: حسن هندأوي، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك «بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري»، «ت٧٦٩هـ»، تح: محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، مج «٢».
- شرح ابيات سيبويه: ابو محمد يوسف بن ابي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي «ت٩٩٥هـ»، تح: محمد علي الريح هاشم، مطبعة الفجالة الجديدة، منشورات مكتبة الكليات الازهرية - مصر، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- شرح الاشموني المسمى «منهج السالك الى الفية ابن مالك»: تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ج١، ط٢، = ١٩٣٩م، ج٢، ط٢ = ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م، ج٣، ط٢ = ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م، ج٤، ط٢، = ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- شرح الفية ابن مالك: محمد بن محمد بن عبد الله ابن الناظم «ت٦٨٦هـ»: دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- شرح الفية ابن معط المسماة بـ «المباحث الخفية في حل مشكلات الدرر الالفية»: عز الدين ابو الفضل عبد العزيز بن جمعة بن زيد القواس الموصلية «ت٦٩٦هـ»، تحقيق ودراسة: د. علي موسى الشمولي، مكتبة الخريجي - الرياض، ط١، ١٩٨٥م.

- شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجباني
الاندلسي «ت ٦٧٢هـ»، تح: محمد عبد القادر عطا و طارق فتحي السيد، دار الكتب
العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- شرح التصريح على التوضيح: الشيخ خالد بن عبد الله الازهري «ت ٩٠٥هـ»، تح: محمد
ياسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- شرح التلخيص في علوم البلاغة: جلال الدين القزويني، شرحه وخرج شواهد: محمد هاشم
دويدري، دار الجيل ، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- شرح جمل الزجاجة: ابن عصفور الاشبيلي «ت ٦٦٩هـ»، الشرح الكبير، تح: د. صاحب
ابو جناح، ١٤٠٠هـ _ ١٩٨٠م، ج «١».
- شرح جمل الزجاجة : ابن هشام، دراسة وتحقيق: د. علي محسن عيسى مال الله، عالم
الكتب، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج «١».
- شرح الحدود النحوية: جمال الدين عبد الله بن احمد بن علي بن محمد الفاكهي «ت ٩٧٢هـ»،
تح: د. محمد الطيب الابراهيم ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٧هـ -
١٩٩٦م.
- شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين الاستربادي «ت ٦٨٦هـ»، تح: محمد نور الحسن
واخرون، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: ابن هشام: تح: محمد محيي الدين عبد الحميد،
مطبعة السعادة، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١٠، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.
- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: الرضي الاستربادي، وضع هوامشه: د. اميل
يعقوب، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- شرح عيون الاعراب: ابو الحسن علي بن فضال المجاشعي «ت ٤٧٩هـ»، حققه وقدم له:
د. حنا جميل حداد، مكتبة المنار- الاردن، الزرقاء، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- شرح القصائد التسع المشهورات: ابو جعفر محمد بن محمد النحاس «ت ٣٣٨هـ»، تح:
احمد خطاب النحاس، دار الحرية للطباعة - بغداد، ١٩٧٣م.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ابو بكر ابن القاسم الانباري، تح: عبد السلام محمد
هارون، دار المعارف - مصر، ط ٢، ١٩٦٩م.

- شرح قطر الندى وبل الصدى: ابن هشام: تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة - مصر، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- شرح الكافية الشافية: العلامة جمال الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، حققه وقدم له: د. عبد المنعم احمد هريدي، دار المأمون للتراث، د. ت.
- شرح للمحة البدرية في علم اللغة العربية: ابن هشام، دراسة وتحقيق: د. هادي نهر، طبع بمطبعة الجامعة - بغداد، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ج «٢».
- شرح للمع: ابن برهان العكبري ابو القاسم عبد الواحد بن علي الاسدي «ت ٤٥٦هـ»، تح: د. فائز فارس، الكويت، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ج «١».
- شرح المراح في التصريف: بدر الدين محمود بن احمد العيني «ت ٨٥٥هـ»، حققه وعلق عليه: عبد الستار جواد، مطبعة الرشيد، د. ت.
- شرح المفصل: موفق الدين ابو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلية «ت ٦٤٣هـ»، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- شرح المقدمة المحسبة: الطاهر بن احمد بن بابشاذ «ت ٤٦٩هـ»، تح: خالد عبد الكريم، المطبعة العصرية - الكويت، ١٩٧٧م.
- شرح المكودي على الالفية في علمي الصرف والنحو للامام جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الاندلسي المالكي: ابو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي «ت ٨٠٧هـ»، ضبطه وخرج اياته وشواهد الشعرية: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد «ت ٦٥٥هـ»، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ج «١» - ج «٧» = ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، ج «٨» = ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، ج «٩» - ج «١٠» = ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م، ج «١١» - ج «١٩» = ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ج «٢٠» = ١٩٦٤م.
- شرح نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبدة، حققه وزاد في شرحه: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة - مصر، د. ت.
- شرح نهج البلاغة «فارسي»: ميرزا احمد مدرس وحيد، وزارة الثقافة والارشاد، الدائرة العامة للنشر، د. ت.

- شرح الوافية، نظم الكافية: جمال الدين ابو عمرو عثمان بن الحاجب النحوي «ت٦٤٦هـ»، دراسة وتحقيق: د. موسى بناي علوان العلي، بمطبعة الاداب في النجف الاشرف، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- شروح التلخيص: مختصر العلامة سعيد التفازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح: لابن يعقوب المغربي، وروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح : لبهاء الدين السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت.
- صحيح مسلم بشرح النووي: مسلم بن الحجاج ابو الحسين القشيري النيسابوري «ت٢٦١هـ»، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- الصحيفة السجادية الكاملة: علي بن الحسين -H-، تقديم وتحقيق: سلمان جابر الجبوري، مطبعة الديواني، بغداد، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- صفوة شروح نهج البلاغة: جمعه ونسقه وضبط نصه اركان التميمي، الناشر انوار الهدى ، المطبعة سرور ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .
- الصناعتين: ابو هلال العسكري«ت٣٩٥هـ»، تح : علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م .
- الصواعق المحرقة: ابن حجر الهيتمي، احمد البابي الحلبي، مصر، ١٣١٢هـ.
- الضمائر في اللغة العربية: د. محمد عبد الله جبر، مطابع جريدة السفير، دار المعارف، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٨٣م.
- ضياء السالك الى اوضح المسالك : محمد عبد العزيز النجار ، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
- الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز : يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي التميمي، مطبعة المقتطف ، مصر ، ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م .
- العجالة في علم النحو: عبد الجليل ال جميل ، مطبعة العاني ، بغداد، د.ت.
- العدل الإلهي : مرتضى المطهري، ترجمه الى العربية : محمد عبد المنعم الخاقاني ، دار الفقه للطباعة والنشر ، مطبعة يناشر، ط١ ، ١٤٢٤هـ .
- العشرات في اللغة : ابو عبد الله محمد بن جعفر التميمي القزاز القيرواني«١٢٥هـ»، تح : د. يحيى عبد الرؤوف جبر ، د.ت .

- العقائد الإسلامية: السيد محمد حسين الشيرازي , دار صادق للطباعة والنشر , كربلاء- العراق , ط ١٠ , ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
- عقائد الإمامية : محمد رضا المظفر , قدّم له د. حامد حفني داود , دار التعارف للمطبوعات , بيروت - لبنان , ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- علم البيان : د عبد العزيز عتيق , مطبعة دار النهضة - بيروت , ١٩٧٤م .
- علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة: د.محمود فهمي حجازي, المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م.
- علم اللغة العام الاصوات : د. كمال محمد بشر , دار المعارف , ط ٤ , مصر , ١٩٧٥م , «القسم الثاني» .
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: صبحي صالح الفقي, دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع , ط ١ , القاهرة , ٢٠٠٠م .
- علم المعاني : د. درويش الجندي , طبع ونشر مكتبة نهضة مصر , مصر , ط ٢ , ١٣٨١هـ - ١٩٦٣م .
- علم المعاني : د. عبد العزيز عتيق , دار النهضة العربية, بيروت , ط ٢ , ١٩٧٤م .
- علم النفس في نهج البلاغة : هاشم حسين ناصر المحنك , منشورات دار الوفاق - النجف الاشرف , ط ١ , ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
- علوم البلاغة : احمد مصطفى المراغي , المكتبة الحديثة , القاهرة , ط ٢ , د.ت.
- علوم القرآن: السيد محمد باقر الحكيم , ط ٣ , د.ت.
- علي-عليه السلام- من المهد الى اللحد : السيد محمد كاظم القزويني : كربلاء - العراق , ط ٩ , د.ت .
- العمدة في محاسن الشعروادبه ونقده : ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي «ت ٤٥٦هـ» , تح : محمد محيي الدين عبد الحميد , دار الجيل , بيروت - لبنان , د.ت.
- العين: الخليل بن احمد الفراهيدي, تح: د.مهدي المخزومي , ود. ابراهيم السامرائي , دار الرشيد للنشر , منشورات وزارة الثقافة والاعلام - بغداد . ج «١» = ١٩٨٠م , ج «٥» = ١٩٨٢م , ج «٦» = ١٩٨٢م , ج «٧» = ١٩٨٤م , ج «٨» = ١٩٨٥م .
- الغرة المخفية: ابن الخباز الموصلّي: ابو المعالي أحمد بن الحسين «ت ٦٣٩هـ» , , تح : حامد محمد العبدلي , دار الانبار , ط ١ , ١٩٩٠م .

- غريب القرآن في شعر العرب -سؤالات نافع بن الازرق الى عبد الله بن عباس, تح : محمد عبد الرحيم واحمد نصر الله , مؤسسة الكتب الثقافية , ط ١ , بيروت -لبنان, ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م .
- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب : ابو بكر محمد بن عزيز السجستاني , عني بتصحيحه وترقيمه وضبط الفاظه وتعليق حواشيه لجنة من افاضل العلماء , مكتبة ومطبعة محمد صبيح واولاده , ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣ م .
- فرائد اللغة في الفروق: الاب هنريكوس لامنس اليسوعي, المطبعة الكاثوليكية, بيروت, ج ١, ١٨٨٩م.
- الفروق اللغوية واثرها في تفسير القرآن الكريم: د.محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع, مكتبة العبيكان - الرياض, ط ١, ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- الفصول الخمسون: زين الدين الحسن يحيى بن عبد المعطي المغربي «ابن معطٍ» «ت٦٢٨هـ», تحقيق ودراسة محمود محمد الطناحي, عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- فصول في فقه العربية: د. رمضان عبد التواب, ط ١, دار الحمامي للطباعة, القاهرة, ١٩٧٣م.
- الفوائد الضيائية «شرح كافية ابن الحاجب»: نور الدين عبد الرحمن الجامي «ت٨٩٨هـ», دراسة وتحقيق: د.اسامة طه الرفاعي, مطبعة وزارة الاوقاف والشؤون الدينية, ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت في اصول الفقه للامام المحقق محب الله بن عبد الشكور بذيل المستصفي من علم الاصول للغزالي: للعلامة عبد العلي محمد بن نظام الدين الانصاري, دار العلوم الحديثة, بيروت- لبنان, مصورة عن طبعة المطبعة الاميرية في بولاق- مصر, ١٣٢٥هـ.
- في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر -دراسة لغوية في شعر السياب ونازك والبياتي : مالك يوسف المطلبي, دار الحرية للطباعة , بغداد, ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد : الشيخ محمد جواد مغنية, شق اصوله وحققه وعلق عليه: سامي الغريبي, مؤسسة دار الكتاب الاسلامي, د.ت.
- في علم النحو: د. امين علي السيد, دار المعارف بمصر, ط ٣, القاهرة, د.ت.
- في اللغة ودراستها: د. محمد عيد , عالم الكتب - القاهرة, ١٩٧٤م.

- في النحو العربي - قواعد وتطبيق: د. مهدي المخزومي، شركة ومكتبة ومطبعة على المنهج العلمي الحديث مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر، ط ١، ١٩٦٦م.
- القاعدة الكلية-إعمال الكلام أولى من اهماله وأثرها في الأصول: الشيخ محمود مصطفى عبود هرموش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٧م.
- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي «ت ٨١٧هـ»، دار الجيل، المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ، د.ت.
- قانون السياسة ودستور الرياسة: لمؤلف مجهول ألف في القرن السابع الهجري، دراسة وتحقيق: محمد جاسم الحديثي، مطابع دار الحرية للطباعة ، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق - بغداد، ١٩٨٧م.
- القرآن القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر: محمد العفيفي، الكويت، الناشر ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، المطبعة العصرية، ١٣٩٧م - ١٩٧٧م.
- قرة العين في النحو: السيد صدر الدين الموسوي العاملي «ت ١٢٦٤هـ»، تح: محمد علي بحر العلوم، مؤسسة الطباعة والنشر لجامعة طهران، ط ١، ١٤١٩هـ .
- قصص الانبياء: ابو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي «ت ٤٢٧هـ»، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- قضايا لغوية قرآنية - دراسة نظرية وتطبيقية في المنهج الاصولي لتحليل النص القرآني: أ.د. عبد الامير كاظم زاهد، مطبعة انوار دجلة، بغداد، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- القواعد الاساسية للغة العربية: احمد الهاشمي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- الكافية في النحو: ابن الحاجب، بيروت - لبنان، د.ت.
- الكامل في اللغة والادب: ابو العباس محمد بن يزيد المعرف بالمبرد «ت ٢٨٥هـ» تح : د. يحيى مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
- كتاب سيبويه: ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ«سيبويه» «ت ١٨٠هـ»، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط ٦، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٦م.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاول في وجوه التأويل : جار الله محمود بن عمر الزمخشري « ت ٥٣٨هـ»، وبذيله «الانتصاف» للامام احمد بن المنير الاسكندري ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ، د.ت.

- الكشاف المنتقى لفضائل علي المرتضى: كاظم عبود الفتلاوي، مكتبة الروضة الحيدرية، منشورات لسان الصدق، النجف الاشراف-العراق، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- كشف المشكل في النحو: علي بن سليمان الحيدرة اليمني «ت ٥٩٩هـ»، تح: د.هادي عطية مطر الهلالي، مطبعة الارشاد، بغداد، ط ١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب -عليه السلام: الحافظ الكنجي، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف .د.ت .
- كلمة امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب -عليه السلام: السيد حسن الشيرازي، مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- الكليات: ابو البقاء ايوب بن موسى «ت ١٠٩٤هـ»، مطبعة دولتي-تبريز، طبعة حجرية، ١٢٨٦هـ.
- الكواكب الدرية في شرح متممة الاجرومية: للشيخ محمد بن احمد بن عبد الباري الاهدل، مطبعة دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، د.ت.
- اللباب في علل البناء والاعراب: محب الدين ابو البقاء عبد الله بن الحسين «ت ٦١٦هـ»، تح: غازي مختار طليمات، مطبعة دار الفكر - دمشق، ط ١، ١٩٩٥م.
- لسان العرب: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري «ت ٧١١هـ»، دار صادر - بيروت، د.ت.
- لغة الشعر العراقي المعاصر: عمران خضير الكبيسي، وكالة المطبوعات- الكويت ط ١، ١٩٨٢م.
- اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ٤، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- اللغة والنحو بين القديم والحديث: عباس حسن، دار المعارف- مصر، ط ٢، ١٩٧١م.
- اللمع في العربية: ابن جني، تح: حامد المؤمن، مطبعة العاني - بغداد، منشورات منتدى النشر، النجف الاشراف، ط ١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ما اتفق لفظه واختلف معناه: ابو العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: عبد العزيز الميمني، المطبعة السلفية- القاهرة، ١٣٥٠هـ .
- مباحث التخصيص عند الاصوليين والنحاة: محمود سعد، مركز الدلتا للطباعة، ١٩٧٧م.

- المباحث اللغوية في العراق: د. مصطفى جواد، معهد الدراسات العربية العالية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٥٥م.
- مبادئ الوصول الى علم الاصول: الحسن بن يوسف الحلبي «ت٧٢٦هـ»، تح: ابو منصور عبد الحسين البقال، مطبعة الاداب، النجف، ١٣٩١هـ - ١٩٧٠م.
- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر: ابن الاثير «ت٦٣٧هـ»، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - شركة ابناء شريف الانصاري للطباعة النشر والتوزيع صيدا - بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج «٢».
- مجاز القرآن: ابو عبيدة معمر بن المثنى التميمي «ت٢١٠هـ»، تح: محمد فؤاد سزكين القاهرة ، مكتبة الخانجي، ١٩٥٤م - ١٩٦٢م.
- مجالس ثعلب: ثعلب، تح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٠م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ ابو علي الفضل بن حسن الطبرسي «ت٥٤٨هـ»، وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه: هاشم الرسولي المحلاتي، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٣٧٩هـ.
- مجمل اللغة: ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا «ت٣٩٥هـ»، راجعه ودقق اصوله: محمد طعمة، دار احياء التراث العربي- بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- المحصول في علم الاصول: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين «ت٦٠٦هـ»، تح: طه جابر فياض، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٩٧٩م.
- المحيط في اصوات العربية وصرفها: محمد الانطاكي، مكتبة دار الشرق - بيروت، ط١، ١٩٧٢م.
- المحيط في اللغة: صاحب اسماعيل بن عباد «ت٢٨٥هـ»، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ١٩٧١م. ج ٢.
- مختار الصحاح: محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي «ت٦٦٦هـ»، دار الرسالة - الكويت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- المختار من ابواب النحو: د. محمد خيرى الطواني، مكتبة دار الشرق، بيروت، ط١.
- مختصر المذكر والمؤنث: المفضل بن سلمة «ت٣٠٠هـ»، حققه وقدم له وعلق عليه: د. رمضان عبد التواب، القاهرة، مطابع الشركة المصرية للطباعة والنشر في القاهرة، ١٩٧٢م.

- مختصر المعاني: سعد الدين التفتازاني، مؤسسة دار الفكر، ايران، قم، مطبعة قدس، ط ٥، ١٣٨٣هـ .
- المخصص: ابو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف بـ«ابن سيده»«ت٤٥٨هـ»، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.
- المدارس النحوية: د. شوقي ضيف، دار المعارف - مصر ، ط ٢، ١٩٧٢م.
- المدارس النحوية اسطورة وواقع: د. ابراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان، ط ١، ١٩٨٧م.
- المدارس النحوية بين التصور والتصديق والسؤال الكبير: د.عبد الاميرالورد، المكتبة العصرية، بغداد، ط ١، ١٩٩٧.
- المدخل الى علم النحو والصرف: د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت، ١٩٧١م.
- المذكر والمؤنث: ابن التستري الكاتب «ت٣٦١هـ»، حققه وقدم له وعلق عليه: د. احمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، مطبعة المدني، الناشر مكتبة الخانجي - القاهرة، دار الرفاعي - الرياض، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- المذكر والمؤنث: ابو بكر ابن الانباري، تح: د. طارق عبد عون الجنابي، مطبعة العاني، بغداد، ط ١، ١٩٧٨م.
- المذكر والمؤنث: ابو العباس محمد بن يزيد المبرد، حققه وقدم له وعلق عليه: د. رمضان عبد التواب، وصلاح الدين الهادي، مطبعة دار الكتب الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة - مركز تحقيق التراث، ١٩٧٠م.
- مراح الارواح في الصرف: ابو الفضائل احمد بن علي بن مسعود «علماء القرن السابع»، تحقيق: محمد الطهراني، مطبعة اعتماد نشر دار الصادقين، ط ١، ١٤١٥هـ.
- المرتجل: ابو محمد عبد الله بن احمد بن احمد بن الخشاب «ت٥٦٧هـ»، تح: علي حيدر، دمشق، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٤م.
- مرجع الطلاب في الاعراب: اعداد ابراهيم شمس الدين،مراجعة : فوزية الطرمباتي ، دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان، ط ٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- المرسل الرسول الرسالة: محمد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

- المزهري في علوم اللغة وانواعها: السيوطي، تح: محمد احمد جاد المولى واخرون، مطبعة دار احياء الكتب العربية، ط ٣، د.ت.
- المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات: ابو علي الفارسي «ت ٣٧٧هـ»، دراسة وتحقيق: صلاح الدين عبد الله النكاوي، مطبعة العاني - بغداد، د. ت.
- المستدرك على الصحيحين: الامام الحافظ ابو عبد الله الحاكم النيسابوري، مطبعة دائرة المعارف النظامية، دار الكتب العربي، بيروت-لبنان، ١٣٤٢هـ.
- المستقصى في امثال العرب: محمود بن عمر الزمخشري، مطبعة دائرة المعارف، حيدر اباد، ١٣٨١هـ-١٩٦٢م.
- المشكاة الفتحية على الشمعة المضية للسيوطي : محمد بن محمد بن محمد بن احمد ابي حامد البديري الدمياطي «ت ١١٤٠هـ»، دراسة وتحقيق : هشام سعيد محمود , مطبعة وزارة الأوقاف , ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .
- مصادر نهج البلاغة واسانيده: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، منشورات الاعلمي للمطبوعات- بيروت - لبنان- ط ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- «مصباح السالكين» شرح نهج البلاغة.: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني «ت ٧٦٩هـ»، عني بتصحيحه عدة من الافاضل وقوبل بعدة نسخ موثوق بها من منشورات النصر، د.ت.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرفاعي: احمد بن محمد الفيومي «ت ٧٧٠هـ»، المطبعة الخيرية، د.ت.
- مصطلح التذكير والتأنيث-المذكر والمؤنث الحقيقيان: د.عصام نور الدين , دار الكتاب العالمي , الشركة العالمية للكتاب , ١٩٩٠م .
- مصطلح المحايد-المذكر والمؤنث المجازيان: د. عصام نور الدين , المكتبة الجامعية, دار الكتاب العالمي , الشركة العالمية للكتاب , ١٩٩٠م .
- المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى اواخر القرن الثالث الهجري: عوض محمد القوزي, عمادة شؤون المكتبات- جامعة الرياض، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- المطالع السعيدة في شرح الفريدة في النحو والصرف والخط: السيوطي، تح: د.نبهان ياسين حسين، دار الرسالة للطباعة-بغداد، ١٩٧٧م.

- معاني الابنية في العربية: فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، جامعة بغداد- كلية الاداب ، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- معاني الحروف :ابو الحسن علي بن عيسى الرماني«ت٣٨٤هـ»،تح : د.عبد الفتاح اسماعيل شلبي،مطبعة دار العالم العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.
- معاني حروف المعاني عند ابن هشام والرماني -بحث مقارنة: د.عباس الترحمان ، ط ١، ١٤٠١هـ.
- معاني القرآن: ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء «ت٢٠٧هـ»: تحقيق ومراجعة: ا.د. محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.
- معاني القرآن: الامام ابو الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالاخفش الاوسط «ت٢١٥هـ»: تح: د. فائز فارس، ط ٢، د.ت.
- معاني القرآن واعرابه: ابو اسحاق ابراهيم التستري بن سهل ت٣١١هـ ، تح: عبد الجليل عبدة شلبي، المكتبة العصرية -بيروت، المطبعة الاميرية -القاهرة، ١٩٧٤م.
- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، مطبعة التعليم العالي - الموصل، ج «١»- ج «٢» = ١٩٨٦م - ١٩٨٧م، ج «٣» - ج «٤» = ١٩٩٠م
- معترك الاقران في اعجاز القرآن : السيوطي، تح: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي - دار الثقافة العربية للطباعة - مصر، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م.
- المعجب في علم النحو - يتضمن فلسفة علم النحو والحروف- وفق النهج العلمي الاصيل: رؤوف جمال الدين، مطبعة الاداب- النجف الاشرف، ط ١، ١٣٩٨هـ.
- معجم اعراب الفاظ القرآن الكريم: قدم له فضيلة الاستاذ الدكتور: محمد سيد طنطاوي، راجعه الشيخ محمد فهيم ابو عيبة، دار الفقه للطباعة والنشر، المطبعة برهان، قم، ط ٢، ١٤٢٥هـ .
- معجم البلدان: ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي«ت٦٢٦هـ»،قدم له محمد المرعشلي، دار احياء التراث العربي-مؤسسة التاريخ العربي،بيروت-لبنان، د.ت.
- معجم حروف المعاني في القرآن الكريم- مفهوم شامل مع تحديد دلالة الادوات: محمد حسن الشريف، مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- معجم متن اللغة: الشيخ احمد رضا، بيروت - لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت.

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. احمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ج «٢»، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية: د. محمد سمير بخيت اللبدي، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، د.ت.
- المعجم المفصل في علوم اللغة والاسنيات: اعداد محمد التونجي وراجي الاسمر، مراجعة اصيل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ج «١»، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة نويد اسلام، قم المقدسة، ط٢، ١٣٨٣هـ .
- المعجم المفهرس لالفاظ نهج البلاغة: كاظم محمدي ومحمد دشتي، دار الاضواء - بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- معجم مقاييس اللغة: لابي الحسن احمد بن فارس بن زكريا «ت٣٩٥هـ»، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية اسماعيليان نجفي، ايران ، قم، د.ت.
- المعجم الموضوعي لنهج البلاغة: اعداد اويس كريم محمد، نشر مجمع البحوث الاسلامية، طبع مؤسسة الطبع والنشر، في الاستانة الرضوية المقدسة - مشهد ايران، ط١، ١٤٠٨هـ.
- المعجم الوافي في النحو العربي: د. علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزغبى، دار الجيل- بيروت، دار الأفاق الجديدة-بيروت، د.ت.
- المعجم الوسيط: قام باخراجه : ابراهيم مصطفى واخرون، مجمع اللغة العربية -الادارة العامة للمعجمات واحياء التراث، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركيا، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- مع نهج البلاغة دراسة ومعجم: د.ابراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٧م.
- المعنى والاعراب عند النحويين ونظرية العامل: د.عبد العزيز عبدة ابو عبد الله، منشورات الكتاب والتوزيع والاعلان والمطابع-طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ط١، ١٩٨٢م.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: ابن هشام الانصاري «ت٧٦١هـ»، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: حسن حمد، اشرف عليه وراجعته: د. اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- مفتاح العلوم: ابو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي «ت٦٢٦هـ»، حققه وقدم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- مفردات الفاظ القرآن : العلامة الراغب الاصفهاني«ت٤٢٥هـ»، تح: صفوان عدنان داووي، دار القلم الدار الشامية، مطبعة كيميا، ط٤، ١٤٢٥هـ.
- المفصل في علم العربية : الزمخشري، دار الجيل - بيروت - لبنان، ط٢، د.ت.
- المقتصد في شرح الايضاح: عبد القاهر الجرجاني، تح: د. كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م.
- المقتضب: ابو العباس محمد بن يزيد المبرد «ت٢٨٥هـ»: تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، ج٢ القاهرة، ١٣٨٦هـ ، ج٣، عالم الكتب بيروت، د.ت.، ج٤، القاهرة، ١٣٨٨هـ.
- مقتنيات الدرر: مير سيد علي الطهران «ت١٣٤٠هـ» ، مطبعة دار الكتب الاسلامية ، طهران، ١٣٣٧هـ.
- مقدمة في النحو: خلف الاحمر خلف بن حيان البصري«ت١٨٠هـ» ، تح: عز الدين التنوفي، دمشق، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.
- المقرب: ابن عصفور، تح: أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦م.
- مكانة الخليل بن احمد في النحو العربي: د. جعفر نايف عباينة، دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الملحمة الحسينية: مرتضى المطهري، تعريب السيد محمد صادق الحسني ، الدار الاسلامية ، ط٢ ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م .
- مميزات لغات العرب: حفي ناصف، مطبعة جامعة القاهرة، ط٢، ١٩٥٧م.
- منازل الاخرة والمطالب الفاخرة - حول الموت والحياة بعد الموت، دار الكتاب العربي، بغداد - ٢٠٠٤ م .
- منازل الحروف ضمن «رسائل في النحو واللغة»: الرماني، حققها وشرحها وعلق عليها: د. مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكوني، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، دار الجمهورية، بغداد، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

- من أسرار اللغة : د. ابراهيم انيس ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.
- مناقب آل ابي طالب : محمد بن شهر اشوب المازندراني ، مؤسسة العلامة للنشر، قم، ١٤٠٩هـ .
- مناقب علي بن ابي طالب - عليه السلام : ابو الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي الجلابي الشافعي الشهير بـ ابن المغازلي ت ٤٨٣هـ، حققه وعلق عليه: محمد باقر البهنيودي المطبعة الاسلامية، منشورات المكتبة الاسلامية، طهران، ١٣٩٤هـ
- من بلاغة النظم العربي - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م
- منتهى السؤل في علم الاصول: سيف الدين أبي الحسن الأمدي: طبع مطبعة محمد علي صبيح، اهتم بتصحيحه مدير الجمعية العلمية الشيخ عبد الوصيف محمد معز، د.ت .
- المنصف: ابو الفتح بن جني، تح: ابراهيم مصطفى وعبد الله امين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- المنطق: الشيخ محمد رضا المظفر، دار الغدير للطباعة والنشر والتجليد، د.ت.
- منهاج البراعة « شرح نهج البلاغة » : ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، ضبط وتحقيق: علي عاشور دار احياء التراث العربي ببيروت ، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: قطب الدين ابو الحسن سعيد بن هبة الله الراوندي «ت ٥٧٣هـ» ، مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي ، تح : السيد عبد اللطيف الكوهكمري ، باهتمام السيد محمود المرعشي ، مطبعة الخيام - قم ، ١٤٠٦هـ .
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: د.علي زوين، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ١، ١٩٨٦م.
- منهج الرشاد لمن اراد السداد : الشيخ جعفر كاشف الغطاء ، مطبعة محمد، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- المنهج الصوتي للبنية العربية-رؤية جديدة في الصرف العربي: د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
- منية المرید في اداب المفید والمستفید: زين الدين بن علي بن احمد العاملي الملقب بـ«الشهيد الثاني» « ت ٩٦٥هـ» ، تح : علي جهاد الحساني ، مطبعة الديواني - بغداد ، د.ت.

- موجز الاحرفية او الفوارق بين القواعد القديمة والنهج الجديد : يوسف السودا , بيروت , ١٩٦٢ م .
- الموجز في النحو : ابو بكر محمد بن السراج , تح : مصطفى الشويمي , وابن سالم دامرجي , ملتزم الطبع بدران للطباعة والنشر , بيروت - لبنان , ١٩٦٥ م .
- موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون : الشيخ المولوي محمد علي بن علي التهانوي , شركة خياط للكتب والنشر , بيروت , د.ت.
- موسوعة النحو والصرف والاعراب « مصورة عن طبعة دار العلم للملايين » : اعداد د. اميل بديع يعقوب , مطبعة عترة , نشر سعيد بن جبير , ط ١ , ١٣٨٤ هـ - ٢٠٠٥ م .
- موصل الطلاب الى قواعد الاعراب : خالد بن عبد الله الازهري « ت ٦٥٠ هـ » , تح : عبد الكريم مجاهد , مؤسسة الرسالة - بيروت , ط ١ , ١٩٩٦ م .
- الموفي في النحو الكوفي : صدر الدين الكنغراوي « ت ١٣٤٩ هـ » , شرح وتعليق : محمد بهجة البيطار , مطبوعات المجمع العلمي العربي , دمشق , ١٩٥٠ م .
- ميزان الاصول - دراسة وتحقيق وتعليق : علاء الدين شمس النظر ابو بكر محمد بن احمد « ت ٥٣٩ هـ » : د. عبد الملك عبد الرحمن السعدي , مطبعة الخلود , ط ١ , ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي , صححه واشرف على طباعته فضيلة الشيخ حسين الاعلمي , منشورات المجتبى للمطبوعات , مؤسسة الامام المنتظر , ايران - قم , ط ١ , ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- نار القرا في شرح جوف الفراء : الشيخ ناصف اليازجي , بيروت , ١٨٦٣ م .
- نتائج الفكر في النحو : ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي « ت ٥٨١ هـ » , حققه وعلق عليه : الشيخ عادل احمد عبد الموجود , الشيخ علي محمد معوض , دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان , ط ١ , ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- نحو التجديد في دراسات الدكتور الجواري : أ.د. محمد حسين علي الصغير , مطبعة المجمع العلمي العراقي , ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
- النحو العربي نقد وبناء : د. ابراهيم السامرائي , دار الصادق . د. ت .
- نحو القراء الكوفيين : خديجة احمد مفتي , توزيع دار الندوة الجديدة , بيروت - لبنان , المكتبة الفيصلية , مكة المكرمة المحايدة , ١٩٨٥ م .

- النحو الوافي مع ربطه بالاساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة: د. عباس حسن، دار المعارف- مصر، ج«١»، ط١٩٧١م، ج«٢»، ط١٩٦٣، ج«٣»، ط٤، د.ت.، ج«٤»، ط٣، ١٩٧٤م.
- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى والنحو الدلالي: د. محمد حماسة عبد اللطيف، د.ت.
- النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم: د. محمد صلاح الدين مصطفى، مؤسسة علي جراح الصباح، نشر وتوزيع الكويت، د.ت.
- النحو الوظيفي: عبد العليم ابراهيم، دار المعارف- مصر، ط٣، د.ت.
- النشر في القراءات العشر: الحافظ ابو الخير محمد بن محمد دمشقي الشهير بابن الجزري «ت ٨٣٣هـ»، اشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت.
- نفحات الاعجاز في رد الكتاب المسمى «حسن الايجاز»: السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي (قد)، د.ت.
- نقد النثر: ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه: ابو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالاعلم الشنتمري «ت ٤٧٦هـ»، تح: زهير عبد المحسن سلطان، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ج«١».
- نهاية الايجاز في دراسة الاعجاز: فخر الدين الرازي محمد بن عمر «ت ٦٠٦هـ»، تحقيق وتقديم: د. ابراهيم السامرائي، محمد بركات حمدي ابو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، د.ت.
- نهاية السؤال في شرح منهاج الاصول للقاضي ناصر الدين بن عبد الله بن عمر البيضاوي «ت ٦٨٥هـ»: الشيخ الامام جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الاسنوي «ت ٧٧٢هـ»، المطبعة السلفية ومكنتتها، عالم الكتب-بيروت، ١٩٨٢م، عنيت بنشره جمعية الكتب العربية في القاهرة، ١٣٤٥هـ.
- النهاية في غريب الحديث والاثر: للامام مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الاثير «ت ٦٠٦هـ»، بعناية: محمد ابو الفضل عاشور، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ج«١».

- نهج البلاغة: ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: د. هجر الصالح، المطبعة ايران، قم، ط ١، ١٤٢٦هـ .

- نهج الحياة-مجموعة بحوث ومقالات حول نهج البلاغة: مجموعة علماء، د.ت.

- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: الشيخ محمد باقر المحمودي، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ط ١، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م.

- النوادر: السيد الامام ضياء الدين ابو الرضا فضل الله بن علي الحسيني الراوندي «ت ٥٧١هـ»، تح: سعد رضا علي عسكر، مطبعة دار الحديث، مؤسسة دار الحديث الثقافية، ط ١، قم، ١٣٧٧هـ.

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : السيوطي، تح: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

- الواضح في علم العربية : ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي « ت ٣٧٩هـ—»، تح: د. امين علي السعيد ، دار المعارف - مصر ، ١٩٧٥م .

- الوحيد في النحو والاعراب والبلاغة والاملاء وقواعد القراءة ،كمال ابو مصلح ، المكتبة الحديثة بيروت -لبنان، مكتبة النهضة - بغداد ، ط ١٠ ، ١٩٨٩م .

- وسائل الشيعة : الحر العاملي ، مؤسسة آل البيت ، قم ، ١٤٠٩هـ

- وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية «دراسة حول المعنى وظلال المعنى»: محمد محمد يونس علي ، منشورات جامعة الفاتح ، ادارة المطبوعات والنشر وشؤون المكتبات مطابع ادوتار .

- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان: احمد بن محمد بن خلكان«ت ٦٨١هـ»،، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

-ينابيع المودة:سليمان بن خوجة إبراهيم القندوزي الحنفي«ت١٢٩٤هـ»،الحيدرية، ٢٩٤هـ-١٩٥٦م.

ثالثا : الرسائل الجامعية

- الاتساق في العربية دراسة في ضوء علم اللغة الحديث : جبار سويس حنيحن الذهبي، كلية الاداب، جامعة المستنصرية ، باشراف : ا.د. نهاد فليح، وحسن العاني، «رسالة ماجستير»، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م .

- الاجمال والتفصيل في التعبير القرآني-دراسة دلالية: سيروان عبد الزهرة الجنابي ,كلية الاداب جامعة الكوفة , باشراف : ا.د. عبد كاظم محسن الياسري, «رسالة دكتوراه», ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
- اساليب التأكيد في نهج البلاغة -دراسة دلالية: اصيل محمد كاظم الموسوي ,كلية التربية, جامعة القادسية , باشراف : ا.م.د. جواد كاظم عناد, «رسالة ماجستير», ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م .
- الاطلاق والتقييد في النص القرآني -دراسة دلالية: سيروان عبد الزهرة الجنابي,كلية الاداب جامعة الكوفة, باشراف : ا.د. عبد الامير كاظم زاهد, «رسالة ماجستير», ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- التقييد بالتوابع في القرآن الكريم: شاكِر شنيار بديوي, كلية الاداب, جامعة بغداد , باشراف : د. فاضل السامرائي, «رسالة دكتوراه», ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- التقييد بالمفعولات بالقران الكريم : ياسين عبد الله نصيف, كلية الاداب , جامعة المستنصرية, «رسالة دكتوراه», ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
- التوكيد انواعه وطرق استخدامه -دراسة لغوية: احمد فاغدوان ناسوتيون منديلي,كلية معارف الوحي الاسلامي والعلوم الانسانية ,الجامعة الاسلامية العالمية - ماليزيا, باشراف : د. احمد الحسن سمساعة , «رسالة ماجستير», ١٩٩٥م .
- الجملة الخبرية في نهج البلاغة -دراسة نحوية: علي عبد الفتاح محيي الشمري, كلية التربية , جامعة بابل, باشراف: ا.م.د.علي ناصر غالب , «رسالة ماجستير», ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
- الجملة الفعلية في نهج البلاغة -دراسة دلالية:محمود حمد اللامي, كلية التربية جامعة القادسية, باشراف : د.جود كاظم عناد , «رسالة ماجستير» , ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- الجملة الوصفية في النحو العربي :ليث اسعد عبد الحميد , كلية الاداب , الجامعة المستنصرية , «رسالة ماجستير», ١٩٨٤م .
- دلالة الانساق البنائية في التركيب القرآني : عامر محسن السعد ,كلية الاداب , جامعة البصرة , «رسالة دكتوراه», ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
- ركن الدين الاستربادي وكتابه البسيط -دراسة وتحقيق: د. حازم سليمان الحلبي ,كلية الاداب , جامعة المستنصرية, «رسالة دكتوراه», ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .

- عطف النسق في العربية : عبد العزيز علي مطلق الدليمي، كلية الاداب، الجامعة
المستنصرية، باشراف: ا.د. حسام سعيد النعيمي، «رسالة ماجستير»، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
- فلسفة المنصوبات في النحو العربي : عائد كريم علوان الحريزي , كلية دار العلوم
، جامعة القاهرة، « رسالة دكتوراه»، ١٩٧٥م .
- المباحث النحوية في شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد « ت ٦٥٦هـ » : سجاد عباس
حمزة ، كلية الاداب، جامعة الكوفة ، باشراف : ا.م.د. محمد عبد الزهرة غافل
الشريفي، «رسالة ماجستير» ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- المبني للمجهول في التعبير القرآني -دراسة نحوية دلالية: هاتف بريهي شياح , كلية
الاداب جامعة الكوفة , باشراف : د. صباح عباس السالم , «رسالة ماجستير»، ١٤١٧هـ -
١٩٩٧م .
- المشتق بين النحاة والاصوليين : صالح مهدي الظالمي , كلية دار العلوم , جامعة
القاهرة، « رسالة دكتوراه»، ١٩٧٦م .
- معاني الحروف الثنائية والثلاثية بين القرآن الكريم ودواوين شعراء المعلقات السبع :
رزاق عبد الامير مهدي الطيار , كلية التربية الاولى « ابن رشد» , جامعة بغداد , باشراف
: ا.د. نعمة رحيم العزاوي، «رسالة دكتوراه»، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
- نظام الجملة العربية : سناء حميد البياتي , كلية الاداب , جامعة بغداد , «رسالة ماجستير»،
١٩٨٣م .
- النعت بالقرآن الكريم : فاخر هاشم الياسري , كلية الاداب جامعة البصرة , «رسالة
دكتوراه»، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
- الواو العربية دراسة صوتية وصرفية ونحوية: سهيل نجمان حاجي العنبر، كلية الاداب، جامعة
بغداد، باشراف: د. عبد الامير الورد، «رسالة ماجستير»، ١٢٠٩هـ - ١٩٨٩م

رابعاً : الابحاث

- اساليب التوكيد في القرآن الكريم : د. كاظم فتحي الراوي , مجلة اداب المستنصرية، ع
«١»، ١٩٧٦م .
- أفضل التفضيل معناها ومبناها: سيروان عبد الزهرة الجنابي «بحث منشور»، مجلة
الدراسات الإسلامية، بيت الحكمة، ع «١٤»، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
- البذل وعطف البيان: رفعت فتح الله «بحث منشور»، مجلة اللغة العربية، القاهرة،
ج «٢٤»، لسنة ١٩٦٩م .

- تصنيف النعت في اللغتين العربية والإنكليزية: مجيد الماشطة، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، ع «٢٠»، لسنة ١٩٨٢. في رحاب نهج البلاغة: مرتضى المطهري، ترجمة: هادي اليوسفي، دار التبليغ الاسلامي ، بيروت -لبنان، ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م.
 - في التذكير والتأنيث: ابو حاتم السجستاني، د.ابراهيم السامرائي ، بحث مستل من مجلة رسالة الاسلام، ٧ ، ٨.
 - اللسانيات ومراتب اللغة: د. عبد السلام المسدي، مجلة الأقلام، ع «٧»، تموز، ١٩٨٦
 - مصطلحات نحوية: السيد علي حسن مطر مجلة تراثنا، ع «١»، ربيع الأول ١٤٢١هـ، ع «٢»، جمادي الآخرة، ١٤٢١هـ، ع «٣، ٤»، ذو الحجة ١٤٢١هـ.
 - مقدمة في النحو: أبو عبد الله محمد بن أبي فرج الصقلي، تح: أحمد خطاب عمر، مجلة المورد، ع «٢»، سنة ١٩٨٣.
- خامساً: الأبحاث الإلكترونية**
- الإبداع اللفظي في القرآن الكريم -دراسة نقدية: «بحث إنترنت»: دكتور عبد سلمان عبد الله أبو غرب. على الموقع www.u-of-islam.net
 - أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى «بحث إنترنت»، رشيد بلحبيب، منشور في موقع «نحو العربية». على الموقع www.alarabiyah.ws
 - الموسوعة الشعرية -الاصدار الثالث: قرص مضغوط.